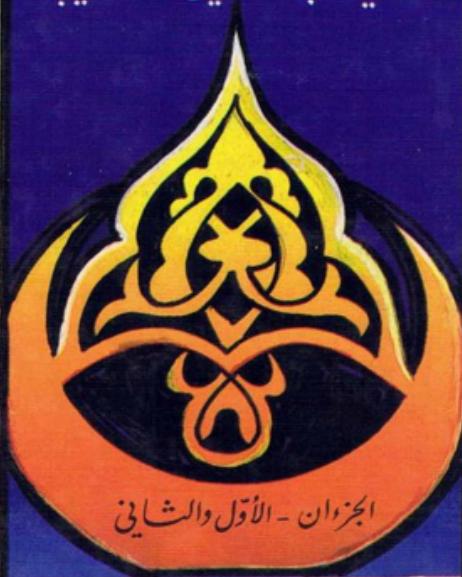


الإِيمَانْ زَانْ

مُتَعَيِّنَ

السَّيِّدُ عَبْدُ الْحُسْنِ دَسْتَغِيْبُ



الْبَعْدَانْ - الْأَوَّلُ وَالثَّانِي

تَرْجِمَةُ: بِحَسَنَةِ الْهُدَى

الإيمان

طبعه

السيد عبد الحسين دستغيب

ترجمة: بحنة الهدى

الجنة الأولى

ذرا، البتة (المنبر)

مكتبة يوسف الالكتروني
لنشر وترويج الكتب
يوسف الرميس

مَكَافَةُ الْعِنْقَهِ مَعْنَى الْمَسَهِ وَسِجَلَهُ

الطبَّعَهُ الشَّانِيَهُ
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

ذَرِ الْبَلَامُهُ للطبَّعَهُ وَالنَّشْهُ وَالنَّوْزِيَهُ

هَافَنَ وَفَاكَسْ: ٣١٧٤٢٥ - ٨٣٤٢٦٥ - ٨٣٠٢٠ - ٤٥/١٦ - تَلْكَسْ: ٢٢٥٩٧ - بَلَاغْ - بَشْرِيَهُ - بَعْدُ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الخلق محمد وآلـه الطـاهـرـين وـبـعـدـ.

قال الله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهَدِيْنَاهُمْ سَبِيلَنَا﴾^(١) أي جاهدوا فينا أنفسهم، فهذبوا ورؤضوا بالقوى ومخافة الله عز وجل كما قال علـيـ (عـ) ﴿إِنَّمَا هـيـ نـفـسـيـ، أـرـوـضـهـاـ بـالـقـوـىـ﴾.

وهذا ليس سهلاً يستطعه كل إنسان وكيفما كان، بل لا بد للوصول إلى هذه المرحلة من صبر وتحمل للمشاق في طريق ذات الشوكة، والصبر من الأمور التي يترتب عليها أجر في الآخرة وثواب من الله ﴿وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، كذلك فإنـ له آثاراً وضـعـيـةـ يـنـالـهـاـ الصـابـرـونـ فيـ الدـنـيـاـ كـمـاـ هـوـ مـدـرـكـ بالـتجـارـبـ.

وكذلك فإن الصبر أحد دعائم الإيمان الأربعـةـ التي ذكرـهاـ أمـيرـ المؤـمنـينـ (عـ)ـ فيـ روـاـيـةـ طـوـيـلـةـ روـاـهـاـ الـكـافـيـ^(٣)ـ حيثـ قالـ -ـ عـنـدـمـاـ سـُـئـلـ عنـ

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٥.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٢٤.

الإيمان - «إن الله عز وجل جعل الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد....».

ثم شرع (ع) في تعداد شعب الصبر وشعب اليقين وشعب العدل وشعب الجهاد.

والشهيد دستغيب - رحمه الله - كعادته اختار هذا الحديث المروي عن أمير المؤمنين (ع) موضوعاً لمحاضراته والتي كان يلقيها في المسجد الجامع في شيراز في شهر رمضان من كل سنة.

والدار وقد صممت على نشر كامل ما خلفه الشهيد - رحمه الله - تباعاً حتى تتيح للقاريء الكريم، فرصة التلاقي مع فكر هذا الشهيد - رحمه الله - والذي وفقه المولى لتخريج جيلٍ من الشباب المثقف الوعي.

1991/11/6
بيروت



الفِيمِ الْأَوَّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

روي عن أبي جعفر (ع)^(١) أنه قال : سُلْطَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) عَنِ الْإِيمَانِ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْإِيمَانَ عَلَى أَرْبَعِ دُعَائِمٍ : عَلَى الصَّبْرِ ، وَالْإِيمَانِ ، وَالْعَدْلِ ، وَالْجَهَادِ ،

فَالصَّابِرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ شُعُبٍ : عَلَى الشُّوقِ ، وَالْإِشْفَاقِ ، وَالْزَّهْدِ ، وَالْتَّرْقُبِ ، فَمَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَّا عَنِ الشَّهَوَاتِ . وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحْرَمَاتِ . وَمَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصَبِّيَاتِ . وَمَنْ رَاقَبَ الْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ .

وَالْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ شُعُبٍ ، تَبَصِّرَةُ الْفَطْنَةِ وَتَأْوِلُ الْحِكْمَةِ وَمَعْرِفَةُ الْعَبْرَةِ وَسُنْنَةِ الْأَوَّلِينَ . فَمَنْ أَبْصَرَ الْفَطْنَةَ عَرَفَ الْحِكْمَةَ وَمَنْ تَأْوَلَ الْحِكْمَةَ عَرَفَ الْعَبْرَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ الْعَبْرَةَ عَرَفَ السُّنْنَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ السُّنْنَةَ ، فَكَانَمَا كَانَ مَعَ الْأَوَّلِينَ ، وَاهْتَدَى إِلَى الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَنَظَرَ إِلَى مَنْ نَجَا بِمَا نَجَا ، وَمَنْ هَلَكَ بِمَا هَلَكَ ، وَإِنَّمَا أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِكَ بِمَعْصِيَتِهِ وَأَنْجَى مِنْ أَنْجَى بِطَاعَتِهِ .

(١) وهو الإمام محمد الباقر (ع) .

والعدل على أربع شعب غامض الفهم ، وغمـر العلم ، وزهرة الحكم
وروضة الحلم ، فـمن فـهم فـسر جـمـيع الـعـلم ، وـمن عـلم عـرف شـرـائـعـ الـحـكـم
وـمن حـلـم لـم يـفـرـطـ فـيـ أـمـرـهـ وـعـاـشـ فـيـ النـاسـ حـمـيدـاـ .

والجهاد على أربع شعب ؛ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصدق في المواطن وشـأنـ الفـاسـقـينـ ، فـمن أـمـرـ بـالـمـعـرـوفـ شـدـ ظـهـرـ الـمـؤـمـنـ ،
وـمن نـهـيـ عـنـ الـمـنـكـرـ أـرـغـمـ أـنـفـ الـمـنـافـقـ وـأـمـنـ كـيـدـهـ ، وـمن صـدـقـ فيـ الـمـوـاـطـنـ
قـضـىـ الـذـيـ عـلـيـهـ ، وـمـنـ شـنـىـ الـفـاسـقـينـ غـضـبـ اللـهـ ، وـمـنـ غـضـبـ اللـهـ غـضـبـ اللـهـ
لـهـ ، فـذـلـكـ الـإـيمـانـ وـدـعـائـهـ وـشـعـبـهـ^(١) .

وعـنـ اـبـنـ مـيـشـ (رـهـ)^(٢) جاءـ : إـعـلـمـ أـنـ الـمـقـصـودـ مـنـ الـإـيمـانـ هـنـاـ هـوـ الـإـيمـانـ
الـكـامـلـ الـمـسـتـنـدـ لـأـصـلـ وـالـكـمـالـاتـ الـمـتـمـمـةـ لـهـ هـيـ أـصـلـهـ الـمـصـدـقـ بـجـوـدـ الـصـانـعـ
وـصـفـاتـ الـكـمـالـ وـنـعـوتـ الـجـلـالـ وـكـلـ شـيـءـ ذـكـرـ فـيـ اللـهـ فـيـ مـضـامـينـ الـكـتـبـ
الـنـازـلـةـ ، وـكـلـ مـاـ بـلـغـ بـهـ الرـسـلـ مـنـ كـمـالـاتـ مـتـمـمـةـ لـلـأـقـوـالـ وـالـأـخـلـاقـ الـحـمـيدـةـ
وـالـعـبـادـاتـ الـتـيـ يـرـتـكـرـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـأـصـلـ ، وـمـتـمـمـاتـهـ مـنـ الـكـمـالـ الـنـفـسـيـ الـأـنـسـانـيـ
لـأـنـهـ يـتـضـمـنـ قـوـتـيـ الـعـلـمـ وـالـعـمـلـ وـانـ كـمـالـهـ تـابـعـ لـكـمـالـ هـذـيـنـ الـأـصـلـيـنـ ، إـيمـانـ
كـمـالـ قـوـةـ عـلـمـهـ وـمـتـمـمـاتـهـ مـنـ مـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ وـعـبـادـاتـهـ ، وـلـأـنـكـ عـرـفـتـ كـمـالـ
الـقـوـىـ الـعـمـلـيـةـ الـتـيـ هـيـ مـثـلـ أـصـوـلـ فـضـائـلـ الـخـلـقـةـ وـكـمـالـ الـإـيمـانـ فـيـ أـرـبـعـةـ :
الـحـكـمـةـ وـالـعـفـةـ وـالـشـجـاعـةـ وـالـعـدـالـةـ ، وـقـدـ أـعـارـهـاـ لـفـظـةـ الـدـعـامـةـ لـأـنـ الـإـيمـانـ
الـكـامـلـ بـدـونـهـ لـاـ يـكـوـنـ مـثـلـ الـأـعـمـدـةـ الـأـرـبـعـةـ الـتـيـ يـسـتـنـدـ عـلـيـهـ بـنـاءـ الـبـيـتـ .

الـيـقـيـنـ : تـعـبـيرـ عـنـ الـحـكـمـةـ الـعـمـلـيـةـ وـالـعـلـمـيـةـ ، فـعـلـمـ هـذـاـ الـكـمـالـ يـسـتـنـدـ

(١) وهذا الحديث رواه في الكافي (ج ٢ ، ص ٥٠) عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه محمد
عن ابن عيسى والعدة عن البرقي جمـيعـاـ عن السـرـادـ عن يعقوب السـرـاجـ عن جـابرـ .

(٢) هو كـمـالـ الـدـيـنـ مـيـشـ بنـ عـلـيـ بنـ مـيـشـ الـبـحـرـانـيـ الـمـتـوـفـيـ سـنـةـ ٦٧٩ـهـ . وـلـهـ شـرـحـ نـعـجـ
الـبـلـاغـةـ فـيـ ٥ـ أـجـزـاءـ .

إلى القوى الفكرية بتصور وتصديق الحقائق العلمية إلى حد تفهم البشر الممكن ؛ والحكمة العملية هي تكميل النفس بتحصيل الفضائل الذاتية والابتعاد عن الأخلاق الفاسدة والمنحرفة والحكمة العملية هي من ثوابت هذا اليقين .

والصبر : تعبير عن العفة من خلال الامتناع عن مسايرة الهوى في كل أنواع الشهوات المحسوسة ، وترك متابعة الشهوة والامتناع والصد عنها ، وهذا ما يحتاج إلى عزيمة قوية .

والجهاد تعبير عن الشجاعة لأنَّه يستلزم ذلك ، والشجاعة استعداد على الاقدام لإنجاز أي مهمة ، والانسان يحتاج ذلك ومن أجله يتحمل المكاره والألام والتعب .

العدالة : ملكه بربت من هذه الخصال الثلاثة والعدالة لازمة لهذه الخصال لأن كل فضيلة من هذه الفضائل تحتمل الافراط والتفرط الذي هو سيء أساساً وكذلك سيء في مقابل خلق الله ، وهو (الافراط والتفرط) والعدالة على طرفي نقيس . انتهى - هذا ما نقلَ عن العلامة المجلسي (ره) ^(١) .

أنا أقول - إنَّ حديث ابن ميثم في مقام تطبيق مضمون الحديث الشريف خرج مع مصطلحات علم الأخلاق المعروف ، والموارد التي هي مكان اعتراف نطرق إليها باختصار وامتنع عن شرحها باسهاب تاركاً إياها لأفكار القراء الكرام .

(١) ما نقلَ عن أبي ميثم كشرح للمقصود من كلامه عليه السلام إنما نقله العلامة المجلسي في شرحه على الكافي المسمى بعرأة العقول ، وهو معروف .

بسم الله الرحمن الرحيم

وجوب كسب العلم الديني وفضيلته :

عليكم بتخصيص ساعة للتذاكر في علم الدين في شهر رمضان هذا ، لأن « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وفي رواية أخرى « مسلمة » ، وإن من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يَقُومُ دينه ليُحکم أصول عقائده ، عليه أن يتعلم أحكام الحلال والحرام ، والمسائل التي يمكن أن يُتلى بها في الصلاة والصيام والخمس ، والحج إذا كان مستطيعاً ، فالزار يتعلمون مسائل الزكاة والفلاحة وغيرها ، والكسبة يتعلمون الأحكام التي تتعلق بالمتاجرة وكيفية المعاملة .

وخلاله القول يتوجب على كل فرد أن يتعلم العلوم الدينية - الأصول والفروع ، بمقدار رفع الحاجة - ونذكر هنا :

أولاً : فضيلة هذا التعلم ؛ حيث ينقل لنا الشهيد الثاني (رض) في (منية المريد) عن خاتم الأنبياء محمد (ص) ما مضمونه : « من أحب أن ينظر إلى عُتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وينبئ الله له بكل

قدم مدينة في الجنة ، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له ، وشهدت الملائكة أنهم عتقاء الله من النار .

فيما إذا كانت هذه العبادة لمدة سنة تصدر عن جاهل أو عبادة شخص يروم النور لساعة في طلب نور الفهم والعلم تناسباً مع العمل ، وعلى العكس من ذلك فإن الضرر يتحقق مع عبادة في ظلام الجهل ، أو ترجم علية هذه العبادة بنفع قليل .

على الإنسان أن يعرف علم الله والنبي والإمام ، وعلم المذاهب ، ومعرفة الواجبات والمحرمات ، وآفات النفس والعمل ، وعليه أن يعلم كيف يُذلل الصعوبات وعليها أن نعلم أن للصوم آفة ينبغي لنا أن نتجنبها ونحفظ منها صيامنا ، وبغير هذا نخرج من الصوم بالجوع والعطش فقط ، عليك أن تعرف أن خطايا لسانك تذهب بصومك أدراج الرياح ، وأن سب المؤمن وايذاءه والتصدي له يهدى عليك صومك .

شروط قبول الصوم وصحته

إعلم أن شروط صحة الصوم هي ما يعاكس نفس العشرة أشياء المفطرة : الأكل ، الشرب ، رمس الرأس في الماء ، تعمد القيء ، البقاء على الجناية عمداً ، الجماع ، الكذب على الله ورسوله والائمة المعصومين ، إيصال الغبار إلى المحلق وغيرها وشروط القبول مع عدم كونك فقيها أو مقلداً يسقط عملك ، فإذا ما سبب شخصاً ، أو أذيت مؤمناً فلن يكون نصيبك من الصيام غير الجوع والعطش .

منافاة العبادة لأكل الحرام :

من شروط قبول الصوم ، الأكل الحلال ، حيث يتوجب عليك الحذر في أكل لقمة من حرام أو من شبهة ، وهنا تحضرني حكاية كيف كان السابقون حذرين من أن تُهدر أعمالهم العبادية وتذهب سدى .

ينقل لنا أحد العلماء الكبار : قديماً وقبل ستين أو سبعين سنة ، وفي أيام
كنا في النجف الأشرف ، كان هناك أحد اللصوص الذي يمارس مهنة السرقة
على طول أيام السنة ولكنه يمتنع عن ذلك في أيام شهر رمضان ، يصوم ؛
وحيثما يكون صائماً لا يسرق ، فاسئل هو ، ولكنه لا يخلو من شيءٍ من
الإيمان ، فكان يذهب وقت الإفطار إلى الصحن المقدس لأمير المؤمنين
علي (ع) ويلتمس أهل العلم - على الرغم من ردهم له - بافظاري يمكن أن يعطوه
له قائلاً : ليس عندي مال حلال أفتر منه ، وفي بعض الأحيان - وكما يقول هذا
العالم راوي الحكاية - يبقى هذا اللص العسكون إلى منتصف الليل بدون إفطار
لعدم حصوله من أحد على شيء يأكله أو يفتره به ، وهو كذلك لا يقدر أن يفتر
من مال الحرام الذي معه .

لا تكن أقلَّ من هذا اللص في هذا الأمر ، انتبه لنفسك ، لا ينبغي لك أن
تُدخل جوفك لقمة حرام - إن الأسنان في خطر شديد ، هذه الساعة بعد الظهر
التي يمكن أن تتدارس فيها العلم - العلم الواجب يعني الأصول والفروع - فيها
الأمل في أن يكون الإنسان فقيهاً في الدين ، أو قُل خطيباً ، يجب عليه
التعلم ؛ انت أيضاً عليكم أن تتصتوا لهذا العلم الواجب تعلمه مشروطاً بكمال
الأدب سماعه ، وبالعمل به ، هذه الطريقة وهذا الطريق العلمي علينا أن نديم
السير عليه لما له من فضائل حبها الله أهل العلم لا نعرف أرقى منها
فضيلة^(١) .

العبادة والعلم :

إذا خللت العبادة من التعلق والفهم ، فلا يمكن أن يصلك جسمك إلى

(١) ﴿... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات...﴾ سورة المجادلة ، الآية ١١ .

﴿... هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون...﴾ سورة الزمر ، الآية ٩٠ .

ما ترزو إلية ، ولكن العبادة التوأم مع الفهم والعلم ، يمكن أن تصل بالانسان إلى مكان ما ؛ فقد جاء في أصول الكافي في كتاب العقل ما نصه : «أن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن اسحاق بن عمار عن أبي عبد الله (ع) [أي الإمام الصادق (ع)] قال : قلت له : جعلت فداك إن لي جاراً كثير الصلاة ، كثير الصدقة ، كثير الخج لا يأس به قال : يا اسحاق كيف عقله ؟ قال : قلت له : جعلت فداك ليس له عقل ، قال ! فقال : لا يرتفع بذلك منه »^(١) .

اعتراض عابد على ما خلق الله

كان في الزمان السالف عابد انتزوى عن العباد لما رأى من نفسه استعداداً للعبادة ، وكان قد اتخذ من إحدى الجزائر مكاناً له يمارس فيه عبادته ، فمن ثمار الاشجار غذاؤه ، وعند عبور أحد الملائكة من تلك الجزيرة رأى أن عبادة هذا العابد استمرت سنين طوبلة ، ولكنه لم ير تغيراً ملحوظاً في الثواب الذي يمكن أن يكون نصيباً له ، في الوقت الذي كان المفروض أن توصله عبادته هذه إلى درجة الأولياء ، ففكّر هذا الملك في الأمر ، وقال في نفسه : ما السبب في ذلك ؟ ثم قال متعجباً : الهي ما السر في عبادة هذا العابد التي لم تصله لحد الآن إلى مقام الأولياء على الرغم من استمرارها وتواصلها ، فإذا شئت أختبره .

فأمر الله الملك أن ينزل عند العابد على هيئة إنسان ، وبعد ساعات من النزول التفت العابد إلى الملك وسأله من أنت ؟ فقال الملك : أنا عبد من عباد الله ، كان مسيري من هنا ، فرأيتك تذكر الله كثيراً ، فارادت أن أشاركك في التفكير بالله ، فكيف حالك هنا ؟

فأجاب العابد : لقد أنعم الله على هذه الجزيرة بدوام الخضراء وكثرة الثمار ولكن للأسف لم يكن لله حمار هنا ، حتى يأكل من هذا العلف الذي هو

(١) الأصول من الكافي ، ج ١ ص ٢٤ .

من حقه قبل أن يجف ويتلف ؛ وهنا اتبه الملك إلى الخلل ؛ إدراك ضعيف وشعور قليل ؛ مع عدم معرفة بالعظمة والحكمة الإلهية ؛ عجباً لهذا المخلوق الذي هو ليس بأكثر من كفَن من التراب يعرض على الخالق ، ولا يفهم أن المولى يفيض من رحمته على مكان بخضرة يقتضي أن تكون ؛ لا أن يمنع مكاناً من نمو علَف أو ثمار لا وجود لحمار فيه .

إن الشخص الذي لا يدرك عظمة الله واسماء الله ، وصفات الله الجمالية والجلالية ، لا نمو ولا رُقى لعقله ، وإن أعماله وعبادته ليس لها ذلك الأثر المطلوب ، ولا يمكن أن توصله إلى المقامات العالية .

عليك أن تكون بشكل تعلم معه أن الله هو معك دائماً ، وهو الذي خلقك « مولاي مولاي أنت الصانع وأنا المصنوع » عليك أن تيقن أن الله هو المربي وهو الذي يمنع الرقي ، إعلم أن الله هو الذي يُطعمك و يجعل من طعامك جزءاً من بدنك فيكون دماً ، وأن أيَّ نفس تتنفس هو بقدرة من الله وبمعية في يوميته ، في نفس الوقت عليك أن تكون هذه المعاني واضحة جليةً لك ، لتمكن من استئمار عبادتك لله ، وإذا ما اتفق أن وفقت لصيام شهر من شهور رمضان لا ينبعي لك أن تقول : أنا أنا ، بل قل الله الله هو الذي وفقي بذلك .

الاستثمار الصحيح للعبادات :

إذا ما وصلت إلى آخر شهر رمضان ، فإنك سوف ترى عطاء الله لك من نور الإيمان واليقين والمعرفة .

إن الإنسان لا يحصل على شيء إلا بعد سعي حثيث ، عليه أن يبحث عن عالمٍ يستفيد من علمه ، فالعمل بدون علم معناه عدم العمل ، فيا ليته لم يقم بعمل يتوقع منه نتيجة عكسية ؛ وبهذا أذكر مثلاً على ذلك : زيدٌ من الناس يقوم من هنا ليذهب إلى حرم الإمام الرضا (ع) الذي هو مكانٌ من الأماكن التي يحب الله أن يذكر فيها ، فالشخص الذي يذهب لزيارة هذا المقام الشريف بنية

خالصة ، كذلك الذي يحجّ ويعتمر ألف ألف مرّة ، فيرقى الشخص إلى مرتبة المليون إذا ما كان مدركاً لهكذا مقام ، ولكن هناك اشخاصاً يذهبون لزيارة الإمام الرضا (ع) ولا يصلون إلى أي معنى ، بل يرجعون أدراجهم بخفي حنين ، لما يمارسونه من إساءة أدبية أو إرتکاب محرم داخل المقام المبارك أو أولئك الذين يتسبّبون في أذى الآخرين من خلال أقدامهم المتعفّنة في الوقت الذي كان عليهم أن يتعرّضوا حين الزيارة في مثل هذا الحرم الشريف .

من هذا الذي قال لك أدخل بدون غسل داخل الحرم الشريف ، عليك أن تحسن الأدب وتفرق بين الحرم ومكان إقامتك ؛ فهنا مكان حاكمية الله التي تحتم عليك أن يكون ظاهرك وباطنك يتناسب مع لطافة الحرم المبارك ، وكذا الأمر بالنسبة للمسجد ، فلا يوجد فارق يذكر بين بيت الله - المسجد - وهذا المكان ؛ فكلّها أماكن لذكر الله ؛ وهنا يجدر الذكر بأن ما هو شعور الشخص الذي لا يفرق بين بيت الله وبنته هو ؛ هل تعرف جيداً مدى إدراكك وشعورك ؛ فعباداتك تابعة لإدراكك وشعورك .

إن المسجد متعلق بالله - وتواجدك في المسجد بالمقدار الذي يتبعه الوقت لك لا ينفي أن يكون لك مدعّاة لأن تمنى به على الله أن يصلح باطنك بوجودك الظاهري هذا في المسجد ؛ أو على سبيل المثال إلتصاقك بضربيع الإمام الرضا (ع) والتسبّب في أذى الناس ومزاحمتهم ، ظناً منك أن الإمام فقط يتجلّى بالشباك المحيط بالضربيع على الرغم من أن الإمام حاضر وناظر بعين الله العظيم ، فلا ينفي لك أن تتسابق لتصل إلى شباك الضربيع والذي قد يسبّب مسّ النساء الأجنبيات مبرراً ذلك بالوصول إلى الضربيع المبارك .

نور الإمام له تشعّش أكثر من قبره :

من قلة العقل والأدراك أن البعض يتصرّرون أن شباك الضربيع يعني الإمام ، الإمام روح من الروح الكلية الإلهية ، والتي هي حاضرة في كل

مكان ، أما الذهاب إلى زيارة القبر المبارك فليكن تبريره بأن الشمس عندما تشغّل كل مكان ومن جملة ذلك إشعاعها على الحديد ، الماء ، التراب ، الحجر ، الجدار ، وكذلك المرايا ، فعندما يسألك سائل في أي مكان رأيت تشعّش الشمس أكثر ، على الحجر أو على المرايا والبُلُور ؟ ، حينها وبلا شك يكون الجواب : إن تشعّش وتلأّلُ الشمس يتضاعف مرات عديدة من خلال انعكاسه على المرايا والبُلُور .

فالروح الكلية الإلهية المتمثلة بجزء منها في الإمام محطة ب تمام عالم الذر تفيض على كل مكان ، ولكن قطعة الأرض تلك التي تحتوي على البدن المبارك مثلها كمثل قطعة البُلُور تلك ، ففي الحرم يتضاعف تشعّش النور ، ويفيض البدن المبارك على الزائرين أكثر منه خارج الحرم ؛ وفي جوار الحرم يظهر نور الإمامة مما أنت فيه من الدرن ، يبتعد بك هذا النور عن مسار الإنزالق ، ولكن ما هو مدى استثمارك لهذه الحالة ؟ فإذا ما كان العقل والمعرفة حاكمة في البدن لن يكون هناك مجال لورود الرياء ، فجأة على هذا العمل .

دفع الفساد بالفساد سبيه الجهل :

على سبيل المثال - الجاهل عندما يريد أن ينهى عن المنكر يأتي بأعمال منكرة ، هل سمعتم بالأشخاص الأربع الذين وقفوا للصلوة ؛ إذ بصر أحدهم متعمداً أثناء الصلاة في المسجد ، فارتكب مكروهاً ، فأراد الذي يقف في جانبه أنه يصلح الأمر ، قاتلاً لماذا فعلت ذلك قاطعاً صلاته ، ووقوفه بين يدي الله ، فأجابه الثاني قائلاً : ما كان لك أن تتحدث أثناء الصلاة ، فقال الثالث : إن صلاتكما باطلة وقال الرابع : الحمد لله الذي لم يجعلني أنطق بحرف واحد .

يريد أن ينهى عن المنكر مضمّناً نهيه هذا بالسباب الذي يذهب بماء وجه المؤمن ، إن السبّ هو أحد المنكرات التي مارستها ، وبتصوره أنه نهى عن المنكر ؛ فمثلاً يتبرّأ أحدهم مستقبلاً القبلة ، فيقال له : لماذا تفعل هذا يا

كلب؟ ! فمن أين لك أن تعلم بأنه كان يعرف باستقباله للقبلة أو كان على ريب في الأمر ، ومن أين لك معرفة خطأه القطعي ، فإن بعض الجهال يتجاوزون إلى أكثر من ذلك ، فينعتون الطرف المقابل بالكلب علامة على تسمية والده أيضاً بذلك ، إن ولد الطرف له الحق في محااجحة السابِ غداً في محكمة العدل الإلهي يوم القيمة سائلُ السابِ : لماذا نسبتني إلى الكلب ناهيك عن حقانية المسبوبِ بتعزيز السابِ .

أمي في أن تكون مجالسنا مجالس علم ، تُزيد لمعلوماتنا الدينية علمًا إضافيًّا لأن علامة العلم الخشوع ، وعلامة الجهل الغرور ، وكلما زاد جهلُ الإنسان زاد غروره ، وكلما زاد علمه زاد تواضعه ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾^(١) ؛ فكل شخص على علم يقين بعظمته الله يبقى مضطرباً قلبه ويخاطب نفسه ، هل أن ما قضيته من عمري في العمل الفلاحي أو الفلاحي يُقبلُ مني أولاً ؟ فالشخص الذي عرف الله حقَّ معرفته يبقى دائمًا شديد الخجل من الله تعالى .

كيف أصدر عن خجل في مواجهة الحبيب .

لما لم تعمله يداي من عملِ لاثق في حضرته .

قد تورّمت أقدامُ الرسول الأكرم (ص) من كثرة ما قام الله تبارك وتعالى وفي جوابه لعائشة عندما سأله لم هذا القيام والانين فأجابها بذكره لللإية الشريفة ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾^(٢) علامة على قوله (ص) : ﴿أفلا أكون عبدًا شكورا﴾^(٣) .

(١) سورة فاطر ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة الفتح ، الآية ٣ .

(٣) سفينة البحار : ج ١ ، ص ٧١١ .

فالشخص الذي لم يعرف في الدنيا ما أنعم الله عليه من نعمٍ كثيرة يأتني يوم القيمة مطأطأً رأسه مع وقوف ٤٠ عاماً على قدميه ، ليتعرف على عدم معرفته وفهمه وحينها يُدرك كفر أنه لنعم الله العظيمة ، ويعرف في محضر الله ما جنى وما خان وما ارتكب من أعمالٍ مخجلة ، حسب ما جاء في الروايات المتواترة ؛ إذن ينبغي للإنسان أن يتعرف على أخطائه وكفره بالنعمـة ، ويخرجـل مما عمله من ذنوب ليتمكن بذلك من الاستغاثة بالله في شهر رمضان المبارك ، ويستبشر بالروايات التي تطرق إلى أن الصائم مستجاب دعاؤه ، وينبغي لنا أن لا نتجرأ بالقول بأننا صيام ، بل عملنا هذا أشبه ما يكون بالصيام ، ربنا إن نبيك وعدنا وعداً حسناً بأن تستجيب لدعائنا في هذا الشهـر الفضـيل ، وأن نوفقـ فيـه لأن تكونـ من أهـلـ الـعـلـمـ والمـعـرـفـةـ فـتـقـبـلـ مـنـاـ عـلـىـ أـنـ نـكـونـ أـهـلـ لـذـلـكـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾

لقد كان صلباً حديثنا بالأمس عما يمكن أن يستفيد الإنسان منه في هذا الشهر المبارك إن شاء الله في ساعة يقضيها خطيباً أو مستمعاً وعلى الرغم من المعاشرة التي يمكن أن تبدو عليهما ولكن النفس قد تتلهف إلى هكذا أحاديث مثلها مثل القصة أو الخبر؛ أما الموعظة فهي على خلاف الرغبة والميول ناهيك عن صعوبتها؛ مجلسنا انشاء الله يكون مجلس تذاكري علمي فالخطيب فيه يتحدث عن علوم القرآن وعلوم أهل بيت الرسول (ص) والمستمع فيه يستمع بقصد التفهم والتعلم والعمل بنهجهم ، فالخبير المؤمن بعلم الرسول (ص) ينبغي له أن يكون عارفاً لمسائل الحلال والحرام وعالماً بأفات النفس وأفات الأعمال .

أجنحة الملائكة فراش لطلاب العلم

جاء في الروايات أن شخصاً ذهب إلى منزل الإمام زين العابدين (ع) في ساعة مبكرة من صباح أحد الأيام ، فسأله الإمام : ما الهدف من مجتبك في هذا الوقت فقال جئت إليك لاستفيد حديثاً منك فقال الإمام (ع) : أبشرك بأن

الملائكة تفرش أجنحتها تحت قدميك .

قال كثير بن قيس : لقد كنت عشاء يوم في منزل (أبو الدرداء) فدخل علينا المنزل اعرابيًّا فسأله أبو الدرداء : من أنت ؟ فقال : لقد جئتك مashiًّا على قدميٍّ من المدينة إلى الشام لسماعي بأنك قد سمعت حديثاً من شفاه الرسول (ص) ؟ فبشره أبو الدرداء وقال له : سمعت رسول الله (ص) يقول : من سار في طلب العلم فرشت له الملائكة أجنحتها تحت قدميه .

وبهذه المناسبة نحكي لكم حكايةً اعجazية نقلها الشهيد الثاني حيث قال : كان في أحد الأيام عدّة من طلاب العلم يرثمون أن يكونوا من أهل الفهم طالبين تعلم مبطلات الاعمال وآفات النفس ويرغبون صلاح دينهم بالذهب إلى دار أحد المحدثين لاستماع حديثه وكان الوقت متاخراً فقال أحد هم لتعجل المسير علينا نصل في الوقت المناسب فصادفوا شخصاً جاهلاً في طريقهم فأراد أن يسخر منهم وقال لهم : لا تعجلوا في المسير يا سادة فتسبوا في الحق الضرر باجنحة الملائكة ، وفجأة وبعد اكماله هذه الجملة شاهد الجميع انكمواش هذا الساخر في مكانه ولم يكن ليتمكن من أن يحرك قدماً واحدة ، وهكذا بقي حتى آخر عمره ، لما قام به من استخفاف بحديث خاتم الأنبياء محمد (ص) .

نتيجة الاستهزاء بحديث النبي (ص)

وهذا هو حديث آخر سماعي : كان الإمام السجاد (ع) جالساً في أحد الأيام في مجلس يضم جمعاً من الناس فقال له عدّة منهم : لقد جتنا لسماع حديثك وكان الإمام (ع) يعلم أن من قال ذلك كان من المنافقين ومن جملتهم ضمرة بن ضرار الذي لم يكن يمتلك زرة من ايمان وخشوع في قلبه ؛ فقال الإمام : ماذا نفعل ؟ إذا سكتنا وامتنعنا عن الحديث قالوا بخل الرجل بعلمه ولم يزكيه ، وإذا تحدثنا خشينا الاستهزاء والسخرية ولكتنا نقول : « قال

جَدِي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدُ (ص) : «إِذَا مَاتَ الْمَرْءُ رُفِّرَتْ رُوْحُهُ فَوْقَ نَعْشَهُ ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلِي وَوَلْدِي لَا تَغْرِّنُكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ بِي ، جَمَعْتُ مِنْ خَلْيَهُ وَغَيْرِ حَلَّهُ ، فَالْمَهْنَأُ لِغَيْرِي وَالْوَزْرُ عَلَيَّ»^(١) وَمَا أَكْمَلَ الْإِمَامُ حَدِيثَهُ هَذَا حَتَّى قَالَ ضُمْرَهُ بِلِهَجَةِ تَنَمَّ عن سُخْرِيَّةٍ وَاسْتَهْزَاءٍ : حَسْنًا إِذَا نَطَقَ بِشَيْءٍ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَفْرَغَ عَلَى تَلْكَ الَّتِي تَنْقَلُهُ (قَاصِدًا الْمَلَائِكَةَ) .

سَكَتَ الْإِمَامُ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا ، فَقَامَ الْمُسْكِينُ ضُمْرَهُ وَذَهَبَ ، وَبَعْدَ أَيَّامٍ وَحِينَما خَرَجَ أَبُو حُمَزَةُ الشَّمَالِيُّ مِنْ دَارِهِ يَرِيدُ دَارَ الْإِمَامِ السَّجَادَ (ع) وَإِذَا بِصَدِيقٍ لَهُ يَخْبِرُهُ بِأَنَّ ضُمْرَهُ قَدْ مَاتَ ، فَقَالَ أَبُو حُمَزَةُ : قَلْتُ فِي نَفْسِي لَا ذَهَبَ وَأَرَى دَفْنَهُ ، وَعِنْدَ الرَّوْصَوْلِ إِلَى الْجَمَانَ رَأَيْتُهُمْ يَرِيدُونَ اِنْزَالَهُ فِي الْقَبْرِ فَاقْرَبْتُ مِنْهُ بِحَجَّةِ أَنِّي أَرِيدُ وَضَعُ وَجْهِهِ عَلَى التَّرَابِ ، فَنَزَّلَتِ الْقَبْرُ مَعَ الْجَسَدِ ، وَاقْسَمَ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ أَنِّي رَأَيْتُ شَفَاءَ ضُمْرَهُ تَحْرُكٌ وَتَقُولُ : الْوَبِيلُ لَكَ ، الْوَبِيلُ لَكَ ، لَقَدْ وَصَلَتْ يَا ضُمْرَهُ إِلَى مَا كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْإِمَامُ ؛ حِينَها ارْتَعَدَتْ فَرَائِصِي وَخَرَجَتْ مِنْ قَبْرِهِ مَذْهَلًا وَمَتَوَجِّهًا إِلَى دَارِ الْإِمَامِ السَّجَادَ (ع) وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ قَلْتُ لِلْإِمَامِ : مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي سَيَخْرُجُ مِنْكَ بِالْأَمْسِ وَقَدْ سَمِعْتَهُ بِأَذْنِيْ هَاتِينِ وَهُوَ يَقُولُ : الْوَبِيلُ لَكَ ، لَقَدْ وَصَلَتْ يَا ضُمْرَهُ إِلَى مَا كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ الْإِمَامُ (ع) .

الأَيْمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَتَعَدَّدُ بِالْأَنْسَانِ عَنِ الضرَّ

إِنْ مَجْلِسَنَا الْعَلْمِيُّ الْيَوْمُ هُوَ آيَةٌ مُحَكَّمَةٌ مِنْ مَحْكَمَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَقْدَمُهَا لَكُمْ بِعِنْوانِ أَصْلِ أَصْبَلِ وَقْطَعِيِّ وَمُعْتَدَلِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُحَكَّمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فَالْأَصْلُ فِيهَا عَدْمُ احْتِمَالِ الْخِلَافِ فِي دَلَالِهَا وَهِيَ مِنَ السُّورِ الْمُشَتَّبِهَةِ إِنَّهَا سُورَةُ الْعَصْرِ .

(١) نَقَلْنَا هَذَا الْحَدِيثَ بِالْمُضْمُونِ .

إن أهميتها تتأتى من قسم الله بالعصر ، فالبشر مهما أراد وفي كل مقام ومنصب ، أبىض واسود ، تركي ورومى ، عرب ، وعجم ، قديم وجديد ، ماضى وحاضر ، نوعيته (أى نوعية الإنسان) في خسر ، حيث تمكן النجاة له في شيئين : الإيمان والعمل الصالح ، فهذاان الشيئان وحدهما اللذان يخرجانه من الخسارة ، فطالب السعادة في الدنيا والآخرة مهما كان لا يمكن أن يتحقق له ذلك إلا بالإيمان والعمل الصالح .

ابحثوا في فهرست آيات القرآن فإنكم سوف تجدون أن كلمتى الإيمان والعمل الصالح قد تجاوزت حد المثلة ، فقد جعل المولى تبارك وتعالى الإيمان تؤام العمل الصالح حيث يقول عز من قائل : آمنوا وعملوا الصالحات . ويتطرق الله إلى أن خير البرية هو المؤمن العامل بالعمل الصالح .

كذلك شر البرية «الكافر» الذين يكون نصيبهم جهنم ، وتقتصر الجنة على أفراد خير البرية فقط .

علينا أن نفهم أولاً ما هو الإيمان ، ونرى ثانياً بعد ذلك هل هو متجلٍ في أم لا ، نمتلك الإيمان ، أو نذهب من الدنيا بيد خالية هذا ما ستعرض له .

وثالثاً نبحث على أي مدى نحن من الإيمان ، ذلك الإيمان المطمئن ، أو أنه لا نمتلك من الإيمان شيئاً حيث التعرض للمخاطر .

انطرق هنا بحديث إلى المغوروين والسابعين في الخيال هل لهم نصب من الإيمان ؟ ذلك ما سأعرض له .

الإيمان ودرجاته

جاء عن الصادق (ع) مرويًّا في أصول الكافي أنه قال لأبي بصير وهو أحد خواص الإمام (ع) ما مضمونه : «وانما تمسكتم بأدنى الإسلام واياكم وإن يسر من أيديكم » ؛ إن الإيمان الضعيف أو قلة الإيمان يجرّ على صاحبه المخاض . فاسمعوا لأن تُزيدوا من إيمانكم وتقوّوه .

وال يوم نؤُن ببحث المنزلة الدنيا والمنزلة العليا لایمان العبد ليتسنى وضع ميزان يتمكن به الفرد المسلم من تقييم ایمانه حسب هذا الميزان . .

كل شيء يخطئ بدرجات كثيرة يُرام تفهمه ينبغي حساب درجته الأولى (العليا) والأخيرة (الدنيا) بعد ذلك يجدر إخراج وتقسيم الدرجات الأولى والأخيرة والتي هي عنوان الایمان لا أقل ولا أكثر ، ونسعى ذلك من لسان الرواية حيث قال رسول الله (ص) ما مضمونه : من سرّته حسته واسعاته سبّته فهو مؤمن .

إن من المسلم به هو إنفطار القلب على الإيمان بالغيب ، وبالفطرة أيضاً يعلم أن هناك ثواباً وعقاباً لكل الأعمال ؛ فضربك لطفل ، إبنك كان أو ابن غيرك ، كلمة تفوهت بها خطأ ، هتكك لعرض أو تعرض لأحد في ظهر الغيب أو ما شابه سوف يؤدي بك غداً إلى الوقوف في محكمة الله لتجيب ، ولكنك تستيقن الأحداث لتسأله نفسك : بأي شيء سوف أجيب الله غداً ، وهذا من علامات الإيمان أما إذا كنت - لاسمع الله - على غير طهارة أو تهور في التعامل مع الناس وتنتهك الحرمات ولا تبالي فكن مطمئناً إلى قلبك لن يهتز به عرق ليسالك ماذا فعلت ؛ وهنا سأعرض بشكل أوضح لهذه المسألة :

الإيمان مرهون بالقلب :

إن اللغة الفارسية تستعمل مصطلح الرهن ، الرهينة ، المرهون ، وإذا ما أردنا أن نستعمل الفاظاً أخرى فنقول : ليس بالعلم وحده يحصل الإيمان ، فإذا ما كان الإنسان قد عرِف الله ، وعرف الآخرة ، فلا يكفي أن نعتبر أن المعرفة والمحبة لوحدها تبعث على الإيمان بل إن الالتصاق الخاشع والتذلل في مقابل المحبوب علاوة على المعرفة بالله وبالآخرة يمكن احتسابه إيماناً .

كيف يكون تعامل الوليد مع أمه وابيه ؟ انه لا ايمان له في السنين الأولى ما عدا ايمانه بثدي امه الذي يسد جوعته ، فلا يرى اي شيء إلا من خلال هذا

الثدي ؟ فيعتبر ثدي امه هو الرب وغیره لا يعرف شيئاً ، وكلما قالوا له توجد
أشياء أخرى تعمل عمل الشدي ، فتعطي حليب البقر ، والحليب المجفف
وأشياء أخرى لا يفهم ما يقال له ، ولكن عندما يتقدم بالسن قليلاً ويرى أن
الغذاء يمكن أيضاً أن يسد حاجته وان اشياء أخرى يمكن أن تمنع عنه البرد
والحرّ وأشياء أخرى أيضاً يراها تسد بعض حواجزه الباقيات تصدر عن أبيه ؛
وحين بلوغه السبع أو الثمان سنين لا يمكن أن يرى غير الوالد رزاقاً له فيؤمن به
وحده ولا ينظر إلى غير الآب بعنوان انه يؤمن به ، فيبدأ الطفل هنا بالتودد إلى
أبيه ويدعوا من كل قلبه لابيه الذي يرى أن الملبس والمطعم والمسكن يؤمن من
قبله .

وعند بلوغ سن الرشد سن تشعشع نور التوحيد والایمان بالغيب ودفع
اشبهات الطفولة ، يرتفع ايمانه إلى الایمان بالله ولا اعتراض لديه على من
كان يؤمن به .

أيضا الفتى الذي وصل به العمر إلى سنّة الخامسة عشر لقد كنت على غير
الصواب حين ظنت أن الآب والأم هما ربك ، ألا تعلم أن اباك يحتاج وكذا
امك ، لقد كنت ترى الاسود والابيض بل وكل ألوان الحياة من أبيك ، عليك
أن تدرك الآن أن الایمان بالله من عند الله الذي نزع عنك الایمان بوالدك
واختصه لنفسه ، ﴿والذى هو يطعمنى ويسقينى وإذا مرضت فهو يشفيني﴾^(١) ،
فإذا ما اراد المولى تبارك وتعالى أن أشبع هيا وسائل واسباب الشبع ؛ إن الله لا
يريد أن يهيء الوالدان والآخرون الغذاء الذي لا يسد حاجتي ، بل تكفل هو
سبحانه بالرزق وبالكافية .

(١) سورة الشعراء ، الآية ٧٩ ، ٨٠ .

ابتلاء معاوية وعبد الملك بعدم الرّي والشّبع :

لقد كتبوا بصدق معاوية عليه الهاوية أن رسول الله (ص) أرسل إليه ليحضر عنده ليكتب شيئاً للرسول فقال معاوية للشخص الذي بعثه الرسول أذهب وقل إني مشغول بالطعام ، وعندما سمع الرسول (ص) قال : لا أشبع الله بطنه ، فكان حتى آخر عمره يأكل الطعام الكثير ويتعجب من الأكل ولا يشبع .

تصور أن الأكل يشبعك كلا ، إلّا إذا أراد الله ؛ أو تصوّر أن الماء يروي عطشك كلا ، إلّا إذا أراد الله .

وحينما يكون الماء بلاه على الإنسان مثلما حصل لعبد الملك بن مروان بعد قتله لمصعّب بن عمير فوصل به الأمر إلى أن طبيبه الخاص قال له : لو شربت قطرة واحدة من الماء لكان فيها هلاكك ، عليك أن تصبر فترة معينة بدون ماء ، وبعد صبر دام سويعات وصل عبد الملك إلى مرحلة لم يطق بعدها الصبر على العطش فقال : اسقوني ربياً وإن كان فيه نفسي ، فشرب الماء حتى مات ، فالماء سبب الحياة كما هو معروف ولكنه أصبح سبب هلاكه ، فانظر إلى ما ي يريد الله تبارك وتعالى وما هي المصلحة التي يحدد بها أعمالنا جل وعلا .

لقد كان سليمان بن عبد الملك بن مروان يأكل ثمانين دجاجة مشوية ويقول تعجبت وما شبعت ، وربما يصدر صباحاً من حمامه ويسأل عن الفطرة ، فيقال له : ذبحنا ثلاثة رؤوس من الغنم لغدائلك فيقول اثنوني بسرعة بقلوبها واكبادها فلا طاقة لي بعد الآن على الجوع ، فشرع عمالة بشواء القلوب والاكباد فيحثهم على شواء غير كامل فيأخذ بالمشواة من أيديهم بكل رداءه أكلأ صارخاً من حرارة اللحم المشوي فيكون نار الجوع غالباً على نار الشواء .

والآنكى من هذا هو تلك النّفوس التي تعتبر الآثار المداري هو كل شيء تاركين الإيمان بالله تبارك وتعالى ومؤمنين بالوسائل والتكنولوجيا المتقدمة وصراحة نقول انهم يحسبون أن المال حلّل المشكلات والثروة ينبغي لها أن

تزداد وتنمو وكل شيء هو المال لا غير المال ، ايها الكافر المشرك ، هل ان المال هو الخالق أم الله الواحد الأحد ؟ انه يرى أن كل فرد غني مادياً يستطيع أن يشتري ممتلكات ولكن لا يعلم ماذا يفعل ، لقد استغل هذا الفرد بنسيانيه الله الواحد الأحد وعثره على ايمان بمال كثير .

لقد أضحك هذا المال في نظر هذا الفرد هو الرب والإله والآيمان ، يحتمي به ، فإذا ما زاد فرحة وبدأ عليه السرور وإذا ما نقص يصبح الله «المال» أقل حظاً من نعل قديمة ، فمسكين هذا الذي يعتبر أن كل شيء يمكن أن يكون بالمال ان البعض ، يمتعضون لهكذا أحاديث لأننا وبهذه الأحاديث تفضح عيوب حبيهم ، وتنقص من الهمم ؛ فيا ايها الشخص الذي حسب مال الدنيا هو الاول والآخر من المفروض عليك أن تضع الله سبحانه وتعالى هو الاول والآخر وتحسب للآخره ألف حساب ؛ فالذى يتصور أن المال والجاه هو الثروة الحقيقية عليه أن يتأمل بعده الآخرة حيث يقول الله في هكذا موارد عن لسان الالكين :

﴿ ما أغني عنِي مالٌ هلك عَنِي سلطانيه ﴾^(١) .

جثمان ملكة مع مجوهرات ثمينة

لقد جاء في كتاب المستطرف ؛ بعد العثور في مصر على صندوق يحتوي على جثمان لأحدى الملائكة تناول إلى جانب مجوهرات ثمينة وعجيبة وإلى جانب هذه الجوهر لوعة ، كتب عليها بخط ترجمة الخبراء جاء فيه : اني الملكة فلانة ملكة اليمن ، لقد عمّ القحط مملكتي (نلوذ بالله حين يريد أن يلقي البشر إلى أن التصور في أن المال والجاه لا يدوم) وقام كل عمالٍ بالبحث عن رغيف من الخبز في مقابل كل ما املك من مجوهرات ، ولكن

(١) سورة الحاقة ، الآيات ٢٨ - ٢٩ .

ذهب أتعابهم ادراج الرياح ولم يعثروا لي على قرص من الخبر أسد به جوعتي ويسخنني من الموت المحتم ، فكتبت وصيتي في أن يجعلوا جميع مجوهراتي في ثابتي هذا ويدفوني لكي يفهم من يأتي بعدي ان المال والمقام لا يدوم ، وسائل هنا هل أن المال يمكن أن يدفع الموت أو يعالج المرض ، وإذا ما أراد المولى تبارك وتعالى أن يذهب السلاطين فقل كيف يمكن أن يدرء الاطباء خطر الموت ، إذن كلّ الأمر راجع إلى الله وحده .

كلِّ الْأَمْرِ اللَّهُ فِي بَنَاتِكَ :

لقد عاد الإمام الصادق (ع) أحد أصحابه وهو على فراش الموت سائلاً عن وضعه وأحواله ، وكان المسكين هذا ضعيف الإيمان فقال : يابن رسول الله : ليس لي هم ولا غم إلا بنت اتركهم بعدي وانحني عليهم من ان يصيهم مكروه ؟ فأجابه الإمام : الذي ترجوه لتضييف حسناتك ومحو سيئاتك فارجوه لاصلاح حال بناتك » .

إذا كنت تأمل أن المولى تبارك وتعالى سوف يتجاوز عن جبال المعاشر والذنوب التي مارستها باستغفارك ، فمن المفترض بك أن تتأمل منه تعالى أن يلتزم حمل اولادك ، فهل أنت إله ، حتى تكون وظيفتك أن تتحمل عمل وعاقبة ابناءك ؟ الم يكن المولى تعالى هو الذي خلقهم ، إذن عليك أن تجعل ذلك في عهدة الباري سبحانه فهو الذي تكفلك وتكتفهم إلى هذه اللحظة ، ولا تنظر إلى ما يقوم به الناس من ارادة لبيوتهم والاهتمام بابنائهم ، عليك فقط ان تعرض اعمالك على التوحيد وتجعل ايمانك قوياً بالله ، ولا تنظر إلى الاسباب بل عليك النظر إلى المسبب ، فلا ينبغي لك أن تكون رغبتك مادية تحته بل عليك أن تكون رغبتك الهية ؛ فما دام اعتمادك على هذه الناحية فإنَّ تلك الناحية ستكون خالية وهل يمكن احتساب هذه الحالة علامة للايمان أم لا ، فإذا ما

(1) سفينة البحار : ج ١ ، ص ١٠٨ .

ضاعت الاموال أو تعرضت إلى ضرر أو سرقة فماذا سيكون عليه حالي .

فإذا ما سبب أحداً وبعدها تأثرت كثيراً وتأسفت على ما فعلت وقلت في نفسك : لقد عصيت الله وإن الله غير راضٍ معي ، فهنا يجدر القول : أيهم أشد عليك أن يضيع مالك أو يضيع دينك ويقل بذلك إيمانك ، وتصبح بذلك كمن يقول : يا علي أنت يهوس مال الكفار عوضاً عن قولك يا علي أنت يهوس المؤمنين .

هذه القضايا يجب أن نجريها على أنفسنا فالميزان هو إذا ما ضاع مالٌ نحي أو تلف فإن الاصعب على أن امارس الخطأ والمعصية والأسهل منه والاهون هو تحمل ضياع المال وتلفه .

مصلحة فوت العبادة

جاء في لأبي الاخبار ان عدداً من الطلبة ذهبوا إلى دار استاذهم ليتهلوا من علمه ، ولما حضروا رأوا الاستاذ في وضع لا يخشد عليه من الحيرة والذهول فراحوا يسألونه : ما الذي حدث يا استاذ ، منحك الله الصبر الجزيل على ما نزل بك فيما الذي حصل ، هل مات لك أحد ؟ ومتى نذهب معك لدفنه ؟ ومن متى سيقام العزاء على روحه ؟ فقال : ماذا اقول لكم بالامس غلبني النوم ولم أصح إلا على أذان الفجر ، لقد فاتتني صلاة الليل ، وفاتتني قافلة المستغفرين بالاسحاق لقد مسني الضرر حيث أقمت القضاء وفاتني الاداء ، فائي مصلحة كبرى ايمانه مثل ذلك الشخص الجليل الذي فاتته صلاة العشاء فبدا عليه في الحسر الهم والغم وذلك لإيمانه الكامل بالصلاحة وبالآخرة .

«فإن الشقي من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم»^(١) .

(١) الخطبة الشعبانية للنبي الأكرم (ص) . انظر مفاتيح الجنان المغرب - لعباس نقبي . ص ١٧٣

وخلاله ما ذكرنا ، إذا أراد الشخص أن يعرف حاله من الإيمان ، وجوده أو عدمه ، فإنه يمكن أن يستدل على ذلك حينما يسيء أو يخطأ ، فإذا كان خطاؤه أو إساءته تجعل منه إنساناً مضطرباً مرتباً بسبب ما عمله فهذا مؤمن ، فيحتسب الضرر في دينه أكثر من الضرر بماله وموت أبناءه .

ولقد ذكر رسول الله (ص) في خطبته الفراء آخر شعبان بصدق شهر رمضان المبارك حين سأله أمير المؤمنين علي (ع) قائلاً : يا رسول الله : ما هي أفضل الأعمال في شهر رمضان فقال (ص) : الورع عن محارم الله .

وفي عين الوقت بشّرَه الرسول الراكم بأنه يقتل في شهر رمضان المبارك على يد أشقي الأشقياء قاتلاً له يضربك على قرنك ويحضب الدم رأسك ولحيتك فيقول أمير المؤمنين (ع) : اذلّك في سلامه من ديني .

إننا نرى البعض وقد ضعفَ إيمانهم وقلَّ عن السابق من السنين وهؤلاء ينبغي لهم أن يراجعوا حساباتهم ولا يحسبوا للعمال والرئاسة والجاه والمقام والشهرة أي حساب ، وعليهم أن لا يتصرّوا مكانتهم المادية في المجتمع أكثر من اللازم لأن ذلك يجرّهم إلى إضعاف الملكة الإيمانية في النفس الإنسانية .

إذا اعملت خطيئة ولم ترَ من نفسك رادعاً أو عدم ارتياح لعملك السيء فاعلم انه لا إيمان لك ، وكذا السرور والفرح حينما يعمل الإنسان الخير فان ذلك يدلّ على الإيمان ، فكل وقت تتفوق فيه لعمل الخير تطيب نفسك إذا كنت مؤمناً ، فمن كان بمثيل عمرك لا يصوم وانت صائم إعلم أن الله وفقك لعمل ترجو منه مرضاته تبارك وتعالى ، مثل ذلك الشخص الذي يفرح بشرائه أرضاً المتر منها بدينار وبعد فترة يرى أن ارضه أصبح مترها بalf دينار ، وانت ايضاً عليك أن تفرح أول الافطار لما حبّاك الله من توفيق واعانك على طاعته فاشكر الله في سجودك على انك بدأت تتجاوز مرحلة الذنوب إلى مرحلة الطاعات من غير فخر ولا مباهاة .

عليك أن تقول : أنا بجهلي وذنبي رجعت مرة أخرى إلى حيث الفطرة ووقفني الله لأن أصوم واعطاني المولى مهلة هي شهر رمضان لاتدارك ما بذر مني فأيامي أصبحت مثل أيام العابدين الزاهدين وليلي كليالي القائمين في الأسحاق وكل حين تستطيع أن تبذل من مالك فاعلم أنه توفيق من الله وحربي بك أن تقبل يدك على العطاء وتقول : الشكر لله الذي جعل من هذه اليد المبتلة مجرى خير ، فمن الجدير أن تفرح لعطائك في سبيل الله ولا تتشاءم حين البذل والعياذ بالله .

إن الدين السليم هو الرضا بقدر وقضاء الله ، فقمري بن هاشم العباس (ع) كان أيضاً مثل أبيه علي (ع) يتحدث عن سلامه دينه فيقول :

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي ابداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين

فتصور لو أنك أيها المسلم قطعت يدك اليمنى ، فلا مزاح في الأمر ، فهو خدش جلدك بشيء خشن أو جرحة جرحاً لا تدري ولا تعرف ما ستقول فكيف إذا كان مع هذا الجلد الشرايين والأوردة واللحم والعظم !! فالعباس (ع) يقول ما مضمونه : إذا ما قطعت يدي فإن قلبي مع الحسين ومع رب الحسين ، لي بدأ أخرى تعمكتني من الدفاع عن ابن بنت رسول الله (ص) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ ﴾

الرجاء والأمل من مستلزمات الإيمان :
﴿ أَوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مَهْتَدُونَ ﴾^(١) .

لا ينبغي للإنسان أن يضطرب ويرتكب لمرتبته المتدنية بالامس بل عليه أن يعمل ويتقدم نحو الأفضل ويوضع في الذاكرة دائماً المتزلة الراقية العالية ، وبعد ذلك يمكن لأي انسان أن يقيّم وضعه الفعال .

والجدير بالذكر أن السؤال ليكون من سلطان امير المؤمنين عن المراتب العليا للإيمان ، فاللتقييم من الناس باعطاء الالقاب احدهم للأخر ليس له ميزان صحيح في الاعم الأغلب ولكن عندما يضفي المولى تبارك وتعالى أو الرسول الأكرم (ص) لقباً لأحد الناس فتحتما علينا الأخذ به لأنّه لا يمكن أن يكون إلا الواقع مثلما صرّح بذلك الرسول الأكرم (ص) في حق علي (ع) حين قال ما مضمون : أنت امير على جميع المؤمنين يا علي .

(١) سورة الأنعام ، الآية ، ٨٣ .

فلقب امير المؤمنين يختص به علي (ع) فقط لا غير ، وحرّم على غيره لأنّ اصل الايمان هو علي (ع) والدليل على ذلك ما قاله الرسول الاعظم (ص) : والايام مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي ^(١) ؛ وكل من سار على نهج علي (ع) فقد فاز بالإيمان ، فالمرتبة الراقية والثالية للإيمان نتعلّمها من علي (ع) .

في نهج البلاغة :

لقد جاء في خطبة لأمير المؤمنين (ع) حين قاله همام لأحد اصحابه ان يصف له المتقين جاء فيها : وصف للصفات اليقينية حيث يقول الإمام (ع) : لولا الأجل الذي كتب عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الشواب وخوفاً من العقاب ^(٢) .

وقد مرّ بنا في اصول الكافي جواب الإمام علي (ع) حينما سُئل : ما الإيمان ؟ حيث قال ما مضمونه : «إن الله عز وجل جعل الإيمان على اربعة دعائم ، فإذا نقصت دعامة لم يكن الإيمان كاملاً» .

العبودية والإيمان مثل الرأس والجسد :

إن دعائم الإيمان اربعة «الصبر واليقين والعدل والجهاد» فالصبر هو ركن الإيمان الأعظم وفي رواية للإمام علي (ع) يقول فيها : إن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ^(٣) . فالجسد بلا رأس ميت ، ينبغي دفنه ، فإذا عدم

(١) دعاء الندب في مفاتيح الجنان المغرب - لعباس القمي - دار احياء التراث - بيروت ص ٥٣٤ .

(٢) من خطبة لأمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين . انظر شرح نهج البلاغة .

(٣) نهج البلاغة - ص ٤٨٣ . تنظيم الدكتور صبحي الصالح لابن ميثم البحرياني ج ٢ ص ٤١٠ .

المؤمن الصبر فقد إيمانه ، فعليه أن يصبر ليكون إحكام دعائم الدين حافظاً للإيمان .

فعندهما يكون الإنسان صغيراً فقبله أيضاً يتناسب وصغره ، ولكنه على الكبر ينبغي له أن يتكامل عقله ويحظى بمسألة الإيمان بالغيب ويصبح رقيه إلى درجة يضع معها المادة والماديات تحت قدمه في مقام الرغبة والشهوة ، ويتسامي على باقي المخلوقات ليصبح أشرف من الماديات بالتفادي ، فينتهي بدنه وحاجاته الحيوانية من خلال تسامي عقله وهذا لا يكون إلا بالصبر ، وبركة الصبر يكتسب التجارب ويصل درجة راقية ليس بعدها رقي ، وهذا يتأتى من توجيهات علي ابن أبي طالب (ع) وبالتعرف على نهجه وسيرته والعمل بهما .

فإذا لم تسمو وتكبر فانت صغير ، اين انت من الإمام ، فالصغير ليس له عمل مع الكبير ، فاين الخفاش حين تبغ الشمس ؟ يفر لضعف في عينيه ولا طاقة له على تحمل النور ؛ فالطفل الصغير لا يتمنى له أن يدرك جمال محمد (ص) إلا بعد أن يكبر فلا يمكن أن يدرك الكبير غير الكبير ، والآن ما الذي يجب أن يكون حتى يتم السير على طريق التسامي والخروج على مرحلة الصغر ، الحل هو طلاق درجات الصبر .

النمو العقلي من بركات الصبر :

إذا تمكنت من التعامل برجولة وترك التصايب جانبأً ؛ فطفولة النبات تستمر إلى السبع أو الثمان سنين معتمدات الألعاب وعرايس الأطفال ولكن بعد أن تتتكلف البنت تترك لعبتها ولعبها جانبأً حيث كان اللعب بالنسبة لها ظرافة وسرور ، والآن وبعد أن كبرت عليها أن تعتمد الصبر والعفة والعصمة المناسبة ، عاكسة العابها البريئة على صبرها .

أيها الفتى ، ايتها الفتاة : لقد كنتم تجمعون الأطفال من حولكم على زمن الطفولة لتبنوا الاخشاب والاحجار بيتاً صغيراً أو دكاناً أو ما شابه ولكنكم

الآن وصلتكم الأربعين من العمر فلم يبق من الماضي إلا الشوق وفي السابق كتم
كالسائل اما الآن فاصبحتكم كالاسمنت والحديد .

عندما كنتَ صغيراً وعلى سبيل المثال لو كانت بيتك قطعة صغيرة من النقود ويحاول شخص أن يأخذها منك تُحكم مسكتها كي لا تصبح لغيرك والآن كذلك بقيت عاشقاً للمال الذي لا تتفقه في سبيل الله ، لقد سيطرت عليك الأوهام منذ الطفولة فعلقت وبانت رواسبها ، فعلى الصغر تشن وتصرخ حينما تؤخذ منك قطعة نقدية ، يا ليت لو كانت هذه الأربعين أو الخمسين سنة هي تلك الأربع سنوات عندما كنتَ صغيراً ويا ليت لو انتهى بالعمر في الأربع الأولى من السنين ، لأن الأطفال على ذلك العمر يتحاصرون مع بعضهم البعض وتراءهم بعد ساعة يتصالحون ويلعبون وكأن شيئاً لم يكن ، أما على الأربعين أو الخمسين من العمر وحينما يتحاصرون الكبار مع بعضهم البعض يبقى الحقد آخذاً مكانه في القلب على هذه السن

عليك أن تكون دائماً وابداً بجوار محمد وآل بيت الرسول (ص) تطلب منهم العون في اكتساب الهمة العالية بالسير على نهجهم ، لأن الرجال وصلوا إلى ما يريدون بهمهم العالية ؛ عليك أن تصل إلى ما تريده ولا تطلب في ذلك حتمية جوار عليٍّ ابن أبي طالب (ع) لك .

اصبر في مواجهة الذنوب ابتداءً :

منذ البداية ينبغي لكم انتما ايها الفتىان ، أيها الفتيات أن تصبروا ، لا يجدر بك أيتها الفتاة أن تتجاهري بالسفر ولا تستعرضي محاسنك ، وانت ايها الفتى إخْرِكِم السيطرة على عينيك منذ البداية فإذا ما نظرت هنا أو هناك فسترسخ هذه العادة السيئة وتبقى معك على مرور الأيام ، فيصبح عمرك اربعين عاماً وانت على هذه الحال . فلماين أنت من متابعة محمد (ص) والمسير على منهجه عليك أن تصمد ، ولا تكن كالحشائش تحرکها النائم حينما تريده عليك

أن تكون هكذا « المؤمن أشد من الجبل والجبل يستقل منه بالفأس والمؤمن لا يستقل على دينه »^(١) .

لا أدرى أاتخذ من يوسف (ع) مثلاً اضربه لكم ، لقد كان يوسف نبياً فلأضرب مثلاً بشخص عادي أفضل .

صبر ابن سيرين ، الفتى الجميل :

لقد كان ابن سيرين فتى جميلاً يعمل في صياغة الذهب ، لقد جاءت ابن سيرين امرأة من اعيان المدينة مع خادمة لها وهو في دكانه ، فذكرت له : أن لها جواهر موجودة في منزلها وأن عليه أن يذهب إلى المنزل ليرى المجوهرات ويشترىها وعندما رافقها إلى البيت قالت المرأة لخادمتها بعد أن توردا البيت : اقفلي الباب خلفنا ، وهناك الفتى إلى ابن سيرين وقالت له : لقد خدعتك ، فلم تكن هناك من حيلة إلا حديث هذه الجواهير لتكون حجة لجلبك إلى هنا ، فإني عاشقة ، فبهت ابن سيرين وبدأ يفك في طريقة للفرار من هذا المشكل والنجاة من هذه الحادثة صابراً محتسباً .

لقد اعانه المولى تبارك وتعالى - فوافق ظاهراً على ما ترغب المرأة وتريد وبعد لحظات طلب إلى المرأة أن ترشده إلى مكان يتخلى فيه ويقضي حاجته وفي الخلاء مذ ابن سيرين يديه في النجاسة ولوث رأسه ووجهه بها ، وخرج للمرأة على هذه الحال وحين مواجهته لها هربت المرأة من الدار من هول ما رأت فذهب ابن سيرين إلى الحمام ساعةً صابراً محتسباً ، ولم ير في نفسه ان يكون طعمة لنار جهنم فعباه الله تفسير الأحلام في الدنيا ، ولا ندرى كيف سيجزيه المولى تبارك وتعالى على ما فعل في البرزخ والقيمة .

(١) سفينة البحارج ١ ص ٣٥ .

سير الجاحظ بعشواء الطريق :

وفي قبال ابن سيرين كان الجاحظ الذي سير أغوار الكتب (لقد كان ابن سيرين من عوام الناس) ؛ كان الجاحظ قبيح المنظر ويتصف بالحمةقة ، اسود اللون بانف طويل وشفاه غليظة . . .

وعند مرور الجاحظ في احدى الحارات رأى امرأة جميلة تشير من طرف خفيٍّ إليه فتبعها ظنًا منه أنها راغبةٌ فيه ، وكلما سارت خطوة التفتت إليه بعنجهة ودلل حتى وصلت إلى دكان أحد الصياغ ، دخلت لوحدها وقالت للصائغ جملةٌ وخرجت بعدها ذاهبةً ادراجهما عندها دخل الجاحظ الدكان وسأل الصائغ بالوجهة التي ذهبت إليها المرأة ولماذا تأخرت ؟ فقال الصائغ له : لقد أرادتك المرأة لشيء غير الذي ظنت ، فلقد جاءت إلى قبل ساعةٍ من مجبيك طالبةً مني صياغةٍ طلسم على شكل شيطان فأجبتها بعدم رؤيتي للشيطان ، فأنت بك إلى هنا لأراك واصوغ لها ما تريده ، والآن وبعد أن اتممت عملِي وانجزت ما أرادت ، فأنت حرٌ في الذهاب إن أردت ذلك .

إن رشد ابن سيرين الفتى الجميل القوي جعله يقول لنفسه ، أصبرْ ساعةً على النجاسة أحسن لي وأفضل من ان الوث عفتني فصبرت على ما حددت . فيما ايها الفتى العزيز ، لا تباطأ في المشي وانت سير من امام سينما لترى صوراً لا تليق بالأخلاق السامية ، فإذا ما خذلتك رجالك ودخلت إلى صالة العرض لترى ما ينافي الأخلاق فإنك بهذا تفقد درجةً من درجات الرقي والتقدم نحو الجادة السوية فإن هذه الافلام الخليعة تهيج خيالك وتبعده عن زوجتك وحلينتك بل وتقبع زوجتك في عينك ، عليك أن تخرج من السينما . حرام أن تختلف عن المسيرة ، لماذا لم تمارس من البداية ما يرقه عنك حلالاً ويفنيك أبداً عن السفاسف والقشور ، لمَ لم تصبر على ان تجد تسلية سلية وحلالاً ، لقد تابعت الشهوات وسعيتَ وراءها وحسبتها صغيرة .

إن النساء الذين لا يستمعن القول فيتبين أحسنه يكبرن على الصغار ، إنك وعندما كنت صغيراً إن كنت تنظر إلى المعاصي بخفة وحقارة فحينما تصل إلى السبعين من العمر ستبقى على ما أنت عليه من الطفولة وخصوصياتها ومقتضياتها . إذا لم تصر على عمل الذنوب فإنك لن تكبر ، ولن يبقى إيمان في قلبك ولا ولاء ، فلا تكبر ولا تصبح ذات تجربة .

الصبر على الطاعة :

لا يعذر أحد على ترك الصيام ، ولكنه لا يمكن له أن يقف أمام الجوع ولكن المسألة بشكل اجمالي غير مستحيلة غير أنها صعبة وفيها معاناة ، فيعاني الإنسان مثلاً عندما يتاخر غذاؤه ولكنه وبهذا التأخير وذاك التحمل يكبر ، فعندما كنت صغيراً ويتاخر غذاؤك ساعة عندها تبكي وتصرخ وما إلى ذلك ، والآن مع عدم تحملك لتأخير قد يطأ على طعامك وتجهيزه لا تصر ، إذن لا زلت صغيراً ولم تكبر ، إذن متى تصبح من أهل الصبر والإيمان ، تصوم وتفرح لصيامك ، ف (للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة يوم القيمة) كما هو مضمون الحديث المؤصل روي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال ما مضمونه : « لا تخرج الروح من الجسد قبل أن تذوق من حوض الكوثر .

﴿ كلوا وابربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾^(١) .

في أيها الصائمون ، أيها العطاشى ، اشربوا هنيئاً من حوض الكوثر رياً روتياً هنيئاً لا ظماً بعده أبداً .

إن الماء الزلال الذي لا ظماً بعده هو نتيجة حتمية للصبر ، فإذا ما وقع نظر الشاب على امرأة ولم يكرر النظر إليها ، سوف يتعامل الله معه في الآخرة معاملة ترضيه ، واما معاملة الله له في الحياة الدنيا ، إذاقته حلاوة الإيمان وجعل

(١) سورة الحاقة ، الآية ٣٤ .

صدره مشروحاً مسروراً ، فرح روحي وسرور معنوي وفي الآخرة يبقى نصيـه
محفظ من الحور العين وما عين رأت ولا أذن سمعت .

هل أن الصبر على الخطايا أحسن أو التصابي ، ان الذنوب وعملها نكبة
للإنسان وترك الواجبات نكبة كذلك فاذا صبر على الانفاق في سبيل الله .

الصبر على المصيبة :

إن الصبر على الشدائـد بكل أنواعها يبعث على الرقي والتسامي ، فعلى
سبيل المثال لو أن قدمك اصطدمت بحجرٍ عليك أن تصبر ولا تكـن كما كنت
على زمـن الطفولة ، فكل لحظة صبر تزيد الإنسان رقياً وتسامياً . فـيا من تـريد أن
تـسمـو بـاتـهـاجـ سـيـرـةـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ (عـ)ـ عـلـيـكـ أـنـ تـكـبـرـ ،ـ وـبـعـدـ السـمـوـ وـالـرـقـيـ
تـتـمـكـنـ مـنـ اـنـ تـعـمـلـ فـيـ خـدـمـةـ الصـالـحـ الـاسـلـامـيـ الـعـامـ وـالـخـاصـ وـتـدـرـكـ بـعـدـهاـ ماـ
فـيـ القـضـاـيـاـ الـتـيـ جـعـلـتـ مـنـكـ كـبـيـراـ ،ـ فـالـصـبـرـ عـلـىـ الـمـصـيـبـةـ مـحـبـ فـمـثـلاـ عـنـدـماـ
يـضـيـعـ مـنـكـ مـبـلـغـ كـبـيـرـ مـنـ الـنـقـودـ فـعـلـيـكـ أـنـ تـصـبـرـ وـلـاـ تـجـزـعـ .

البطل ، الشخص الكيس :

كان رسول الله (صـ) يـعـرـفـ منـظـرـ جـمـعـ مـنـ النـاسـ ،ـ
فـجـاءـ إـلـيـهـ وـسـأـلـهـ مـاـ الـخـبـرـ ؟ـ فـقـالـواـ أـبـطـالـ يـعـرـضـونـ أـبـدـانـهـمـ فـيـ حـمـلـوـنـ الـاحـجـارـ
وـالـصـخـورـ الـكـبـارـ وـالـثـقـيـلـةـ ،ـ وـيـتـبـاهـونـ بـقـوـتـهـمـ بـرـفـعـ هـذـهـ الـأـثـقـالـ ،ـ فـقـالـ
رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ -ـ عـلـيـ مـاـ يـرـوـىـ -ـ هـلـ تـرـيـدـوـنـ أـنـ اـعـيـنـ مـنـ هـوـ الـبـطـلـ فـقـالـواـ :ـ لـنـاـ
الـشـرـفـ فـيـ اـنـ تـعـيـنـ مـنـاـ أـحـدـاـ بـعـنـوانـ بـطـلـ ،ـ فـقـالـ (صـ)ـ مـاـ مـضـمـونـهـ :ـ الـبـطـلـ ذـلـكـ
الـذـيـ يـحـفـظـ نـفـسـهـ فـيـ حـالـ الغـضـبـ ،ـ وـفـيـ الـحـقـيـقـةـ اـنـ الـمـيـدـالـيـةـ الـمـحـمـدـيـةـ هـيـ
مـنـ نـصـيـبـ الشـخـصـ الـذـيـ يـسـيـطـرـ عـلـىـ نـفـسـهـ حـيـنـ الغـضـبـ وـلـاـ يـشـمـ أـحـدـاـ ،ـ وـلـاـ
يـذـيـعـ سـرـاـ ،ـ وـلـاـ يـتـقـمـ لـنـفـسـهـ ،ـ هـذـاـ هـوـ الـبـطـلـ الـحـقـيـقـيـ وـالـذـيـ يـجـبـ أـنـ تـطـلـقـ
عـلـيـهـ كـلـ عـبـارـاتـ الـرـجـوـلـةـ .

بـطـلـ الـأـمـةـ هـوـ ذـلـكـ الشـخـصـ الـذـيـ يـحـصـلـ عـلـىـ الـمـالـ الـحـلـالـ بـعـرـقـ

جيئه ولا يدخل به ، راماً الشيطان أرضاً ، فإذا ما كان نصيبك مليون واحد من النقود عليك أن تخرج مائتي ألف منها بعنوان « خمس » ؛ يقول السيد بن طاووس : في واحد من أحاديثه ، ما كان مضمونه : ان اخراج (عشر) من المال بعنوان زكاة على حد تعيين الشريعة الاسلامية للقراء ، ولكنني وبقوة وتأييد الله أعكس المسألة تماماً فآخذ (العشر) لي وأعطيباقي للقراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

» والمعصر إنَّ الْإِنْسَانَ فِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ «

إن ظهور الإيمان ، وزيادة درجاته ، لا يعرف ولا يكون إلا بعد أن تعرف اسبابه وتدرس جيدا ، وبعد معرفتنا لاسبابه ودراستنا لهذه الأسباب ، فما هي الخطوة الثانية لايجاد الايمان وزيادته وبالتالي حفظه وبماذا يجب أن يحفظ هذا الايمان

فالفرد الذي يروم معرفة الايمان عليه ان يكون خبيراً من خلال التزامه بنهج امير المؤمنين (ع) الذي هو الحكم في مسائل الايمان على ما جاء في الروايات التي تناقلها الانسلاف متواترة حتى وصلت اليها ، وعلى حد قول الرسول الاعظم (ص) عليكم أن تعرفوا على الايمان من علي ، اسألوا الايمان من علي (ع) امير الولاية وقمر الهدایة اسد الله الفالب علي ابن أبي طالب (ع) ، ونقول هنا يا امير المؤمنين من هو المؤمن ، وما هو الايمان ؟ وما هي اسبابه ، وكيف تعرف مراتبه ودرجاته ؟ فقد جاء في نهج البلاغة أن امير المؤمنين علي (ع) يردد على هكذا اسئلة حيث يقول : (الايمان على اربع دعائم : الصبر واليقين والعدل والجهاد) وإذا فقد أحد هذه الدعائم تهدم بناء

الإيمان ، واول عمود في الایمان هو الصبر ، فالانسان العديم الصبر ، عديم الایمان ؛ وفي الامس القريب كنا قد تعرضاً إلى مسألة مهمة وهو أن فاقد الصبر لا يمكن أن يكون له رقىً عقليًّا ، ولكن كيف يكون للطفل ايمان بالغيب . فالطفل لا يؤمن إلا بالأشياء المادية المحسوسة المرئية بالعين المجردة ، فعندما يتزعج الطفل من شيءٍ ما لا يمكن أن تُترجمه إلى طبيعته الأولى إلا بعلمه يده نقوداً فتلاصق هذه المسألة روحه حتى بعد اربعين أو خمسين عاماً ولا يؤمن بمن شيءٍ إلا بهذه الاشياء من مثل النقود ، المرأة ، العقام بهذه الاشياء يهداً بينما عليه أن يصل إلى حد يؤمن معه ويطمئن بما وراء الطبيعة ، بالله بمحمد وآله محمد عليهم الصلاة والسلام فإذا لم يكن يعلم تمارين الصبر والمعاناة لن يكون راشداً ولن يكون بذلك ليؤمن بما وراء الطبيعة ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾^(١) ؛ فالغيب معناه ما وراء الحسّ غير هذه المحسوسات غير ما تراه عينك فالذى في الغيب والخفاء يُحْسَن به ويمكن أن يكون للانسان علاقة مع ما وراء الحسّ وبذلك يكون باعثاً على تجلّى الصبر في الروح الانسانية .

ففي درجات الصبر التي تعرضنا لها بالأمس القريب ذكرنا أن الصبر على الخطايا والمساوي، يجرك رويداً رويداً إلى الرشد والسمو، وكذا الأمر بالنسبة للطاعة فالرشد يجرك إليها وعلى هذا الأساس سمي المولى تبارك وتعالى الصبر بالصبر ضمن الآية الشريفة التي تقول: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلوة ﴾^(١) ففسروا الصيام بالصبر، والصبر معناه كفّ النفس ومنها وتهذئة القلب واللسان والأعضاء والجوارح، فيقول الشخص بعد ساعة ساتناول طعامي وليس الآن فهو بذلك كفّ نفسه عما ت يريد وبهذه الطريقة يرقى العقل ويسمو وهذه الحالة هي ارضية للإيمان بالغيب، والاعتماد عليه فيكون الاطمئنان بما وراء الطبيعة

١) سورة البقرة ، الآية ٣ .

٤٥) سورة البقرة ، الآية .

وليس بالعادة والمadiات التي توقعه في حب الدنيا رويداً ومن طرف آخر يحصل الحب للآخره ولآل بيت الرسول (ص) ومن هنا نخلص إلى القول وكما قال الإمام علي (ع) : « الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد » ؛ فقدان الرأس يُنفي مسؤولية الجسد ، فالشخص الذي يدعى الإيمان ويقول لا صبر عندي ، فأين إيمانه إذن ؟ هنا لا يمكن أن يتواجد الإيمان وإذا وجد أين يبقى ؟ فعدم الصبر مساوٍ لعدم ترك المعاصي وعدم الوقوف على تنفيذ الواجبات والطاعات فيصير القلب إلى ظلمة وتكدر النفس ، وكيف له بعد ذلك أن يجمع بين ظلمة القلب ونور الإيمان فعلى سبيل المثال : تعيل النفس إلى النوم اللذيد بين الطلوعين صيفاً ، فتقول نفسه نم وتمتع بنومك فيجيئها العقل قم وأطع الأمر ، فإذا ما كان صابراً كافأ نفسه من المللزات يمكن أن يقيم صلاة الصبح ، وإذا ما استمر الأمر على أن يكابد قليلاً ويصبر على المللزات فإن الرشد العقلي يتكمّل عنده منعكساً على روحه وادراكه حتى يصل إلى ما يصبو إليه وهو الإيمان بالغيب .

إن كل الطاعات في الالغلب الأعم على هذا المثال ، فإذا انفقت فاصبر وإذا ذهب من يدك مال كثير على جادة العمل الخير فاعلم انك قد أحست لنفسك وتلطفت عليها ، أما إذا امسكت يدك وجعلتها مغلولة إلى عنقك فلن تظلم إلا نفسك .

لا تظلم نفسك التي تحبها أكثر من الجميع :

لقد جاء في موعظة أبي ذر الغفارى (انتبه إلى ما يقول هذا الصحابي الجليل وتمعن بكلماتها) ؛ حينما بعَدَ أبو ذر إلى الشام ارسل صديق له رسالة يسأله فيها حكمة أو موعظة أو كلام خير فيأتي جواب الرسالة إليه بهذا الشكل : بسم الله الرحمن الرحيم : يا فلان « رجائي منك شيء واحد وهو : لا تظلم اعز الناس إلى نفسك ولا تعاذبه والسلام ». وصلت الرسالة إلى الشخص السائل من جانب أبي ذر فتحير وقال : هذا تناقض ، هل من الممكن عداء شخص

احبّه؟ فكتب ثانية إلى أبي ذر يطلب شرح طلبه ورجائه فجاء الجواب : إنّ احبا الناس اليك هو نفسك ، لأنّ الإنسان وبلا شك يحب نفسه أكثر من الآخرين ولو كان ابناه ؛ إلّا إذا كانوا أفراداً نادرين ، فالإنسان أعزّ شيء يعرفه نفسه واحبّ الناس إليه هي نفسه أيضاً ، فلا تكن ظالماً وعدواً لنفسك يعني لا تُذنب ولا تسيء فإذا ما وجهت ضربة لأحد من الناس فكأنما وجهتها إلى نفسك ولكن لا تدري أنك ظلمت نفسك بعملك هذا ، مثل ما قالت العقيلة زينب(س) في مجلس يزيد : «وما فربت إلّا جلدك ولا حرزت إلّا لحمك»^(١) فالصورة الحقيقة هي لجسد ورأس الحسين هي نفسها ترث المحسّر فالقتل والرؤوس وكل خطية تصدر عن الإنسان إنما هو ظالم لنفس عامل الظلم وقد يحتسبها الإنسان ظالماً للغير ولكنها في الحقيقة نفسه لا غيرها .

أيها البخيل ، لا تقدر أن تخلي من قلبك الأموال وتنفقها في سبيل الله فإنك إن لم تفعل ذلك فقد ظلمت نفسك إلا تعلم «سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة»^(٢) فلا ينبغي لك أن تظلم احب النفوس إلى شخصك ولا تكن ظالماً لأعزّ الناس عندك ، لا تظلم نفسك ، لا شيء ، ولا ترك الواجبات اصبر عسى أن يؤدي بك الصبر إلى الرشد والتسامي فيكون الإيمان من نصيبك فالمصائب التي تنزل بك - لاسمع الله - أو بمالك ، أو باقاربك ، وتتجزّع وتفرّع ، حينها لن يتأتّي لك أن تكبر وترقى بل إنّ الجزع والفرّع أشياء مخالفة للإيمان .

الإيمان من الامن ، أمان الله ، الجزع على عكس الامن في حال عدم الصبر يعني الاتّهان بالله ، فهو يضرب رأسه ويشق قميصه ويضرب نفسه في الأرض فهو في الاعم الاغلب إنسان مضطرب بعيد عن رحمة الله ، لعدم اعتقاده بأمان وامان الله لأنّه عديم الصبر ولكنه لو كان يصبر ويحتسب لحباه الله

(١) عبد الرزاق المقرّم - مقتل الحسين (ع) . دار الكتاب الإسلامي - بيروت ص ٣٥٨ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٠ .

اما مه وأحسن بذلك في داخله وحيثها يفهم ويستطيع حلقة اليمان ، ذلك هو حال الكفر المختلط بالجزع والفزع من الآتي ، والمرارة غير المطبوعة ، والمصائب غير المأجورة والبعيدة عن ذكر الله تبارك وتعالى ؛ ذلك امير المؤمنين (ع) هو الذي قال : من لا صبر له لا ايمان له ؛ كونوا على يقين ايها السادة هذا الذي قال علي (ع) هو من المسلمين ، فالافراد الذين وفهم المولى تبارك وتعالى ان يجتمعوا في شهر رمضان على سفرة واحدة ، هي من الحقائق التي يأمل الانسان فيها ان يكون لوجه منقوش عليه انه من الصابرين وكلما تواли شهر رمضان على الفرد صائما ، اعطاء المولى قوة قلب وتمام امن وراحة ولذة خاصة بهذا الشهر العظيم فمهما اراد الله ان يذهب بمالنا من بين ايدينا لمصلحة لا ندركها فعلينا ان نذكر اتنا ولدنا عراة ونذهب من الدنيا عراة أيضاً إذن فما هي اهمية المال الذي لا نستطيع الاستفادة منه على حال ذهابنا من الدنيا الفانية عند الولادة لم يكن الانسان غير الف بدون همسة ؟ لا ولد ولا تلد ولا اقرباء ولا . . . ،

وخلاله القول انه : لا ينبغي للانسان أن يضطر لان الاختهار على خلاف مع اليمان وإذا ما استمر الانسان على حالة الاختهار فقد إيمانه **﴿ أولئك لهم الأمان وهم مهتدون ﴾**^(١) .

فيه يعمل في سوق لبيع وشراء الحاجات المستعملة فيقول : لقد كنت في زوايا هذا السوق وإذا بأحد العلماء المحترمين العاملين بالتدريس في الحوزات العلمية وكان صاحب عنوان معروف فرأيته وهو يحمل تحت ابطه قدرأ صغيرة له أخرجها من تحت عبائته عارضاً ايها للبيع مع ما يباع من الوسائل وال الحاجات المستعملة ثم قال للمشتري اعطي اعطي عوضاً عنها نصف روبية او روبية واحدة ، فاعطى المشتري ما اراد العالم ، فذهب العالم قاصداً بيته ولكنني تبعته وقلت

(١) سورة الانعام ، الآية ٨٢ .

له : السلام عليكم فرد على السلام بوجه ييش ويهش وكأنما شيئاً لم يكن ولم يظهر عليه أي تغير أو اضطراب بل كان مبسوط الوجه كعادته فقلت له : سيدى الجليل هل حدث لكم حادثة جليلة ؟ فقال لا ؟ فقلت ! إذن ما الذي أوصلك لأن تبيع قدر بيتك ؟ فأجاب متسمأً لم يكن هناك شيء يذكر فالامر طبيعي جداً ، بعث قدرأ لي لاشتري به عدة أقراص من الخبز فلقد استفدت منها في الطبخ لمدة ستين ، واليوم ايضاً نستفيد منها بمعاوضتها بالخبز إلى أن يأذن الله برزق .

الغرض من هذا الحديث ان الصبر يتنافى مع الاضطراب فكل ما يعطيه الله هو رزق سواء كان قليلاً أو كثيراً فلا يمكن أن تحظى بأهمية قلته أو كثرته .

إن بعض درجات الصبر مريرة وكلما كان الصبر شديداً وطويلاً فإنَّ اجره كذلك يتضاعف طردياً مع صعوبته حتى يصل إلى مرحلة « إنما يوفى الصابرون أجراً لهم بغير حساب »^(١) فلكل عمل خيراً حساب ، الصلاة ، والصوم ، الذكر وما شابه ذلك إلا في الاعمال التي لا يمكن أن يحصلها إلا الخالق الباري تعالى بحيث يصل الأجر فيها لا يقدر إلا من قبله وهذا لا يحصل في الغالب إلا لمن هم أهل للصبر .

تناسب درجات الصبر مع الاشخاص :

لقد ذكرنا أن درجات الصبر تناسب مع الاشخاص طردياً فكل انسان يذوق حالة الصبر في مرحلة معينة من عمره فالشاب أو الفتاة تختلف درجات صبرهما مع درجات اعمارهما ، فصبر الشاب أصعب في مقابل المساوى والخطر إذا ما قسنا ذلك مع صبر الشيخ الكبير ، فالشيخ الكبير يصبر على الذنوب لانه لا تقتضي الحاجة لذلك ، فإذا لم يكن هناك اقتضاء فلا حاجة للصبر ، فالشاب عندما يصبر يكون صبره ذا قيمة عالية قبال الطاعات والذنوب

(١) سورة الزمر ، الآية ١٠ .

كذلك ، نعم ان الصبر على الاخلاص ليس فيه فتنٌ وشيش وهذا أيضاً صعب جداً .

الصبر على الاخلاص صعب على الجميع

أين هنا لكم الصبر على الاخلاص بشكل عليكم أن تلتقطوا إلى ما أقول يعني أن الإنسان ينبغي له أن يعمل عمل الخير خالصاً لله تبارك وتعالى لا لشيء آخر وهذا من الامور الصعبة جداً فنفرض مثلاً أن شخصاً يريد أن ينفق مبلغاً من المال في سبيل الله فلا يجدر به أن يكون له قصد آخر في هذا الانفاق ، وفي الحقيقة ان النفس الامارة بالسوء تقول للمتصدق هذا أتفق أمام الناس لتکبر في أعينهم ، أو تقول النفس : على الأقل يحظى بهم (أي بالناس) ان يقولوا لك بارك الله لك في اعمالك واقعاً انك رجل مؤمن ومتدين وتعرف الله جل جلاله .

إذا كنت تروم المعاملة مع المولى تبارك وتعالى لا ينبغي لك أن يعرف أحد بإنفاقك ابتداءً واستمراراً ، نعم هذا الاخلاص صعب جداً ولكن « ولا يُلقاها إلا الذين صبروا »^(١) .

اخلاص زين العابدين في الانفاق :

لقد كان الإمام زين العابدين (ع) انموذجاً حياً للانفاق الخالص لله تعالى لقد كان الإمام (ع) يجوب الحرارات في الليالي ضارباً لثامنه وحاملاً على كتفه الشريف الطعام والأموال طارقاً الأبواب وخاصة اقاربه وهم في غفلة منه مسائلين من يكون هذا الرجل ؟ وحينما يشتمون زين العابدين (ع) ويقولون يعم الرجل انت اما ذاك الذي يسمى زين العابدين فلن نخطر على باله ، انه لا يذكرنا وانت الغريب تذكرنا ؛ لقد كانوا يعتبون على زين العابدين (ع) ، وفي احدى الليالي ذهب الإمام إلى جوار ربه ، ولم يذهب ما كان يفعل حينها اتبه

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٥ .

الناس من غفلتهم ؛ لقد كان الإمام مثلاً حيًّا للاخلاص حيث لم يفهم أحد وضعه العبادي هذا الذي ذكرناه غير الباري جلَّ قدره . إن هذا النوع من الصبر يحتاج إلى لجام للنفس قوي وتحملٍ كبيرٍ ، وقد يكون الإنسان على هذه الحالة في بداية الأمر وبعد ذلك تخرق النفس إلى غيره ، فتقول له نفسه : على الأقل قل أني عملت الشيء الفلاني أو ساعدت فلان أو غير ذلك فالنفس الأمارة بالسوء تحاول منع الإنسان ما استطاعت ، وإذا لم تُحرِّفَ الإنسان عن المسيره السوية لا تتركه ، ان الرجل ليصبر يرید وجه الله بعمله الخير فإذا ما كان كذلك فما له وحساب الناس ووجههم . من الفضل ان يعمل الإنسان في السرّ خير له من ان يكون حديثاً للآخرين ونحن في هذا الحر الشديد بعد ظهر يوم من أيام رمضان أود أن اتحدث لكم عن حكاية كمصادق للاخلاص والصبر على الاخلاص بعنوان انموذج لكي تعرف على نفسك ونحوالجك هل لك من الاخلاص شيء أو لا ؟

حكاية عجيبة عن الصبر على الإخلاص :

لقد جاء في كتاب ثمرات الاوراق وهو من الكتب القديمة خلاصة لحكاية في جزيرة قرب الموصل ، هذا المكان كان بالضبط بين الموصل وتركية وكان اسم الجزيرة « آنجا » ، يسكن هذه الجزيرة رجلٌ من الأشراف واعيان العرب يدعى خزيمة ، ولا يحضرني لقبه ، ولكن يمكن أن اقول تقريرياً ان لقبه كان حاتم الزمان لقد كان ثرياً وكمرياً فاتحاً بباب داره على الدوام للفقراء والمساكين وكذا للأقرباء والشعراء والغرباء صارفاً عمره وماهه وكل ما يملك في خدمة الناس ولكن الزمان قلب له ظهر المجن فاضحى فقيراً غير قادر على شيء ووصل إلى حي بدأ يبيع معه أثاث بيته ، وثم باع داره ، ثم انتهى إلى الاقتراض ولكن له يكن أحد ليساعده أو يقرضه شيئاً من المال ، وكان على زمانه حاكم لتلك الجزيرة رجل سمي عكرمة فسأل عنه وعن اخباره فأخبره الناس أنه أصبح فقيراً لا متزلاً ولا أثاث ، فبدأ عدم الارتياح على عكرمة الحاكم ، وعند حلول المساء

حمل الحكم اربعة الاف اشرف قسمها على اربعة اكياس فحملها غلامه فركب
قارباً والغلام قارباً آخر وعند الوصول إلى حيث يسكن خزيمة ، ومن أجل أن لا
يعرف الغلام ما الخبر قال لغلامه الآن حان لك أن ترجع من حيث أتينا واتركني
لوحدي ، فضيئ نفسه عن نظر غلامه وذهب بلثامه إلى دار خزيمة فطرق الباب
عليه ، خرج إليه خزيمة قائلاً من أنت ؟ قال خذ هذه الأربعة الاف اشرف ولا
تسألني عن اسمي ؛ فقال خزيمة لن تصل إلى يدي ما لم تقل ما اسمك ؟ فقال
انا جابر عثرات الكرام تاركاً المال وطالقاً لرجليه العنان فتعجب خزيمة ودخل
المال إلى داره وقال لامرأته أضيئي الدار لأرى ما في الأمر فأجابته لا نمتلك
وقوداً لاضيء لك ؛ فقال : اصبري حتى يطلع علينا النهار ، ولما جاء النهار
سألته امرأته من أين لك هذا المال ؟ ومن هذا الذي جاء به نصف الليل ؟ فقال
لها لقد سمعت من أجل أن اعرف اسمه ولكن الحظ لم يسعفي لأن اتعرف عليه
انه قال لي انا جابر عثرات الكرام وبعدها أدار ظهره وذهب من حيث أتي ؛ وعند
وصول الحكم عكرمة إلى داره بعد أن بذل مالاً ليس بالقليل التقته زوجته بعدم
ارتياح وانزعاج ساحبة ثوبه بشدة قائلة له : أين كنت يا هذا في هذا الليل
المظلم ؟ ، إلى أين ذهبت في هذا الوقت ؟ أين كنت ؟ فأجاب عكرمة : لقد
كان عندي عمل ؛ فقالت : إنه عمل خير . حتماً ، أنا اعلم جيداً أنك ذهبت
إلى امرأة أخرى غيري ، ولكن ما هي المناسبة التي جعلت منك راجلاً في هذا
الليل ؟ فأجاب عكرمة بعد أن قسم لها انه لم أذهب إلى امرأة وانما كنت في
عمل خاص قضيته ورجعت ؛ فلم تهدأ امرأته وهو ما معلوم عن النساء في هكذا
موقع ؛ فشقت ثوبها ولطمته خذتها صارخة تقول سأتحر إذا لم تخبرني
بوجهتك التي ذهبت إليها ؟ فأجاب : اقسم بالله باني لم اكن عند امرأة ولم
اتزوج ولا أريد ذلك ؛ لم يكن لي يريد عكرمة أن تفهم امرأته ما حدث ولكن
امرأته لم تكن لتتركه بدون ان يصرح لها بما فعل ، فاضطر إلى الأمر وقال لها
لقد سمعت ان خزيمة أصبح نزيل بيته لفقر مدقع الْمَ به فذهبت إليه بدون ان

يعرف عليّ ومنحته اربعة الاف اشرفى فسألني من أنت؟ فقلت : أنا جا
عثارات الكرام ، فهدأت المرأة واستقرت وتناسـت الأمر .

أدخل خزيمة جزءاً من امواله في تجارة واشترى بالباقي متابعاً وسافر إلى الشام ، فالتفى هنـاك بال الخليفة الاموي ، فقال له الخليفة : لماذا تركتني كل هـذـه السنين ولم تحضر عندي فـما الخبر؟ فقال : نـعم ، لقد أدارت لي الدنيا ظـهـره فأصبحت من المـساكـين وحيـنـما دعـوتـي لأن أجيء إليـكـ لم يكنـ لدىـ من المـالـ ما استطـيعـ أن أـصلـ إلىـ هـنـاـ علىـ الرـغـمـ أنـكـ قـلـتـ ليـ أـنـيـ سـاعـوضـكـ ماـ تـرـيدـ : فقال الخليفة وكيف أتيـتـ الآـنـ؟ فأـجـابـ : لقد جـاءـنـيـ فيـ ظـلـمـةـ اللـيلـ شـخـصـ اـعـطـانـيـ أـرـبـعـةـ الـافـ اـشـرـفـىـ وـلـمـ يـعـرـفـ نـفـسـهـ إـلـاـ بـجـابـرـ عـثـارـاتـ الكرـامـ ؟ـ فـقـرـرـ الخليـفـةـ :ـ لـيـتـيـ عـرـفـتـ هـذـاـ الرـجـلـ لـكـافـاتـهـ عـلـىـ فـتوـهـ وـاخـلـاصـهـ وـكـرـمـهـ ،ـ وـعـنـدـهـ رـامـ خـزـيمـةـ الـذـهـابـ قـالـ الخليـفـةـ لـخـزـيمـةـ :ـ أـنـاـ قـلـتـ لـكـ بـجـرـانـ مـاـ أـصـابـكـ مـنـ مـصـبـيـةـ وـقـدـ صـمـمـتـ عـلـىـ أـنـ اـجـعـلـ مـنـكـ حـاكـمـاًـ لـلـجـزـيرـةـ بـدـلـاًـ عـنـ عـكـرـمـةـ ،ـ وـهـذـ كـتـابـيـ خـذـهـ مـعـكـ وـاعـزـلـ عـكـرـمـةـ وـحـاسـبـهـ عـلـىـ بـيـتـ الـمـالـ فـانـ كـانـ هـنـاكـ خـبـةـ فـأـرـسـلـهـ مـكـتـفـ الـاـيـدـيـ إـلـىـ الشـامـ !!

اصـبـحـ خـزـيمـةـ حـاكـمـاًـ جـديـداًـ لـلـجـزـيرـةـ مـتـحـركـاًـ طـبـقـ المـرـسـومـ لـلـحـكـمـ الجـديـدـ فـقـبـلـ مـجـيـئـهـ إـلـىـ الـجـزـيرـةـ اـرـسـلـ شـخـصـاًـ يـلـغـ أـهـلـ الـجـزـيرـةـ بـالـخـبـرـ .ـ فـاستـقـبـلـهـ حـيـنـ المـعـجـيـءـ كـبـارـ شـخـصـيـاتـ الـجـزـيرـةـ بـكـامـلـ الـاحـتـرـامـ ،ـ فـطـلـبـ بـنـيـ عـكـرـمـةـ أـنـ يـأـخـذـهـ إـلـىـ مـكـانـ الـحـكـمـ فـفـعـلـ عـكـرـمـةـ ذـلـكـ وـلـمـ يـنـبـسـ بـيـنـ شـفـةـ وـنـهـ يـقـلـ لـهـ مـنـ أـنـاـ وـمـاـذـاـ فـعـلـتـ مـعـكـ !!

وـهـذـاـ مـاـ أـرـدـتـ قـولـهـ فـالـبـعـضـ عـنـدـمـاـ يـنـفـقـونـ مـقـدـارـاًـ مـنـ الـمـالـ قـلـيلـاًـ تـرـاهـ يـتـبـجـحـونـ بـذـلـكـ إـلـىـ آخـرـ عـرـمـهـ بـمـنـاسـبـةـ وـبـدـوـنـ مـنـاسـبـةـ يـتـبـعـونـ بـمـنـةـ مـاـ عـمـلـوـ .ـ فـنـشـاهـدـ الـبـعـضـ يـقـولـ :ـ أـنـاـ اـعـطـيـتـ كـذـاـ لـكـ فـيـ الـوقـتـ الـفـلـانـيـ وـاـنـاـ عـلـمـتـكـ كـذـ .ـ وـاـنـاـ الـذـيـ جـعـلـتـ مـنـكـ رـجـلـاًـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ ؟ـ خـلاـصـةـ القـوـلـ اـنـهـ يـذـهـبـونـ بـأـجـرـهـ

بمثهم هذه ﴿ لا تبطلوا صدقاتكم بالمعنِّ والأذى ﴾^(١) .

بعد أن استقر الحكمُ لخزيمة في منصبه الجديد جالساً على كرسي الحكم قال : اثنوني بعكرمة ، فجاءه بالحكم المعزول فقال له : اثنني بحساباتك وحين الحساب شاهد خزيمة نقصاً في الخزانة من جملتها الاربعة آلاف أشرفى التي اعطيت له فقال : عليك يا عكرمة أن ترد النقص الحاصل في الخزانة - بيت المال - فقال : الله يعلم أنني لا أملك من حطام الدنيا شيء ، ويعلم المولى أنني لم أتخذ منها شيئاً لنفسي فقال الحاكم : أرموه في السجن ؛ مسكين هو عكرمة على الرغم من الاربعة الآف التي أعطاها للحاكم الجديد رموه في السجن ؛ ولم يتغفو بكلمة واحدة ولم يقل إني أنا الذي جئتك تلك الليلة إلى متبارك واعطيتك اربعة الآف من الدنانير ، وانت تفعل معي كل هذا ؟ ولم يقل أيضاً : لقد فعلت ذلك من أجل الله وحده ، فلم يجز ل نفسه ان يضع منه في عنق الحاكم ، فعلاوة على سجنه ولعدم وجود مالٍ لديه ووضع تحت التعذيب ، فوصل به التعذيب إلى حد ارسل معه رسالة إلى الحاكم الجديد يقول فيها : هل هذا هو جزاء جابر عثرات الكرام ؟ وما أن وصلت رسالة عكرمة إلى خزيمة حتى ارسل إليه فلما جيء به اعتذر له بشكل كان يقبل فيه يديه ورجليه ويقول له : صل سلسلة رجلك برجلي فلم يرض عكرمة فقال خزيمة إذن اركب دابتي وانا اسير معك إلى الخليفة فلم يرض ايضاً بذلك فقال له : انت الذي انقذتني تلك الليلة فقال عكرمة : لم يكن ذلك لك بل كان لغيرك ، وخلاصة القول وبكل احترام واجلال ذهب به إلى الشام عند الخليفة وقال : لقد قلت انك ستكافي من انقذني تلك الليلة وهذا هو بين يديك ؛ فعرض الخليفة على عكرمة أن يرجع "إلى حكومته في الجزيرة فرفض ذلك قائلاً : لا يمكن أن آخذ مكان خزيمة ، فاختار الخليفة له مكاناً آخر ليكون حاكماً فيه بكل احترام وعزه .

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

شاهد حديثنا هذا، ان قمة الاخلاص ان يكون الشخص تحت التعذيب وفي السجن ولا يمن على الذي احسن، فمثل هذا الشخص الذي يصبر على كل هذا البلاء لن يكون عمله لغير الله بل يكون خالصاً لوجهه تبارك وتعالى : فلم يُعَذَّبَ بِعَمَلٍ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمْ يَتَبَعَ عَمَلَهُ مِنْهُ تَعْرِفَ، وَلَمْ يُؤْدِيْ مِنْ أَعْطِيَ، وَلَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْ أَعْطِيَ أَنْ يَحْصُلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَالصَّابِرُ لَا يَنْسَجُمُ مَعَ تَوْقِعٍ تَتَلَاشِي مَعَهُ الْبَلَاءُ لَأَنَّهُ يُصْرِرُ بِالْعَمَلِ الْخَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْسُبَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِعَطَاءِ اللَّهِ تَبَارَكُ وَتَعَالَى .

طعام الفقراء يحمل في الليل على الاكتاف

كتبوا لقد جاء قومٌ ليروا بدن أبي عبد الله الحسين (ع) في الحادي عشر من محرم الحرام فعاينوا الجراح فشاهدوا آثار جُرح يشبه إلى حدٍ ما ضربة سيف أو رمحٍ ولكن الجرح لم يكن حديث عهد بل كان يدلّ على قدم الزمان فعرضوا الأمر على الإمام زين العابدين (ع) فقال : لقد كان سلام الله عليه يحمل على كتفه الشريف التمر والحنطة والدنانير في تلك الليالي الدامسة بدون ان يعرف أحداً بذلك ليقدمها إلى الفقراء والمساكين قربة إلى الله تعالى^(١) .

لقد كانت روية كل إمام من الأئمة الأطهار (ع) على هذه الشاكلة فهذا هو معلى بن خنيس ناظر مصروفات الإمام الصادق (ع) يتحدث عن الإمام ما يستفاد منه : لقد كان ليلاً حالكاً والمطر يهبط رذاذاً ، وفي ظلمة الليل الدامس رأيت شخصاً يتحرك الهوينا فدققت النظر وإذا به سيدي ومولاي الإمام الصادق (ع) يعبر من تحت طاق وكم شيئاً قد سقط منه ويقول : اللهم ردها إلىي ؛ فكان يجمع حبات الحنطة حبة في حينه ، فتقدمت إليه وقلت : السلام عليكم يا سيدى وبدأت اجمع معه أقرانص خبز وحجب حنطة وشغف ثم سأله : إلى أين تذهب بهذا يابن رسول الله فقال : إن في سقيةبني ساعدة مساكين نiam

(١) ورد متواتراً في الكثير من المصادر التي تحدثت عن الإمام الحسين (ع) .

فأحياناً أذهب بهذا إليهم ؛ فقلت وهل تسمح لي بأن أتكلف حمل ما ت يريد نقله إليهم فقال : لا والله فإنني أولى به منك ؛ فحمله على كتفه الشريفة ووضعه عندهم وهم لا يعلمون بعد أن قسم ما لديه عليهم لكل واحد منهم نصيب معلوم .

إن عمل الخير لا ينبغي أن يكون إلا بحساب الله فأحسب في عمرك كم من الأعمال الخيرية قمت بها لوجه الله فقط ، ولم يكن غير الله ولقاء وجهه في الحسبان ؛ إن حبيب بن مظاير سلام الله عليه وسائر الشهداء الذين استشهدوا مع الحسين (ع) يذكر لنا كتاب المقتل عنهم ما يلي : ان قتل حبيب هز الإمام الحسين (ع) لما كان لديه من حب خاص في قلب الإمام (ع) وعندما قُتِل حبيب قال الإمام الحسين (ع) : اللهم احتسب عنك ، فاصدأ أن حسابه فقط لديك وأنني لأصبر لذلك من أجلك وعلى نهجك الذي سلكته وصبرني هذا الذي هو لك لا أشرك معك به أحداً .

نحن أفضل الشركاء

يؤتى بشخص يوم القيمة له من أعمال الخير الكثير ولكن أعماله هذه لم تكن خالصة لوجه الله تعالى فقد أشرك الناس فيها من خلال تظاهره بها ، فيأتي نداء الله على ما في بعض الروايات نحن أحسنُ الشركاء وكل شيء اشتركت معنا أحداً فيه لا نقبله فخذ أجراً من أشركته معنا ، فإذا كان لديك عمل خالص لنا فات به .

إن الله يريد منا عملاً صالحًا خالصاً في الغد القريب ونحن لا نعلم في عمرنا عملاً خالصاً بدر منا وليس فيه شريك ، أو حب ظهور وهو واستعراض لغير الله تبارك وتعالى ، فعلينا أذن أن تكون مطمئنين من أعمالنا على أنها خالصة له وحده بدون قصد يجر على المراءاة والاستظهار لا «ابتداء» ولا «استمراراً» ، علينا أن نفتتش في أعمالنا فقد يكون فيها بداية حسنة لله ومن ثم

تتکالب عليها الشرکاء، أي ابتدأة لم يكن في الأمر غير الله ولكن وبمرور الزمان ينحرف الإنسان إلى كسب السمعة عند الآخرين فيتلف الأمر كله علينا، فالاعمال التي تقترب بشدة من الإخلاص هي تلك التي تكون فيه لوحديك مع الله في قلب الليل أو السحر، تنهمر دموعك خوفاً من المولى ورجاء في مغفرته وطلباً في أن يتجاوز عما فعلت من الذنوب.

يقال: ليس في الميزان أثقل من قطرة دمعٍ تذرفها العين خوفاً من الله تبارك وتعالى وليس قطرة تذرفها على امرأة ليست عندك، ولكن الأمر المهم هو الخلوص لله وحده وهذا في الواقع له الأثر الفعال في كثير من الأعمال حيث أن دموعك هذه تصبح كالبحار التي تطفئ النار المتأججه.

البكاء على الحسين (ع) عمل خالص :

إن العمل الخالص انشاء الله يتجلّى كذلك في حضور عزاء الإمام الحسين (ع) والبكاء عليه فهذا البكاء لا تظاهر فيه ، فالبكاء الذي يخرج من قلب ملؤه المحبة الإمام بذل نفسه في حب الله يؤمل منه تلطف الله تبارك وتعالى في التجاوز عن الخطايا والسيئات أما غير العمل الخالص لله فلا يعتبر عملاً خالصاً فنحن نتساهم في كثير من الأمور ولكن الاجلاء يتّسون حيث يقول الإمام زين العابدين (ع) وهو يتحبّ : اللزّاد أبكي أم بعد مسافتي ؟ وماذا نقول نحن : ما الذي يمكن أن تعمله البعوضة حين نزول العقاب الشديد .

الحل هو عند الإمام زين العابدين (ع) حين يقول : واعلم أنه لن ينجيه إلا التضرّع إليك بين يديك^(١) .

ان التضرّع إلى الله وخصوصاً في هذا اليوم الذي هو بعد الظهر ، وهو يوم من أيام شهر رمضان المبارك فإنه يجلب الرحمة الربانية بشكل كأنه تلامي

(١) جملة من أحد أدعنته (ع) .

إن كان فضلك لا يرجوه ذو فرط فمن يجود على العاصين بالكرم
لقد جاء الإمام الحسين (ع) مع حبيب بن مظاير ووقفا على رأس مسلم
بن عوسجة وهو يعالج الروح ، فقال مسلم : سألحق بك قريباً ولكنني ما بقيت
أقول لك قل وصيتك ، فهل لك وصيّة ؟ قال : نعم ؛ ماذا كانت وصيّة مسلم ؟
وبحبّ ماذا وصيّ ؟ لم يوص بامرأة ولا بولد ولا بمعيشة ، لقد جُرح وقتل ووقع
ولم يقل اعطوني ماء ، أو عالجوا جروحني واحرجوني من الميدان لكيلاً أكون
عرضة لسنابك الخيل خوفاً من السحر ، ولم يذكر المنزل ولا غيره بل قال : ؟ يا
حبيب لا تتخلى عن الحسين (ع) ، ان محبة الحسين جرت في عروقي
فلامست شغاف قلبي فإن استطعت أن تبعده فافعل .

يا أيها العزيز مسلم بن عوسجة إنك أوصيت حبيباً بالحسين في وقت كان
فيه الحسين صحيحاً وسالماً ولكنك لو شاهدته أثناء القتل يقع على الرمضاء مثله
كمثل فصّ خاتم احاطت به العساكر من كل جانب ، فهذا بسيفه وذلك بحربته
ويا ليت شاهدت بدنه الذي قطعوه وكل قطعة منه تصرخ لربها آه آه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ .

إن الإيمان طريق النجاة ، ولقد انزل الله الكتب وارسل الرسل والأيات الإلهية من أجل زيادته ليصل بالإنسان إلى السعادة والأمن في الدنيا والآخرة ويجلب له الرخاء الحقيقي ، والآن نرى أن الإيمان من أين يبدأ ، قلنا فلنسأل أمير المؤمنين فيقول (ع) : له أربع دعائم .

قد شرح بأسهاب (ع) فقال : « وَمَا الصَّابَرَ فَلَهُ أَرْبَعٌ شَعْبٌ : الشَّوْقُ
وَالاَشْفَاقُ وَالزَّهْدُ وَالتَّرْقُبُ » .

الاشتاق إلى الجنة يلغي الشهوة :

أما الشوق : « مَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَّا عَنِ الشَّهَوَاتِ » إذا لم يكن هناك شوق إلى شيء معين لن يتغاضى الإنسان عن الشهوات ، فعندما يكون الأمل في الجنة وثواب الله يسعى الإنسان لأن يرفع يده عن هوى النفس وعندها لن يحرص على شيء ، فيسعى ابداً للابتعاد عن الذنوب ويشارك في كل خير ؛ فعلى سبيل المثال إذا ما أراد شخص جلب بضاعة من الخارج يعلم أنها ستدفع عليه الكثير فإنه حينها يتناهى تعبه وعدم نومه ويعتبر ذلك كله سهلاً في قبالة

ولما كان شوق الفائدة مُتيقّن فإنه يحرّم على نفسه وقتها النوم العزيز ويتحمل المشاق الأخرى وتعب السفر والبعد عن الوطن والأهل والأبناء ، فما حبذا هل يقضي شخص توطّن فيه الشوق إلى الجنة صلاة الصبح ؟ فمن أجل منفعة دنيوية يحرم الإنسان النوم على عينيه ، فكيف به ينجر إلى النوم أثناء الصلاة فالتسامح في الآتيان بالصلاحة على وقتها والبخل في اخراج المال بعنوان اتفاق لا يحتسب من الشوق في شيء ؛ فكثيرة هي الأموال التي يضحي بها على أمل أن يكون نصيبه الضعف منها في الأشهر القادمة ، فإذا ما كان الشوق إلى الجنة على هذه الصورة فكم يزداد العمل الخير ، ولكن الأمل ضعيف ، فإذا كان الأمل قوياً بالثواب والاجر الإلهي والوعود التي وعد الله بها عباده في القرآن العجيد حينها تجده أثر كل هذه الآيات القرآنية التي تتعرض لوصف الجنة واصحًا وجليلًا على الإنسان بشكل شوق ، وبركة هذا الشوق يتأتى الصبر . فالخصام الذي قد يحصل بين اثنين يتذكر أحدهم القرآن الذي يقول ﴿ الا تحبون أَن يغفر الله لِكُم ﴾^(١) « ولِيَعْفُوا وَلِيَصْفُحُوا » حينها تضرب هذه الآيات صدر الإنسان فيقول : ما هذا الكلام ؟ هذا يقوله من كان لا يؤمن بوعيد الله . واما ذلك الذي يأمل رحمة ربّه ويختلف عقابه ، فحين التذكر بهكذا آيات . يرتب أثراً فوريًا على ما يمكن أن يعمله .

إذن ، ففي الوقت الذي يقول فيه الفرد « الهي العفو » ولا يرددتها القلب ويأمل رحمة الله ، في هكذا امور يقول المولى جلت صفاته : إذا كنت تريده الوصول إلى مرامك « قل العفو واصفح » .

(١) سورة التور ، الآية ٢٢ .

تشجيع القرآن المجيد يبعث على الاشتياق :

إن الثواب الذي قال به القرآن الكريم ما هو إلا تشجيع للإنسان بالنعم التي يتفضل بها الله على عباده في الجنة : « كلوا وشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية »^(١) وقد تطرق المولى تبارك وتعالى إلى جانب من الأغذية والشراب في الجنة ، « فاكُلُهَا دائمٌ وظلَّهَا » ، فهي ليست مثل الدنيا ولكن الآيات تشير إلى اشتراك في اللفظ واختلاف في الحقيقة ، فالفاكه دائم الوجود علاوة على عطرها الذي يأتي من مسافة الف سنة ، وطبيعة الغذاء في الآخرة هو عدم إثقال الأكل منها كما هو الحال في الدنيا ، ففي الدنيا شعور عند الأكل بالثقل والامتلاء وفي الآخرة استطعام أكثر مما هو إثقال للبدن ، ناهيك عن أن الفواكه فيها لها مئة ألف طعم كما تواتر الحديث .

وأما الشراب فيشير المولى إلى أن المؤمن في بستان تجري من تحته أربعة أنواع من العيون : « فيها أنهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصقى »^(٢) ويدرك الله تبارك وتعالى كذلك إلى أن الأنهرات بعثت على لذة الشرب التي تختلف عن اللذة والاستطعام الدنيوية وهذا الشراب يبعث على القطفة والطهارة ، ولا يبعث على السكر والنجاسة كما هو الحال في الحياة الدنيا ؛ « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً »^(٣) .

هذا الطعام والشراب لأي شخص يعطي ؟ انه لم يُنْ صَبِّرْ على عنده ساعات في أيام شهر رمضان مانعاً نفسه عن الأكل والشرب .

فذلك الذي لا يصوم لعدم تأثير ذلك التوجيه عليه لن يشتق إلى الجنة

(١) سورة الحاقة ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١٥ .

(٣) سورة الإنسان ، الآية ٣١ .

لذا لا يتأتى له أن يمتنع عن السجائر ، والخنزير ، والماء لعدم امتلاكه من الإيمان شيئاً أو على الأقل أن إيمانه ضعيف ، وإذا لم يكن كذلك وكان إيمانه قوياً حينها يتأتى ويتजذر عنده الشوق إلى أن يرى تنفيذ الأمور العبادية سهلاً .

حديث طريف بين الحجاج وأحد الرعاة :

لقد جاء في بعض التواريخ أيام ولادة الحجاج بن يوسف الثقفي على الحجاز وسيره في حركة جهاز الحكومة الحاكم آنذاك ، وحين كان في زيارة البعض المناطق وصل إلى مكان وقت الظهر فنصبوا له فساططاً ورفعوا طرف في الفساطط ليرى من خلاله الذاهب والأيب وليدخل الهواء إلى فساططه ، ففرشو له مائدة جلس إليها فشاهده من بعيد راعياً وعدة خراف ، فرأى أن الراعي هذه ومن شدة الحر ولهيب الشمس يدخل رأسه تحت بطن أحد الخراف لكي لا تصل إلى رأسه الشمس حينها رق حال الحجاج الشقي لهذا الراعي فأرسل إليه من يأتي به .

جاوا بالراعي فدخل على الحجاج غير آبه به فقال له الحجاج : إجلس فأجاب : عندي عمل إذ على أن أحفظ وارقب الخراف فقال الحجاج : إجلس الآن هنا وكل ما عندنا من طعام لذيد واستريح حتى تغيب الشمس بعدها اذهب إلى حيث ما تريده ، فقال الراعي : إني مدعُو ، فتعجب الحجاج لقوله وقال : أين ؟ فقال لقد دعاني لضيافته من هو أحسن وأفضل منك وآخر فقال الحجاج : من يكون هذا ؟ فقال : أنا صائم وضييف على الله تبارك وتعالى .

لقد بعثت الحجاج لقول الراعي وایمانه القوي فقال له : إن هذا اليوم الحار غير مناسب للصيام ؛ فأجابه الراعي : « قل نار جهنم أشد حرّاً »^(١) ؛

(١) سورة التوبه ، الآية ٨١ . « قل نار جهنم أشد حرّاً لو كانوا يفهون » .

فقال له الحاج كل اليوم هذا الطعام وضم غداً ؟ فأجاب الراعي : هل تضمن لي العيش إلى الغد فقد يكون اليوم آخر أيام عمري .

فتغير وجه الحاج وقال : كم انت قليل العقل لأنك ترفض طعام الملوك الذي لم تره في عمرك ولن ترى بعد ذلك وتمتنع عن الأكل لأنك صائم ؟ فقال الراعي : أنت جعلته طيباً ؟ ان الله تعالى إذا جا الإنسان العافية طاب مطعمه ، وإذا سلب الله العافية من شخص لن يطيب له خبز الشعير ولا سفرتك يقصد انك لا تنظر إلى سفرتك المفضلة ، فإذا ما كان هناك ألم في أسنانك لن يجعلك تمضغ لقمنتك جيداً مما يتبع أن تنزل اللقمة بدون مضغ فتفعل فعلها في اضطراب المعدة . إذن ، عافية الله التي اعطتها للبشر هي التي تُطيب الطعام وعليه فلا فرق بين الحلوى وخبز الشعير في حال التعافي بل ان الفرق في الذوق والطعم ، وإلا فلا فرق بين الشعير ولحم الطيور في معدة الإنسان .

الغرض من حديثنا هذا هو الشوق ، فالراعي يشترى إلى ثواب المولى جلت قدرته ؛ من خلال تحمله لحرارة الشمس اللافحة ، وامتناعه عن استطعم طعام الملوك ؛ فما ترى ألم تكن لهذا الراعي شهوة بطانية ، أو غريرة الطعام ، نعم ، له ذلك ، ولكن الشوق إلى العالم الأعلى يصغر في عين المشتاق كل الشهوات والغرائز .

جمال العور باعث على تأجيل الشهوة :

« من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات » فالشاب الذي يتلاعب بقلبه ودينه من جراء نظره المحرم هو نتيجة قطعية لعدم علمه بما في العالم الآخر ، فإذا ما تيقنَ وجود العور العين في الجنة وفهمَ ما خلق الله من مخلوق جذاب ولطيف ، انتهى عن النظرة المحمرة ، فتجد في القرآن مثلاً وصفاً للعور العين وكذا في الأخبار والروايات حيث يقول عزَّ من قائل : « وحورَ عينَ » كامثال

اللؤلؤ المكنون ^(١)) وأيضاً يقول : « لم يطمئنَ إنسَ قبلهم ولا جان ^(٢) ». و « حورٌ مقصوراتٌ في الخيام ^(٣) » .

إن بعض الحواريين يمكن أن يخدمهم اثنا عشر الف حورية جميلة بدرجة لا يمكن منها النظر إليها فيما إذا تجلّت لعالمنا المادي هذا ، فهذا الجمال لا يظهر هنا وإذا قدرَ للحور العين الظهور في الحياة الدنيا فسوف يكون باعثاً لانتحار ملكة الجمال الدنيوية بسبب عدم علمها بجمال حور العين .

هل سمعت بجمال يوسف الذي كان لا نظير له في عالم المادة ، هذا المقدار من الجمال الذي ظهر على زمان يوسف كان يقدر دفع بناء مصر في مجلس زليخا لأن يقطعنَ أيديهِن بدلاً من ازالة قشور المادة المقدمة لهن ولم يتنهن إلى ما فعلنَ بآيديهِن لجذب جمال يوسف لهن ؟ « فلما رأيْنَهُ أكْبَرْنَهُ وقطعنَ أيديهِن ^(٤) » .

وعندما استقرَ الوضع لحكومة يوسف (ع) بعد وفاة عزيز مصر ، سأله يوسف زليخا قائلًا : لماذا فعلتَ فعلتك تلك ؟ ، فأجابت : كل ذلك كان سببه جمالك فقال لها : « كيف لو رأيتَ نبِيًّا يقال له محمد (ص) يكون في آخر الزمان أحسن مني وجهاً وأحسن مني خلقاً وأسمح مني كفأً ^(٥) » فإنه أصل الجمال ؛ فهل تتصورين أن جمالي جمال ؟ انه رشحة مؤقتة من الجمال في معرض الآفات .

إن أصل الجمال في العالم الأعلى الذي تداركه الله تبارك وتعالى ، أصله

(١) سورة الواقعة ، الآية ٣٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٥٦ .

(٣) سورة الرحمن ، الآية ٧٢ .

(٤) سورة يوسف ، الآية ٣ .

(٥) سفينة البحار ج ١ ص ٥٥٤ .

في الجنة ، ذلك هو جمال الحور العين الذي إذا ما خُبِّر به المرء اشتاق إلى الجنة وابتعد عن نساء الحياة الدنيا ، وبغير ما ذكرنا فإنه لا خبر للإنسان ؛ هل تعلم لماذا يتعلّق الطفل باللعبة التي تشبه العروس ؟ إنه يتعلّق بها لأنّه لا يفهم ولا يعرف غيرها .

إن وعد الله تبارك وتعالى لم تؤثّر فيه ولم يفهمها ولم يعرّف أن الجمال الحقيقي مكانه في الجنة وليس هنا ، وهنا استعرض لكم جانباً من المال والجمال بعد الموت ؛ فقد جاء في الروايات أن في الحور نوعاً عظيماً مطلقاً الجمال مكتوب على ذراعها الأيمن محمد رسول الله وعلى الأيسر : علي ولي الله وعلى جبّتها الحسن وعلى ذقنها الحسين ، فيما أيّها الشخص الذي تدور عيونك على هذه وتلك أين أنت من هذه الحور ؟ فالعين الملوثة بعيدة عن هكذا أرواح ، إن برزخه ذلك الذي يحظى بهذا الجمال أصفي واطهر من النظر إلى المرأة .

أيها الناظر نظرة حرام أين أنت من الحور ؟ إنه ليس مزاحاً ؛ هل من الظرف أن يكون نظرك سهماً مسموماً من سهام إبليس يحرّمك الحور العين ؟ إن الشخص المشتاق إلى الجنة يمكن له أن يوجّل شهوته وحتى الحلال منها في سبيل الفوز بالجنة والرضوان .

لا يمكن وصف شابٍ يريده حلاوة الدنيا وزينتها ارفع وارقى من فتى ترك ليلة عرسه رغبة في القتل وشوقاً إلى الجنة ، اسمع وشاهد ماذا يفعل الشوق إلى جنة الله والشوق إلى ثوابه وأجره الجزييل .

فضل جبهة الحرب على مكان عرسه :

(حنظلة بن أبي عامر) راهب ، وحدث عهده بالاسلام ولكن له من الإيمان أقواء ومن الشوق أشدّه ، عقد قرانه على بنت عثمان أحد كبار المدينة تصادف مع ليلة غزوة أحد ، وعلى علمي قد سمعت حكايته ؛ لقد كان الرسول

الأكرام (ص) مع عدّة من أصحابه يجوبون جبهة الحرب على بعد عدّة كيلومترات من المدينة وفي الصباح نهض حنظلة ولبّس بلامّة الحرب ، فمسكته امرأته قائلةً إلى أين تذهب ؟ فقال : الا تعلمين أن الرسول في جبهة الحرب ي يريد معيناً وأنا أريد أن أفدي نفسي لمحمد فقالت : إذن انتظر قليلاً واجلب لنا شاهدين على أنك تمّ لك من الزواج ما أردت وإنك قضيت الليل معى فإذا ما حملت علموا أنه منك ، فذهب حنظلة في الحال مصطحبًا اثنين من الناس شهدوا على ذلك ، وحينما توجه باتجاه الجبهة سأّل امرأته ما السبب في طلبك هذا فقالت : لقد رأيت في الأمس مناماً بأنك تصعد في السماء ففهمت من ذلك أنك ستقتل ولهذا طلبت شاهدين إذا ما حملت ليعرف الناس أنه منك .

الأمر العجيب هنا هو أن هذا الفتى كان على عجلة الشوق فلم يلتفت إلى غسل الجنابة ، حمل سيفه وذهب صوب المعركة وعند الوصول سلم على الرسول (ص) طالباً الإذن منه في المشاركة فأذن له ؛ وتشاء الصدفة أن يكون أبو سفيان في الطرف الآخر من الجبهة فحمل عليه حنظلة يريد قتله ولكنه لم يُصب إلا قوائم فرس أبي سفيان فيوقعه على الأرض وحينذاك يجتمع القرشيون على حنظلة لسقوط أبي سفيان على الأرض فيشيّعوه ضرباً بالسيوف والرماح فيموت شهيداً ؛ فيقول رسول الله (ص) إني لاري الملائكة وهي تطوف حوله وبعض منها يغسله . (لأنه لم يغسل الجنابة) ولذا لقب بغسل الملائكة .

إذا لم يكن في النفس شوق إلى الجنّة فكيف يمكن لهذه النفس أن تصرف النظر عن رغباتها ومتى تخلع عن قلبها حبّ المال ، وكيف تصرّ على الشهوات واللذائذ « واشتاق إلى قربك في المشتاقين »⁽¹⁾ فالشوق يهون العناء ، فنحن نرى أن بعض الشيوخ الذين يصلون إلى السعدين من العمر وقد غدوا

(1) من دعاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يسمى (دعاً كعبيل) بن زياد . انظر مفاتيح الجنان المعرّب - لعباس القمي ص ٦٧ .

جلوداً على عظام يصومون لأنهم يمتلكون هذا الشوق الذي نقول، كذلك أهل الدنيا وطلابها فهم يسعون وراءها بكل شوق مع التعس والعناء منسجمين مع أسلف الناس وأشد المصبات.

البكاء شوقاً لروضة البرزخ :

إن للشيخ محمود العراقي كتاب كتبه بالفارسية تحت عنوان « دار السلام » يذكر في آخره عند باب المكافئات ، مكافحة حصلت له فيقول : ذهبت إلى كربلاء فبقيت ليلًا فيها ، وكان هي زيارة ، فبُت على أحد سطوح مدارسها العلمية فرأيت فجأة وكان أبواب عالم الملائكة قد فتحت لي ، فشاهدت الروضة البرزخية والنعم الكثيرة وكأني في أحد البيوتين اللذذ من نعمة وثماره وإذا بنداء يقول لي إرجع من حيث أتيت فشرعت بالبكاء قائلاً : لا أريد الرجوع إلى الدنيا ، هنا الراحة الأبدية إلى أين أرجع إلى المشاكل والمصائب والبلاء فهنا راحتني فجاءني الجواب ، أنت مبكر قليلاً فانتظر وارجع إلى مكانك في الدنيا وعند الرجوع أراني ابكي بحرقة لفارق الروضة .

وهذا هو شخص آخر من الأجلاء قريب من هذه المكافحة ما حصل له ، وحين رجوعه من المكافحة وهو يبكي لفارق الروضة لمدة شهرين ولفارق ما رأى من آيات في ذلك العالم حتى مات من شوق الروضة ، وصحح هذا لأن أمير المؤمنين علي (ع) كان قد ذكر في خطبة همام وصفاً للمتقين حيث جاء فيه :

« لولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ، صبروا أياماً قصيرة ، أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرّها لهم ربهم ^(١) .

(١) انظر شرح نهج البلاغة ، لابن ميثم البحرياني ج ٣ ص ٤١٠ .

رؤبة أصحاب الحسين (ع) ليلة عاشوراء لمقامهم :

لقد سُئل الإمام الباقر (ع) ما الذي جرى ليرمي أصحاب الحسين (ع)
أنفسهم في بحر من المقاتلين متحملين النبال والرماح والسيوف مضطجعين
بانفسهم بهذا الشكل الغريب؟ !

فأجاب الإمام (ع) : لقد امتحن جدي الحسين (ع) أصحابه فرأهم ثابتي
الأقدام - لم يروا أن يتركوه لوحده فأشار فانزاح الستار فقال : شاهدوا مقامكم
في عالم الملوك ، وفي عالم الملوك سعت الملائكة لأن يرى كل واحد من
الاصحاب القصور الفارهة والحوار العين في الجنة وحينها قال الإمام
الحسين (ع) يا زهير هذا مقامك ، وأنت يا بريز ذاك مكانك ؛ فالشوق إلى
الجنة الذي ملأ قلوبهم ما بعده شوق في ليلة العاشر من محرم فكان بريز سيد
القراء هذا الفقيه والعالم الكبير يمزح بشكلٍ مثير فيقال له : لا تمزح يا بريز
فالليلة ليست ليلة مزاح فكان يجيئهم : يا قوم إنكم تعلمون بأنني لم أمزح في
حياتي أبداً ولكن الليلة ليلة سرور ومزاح لأن الفاصلة التي بيننا وبين ما وعدنا الله
تبارك وتعالى من وصل بالحور العين لن يطول فطلع الشمس هو آذان للحرب
وبعدها نجعل من أرواحنا فداء للحسين (ع) .

ولا غرابة في الأمر ، فليس فقط هم الذين كانوا يحبون الحسين بل كان
الحسين أيضاً متعلقاً بهم ؛ آه لتلك الساعة حين نظر الإمام إلى يمينه وشماله
فلم ير أحداً من أصحابه وانصاره فنادى بأعلى صوته يا مسلم بن عقيل يا هاني
بن عروة يا حبيب يا بريز .

لا أعلم ما الهدف من مخاطبة الإمام الحسين لتلك الأرواح الشريفة قد
يكون الأمر هو طلب السكينة في نفسه ، ولكنه وحينما واجه جثثهم وناداهم لكل
شخص ثلاثة أو أربعة كلمات ولا أقول هنا غير كلمة واحدة قالها البطل لأصحابه
حين قال : قوموا عن نومنكم وادفعوا عن حرم الرسول .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ إِذَا الْإِنْسَانُ لَهُيَ خَنْزِيرٌ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ﴾

لقد وصلنا هنا إلى خلاصة ما قاله مولى الموحدين أمير المؤمنين (ع) في بيان حقيقة وكمال الإيمان ، فالدعاة الأولى لبيت الإيمان ، فالإيمان لا يجتمع مع حب النفس ينبغي أن تمنع هذه النفس عن مواكبة الهوى والنزوات والرغبات ، ولا يُسمح للنفس في أن تتخاذل أمام الذنوب والخطايا وتضعف ، يجب تحكيم الواجبات والطاعات وعدم التسليم أمام المصاب والصعب والاهواء الشديدة . على الإنسان أن يقف على قدميه في الحياة الدنيا كالجبل الذي لا يبرح مكانه وإن لا يدع للزلزال طريقاً إلى قلبه ، ويقف حائلاً دون لسانه الشاكي .

بالأمس كنا قد عرضنا إلى كيفية الحصول على حالة الصبر فهل يمكن أن تكون من نصيحتنا بالدعاء ؟ يريد الإنسان أن يصبر أمام المصابات ولكنه لا يستطيع أن يصبر أمام الخطايا والمساويه فهو لا يقدر على ذلك ماذا يفعل ؟ إن أمير المؤمنين (سلام الله عليه) يعلمنا كيفية الحصول على الصبر ، فيصف لنا دواء من أربعة أشياء ، فيمكن أن تكون من الصابرين إذا ما وجدت فينا أربعة أشياء .

الالتفات إلى بقاء الآخرة يأتى بالشوق :

إذا أصبحت من المشتاقين فسوف تصر ، وما إن صبرت حتى تصبح مؤمناً فإذا ما عدم الشوق فكيف يتأتى الصبر ، فإذا لم يكن عندك احساس بالشوق إلى الحياة التي هي بعد الموت كيف يمكن لك أن تضع قدماً على النفس والهوى فإذا لم تكن تطمح بالاسمي والارقى فلن ترك الأسفل والادنى .

وإذا لا يتسامى الإنسان شوقاً فكيف يتتأتى له أن يسحق النفس والهوى عليه ان يفهم اولاً « والآخرة خيرٌ وأبقى »^(١) على عكس الحياة الدنيا محددة من حيث الزمان والمكان وآخرها الموت .

إذا ما كنتَ مثلَ الكأس انساناً فان حجرَ الأجل يُكسر كالفالخار إنك بعد الموت وفي عالم البقاء لن يحصل لك ما حصل في الدنيا من ذهاب ، ففي البرزخ والقيمة والجنة يذبح الموت وتبقى الحياة أبدية فالحياة بعد الموت ليس فيها تحولات . إن التحويل والتحول راجع فقط لعالم المادة ، فإن اراد الإنسان أم لم يرد ذلك فمهما عمل وعانيا في الحياة الدنيا فإن قواه ستستهلك ، وتسقط معدته على الأكل وتكتُل يداه عن العمل انه محدود بالشيخوخة والعجز التي هي صفات ملزمة للحياة في هذا العالم « ومن نعمة نكسة في الخلق »^(٢) .

لقد ذكرت إحدى الصحف أن عدة من العلماء يرثمون اكتشاف دواء يعمل كمانع للشيخوخة ؛ فهل يمكن الحصول دون التحولات البدنية ؟؟ وهل يمكن لهم في نهاية الأمر التصدّي للموت ؟!

إن التغير والتحول صفة ملزمة للمادة أما الدوام والاستمرار فهي صفة

(١) سورة الأعلى ، الآية ١٧ .

(٢) سورة يس ، الآية ٦٨ .

ملازمة للعالم الآخر ، قوة لا يلزمهها الضعف ولا يعرف إليها من سبيل فبعد الموت لا يمكن للنغم والهم أن يعرف طريقه للبهجة والسرور التي هي إلى جوار محمد وآل محمد (ص) .

إذا رُمِت سلطاناً لا منازعة فيه ، وحكومة مطلقة لا ينقصها شيء ولا أمنية بعدها ، فيما إذا وصلت إليها ، كل ذلك موجود في عالم بعد الموت وقد ذكره الله تبارك وتعالى تفصيلاً في كتابه العزيز ، وقد حبَّب المولى ذلك إلى الإنسان إلى حد يمكن له أن يتحمل الضغوط الشديدة والظلم في الدنيا ويصبر طلباً للأجر الذي شُوّق إليه .

ان المثل المتداول الذي يقول - لماذا لم تعمل هذا العمل في جانب ليس عندي أي دافع أو حافز والقصد انه لا شوق لي ؛ مثل ذلك الذي يشاقل في القيام إلى الصلاة وفي الصيام والانفاق ويسارع إلى ارتکاب المعاصي ويجري خلف الأهواء لانه لا يشتق إلى العالم الآخر ، فلا أثر للشوق في دماغه ؛ ان استثمار الشوق إلى لقاء وجه الله تعالى والفوز برضوانه يدفع الكثير الكثير من المنعفات الدنيوية ومنها المشاكل النفسية - ان الشوق للقاء الله يحل كل المشكلات والمعضلات .

ابنة المجلسي والهدوء عند المصيبة :

ان إحدى متدينات العالم الإسلامي والتي تدعى آمنة بيكم ابنة العلامة المجلسي والتي كانت من صاحبات الكمال وفاضلة عالمة على وقتها ، سقطت في يوم من الأيام من أعلى سُلُم لهم في الدار فكسرت جمجمتها وجرى الدم منها ، علاوة على اصطدام ساقها بحافة حجر حاد فتكسر عظم ساقها ، وبعد فترة قصيرة جاء من كان معها في الدار فرأوها على هذه الحال غير أنها كانت تبسم ، فقالوا لها ألا تتألمين ؟ قالت : نعم ، فقيل لها : ولم لا تثنين من الألم ؟ فاجابت لقد طرق ذهني الثواب والأجر الذي سيتفضل به الله على من

جراء ما أصابني فهدأت نفسي وارتاح خاطري .

صحيح ما قاله هذه السيدة الجليلة فالاشتياق إلى ثواب الله تعالى يلغي الإحساس بالتعب والعناء بل ويسهل ذلك في بعض الأحيان لما لل المسلمين من عقيدة راسخة على أن ما يصيب المرء من مصائب يشهي الله عليها فيما إذا صبر حتى إذا اصطدم ساقه بحجر فإن ذلك يترب عليه الأجر والثواب في ملك الله فانت ضيف الله في شهر رمضان مثلاً فـأي شيء يصيبك فـان أجرك على المضيـف أي على رب العالمـين وـحتى مـوت الأقارب والـاحباب والـقلب المـكسـور فإن ثوابـه يـتكـفـلـهـ المـولـيـ تـبارـكـ وـتعـالـىـ فـكـثـيرـ هوـ الأـجـرـ وـالـثـوابـ لـلـانـسـانـ الصـابـرـ ، وإذا ما فهمـ الإنسانـ أنـ الـراـحةـ وـالـهـدـوـهـ التـفـسيـ نـصـيبـ قـطـعـيـ حينـ ذـاكـ يـفـهـمـ أنـ الـذـيـ جـاءـهـ مـنـ الـغـيـبـ كـانـ بـنـفـعـهـ وـلـخـيـرـهـ وـصـلـاحـهـ وـهـذـاـ هوـ ثـوابـ وـجـزـاءـ الـشـوقـ .

زهو السعادة في أن ساقى الصالحين علي (ع) :

الـهـيـ هـلـ يـمـكـنـ أـنـ لـاـ أـصـلـ إـلـىـ خـوـضـ الـكـوـثـرـ ذـكـ الـذـيـ هـوـ أـحـلـ مـنـ الـعـلـ ،ـ وـأـعـطـرـ مـنـ الـمـسـكـ ،ـ اـنـهـ تـعـابـيرـ مـنـ ضـاقـتـ عـلـيـ الـكـلـمـاتـ لـأـنـ الـكـوـثـرـ أـنـعـمـ مـنـ الـزـيـدـةـ ،ـ وـأـيـضـ مـنـ الـثـلـجـ ،ـ وـرـائـحـتـهـ اـطـيـبـ مـنـ الـمـسـكـ ،ـ اـنـ الـطـعـمـ الـذـيـ جـعـلـهـ اللهـ فـيـ هـذـاـ الـمـاءـ وـجـعـلـ مـنـ حـوـلـهـ كـثـرـوـسـ الـجـنـةـ يـخـصـ بـالـمـؤـمـنـينـ الـذـينـ أـحـبـواـ أـهـلـ آـلـ الرـسـوـلـ (صـ)ـ وـكـلـ وـاحـدـ خـصـصـ لـهـ كـاـسـ مـنـ تـلـكـ الـكـوـثـرـ الـتـيـ تـحـيـطـ بـالـحـوـضـ يـسـقـىـ مـنـ يـدـ عـلـيـ اـبـيـ طـالـبـ (عـ)ـ اـسـدـ اللهـ الـفـالـبـ ،ـ زـهـوـ اللـذـةـ وـزـهـوـ الـشـرـفـ يـتـائـيـ مـنـ أـنـ سـاقـيـ الـحـوـضـ اـنـتـ يـاـ عـلـيـ (عـ)ـ .

سـقـاـهـمـ رـبـهـمـ مـاـذـاـ كـانـ ذـلـكـ الـطـهـرـ وـمـاـذـاـ كـانـ الشـرـابـ النـقـيـ الـذـيـ جـاءـتـ بـهـ النـفـسـ عـلـيـ (عـ)ـ أـنـتـ سـلـطـانـ الـعـالـمـ ،ـ يـاـ مـنـ حـسـابـ الـخـلـاقـ عـنـدـ يـاـذـنـ اللهـ ،ـ اـنـتـ قـسـيمـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ ،ـ فـتـقـسـيمـ الـنـارـ وـالـجـنـةـ بـيـدـ عـلـيـ (عـ)ـ ،ـ كـمـ هـيـ الـلـذـةـ عـظـيـمـةـ لـوـقـدـرـ لـيـ كـاـسـ مـنـ حـوـضـ الـكـوـثـرـ وـمـنـ يـدـ عـلـيـ ،ـ لـيـ اـنـاـ الـحـقـيرـ ؟ـ !ـ

الـشـوقـ مـعـنـاهـ اـنـ يـصـلـ الـإـنـسـانـ إـلـىـ اـنـ يـفـكـرـ اـنـ سـاقـيـ الـحـوـضـ عـلـيـ (عـ)ـ

فإذا ما حصل هذا الشوق لعلي (ع) يمكن الإنسان من مخالفة هوى النفس مهما كانت النفس تائفة لعمل المعاichi ومهما اقتضى الأمر ، فحب النفس والهوى لا ينسجم وحب على (ع) فحب الشيطان لا يتلائم وحب الرحمن ، فعِبادة وحب الدنيا سد مانع بين الشخص وعلى (ع) انه حجاب بينهما .

فإذا ما كانت المحبة والشوق إلى على (ع) قد أخذت مكاناً في قلبك فلن يكون هناك بعد هذا الحب وذاك الشوق مجال للهوس والاهواء .

وأجملأ ، ومن أجل بلوغ مقام الصبر ومقام الشوق يستلزم قراءة القرآن « فاقرئوا ما تيسر من القرآن »^(١) .

في مكانين أو ثلاثة ذكر القرآن التذكرة « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكرا »^(٢) ؛ يمكن اعتبار مسألة البسيطة والسهولة من المسائل الاعجذالية في القرآن الكريم فالفاظه المباركة في غاية الفصاحة والبلاغة وفي نفس الوقت نهاية في البسيطة والسهولة مما يساعد على حفظه بسرعة ليتسنى للقاريء أن يستفيد ويستذكر ما فيه من التشجيع والفات النظر بشكل إنساني .

حفظة القرآن كثُر ولكن الانجيل

لقد كتب صاحب « انيس الاعلام » المرحوم فخر الإسلام : لو نظرنا إلى تاريخ النصرانية والمتمثلة بسبعينة مليون نفر على زمن غابر ، لم تر شخصاً مسيحياً واحداً قد تمكن من حفظ الانجيل ، ولكن لو نظرنا إلى قرى مصر وهو أحد البلدان الإسلامية لرأينا أن أكثر من مائتي شخص قد حفظوا القرآن الكريم في تلك القرى .

وكثير منكم من هو حافظ لسور متعددة من القرآن العظيم ، ان المولى

(١) سورة المزمل ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة القمر ، الآية ١٧ ، وهي مكررة في الآيات ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

جلَّتْ قدرته سهَّلَ الفاظ القرآن ليتمكن الإنسان المسلم وغير المسلم من حفظه بل ويتمكن من ايجاد شوق في نفسه ، شوق للقاء الله شوق إلى جوار الله . « وبشر المؤمنين بأنَّ لهم من الله فضلاً كبيراً »^(١) .

« وبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجرًا كبيراً »^(٢) فما أكثر الآيات القرآنية الشريفة التي جاءت بالبشرى ومنها هذه التي تقول : « إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً »^(٣) فإذا ما كان الشوق حاضراً في النفس البشرية تهون كل الأمور الصعبة .

لم يؤثُّ خبر موت إبنه عليه :

يقال ان أحد العلماء كان في الحمام وكان في حال وضع الحناء على محاسنه فجاوا إليه بخبر وفاة ابنه فأجاب أوكلتُ الأمر إلى الله فيه ؛ فقيل له : قم للذهب إلى تشيع جنازته فقال : اصبروا علىي حتى أكمل ما بذلت به من طلاء محاسني بالحناء .

فما الذي حدا به يا ترى ان يفعل ما فعل هذا العالم ؟ لقد وجبت له الجنة لأن الوعود الكثيرة لله سبحانه وتعالى بصدق من رأي المصائب وصبر عليها تزكى ذلك وتشجع وتشوق الإنسان على ان يتنهج المسلم هكذا سلوك ، فالشوق لكتب أجر الله ونواهيه تناهى والاضطراب الذي يمكن أن يحدث بسماع هكذا خبر وذلك ما وعد المولى تبارك وتعالى « ومن أصدق من الله قيلاً »^(٤) فالذين لا يصبرون لم يكن لهم شوق للعالم الأعلى ولم يكن لهم شوق لثواب ولقاء الله

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٧ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٩ .

(٣) سورة الفتح ، الآية ٨ .

(٤) سورة النساء ، الآية ١٢٢ .

تبارك وتعالى فأشواقهم كلها دنيوية والأمال جميعها في الابناء والأهل والأقرباء
و . . . و

إن الرجل ليكفر حين يرى رازقه هو الله وليس ابنته وليس زوجك فالمعين
هو المولى تبارك وتعالى ، عليكم أن تقرؤوا القرآن الكريم بكثرة لتصبحوا من
المشتاقين لعالم الآخرة ولتفتح الأبواب الشوق في وجوهكم .

عجز كسيح مشتاق للجنة في غزوة أحد :

عمرو بن جموح رجلٌ من أصحاب رسول الله (ص) له من الأولاد أربعة
راشدين وكان عمرو كبير السن ، كسيح وليس له قدرة على الحركة والمشاركة
في غزوة أحد ، وكلكم تعلمون أن غزوة أحد كانت الغلبة فيها أول الأمر
للمسلمين وقد كان الرسول (ص) قد جعل على عقبة في (جبل أحد) خمسين
نفراً من الرماة يحافظون عليها ويحمون ظهور المسلمين من الغدر والاتفاق وأما
الباقي من المسلمين فكانوا مشغولين في مبارزة الباطل من الطرف الآخر وحين
وقع الفرار في جبهة المشركين طمع هؤلاء الخمسون في الغنائم بعد أن حصل
الفرار ؛ آه من حب المال ، لم يصبروا ، فأصبحت العقبة حينذاك خالية من
الرماة فالتف ما بقي من المشركين على المسلمين من الخلف فأضروا بجبهة
الإسلام ضرراً بالغاً فهذا قتيل وذاك جريح وعدة هاربين ، فالتف جماعة من
المؤمنين وعلى رأسهم علي بن أبي طالب (ع) يدافعون عن الحبيب
محمد (ص) ، فكان امتحان عصي لل المسلمين من قبل الله تبارك وتعالى مما
جعل بعضهم يظنّ الظلون » ترجع إلى حدينا فعمرو بن جموح هيأ أولاده
للحركة وهو الذي يفتقد إلى القدرة ، فيقول : اليوم ينبغي لي أن أشارك في هذه
الحرب ويرجلاي هاتين العاجزتين على الرغم من أنه : قيل له ﴿ ولا على
الاعرج حرج ﴾^(١) ، ويكفي أن يكون ابناوك ، فغضب لذلك وجرّ نفسه حتى

(١) سورة التور ، الآية ٦١ .

وصل إلى الرسول (ص) قائلاً يا رسول الله لقد جئت شاكياً من أولادي فانا أتبت لكني اعينك على عدو الله وعدوك ولكن ابني اهؤلاء يقفون حائلاً دون ذلك .

فقال رسول الله (ص) ان أولادك الاربعة فيهم الكفاية؛ فبكى وقال : كلي شوق وأمل في أن ادخل الجنة برجلي هذه .

ان الاشتياق إلى الجنة ليس مزاحاً ، ان ديوان رب العالمين عظيم وجماله فائق لأن جمال الجنة نفحة الهيبة غاية في الجمال .

قال رسول الله (ص) اترکوه وشأنه ودعوه يصل إلى ما يريد ، مسك العجوز الكسيح بالسيف مستعيناً بأحد ابنائه فالأب والابن ابلوا بلاء حسناً وقتلوا الكثير من اعداء الله حتى قتلوا .

انظر ماذا يفعل الشوق إلى لقاء الله ، لقد كانت زوجته مجللة وحين سمعها لخبر استشهاد زوجها وأخيها وابنها ، استأجرت جملأ وحملت عليه القتلى الثلاثة متحركة صوب المدينة بقلب ملؤه السرور لما نال زوجها الشهادة ووصل إلى مراده ، فلم تصرخ ، ولم تشق جيماً لأن ابنتها استشهدت في سبيل نصرة دين الله واخوها وصل إلى لقاء الله ، ولقد كانت هذه المرأة مشتاقة أيضاً إلى لقاء الله ولكن الله جلت قدرته أوصل ارحاماً قبلها إلى الجنة .

أرواح الجميع فداء لمحمد (ص) :

حينما كانت الأم مشتاقة إلى الجنة ، كانت تشكر المولى تبارك وتعالى لوصول ابنتها إلى لقاء الله في جنته اسرع من وصولها ؛ فإذا ما حصل الشوق يتغير وضع الإنسان بشكل اجمالي فقد جاء في بعض كتب التاريخ ان فاطمة الزهراء (ع) (وفي بعض كتب اخرى عائشة) خرجت من المدينة عقب خبر يقول ان محمداً قد مات ت يريد تفحص الاخبار ؛ وهذه المرأة الرشيدة وذلك المنظر العجيب بحملها ثلاثة قتلى على جمل ، فاطمة «س» أو عائشة سالت «هـ» هو خبر رسول الله (ص) ، وهذه المرأة قالت حينما بشرت بقتلاها أنا وأنتم

والكل فداءً لمحمد (ص) في حال حملها لقتلاها ؛ كانت مسرورة لأن محمدًا كان سالماً ؛ انظر ماذا تفعل المحبة ؟ والشوق ماذا يفعل ، وكيف سهل عليها مصيبيها ؛ وحين عبورها من احدى المدن القريبة من جبل أحد برك جملها ولم يتحرك وحينما تمكنت بصعوبة من إدارة الجمل صوب أحد وجدت ان الجمل قام وبدأ بالمشي متسارعاً ، بينما عندما كانت تريده أن يتحرك صوب البقع برك ولم ييرح مكانه .

تحيرت المرأة وعقلت جملها وذهبت إلى الرسول وعرضت له ما حدث فقال لها الرسول الأعظم (ص) ما الذي قاله زوجك عندما خرج من الدار ؟ فاجابت : رفع يديه إلى السماء وقال : الهي لا تجعلني ارى بيتي مرة أخرى ولا ترددني من أحد ؛ فقال (ص) ان زوجك كان من الانصار وانه كان من الذين تستجاب دعوتهم ؛ فلا ترجعي الجمل بالقوة إلى البقع بل اتركيه وحاله ؛ فرجعت وفكت عقال الجمل وتركته وإذا به يأتي للمكان الذي حدثت به المعركة وجلس عند قبور الشهداء ، شهداء أحد ، وقد أصبح هؤلاء الثلاثة جزءاً من دفنوا في مقابر أحد .

ماذا يفعل الشوق ؟ وكيف يحلّ عقدة كل مشكلة ؛ لا يوجد شيء أصعب من موت الأبناء ولكن الشوق إلى لقاء الله يسهل المسألة .

وفي هذه الغزوة كانت نسبة ام عمارة ، هذه المجللة التي قالت لابنها الذاهب للحرب بعد ان شوّقته للقاء الباري تعالى : سأتي معك مع مقدار من الماء أحمله وقماش الفُّ به جروح المقاتلين ، ولكن الذي حصل في المعركة جعلها تحمل سيفاً وتذبّ عن الإسلام والمسلمين حيث قام أحد المشركين بمحاولة لمحاجمة الرسول الأكرم (ص) فحملت عليه وضربته عدة ضربات بسيفها ولكنه كان يلبس لامة الحرب فلم يتأثر بضرباتها وعلى العكس فقد ضرب الملعون هذا ام عمارة فاصاب كتفها بجرح بالغ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والمعسر إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّابَرِ ﴾

ان خلاصة ما قاله أمير المؤمنين (ع) في باب حقيقة الإيمان والكمال هي تلك الدعائم الاربعة والتي أولها الصبر ، وكيف يحصل الصبر فقال : الصبر على أربع شعب «الشوق والاشفاق والزهد والترقب» .

ولماذا للصبر أربع شعب ، ذلك لأن الصبر هو واحد من اربعة دعائم يشتمل عليها الإيمان . ففي بعض الأحيان يكون الصبر على العبادة والطاعة والواجبات مُتعب وصعب فيراد من الإنسان ان يصبر ستة عشر ساعة بدون ان يأكل او يدخن السجائر او يتناول الشاي ، فالصبر هنا على هذه الطاعة واجب بالدرجة الأولى ويمكن ان تتضاءل امامها المأكولات والمشروبات بالشوق للثواب فمن اشتقى إلى الجنة سلا عن الشهوات ، فالشوق هنا هو الذي يسهل على الانسان الصلاة والصوم والحج ، الشوق إلى الجزاء الإلهي والوصول إلى الثواب .

إذا ما حدا بك الشوق لأن تسير على الأقدام إلى الكعبة .

فسوف ينسك الشوق غم وهم وصعوبة الاشواك في الطريق اليها .

فالشوق لأي مثوبة يُنسى الانسان ويسهل عليه كل العراقيل وإذا ما قدر له ان يموت فالشوق إلى لقاء الله يُسهل عليه السير على طريق الموت وصولاً إلى لقائه تبارك وتعالى لما للشوق الذي في قلبه والذي يعتقد انه هو الذي يحل اي مشكل قد يقع فيه ، فالنوم أيام الصيف ليلاً وما له من لذة خاصة يتصادر أيام الشوق الذي يحدو الإنسان للقيام بأداء صلاة الليل طلباً وشوقاً في كسب رضا الله والفوز بثوابه ، وكما يقول الله سبحانه : ﴿ قد يشوا من الآخرة كما يش الكفار من أصحاب القبور ﴾^(١) فإذا ما ازداد الشوق واشتد إلى ثواب العزيز القدير فسوف يتلذذ القائم في جوف الليل بصلاته وعبادته ، إنه يتلذذ بكلمة العفو الذي يرددتها ويصل إلى حسٍ قويٍ بأن الله تعالى يتتجاوز عنه وعن سباته بتردديه العفو العفو ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾^(٢) ومن خلال اشتياقهم إلى ثواب الله يحصل لديهم الأمل في غفرانه تعالى فيرجونه بكل ما أعطوا من قوة التوسل والخشوع . فالمؤمن الذي لا شوق عنده لا قيمة لإيمانه ولا يعمل له إيمانه هذا شيء لأن الإيمان بدون رأس ورأس الإيمان الصبر ، والرجاء والأمل هما اللذان يأتيان بالشوق الذي يجعل الإنسان صابراً محتسباً أجراه عند اللطيف الخبر .

الخوف من العذاب يبعث على ترك المعاصي :

الشعبة الثانية للصبر هي : الاشفاق ، فينبغي للمؤمن أن يتخوف من عذاب الله لكي يحصل عنده الصبر ، فإذا لم يكن الإنسان ليخاف من المولى جلت قدرته لا يمكن أن تتأتى له السيطرة على الأهواء والغرائز الحيوانية في نفسه والتي تكون في الغالب باعثاً على عمل المعاصي ، فبغير خوف الله لا

(١) سورة الممتحنة ، الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧ .

يمكن أن ترتدع النفس الأمارة بالسوء ، فالشاب الأعزب في خلوته وبدون وازع ولا مانع وبدون مسؤولية قانونية كيف تكون له السيطرة على نفسه ؟ يكون له ذلك لإدراكه بأن الله سبحانه وتعالى حاضر وناظر فلا يعمل شيئاً يعصي فيه الله خوفاً من عقابه وبغير هذا لا يمكن له أن يصبر ، فعلى سبيل المثال : لو أن شخصاً إتَّمَ على مالٍ وصاحب المال ليس لديه أي دليل على أنه أَمَّنَ أمواله عند هذا الشخص ، وحين الحاجة إلى ماله طالب المؤمن بالأمانة ، فما هو المانع لأن يقول لصاحب المال : لا مال لك عندي ؟ المانع هو خوف الله ، فكل معصية نتركها تدخل بها قضية الخوف من الله ، وكلما كان الخوف من الله شديداً كان التحفظ أكثر « ومن اشتق على نفسه من النار اجتنب المحرامات » فمن يجرؤ إذن على عمل المعاصي غير أولئك الذين لا يخافون عذاب الله وقد تكون غفلة أو حماقة أو عدم إدراك أو . . . أو جرأة والفضل أن نبين حقيقة ذلك بلسان الحكایة :

قصاب من عباد الأصنام يلتفت إلى صنه :

كتبوا أن شخصاً سافر إلى الهند فيريوي عن نفسه حكاية يقول فيها : لقد كنت مائشياً في سوق القصابين وإذا بي اشاهد قصاباً هندياً في حالة عجيبة ، فهو عندما يشرع بتقسيم اللحم وبيعه إلى الناس ينظر إلى ما فوق رأسه ويمد يده متلماً شيئاً قد اخفاه تحت القماش الذي يلبسه الهندو على رؤوسهم وقد لاحظت ذلك عدة مرات من هذا القصاب فسألته ما الذي تحاول أن تمسكه تحت عمامتك هذه فامتنع عن الجواب ونهرني بشدة ولكنني كنت مصراً على أن أعرف ما الذي يُخفي هذا الهندي تحت عمامته ؛ فعاودت سؤاله مرة أخرى فقال : أنا من عبد الأصنام وان صنمي على رأسي ، وعندما أُعْبَلُ العيزان في وزن اللحم للناس الالاحظ صنمي فإذا كان غير موجود فإني اتلعب بالوزن أو باللحم خيانةً مني ولكنني عندما أشعر بوجوده لا أجرب على أن أغش أو اتلعب بالوزن !!

الويل والثبور لذلك المسلم الذي يعلم بوجود الله الحاضر والناظر ولكنه يجرؤ على عمل المعاشي ، إذن أصبح واضحاً انه ضعيف في المعتقدة التي يمتلكها .

فالإنسان في الأعم الأغلب إذا غفل لحظة عن حضور الحق تعالى فلا شك بأنه سيكون عرضة للمعاشي إلا إذا تراءى له الخوف أو لم يغفل عن وجود المولى تبارك وتعالى ، « ولمن خاف مقام ربِّه جهان »^(١) ، فالإنسان الجريء^(٢) ليس بمؤمن فهو ملوث بالذنوب والمعاشي لأنَّه لا يخافُ عذابَ الله جلت عظمته ، إنه في الواقع لا يرى نفسه مسؤولاً أمام ما يعمَّل من اعمال .

فأمِّر المؤمنين (ع) يقول أن أحد شعب الصبر هو الخوف ، فإذا ما حصل الخوف تحقق الصبر ، فكل خطيئة أو معصية هي نتيجة حتمية لفقدان الصبر ، وعدم صبرنا هو لأنَّنا لا نخافُ وإلا من المستحيل أن نخافَ ولا نصبر .

فمثلاً لو جاءَ خبرُ أنَّ اليوم سوف ينزل إلى الشارع جواسيس أمانة العاصمة لإحصاء الباعة المتجولين والتعرف عليهم لاستحصال أموالٍ منهم بسبب مخالفتهم لقانون الدولة التجاري سواء البيع بسعر أعلى من المألوف أو الاحتكار لبعض المواد الضرورية ، فسوف ترى الباعة الذين ذكرنا يضطربون أو يتوقفون عن العمل خوفاً من عقوبة المخالفه .

أما وعيوناً من جوار حكم كما قال الإمام علي (ع) فهي أقرب إلينا من جواسيس أمانة العاصمة ، فالجوارح رقباء الله على الإنسان ، العين ، الجلد ، اليد ، الرجل وغيرها كل أولئك رقباء يحصون علينا انفاسنا وما نعطي وما نأخذ

(١) سورة الرحمن ، الآية ٤٦ .

(٢) أي الجريء أمام الله - لا مطلقاً - فإنَّ الإنسان عبد الله ، والمناسب لمقام العبودية عدم الجرأة ، بل الخوف والوجل .

ويندمون شهادة عند الله غداً يوم القيمة .

من أجلِ ان نخافُ علينا أن نعرف أن الجوارح رباء ومن أجلِ الحفاظ على صدق اعمالنا ؛ ﴿ وَانْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كَرَامًا كَاتِبِينَ ﴾^(١) ان يحصون علينا جزئيات الأعمال ويتذمرون ليومٍ تشخص في الأبصار ؛ ﴿ لَا يُفَادِرْ صَفِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾^(٢) وفي الحقيقة انها احدي المشاكل التي طالما يقع فيها الإنسان فمن يقدر على ان يسيطر على لسانه من الرجال ؟ ! فكيف بالنساء ؟ ! شيء واحد يمكنهم من السيطرة على مستهم هو الخوف من عذاب الله ، فعدم ممارسة المعصية خوفاً من الله يسهل على الإنسان عملية الخروج من الدنيا بدون معاشر تذكر .

قيل للشيخ الشوشتري انك تخوف الناس كثيراً من أحوال يوم القيمة فأجاب : ومن هذا الذي يخاف على الرُّغم أن العين حين تتحرّك تضيّط وتبت ما شاهدت وفي الآخرة تكون عليك شاهداً عادلاً ؛ ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تَخْفِي الصُّدُورُ ﴾^(٣) فإذا أردتم أن تكونوا مؤمنين حقيقين اعملوا شيئاً لكي تخافوا وليتناضل الخوف في قلوبكم والإيمان هذا ، اساسُ الصبر واساسُ الصبر الخوف ، لا تمارسو المعاصي من أجلِ أن يستحقّم إيمانكم ؛ فالإيمان والصبر والخوف سلسلة متراقبة بعضها بالبعض الآخر فالشخص الذي يخاف ويخشى من محكمة العدل الإلهي عليه أن يعلم أن أساس ميزان العدل الإلهي والمحكمة الربانية هو احضاره ومحاسبته على كلِ عملٍ قام به سائلته عن عقائده وعن هذه الأعمال التي قام بها .

(١) سورة الانفطار ، الآية ١٠ - ١١ .

(٢) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٣) سورة غافر ، الآية ١٩ .

القول والفعل شاهد على الأمان والرجاء :

لقد جاء في حكاية في وسائل الشيعة - باب القذف - أن الإمام الصادق (ع) كان له رفيق ملازم له ، وفي يوم من الأيام عزما على المسير إلى مكان ما ، فنادى رفيق الإمام له على غلامه فلم يُجبه فناداه ثانيةً ولكن لم يسمع أي جواب وفي المرة الثالثة صاح باعلى صوته أين أنت يا ابن الفاعلة ؟ فرفع الإمام يده وضرب بها جبهته وقال له (ع) أين ورُعْك وتقواك ؟ يا من تدعى الإيمان والتبعة لأهل بيته محمد (ص) لقد فتحت عليك فمًا فاجاب الرفيق : سيدى إن هذا الغلام هندي من السند وأمه مشركة تبعد الأصنام وما نسبت كلامي هذا إلا إلى مشركة فليس في الأمر شيء على ما اعتقادك ؛ فاجابه الإمام (ع) : « لكل قوم نكاح » فلا يجوز سبها وإنسب الزنا إليها حتى ولو كانت كافرة فكل قوم لهم نكاح ويفسح لهم يعرفون ابن الحلال من ابن الحرام والآن أقول لك : إن لهذه المرأة السنديدة الحق في أن تشتكيك معرضة عليك باتهامها وقدفها بما ليس فيها ؛ وبعد ذلك قال الإمام (ع) : هذا فراق بيني وبينك ، إن جعفر بن محمد (ع) لا يصحب هكذا شيعي وحتى آخر عمره الشريف لم يُكلم الإمام (ع) هذا الشخص^(١) ، إن هذا الشيعي كان مؤمناً في بداية الأمر ولكن الإيمان فارق قلبه لأنَّه لم يكن في قلبه خوفٌ من عذاب الله ، نعم لقد كان مستوراً بستار ، ولكن لسانه أزاح هذا الستار بواسطة لسانه الذي انتهك

(١) عدم كلام الإمام (ع) لهذا الرفيق بعد هذه الحادثة ، لا يناسب أخلاقهم (ع) فالمسألة منه (عليه السلام) - أي مقاطعة هذا الرفيق - لعلها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والذي أوجب منه (ع) مقاطعته إنما لشدة حرصهم (ع) على أعراض الناس واحتياطهم في ذلك ، ولذا عبر (ع) بأن لكل قوم نكاح ، فليس مجرد الاختلاف في الدين موجباً لهتك الأعراض ورمي الناس بالزنا ، ومن دون مراعاة حدود الله : وروي عن علي (ع) ما مضمونه : « من السهل أن تجد لك صديقاً ، ولكن من الصعب أن تحافظ عليه » .

إذا احتمل شخص ان جاسوساً جلس في المجلس الذي يجلس فيه ومعه آلة للتسجيل ، فكم سيكون حذراً في إنتقاء الكلمات وكم سيكون منضبطاً في التحدث إلى الآخرين ، فيا ايها المسلم الذي ارتضي القرآن نهجاً لمسيرتك الم تقرأ الآية الشريفة التي تقول : « إنا كنا نستخْ ما كتم تعلمون »^(١) .

ليعلم الإنسان أن تمام أعماله محفوظة في نسخة أخرى في سجلات عالم الملائكة وليس في عالم المادة الضيق ، فلذا ينبغي للإنسان أن يكون منضبطاً في حديثه ولا يغفل عن الاسترسال ابداً لأن هناك من يضبط ويُحصي عليه كلامه كله من ملائكة وحواس وجوارح ناهيك عن الواحد الأحد .

من لم يخف فلا إيمان له :

وبناءً على هذا فإنَّ الفضلاء يسعون دائمًا لكي لا يقلُّ خروفهم من الله تبارك وتعالى ، فنحن لا نعرف أحداً أسمى من خاتم الأنبياء محمد (ص) فهو الذي قال لابن مسعود إقرأ لي ما تيسر من القرآن ؛ فقرأ : « فلشنل الذين أرسل إليهم ولشنل المرسلين »^(٢) فجرى الدم من عيني رسول الله ؛ ونقول للإمامية هل عيَّلتم بما قالوا ؟ فإذا قالوا : لا نعلم بذلك ، فيقال لهم لماذا لم تذهبوا وتعلموا من الأنبياء وكيف كان لكم أن لا تسألوا منهم ؟ !

علي (ع) يقرب وجهه الشريف من تور تلك المرأة العزباء ويقول لنفسه ذُق يا على حرارة النار ، إنك لن تحمل حرارة نار جهنم .

إن المكان المليء بالعقاب لن يدع للبعوضة الضعيفة من قيام إذن علينا أن نُربِّي أنفسنا بشكل يمكّنا من ايجاد الخوف فيها وكما جاء

(١) سورة العجاشية ، الآية ٣٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٦ .

في دعاء كميل : « اجعلني أخافك مخافة المؤمنين » ؛ وان أعلى مراتب الخوف كانت في امير المؤمنين (ع) ؛ هل سمعت أنَّ امير المؤمنين كان يُخشى عليه أم لا ؟ إن الخوف والرهبة اللتان كان يصاب بها امير المؤمنين من الباري جل وعلا يجعل منه خشبة خاوية ممدودة على الأرض .

وانا وانت - وعلى الأقل - لنجعل من اسحاق شهر رمضان حركة لنا ، فتُجري الدموع ، وتنشَّ خوفاً منه تعالى وما لنا لا نفعل ذلك ، هل اتنا لا نخشى من العقبات التي يمكن أن تعرضاً بعد الموت ؟ سلام عليك يا زين العابدين حين تُشَنْ وتُبكي وتقول : « ابكي لظلمة قبري ، ابكي لضيق لحدِي . . . »^(١) .

وقد جاء في الخبر أننا سنرى اشياء رأها من سبقنا إلى هناك حيث يقول امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : « إنَّ أمامكم عقبة كثوداً ومنازل مخوفة » ، وكذلك يقول (ع) : « آه من قلةِ الزاد وطولِ السفر وبعدِ الطريق » وإذا ما قدر لنا أن يكون نصيحتنا كبيرةً من خوف الله وعقابه فإنَّ ذلك سيضرم شعلة في قلوبنا لأن تُنقِّي ونخاف العولى في جميع الامور وبذلك يُستجاب دعاؤنا .

إن الخوف من الحق تعالى ورجاء فضيله توأمان لا يمكن الفصل بينهما فإذا كان الخوف بدون رجاء فالليأس حرام **﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً و كانوا لنا خاسعين ﴾**^(٢) وقد جاء في دعاء أبي حمزة الشمالي ما معناه : « إذا رأيت مولاً ذنبي فزعت ، وإذا رأيت كرمك طمعت » .

الخوف من الله يجعل من اللص عابداً :

حكاية نقلها الإمام الرابع زين العابدين (ع) ذُكرت في أصول الكافي (ما

(١) انظر دعاء (أبو حمزة الشمالي) في مفاتيح الجنان المعرُب : ص ١٩٣ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٩٠ .

حصل في الرواية **نُقلَ بمضمونِ** ، كان في قديم الزمان رجلٌ جمع اسرته من زوجةٍ وابناء واحفاد وأخذ معه وسائل تجارية وسافر بحراً ، وفجأة هاج البحرُ وحطم السفينة وغرق الجميع باستثناء إمرأةٍ علقت بخشبة من أخشاب السفينة المحطمة فجاء بها الموج إلى الساحل ، فوجدت نفسها وحيدة في جزيرة فبدأت تحوم هنا وهناك لتفتفت من ثمار الجزيرة وتسد جوعها ولم يكن عليها من الملابس شيئاً .

وعلى هذه الحال وإذا بفتى لص دفعه حظه إلى هذه الجزيرة فرأى من بعيد إمرأة عارية جميلة فراغه ما شاهد وحسب أنها من الجن ولما اقترب منها وسألها هل أنت من طائفة الجن فأجابت كلا فانا من طائفة البشر فقال وما الذي جاء بك إلى هنا فتقول : كنت واقاربي على ظهر سفينة وغرقت في البحر بعد أن أصابتها الأمواج العنفية وانا الوحيدة التي انجاني الله تعالى بعد ان هيأ لي خشبة تمسكت بها حتى وصلت إلى هنا ، فاطمأن الشاب إلى أنها إنسية فرمى بها إلى الأرض يريد المنكر فاهتر بدنها بشكلٍ إهتز معه الشاب وقال ما الذي جرى فقالت : الخوف من الله ، فانا لم أفعل ذلك في عمري كله ، ان الخوف من الله تبارك وتعالى هزني وارجف بدني فتأثر الشاب ورق لحالها وقال لها : لا ذنب لك ، فانا المذنب والأجردُ بي أنا أخاف من الله تعالى وينبغي لي كذلك أن أهتز وأخجل مما كنت سأقدمُ عليه فبدأ له ان يتركها وحالها وصمم مع نفسه أن يترك كل حرام ، ولكن الماضي ماذا يفعل به ؟ وفي أثناء طريقه إلى قرية قرية التقى بعابد يروم الذهاب أيضاً إلى تلك القرية فتعارفاً فجتمع بينهما الذهاب إلى القرية ولكن الجو كان حاراً جداً والشمس في كبد السماء فقال العابد وهو من مستجابي الدعوة : إنك ترى أن الشمس قد فعلت أثراها بنا فتعال ندعوا الله لأن يُظللنا ؛ فطأطا الشاب رأسه وقال : أنا مذنب ولا يُستجاب دعائي ؛ فقال العابد : ندعوا الله سوية ؛ فأجابه : أنا أقل من أن ادعوا فلا جرأة لدى على فعل ذلك ؛ وفي نهاية الأمر قال العابد : أنا ادعوا وانت قل آمين وهنا

أُسقطَ في يد الفتى فاستجابَ لما قاله العابدُ ؛ وبعد الدعاءِ قال الشابُ بخجلٍ شديدٍ : آمين ؛ فارسلَ الله سحابةً تُظللُهما حتى إذا وصلَ مفرقَ طرِيقٍ يجعلُ منها كلاماً على جدةٍ والى طريقٍ ؛ رأى العابدُ ما يثيرُ الدهشةَ حين رأى السحابة رافقتُ الفتى فعلمَ أنَّ الله بعثَ السحابةَ من أجلِ هذا الفتى فتبَعَه وقالَ له : الم تقلَّ لي بأنَّك مذنبٌ ؟ فقالَ الفتى : نعم قلتُ ذلك فانا لستُ بعابدٍ بل أنا إنسانٌ مذنبٌ ، فقالَ العابدُ : مما لا شَكَ فيَهُ أنَّ السحابةَ كانتَ لأجلِك وظللتَنا ببرِّكَتَكَ فادرَكَ الفتى حينَها أنَّ حيَاءَهُ وتوبيته كانتَ ذا قِيمَةٍ فتلطَّفَ الله عليه بهذه السحابة .

إذا ما كانَ الخوفُ يقينًا فاعلمَ أنَّ الله يستجيبُ دعاءَكَ بعدَ خوفِكَ هذا منه ، فإذا بحثَتَ فقلَّ وانتَ في حالةِ الإنكسارِ والتَّوَسُّلِ : يا الله ، لأنَّ خوفَك الصادقُ واضطربَتْ يَصْبُرُ عليكَ نعمَ الله ويجُرُّكَ إلى نتائجٍ تخفي علىَ الفطينِ من خلالِ استجابةِ الدعاءِ .

عدم تحمل حرارة الدنيا

ينقلُ لنا الصدوقُ في معاني الأخبارِ أنَّ الرسولَ الأكرمَ (ص) رأى شاباً خارجَ المدينةِ عارياً يتقلَّبُ على الأحجارِ التي الهبَّتها حرارةُ الشمسِ فارسلَ إليه الرسولُ (ص) وسألهَ عما كانَ يفعلُ ؟ فأجابَ : أذيقْ نفسي حرارةَ الأرضِ واقولُ لها إذا لم تكوني تحمليني حرارةَ الدنيا فائِنَّ لك تحملُ حرارةَ نارِ جهنم ولهذا عليكَ أن لا تجعلني منكِ وقوداً للنارِ : فالتفتَ الرسولُ (ص) مخاطباً أصحابَه : اطلبوا منَ هذا أن يدعُو لكمَ فانَّ الرجلَ مستجابُ الدعوةِ ، فاطلبوا ذلكَ منه فرفعَ يديه إلى السماءِ وقالَ : « اللهم اجمعْ أمرَهم علىَ الهدى واجعلْ زادَهم التقوى » .

« الشّفّاق »

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سِبْحَانَكَ خَالِقَأَ وَمَعْبُودًا عَلَى حَسْنِ بِلَاثِكَ فِي خَلْقِكَ ،
خَلَقْتَ دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَادِيَّةً وَمَشْرِبًا وَمَطْعَمًا وَقَصْوَرًا
وَأَزْوَاجًا وَأَنْهَارًا وَأَرْسَلْتَ الدَّاعِي إِلَيْهَا فَلَا الدَّاعِي أَجَابَهَا
وَلَا فِيمَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقَوْا أَقْبَلُوا عَلَى جِفْنَةٍ قَدْ افْتَضَحُوا
بِأَكْلِهَا . . .

نَهْجُ الْبَلَاغَةِ

أَتَيْتُ عَرْيَانًا وَتَذَهَّبَ كَذَلِكَ :

لَقَدْ جَئْتُ إِلَى الدُّنْيَا عَرْيَانًا تَنْقِلْبُ عَلَى أَيْدِي أَسْرَتِكَ يَضْعُوكَ فِي الْمَهِيدِ
وَيَجْفَفُوكَ وَمَلَبِسَكَ ، عَزِيزًا كُنْتَ مِنْ قَبْلِ وَالْدِيْكِ وَكَانُوا دَائِمًا يَسْعُونَ لَأَنْ
يَحْفَظُوكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ ؛ بَعْدَ ذَلِكَ تَلْطَفَ اللّٰهُ عَلَيْكَ وَكُبُرُتْ وَحْبَاكَ عِيَالًا
وَأَوْلَادًا وَدَارًا وَمَعِيشَةً : وَعَلَى آخِرِ عُمُرِكَ تَنَاقَلْتُكَ الْأَيْدِي لِيُعَرُّوكَ ثَانِيَّةً مُثْلِمًا
كُنْتَ ابْتَدَاءً ، فَإِذَا مَا كُنْتَ مِنَ السَّاَثِرِينَ عَلَى نَهْجِ مُحَمَّدٍ (ص) الدَّاعِي الْإِلَهِي ،
وَبَعْدَهَا طَلَبَتَ إِلَى حَيَاةٍ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَلِمْتَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَدْ انْتَهَتْ
وَاصْبَحَتْ بَعِيدًا مِنَ الْمَالِ وَالْأَهْلِ حِينَهَا يَعْرُونَكَ وَيَنْزِلُونَكَ مَهْدَكَ الْجَدِيدِ وَهُوَ

القبر ، فإذا كان لك شيء في حياة ما بعد الموت فإن بناء ذلك كان بيديك ﴿ وما تقدموا لأنفسكم من خيرٍ تجدهوه عند الله ﴾^(١) .

ولا تتصور أن لك في البرزخ مقام معين هيئه لك ، بل ان المقام والمنزل الذي تروم هو ما صنعته يداك وما عملته أنت تجده أمامك حاضر البناء ، فقد تكون قد بنيت داراً لعدة أمغار ، أو قد تكون دارك على مذ البصر لا نهاية لحدودها ﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق ﴾^(٢) وقد يسعفك الحظ فتكون دارك متاخمةً لحدود دار المصطفى محمد (ص) ولكن عليك أن تعلم إن العطاء لا يُباع بالمجان فما صنعت هنا من خيرات ومبررات وانفاق مالي وبدني واعتنت ضعيفاً كل هذا هي لبناءك ، فإذا ما أعطيت مكاناً في بيتك لمسكين أو اشتريت داراً لغير فإن ذلك لن يذهب سدى وإنما ساهمت في بناء دارك أنت .

اعمل عملاً ينفعك بعد الموت :

علي (ع) ذكر عدة جمل في خطبته المباركة التي يقول فيها : سبحانك خالقاً ومبوداً على حسن بلايتك في خلقك ، خلقت داراً وجعلت فيها مأدبة ومشرياً ومعطماً وقصوراً وأزواجهاً وانهاراً وارسلت الداعي إليها ، ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ﴾^(٣) ، فلا الداعي أجابوا ولا فيما شوّقت إليه اشتاقوا أقبلوا على جيفة قد افتصحوا بأكلها

إذا ما كنت انساناً بطبع الكأس فان حجارة الأجل الفخارية ستحطم هذا الكأس .

عليك أن تتعلق بما وراء هذه الدنيا ان تتعلق بالخير والود والرحمة ان

(١) سورة المزمل ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية ٩٦ .

(٣) سورة البقرة ، الآية ٣٥ .

تعلق بمكان لا موت بعده ولا زوال ، فيه بهجة ولا غم ولا هم ابداً ، عزة بغير ذلة ، سلطان بغير عزل ، مكان فيه كل الخير ، واما من جهة النعمة فعليك ان تزيد في إنعامك على الآخرين ليزيد الله عليك « ولدينا مزيد » .

بالهمة العالية كن طالباً للجنة :

نذكر اليوم آثار الإيمان إنتماماً لما عرضنا في الأيام الماضية مما لا شك فيه أن هكذا دعوة عظيمة تستلزم همة عالية تبعث على خلع زخارف الدنيا وزبرجها من القلب ، وتوجيه هذا القلب إلى عالم الغيب ، عالم ما وراء المادة ؛ ان اغلب البشر لم يتمكن من أن يؤمن بالغيب لأنّه صغير ومشتت كل حواسه منحصرة في ما يرى وفيما يحس ، فالغريرة الحيوانية متصلة فيه .

من البدائي ان كل فرد يروم السمو لما وراء المادة ، ولكن ليس كل فرد يعقد صفة مع الله تبارك وتعالى ؛ فبشرى لذلك الفرد الذي آمن بالله وعقد صفة معه تعالى ، فإن الله يُشّيه على ذلك باعطائه السمو الإلهي والهيبة والاحلال ، وبشكل اجمالي يمكن القول أن كل شخص قبل الإيمان كان متشوقاً للجنة ، ومتشوقاً لأن يحيا حياة أخرى يصلح معها حاله ، (ان اغلب خلق الله لا يؤمن بالجنة) .

فإذا ما كان الإنسان متيناً بالحياة بعد الموت فاعلم ان هذا هو الإنسان المؤمن ، وكل إنسان ترأه منذ الصباح وحتى المساء غارقاً في هم وغم الحياة الدنيا فاعلم أن لا إيمان لهذا الشخص .

إن كل شخص لم يتعرف على الإيمان ولم يرافق الإيمان مسيرته الحياتية فهو غريب في الحياة الآخرة ، على عكس ذلك الشخص المؤمن الذي ذهب إلى الآخرة برفقة نور الإيمان فذلك هو الذي تنتظره الملائكة وتبشره بالجنة التي وعده الله بها . « تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا

بالجنة التي كتم توعدهن ^{١١}). انهم أي الملائكة يشرون الإنسان بالجنة لذا ينبعى للعقل أن يلتفت ويتبه إلى فناء الدنيا ويكون من طلاب الآخرة .

فبكفيفك يمكن شرب الماء
إذا لم يكن هناك قدح من ذهب
فاجعل من اصابعك مشطاً لها
إذا عدلت مشط العاج لترتيب لحيتك
فكل ما ترى لا بد وأن له مماثل
وذاك الذي لا تجد مماثلاً له
وهو عمرك العزيز فاغتنمه يا فطن

وخلاصة القول : أن المعدة تُملأ بشيء من الغذاء وعندما تمتلىء المعدة
فلا فرق يذكر سواء كانت قد ملئت بخبز لوحده أو ملئت بما لذّ وطاب ولكن
المقصية هي ما بعد الموت ، هناك ماذا يحدث ؟ فهل هناك مماثل ؟ اصلاح الله
حالنا في تلك الحياة ، وليس مهمًا هذه الحياة الدنيا ، بل المهم الحياة
الآخرة ، ولا يقول لك أحد إجلس في بيتك ولا تسع من أجل المعيشة في
الحياة الدنيا ولكن يقال انتبه لحالك فلا تأخذ الدنيا منك كل تفكيرك وإذا
اتفق أن واجهت مشكلة في عمل أو ضرراً في تجارة فلا يجدر بك أن تُصاب
بالاحباط ، فالحزن على مال الحياة الدنيا قضية غير منطقية .

لقد قلت مراراً أن الزهد في الحياة الدنيا يجر إلى تلاشي الحزن عليها .
فإذا ما تيقنت أنك في العيد القريب ستلتقي رسول الله (ص) حينها لا يهم
حضورك عرياناً أو عليك من الملابس أفحراها ؛ فالإيمان يلزمه قليلاً من الفكر
في « الحاقة ما الحاقة » ^{١٢} ليعرف الإنسان أن الحياة الحقيقة هي بعد الموت
وما تراه هنا هي الحياة الحيوانية أو حياة الغرائز ويمكن أن نقول أنها حياة
محدودة غير ممدودة ، فعليه ينبعى لنا أن نُعد أنفسنا لما بعد الموت ؛ وأقول هـ
إذا لم يكن في زاوية من زوايا دارك بساطاً فحتماً سوف تفكر ملياً في ان تعمـ

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٠ .

(٢) سورة الحاقة ، الآيات ١ و ٢ .

على فريشه ، فهل فكرت يوماً في فراشِ عالم البرزخ فإذا ما أردت ذلك
بالعملِ الصالح ؛ وبدونه لا تحصل على شيءٍ من ذلك ، فتأمل قليلاً في
القضية بشكلٍ اجمالي فعندما تضرُّ بك الدنيا تزعج كثيراً لهذاضرر ، أما إذا
أصاب دينك ضررٌ فلا يبدو عليك أيُّ ازعاج ، وإذا ما تحدثَ شخصٌ في
غيابك ذاماً ، فإنك تُقيم الدنيا وتقعدها أما إذا مارستَ أنتَ الغيبة بحق الآخرين
غالباً في ذلك الضرر على دينك فلا يُرى منك الخوف والتردد في هكذا عمل .

حديث مذهب بهرام الزرادشتى :

لقد جاء في تفسير روح البيان ما مضمونه : كان في خراسان جارٌ
زرادشتى للشيخ أحمد حربى يُدعى بهرام ، وكان الإثنان لا يتزاوران مطلقاً
للاختلاف بين مذهبهما وفي أحد الأيام قيل للشيخ أن جارك الزرادشتى خبر
ماله بطريق التعامل مع لصٍ ذهب بماله ولم يُبَتِّ على شيءٍ منه ، فاقتُرخ على
الشيخ مواساةً جاره لما للجار من حقٍ ؛ وان اختلاف المذاهب لن يُسقط حقَّ
الجيرة .

ذهبَ الشَّيخُ وعدةً اشخاصاً إلى منزِلِ بهرام ، وعندَ دخُولِ هذه
المجموعة من المسلمين بدأَتْ عليه الحيرةُ والذهولُ وأسقطَ في يده وتصوَّرَ أنَّ
الشيخ يطلب الطعام فذهبَ يهويَ لوازمَ الوليمةِ فقالَ لهُ الشَّيخُ : جئناكَ فقطَ من
أجلِ تطهير خاطركَ لِمَا سمعنا أنَّ أموالكَ قد ضاعتَ من يدكَ وأنها لمصيبةٍ .

وفي الحقيقة بدر من الزرادشتى جواب لم يكن ليتوقع منه حين قال : أيُّ
مصلحةٍ فإنَّ الله العظيم حباني ثلاثةٌ ينعمُ كان من المفروض عليكم أن تباركوا لي
عليها وهي : أن ربَ العالمين اعطاني العفة فلم اسرق أبداً ، ولم آكل مالَ أحدٍ
بل ان اللصُّ هو الذي أخذَ مالِي ، وكم على المظلوم أن يشكِّرَ المولى حين لا
يكونُ شاكِياً من خلالِ أنيَنِ أو إظهارِ ما يشأُ ذلك ، بل ان الظالمُ هو الذي يشنَّ
مما جنتْ عليه يداه ، ولنعلمُ هذا اللصُّ أنَّ الذي ذهبَ به سيعوَّضُه الله

للمظلوم بشيء أحسن وأفضل فلذا كان على أن أشكر الله الذي ساعدني في عدم أكل مال حرام وجعلني من المظلومين وليس من الظالمين .

النعمة الثانية هي : أن كل الذي اعطاني الله لم يذهب مني فأنا لا أزال امتلك داراً تُظلي ، فيها كل مستلزمات الراحة . وهل أن الإنسان ينبغي له أن يرى كل ما يفقد من خلال عالمه الذي اعلم جيداً أن اشياء كثيرة لي ولكنني لا أراها ؟ مثلي مثل ذلك الشخص الفقير الذي لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ودائماً هو في اضطراب ملازم فياته ملك في منامه ويقول له : كم تدفع من الأموال اذا فقدت بصرك فيقول : أنا على استعداد لأن أدفع الف دينار ذهبية لمعالجة عيني ، فيسأل الملك مرة أخرى وإذا ما اتفق ان فقدت سمعك فماذا تدفع من الأموال في سبيل ان تسترد سمعك فيجيب : أدفع كذلك عشرة آلاف دينار وهذا يسأل الملك حتى يصل مع الفقير إلى عشرة اعضاء وبعدها يقول للقديس يا عبد الله إنك على استعداد لأن تدفع مئة الف من الدنانير الذهبية في مقابل سلامتك وفي وقتنا هذا فإنك الآن سالم ولا ينقصك شيء ولم تتحمل الأمان من أجل علاج ولا اخراج لأموال فاتقى الله في ما وراء هذه الدنيا ﴿ فاذكروا آلاء الله ﴾^(١) ؛ فإذا ما مات ولد لك فانظر إلى حفظ الله لك وامكانية شدك لمعناعك لو كنت تروم السفر .

والنعمة الثالثة والتي هي شاهد كلامي فهي الحمد لله الذي جاتني المصيبة بمعالي وليس بدني .

وهنا قال الشيخ : يا زرادشتي هذا الذي تقوله هو عين الإسلام وهذا الفهم يحتاج إلى عقل ناضج ، ومن الخسارة وأنت في هذا الفهم والأدراك وتبعد النار ، فاعتذر المسكين بتابعه الآباء والأجداد في هذه العبادة وقال : في

(١) سورة الأعراف ، الآية ٦٩ .

الحقيقة أتنا نعبدُ ونخلصُ لهذه النار حتى لا تحرقنا جداً ، إضافةً إلى ذلك فإنَّ النار تُعتبرُ عنصراً مهماً في عالمِ العناصر من حيث تربيتها للاشياء ناهيك عن حاجة الجميع لها .

فقال الشيخ : إن النار لا شعور لها وهي ضعيفة إذ يكفي لاخمادها كفَّ واحدة من الماء أو التراب ومن هنا نعرف أن لا قدرة لها ، ودليلي على أنها لا شعور لها ، فأننا الذي لم اعبدُها يوماً واحداً في عمري ، وانت الذي عبدها سنتين طوال ، تحرق ايدينا نحن الاثنان فain شعورها إذن على الرغم من أنك تقدسها ؛ وبهذه الطرق تمكن الشيخ من ان يوضح لبهرام الحق على طريق نقض تقليده الاعمى لأبائه واجداده ويضربُ كُلَّ عقائده في النار عرض الحائط ، بعدها بدأ الزرادشتي بعدهَ اسئلتهُ والشيخ يجيب عليها طبق المنطق ويفند ما لدى بهرام من أفكار متخلفة ويصل الأمرُ في ختامه إلى ان يشهدَ بهرام الشهادتين ليُصبحَ من المسلمين ؛ بعد هذا كُلُّه بكت الشيخ مما أثار دهشة الحاضرين فسألوه عن علَّة ذلك فقال : ان الزرادشتي وبعد سنتين نجا مما كان عليه وأمن بالله وبالرسول (ص) ، أما أنا المسكين لا أعرف عاقبة إيماني فهل أبقى على ما أنا عليه من إيمانٍ لأذهب به هكذا إلى الحياة الأخرى ، أو يقلَّ وتلك الطامةُ الكبرى .

ممارسة العداء والحسد نتيجة لإنعدام الإيمان :

إن الإيمان بالله ويومِ الجزاء ليست مسألة تجري على اللسان فقط بل هي علاقة قلبية وتقبل ل يوم القيمة وجوار آل محمد (ص) وهذا هو المهم في الأمر ؛ ومن علامات الإيمان هو عدم إعطاء أهمية لزيادة أو نقصان المعيشة ، فالاواعي التي عليها المسلمون اليوم هي نتيجة لضعف الإيمان ، فقد أصبحت الحياة لدى البعض مهمة من خلال ما يمارسونه من سوء الظن ، العداوة والحسد ، ومن هنا أصبحت الحياة الآخرة بالنسبة لهم موهومة ؛ وكذا المسائل

الاجتماعية التي يمكن أن تؤدي إلى الألفة والتراحم هي الأخرى أصبحت وهما بالنسبة للبعض كصلة الرحم ، وحق الجار ، والكلمة الطيبة وغيرها ؛ إذ كان من المفترض أن يترحم البعض على الآخرين ذاكرين الله تبارك وتعالى ومتذكرين انهم أمة واحدة أمة محمد (ص) وشيعة علي (ع) ، فالمحب لعلي (ع) يأمل أن يجتمع الجميع عند حوض الكوثر وفي جوار علي (ع) ، فإذا ما كان الإيمان راسخاً عند شخصٍ لا يتمنى له إلا أن يرى أصل الحياة الدينية صغيراً عنده بسلك إجمالي ، وحين ذلك لا يلتفت أبداً للأوهام والخيالات التي يمكن أن تُستحدث من حبّ الدنيا الفانية .

ولقد جاء في الخبر أن الإمام الباقر (ع) أنه قال ما مضمونه :

« إذا ظهرَ القائم مَنَا وَضَعَ اللَّهُ يَدَهُ عَلَى رُؤُسِ الْعَبَادِ فَتَكَمَّلُ بِهَا عَوْلَاهُمْ » . وعندما تكمل العقول يتلاشى الحقد والبخل والحسد وحينها يفهم الناس أنهم ضيوف لرب واحد في هذا العالم فلا كذب ولا افتراء ولا سرقة ولا ربا وفي ذلك يعلم الناس أن كل الأموال عارية وكذا الأرواح وقابلة للاستزداد .

إن المال هو مال الله وحده ﴿ لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(١) ، ﴿ وَهُوَ مَرِثَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٢) ، ﴿ لَهُ مَلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) ، ﴿ وَمَا بَعْدَكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ . . . ﴾^(٤) .

فالطفل الذي لا عقل له لن يُصدق هذه المعاني أما العاقل وهو الكبير فهو يدرك جيداً معانٍ هذه الآيات ويتأمل أن يأتي ذلك اليوم الذي يخرج فيه ذلك

(١) سورة المائدة ، الآية ١٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٨٠ .

(٣) سورة التوبه ، الآية ١١٦ .

(٤) سورة التحريم ، الآية ٥٣ .

السيدُ الذي يدفع بالعقل إلى مراحل اسمى وارقى من الفهم والادراك . « أين جامع الكلم على التقوى . . . أين المنصور على من اعتدى عليه وافتري ، أين المضطرب الذي يحاب إذا دعا »^(١) .

فكلّ الامور ترنو إلى الصفاء والمحبة في داخل الدار وفي خارجه فالناس جميعاً كانوا أقرب واحباب ، واضعين حبّ الذات وتزكية النفس الأمارة بالسوء على جانب وذلك حين يطلع عليهم من اكتمال عقله ليصل بالعقل إلى كمالها ويصل بالناس إلى حالة لو أن شخصاً كان عنده من الذهب لدعا بال المسلمين قائلاً : أيها المسلمين أنا فلان وعلّي زكاة فكل شخص يرى في نفسه أنه محتاج فليأتي إلى فلا يأتيه شخص واحد ، لأن الجميع ذو عقول راشدة ومكتملة « من أجل ماذا يأتون من أجل حجر اسمه الذهب » فالحكم للعقل .

أما على حالنا الحاضر فالناس لا تدرك هذه المعاني ولكنهم حال الظهور تبرّ العقول إلى وضعها الطبيعي فالذى يمتلك خبز ليلته لا يحثّ له إظهار فقره وسؤال الناس عما في أيديهم .

فعلى زماننا هذا نرى الملائين من يتأوهون ويتثون ويستدركون العطف والشفقة في سبيل درهم أو دينار ، فالمستجدون والمسؤولون هم نتيجة للحرص والولع في حبّ المال طالبين زيادة أموالهم بمعاملات القروض سارحين في أفكار وخيالات تجعلُ منهم مضطربين كثييرين .

عليكم بالدعاء دائمًا لظهور إمام العصر والزمان (عج) من أجل كسب الآخرة وليس كسب الدنيا الفانية ، فمن أي جهة نظر الآن نرى الجهل والشهوة هي الحاكمة ولكن ادعوا الله لأن يأتي بمن يرفع من مستوى العقول فتللاش الشهوات ويبعد عنّا الجهل .

(١) دعاء الندب في مفاتيح الجنان المعرف - لعباس القمي - دار احياء التراث بيروت ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

إلهي ، متى يأتي هذا السيدُ الذي لو نظرَ الإنسانُ إلى زمانِه لما رأى غيرَ
السلمِ والمحبةِ والصفاءِ « اللهم عجل فرجه ، اللهم سهل مخرجه » .

على أية حال ان موضوعنا هذا لا يختص بزمان الظهور ، فالآن يمكن
للإنسان أن يمدد يده إلى السماء ويطلب الإيمان ، العقل ، الدنيا والآخرة ،
يا ابن العسكري تلطف علينا وضع يدك على رؤوسنا مثلما سوف تلطف
بوضع يدك على رؤوس العباد فتكمِّل بها عقولهم .

عليك أخي المسلم أن تؤمن بشدة وتفكر بامكان من أجل إزاحة حبَّ
الدنيا من نفسك راضياً لها حبَّ الآخرة دافعاً الجهل ومستجلاً العلم والكمال
« أَسأَلُكَ إيمانًا تُبَشِّرُ بِهِ قلبي »^(١) ، فالإمام سبب في حصول الفيض الإلهي ،
فأجعل من الحجة إِبْنَ الْحَسْنِ سبباً في أن يفيض الله عليك من لطفه ورحمته .

لقد جاء في أصول الكافي ما يضمونه : « يأتي عليكم زمان يخرج
الرجل في الصباح من منزله إلى عمله بإيمان ليرجع في المساء إليه وقد خلى
قلبه من الإيمان » ؛ يا ابن العسكري :

يا من إذا نظر إلى التراب صار ذهباً فهل لك أن تلطف علينا بنظرة
يا ابن الحسن : نور قلوبنا المظلمة بنظرة لطيف منك ليصير هذا القلب
مطمئناً بعدهما كان يعيش الشكوك والوسوس ؛ يا ابن الحسن : اخرج علينا
بنورك الذي يُبدِّل حيرتنا بأمن واستقرار .

الإشفاق (الخوف) :

إن الله جعل الإيمان على دعائم أربع : على الصبر واليقين والعدل

(١) من دعاء (أبو حمزة الشمالي) في مفاتيح الجنان المعرف - لعباس القمي - دار احياء
التراث بيروت - ص ١٩٨ .

والجهاد ، والصبر على أربع شعب : على الشوق والشفقة والزهد والترقب .
 فالاشفاق هنا يعني : الخوف والرجلاء ، فأهل الدنيا يسعون دائماً وراء
 المال والمقام ولكن المؤمن يسعى دائماً وراء عمل الخير ؛ إذن فالكل يسعون
 «لكل باب من الخير له يدٌ قارعه » كما ورد في نهج البلاغة .

الأمل بدون عمل كالأرض بلا زراعة :

اليوم كذلك على ان اكرر هذه الجملة وهي : أن الغرور غير الرجاء ، فالرجاء يعني الأمل ، وإذا ما قيل ان الشخص الفلاني لا يخاف ابداً من العذاب الإلهي فيقول البعض ان فلاناً يمتلك من الرجاء أسماء وهذا هو عين الخطأ لأن صاحب الرجاء هو ذلك الشخص الذي يشترق إلى وجه الله مثله مثل الزارع الذي يبذُر البذور باشتياق إلى الحاصل .

فإذا لم يذر الفلاح شيئاً ويقول أنا في انتظار نتيجة طيبة لبدرى ونقول له : أنت لم تزرع ولم تبذُر شيئاً فعلام انتظارك وماذا تأمل من بدرك ؟

يُقال : كلَّ ما يكون للآخرين على يوم القيمة يكون لنا ، ويُقال كلَّ شخصٍ زرع يرى ثمار زرعه ، نعم ، أنت كذلك إذا ما كنت من أهل العلم والقوى وكان عملُك اشتياقاً لأن ترى رحمة الباري فلن تحملَ ما عمله المغدور ؛ إخاطبُك يا من توانيت في عبادتك وطاعتك ، ويا من كنت بخيلاً في الإنفاق على طريق الله على الرغم من أنك كنت تبذلُ الكثير من اموالك إرضاء لشهواتك ورغباتك ويا من لا يوصلُك عملُك هذا إلا لجهنم حيث لا أمل بعد ذلك في الجنة وهذا هو الغرور وليس الأمل ، فالذى يبذُر حبات الحنظل لا ينبغي له أن يتوقع محصولاً آخر كالبطيخ مثلاً فهذا خلاف العقل .

يا مَنْ تَفَرُّ مِنَ الْمَسْجِدِ جَاهِلًا مَكَانَكَ مَجَالَسَ الْلَّهِ وَاللَّعِبِ هَلْ لَكَ أَنْ تَتَوَقَّعَ مَكَانَكَ فِي الْجَنَّةِ ؟

أَضْمَنْ حَدِيثِي هَذَا بِشَارَةً ، فَقَدْ جَاءَ فِي أَحَدِي الرَّوَايَاتِ أَنَّهُ : يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَعَلَى حَافَّةِ قَبْرِهِ بِنَاءً مَلْكُوتِي يُشَبِّهُ إِلَى حَدِيدِ مَا أَبْنَى مَسَاجِدَ مَمْتَدًا إِلَى الْجَنَّةِ فَيُجُوزُ الْمُؤْمِنَ مَبَاشِرَةً إِلَى الْجَنَّةِ بِدُونِ أَنْ يَقْفَ وَيَرَى صَعَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّ هَذَا الْبَنَاءُ كَانَ مَلَازِمًا لِكَ طِيلَةَ حَيَاكَ .

أَمَا الشَّخْصُ الَّذِي ظَلَّ مَلَازِمًا لِمَرَاكِزِ الْفَحْشَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَيُعَمِّلُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى جَهَنَّمَ مَلِيَّةً بِالْمَصَاعِبِ وَالْمَنْفَصَاتِ ؛ فِيَا إِيَّاهَا إِنَّ مَثَلَكَ كَمَثَلِ الْمَزَارِعِ مَا تَزَرَّعُهُ مِنْ خَيْرٍ تَحْصُدُهُ خَيْرًا وَمَا تَبْذُرُ مِنْ شَرٍّ فَلَيْسَ لَكَ إِلَّا مَا وَعَدْتَ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(١) .

فِيَا مِنْ لَمْ تَرْكَ نَهَجَ (بِزَيْدٍ) عَلَيْهِ الْلَّعْنَةِ ، فَلَا تَتَوَقَّعُ شَفَاعَةَ الْحَسِينِ (ع) وَلَا مَائِدَةَ أَبِي الْفَضْلِ الْعَبَّاسِ ، لَقَدْ سَلَكَتْ سُلُوكَ بِزَيْدِ شَارِبِ الْخَمْرِ لَا عِبْرَ الْقَمَارِ فَلَا تَرْجُو شَفَاعَةَ الْحَسِينِ (ع) وَانْتَ عَلَى حَالِكِ هَذَا مِنَ الْغَرْوَرِ ﴿وَلَا يَغْرِنَكُمْ بِالْغَرْوَرِ﴾^(٢) .

فَلَقَدْ جَاءَ فِي خَبِيرٍ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ (ع) فِي سَفِينَةِ الْبَحَارِ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَكُونَ خَافِقًا رَاجِيًّا وَلَا يَكُونَ خَافِقًا رَاجِيًّا حَتَّى يَكُونَ عَامِلًا لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو » ، فَمَنْ تَرَاهُ يَعْمَلُ الْخَيْرَ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الرَّجَاءِ ، وَكُلُّ مَنْ تَرَاهُ مَتَهَاوِنًا مُمْقَاعِسًا فِي عِبَادَتِهِ فَإِنَّهُ يَائِسٌ وَلَا أَمْلَ لَهُ وَلَا رَجَاءٌ .

وَلَقَدْ جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ مَا مَضْمُونُهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ خَوْفِيْنِ ، خَوْفَ مِنَ الْمَاضِيِّ فَهُوَ لَا يَدْرِي مَاذَا كَانَتْ نَتِيْجَةُ عَمَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَخَوْفَ مِنَ الْأَتِيِّ مِنْ أَنْ يَتَجَرَّأَ عَلَى عَمَلِ الْحَرَامِ فَالاضْطَرَابُ مَلَازِمٌ لِلْإِيمَانِ فَكُلُّ مَنْ عَدَمَهُ فَلِإِيمَانِهِ ضَعِيفٌ أَوْ يَقْارِبُ عَلَى الْعَدَمِ فَإِذَا مَا تَحَقَّقَ الْخَوْفُ فِي النَّفْسِ

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، الآيَةُ ٢٨٦ .

(٢) سُورَةُ لَقَمَانَ ، الآيَةُ ٣٣ .

(٣) سَفِينَةُ الْبَحَارِ ، ج ١ ص ٤٣٢ .

الأدبية تحقق إجتنابُ الكثير من المحرمات .

عبد يُشعُّل النار في أصابعه العشرة :

في حكاية جاءت في احدى الروايات نقلها المجلسي وغيره في كتاب « حياة القلوب » أنه : كان في زمان السلف عبد مشغول بعبادة الباري وحيداً في صومعته ، فطرقت بابه امرأة ساقطة - ونقل البعض افراداً لا دين لهم يرثون تلوث هذا العابد - فقالت المرأة للعبد : أيها العابد إني امرأة ضعيفة وقد تبني عدّة من الفتى يُرثدون الفاحشة فاذن لي بأنّ الجا إلى صومعتك هذه وان لم تفعل ذلك أخذني الفتى بالقوة إلى ما يرثدون ، فقال العابد المسكين إدخلني صومعتي فأنت هنا آمنة ، ولم يمض وقت طويل حتى بدأت المرأة بإظهار محسنها (يحرم شرعاً احتلاء الرجل بالمرأة الأجنبية إذا أحتمل حصول الفساد) واجمالاً ابتلى هذا العابد المسكين وضررت في رأسه شعلة الشهوة فماذا يفعل ؟

وبالهام من الله جلت قدرته فهم أن اطفاء نار الشهوة لا يكون إلا بالخوف ، فأشعل سراجاً له ووضع أصبعه عليه حتى احترق فقال لنفسه أين انت يا نفس من نار غضب الله ، إنك لا تطيقين حرارة هذه النار فكيف لك تحمل نار جهنم التي اشعلها العزيز الجبار ؟ وما أن مرّ وقت على احتراق أصبعه وأحسن بهدوئه ثانية حتى اشتعلت مرة أخرى نار شهوته فوضع أصبعه الثاني على نار السراج ليحرقه ويتذكر نار الجبار تعالى ، وخلاصة الحكاية فقد أحرق العابد أصابعه العشرة حتى الصباح ؛ وعندما فتحت المرأة الباب وخرجت .

إن لحظة واحدة يغفل فيها الإنسان عن الخوف ، تعم الشهوة عملها في نفسه ، فإذا ما حصل الخوف والاضطراب من عذاب الله فإن الباري جلت قدرته سوف يُعين الإنسان على الثبات والصمود في وجه المخاطر والشهوات ، و يجعل منه إنساناً غالباً على الشيطان .

وهذه أيضاً حكاية أخرى انقلها لكم :

سارق الأكفان وأئن جنازة الجار :

جاء في بحار الأنوار وفي حياة القلوب وفي بعض الكتب أنه :

كان في الماضي رجل يعمل سارقاً للأكفان ، يبنش القبور متعمداً لسرقة الأكفان ، وكان لهذا السارق جاراً يعلم باسرار هذا السارق ؛ مرض الجار وأحسن بأنه ميت لا محالة فأرسل إلى سارق الأكفان وقال له : هل رأيت إسامة مني بحقك ؟ فقال : لا ، فقال الجار : لي حاجة عندك فهل لي إليها من سبيل ؛ فقال سارق الأكفان : نعم إليك ذلك ؛ فقال الجار : إنني على علم أنك تأخذ الأكفان ، واسألك أن لا تأخذ كفني حين موتي ، وقد اشتريت كفين أحدهما قيم ، والأخر عادي ؛ وهذا هو القيم أهبه لك على أن تدع لي هذا الكفن العادي ولا تسلبه مني فأبقي عرياناً فخذ إليك هذا الكفن الشمين ، فقال سارق الأكفان : إطمئن فلن أسرق كفتك ولن أخذ هذا الكفن أيضاً !! فقال الجار : أناشدك الله إلا أخذته وإقبل هذه الهدية ، وأصر عليه ، فاضطرب السارق إلى أن يأخذ الكفن الشمين وذهب .

مات الجار وذهب من الدنيا فُودع أمانة في الأرض واقاموا عليه قبراً ؛ وفي الليلة الأولى لدفن الجار قال السارق : لأذهب واسرق كفن جاري الميت ، فإنه سوف لن يفهم ما افعل لأنه ميت ، فذهب إلى قبر جاره وطبق عادته التي اعتاد عليها ذهب ليعري الميت من كفنه وحين ملامسة يده للكفن صدر أئن من الميت وكأنه يقول لا تفعل هذا ، فأشعلت هذه الجملة ناراً في صدر سارق الأكفان فترك ما بيده واقشعر بدنه من خوف الله جلت قدرته ، فخرج من القبر مضطرباً لا يلوي على شيء .

مرض سارق الأكفان من كثرة بكائه وainته من شدة الخوف الذي اضطربت ناره في صدره بعدها فهم أن هذا الخوف قاتله لا محالة ، فأوصى

ولده قائلًا تعبت كثيًراً عليك حتى اوصلتك إلى هذه السنّ وفي مقابل هذا لي طلبَ عندهك وهو أن إذا مُتْ فلا تدفنني ولا تجعل على قبرًا بل إذهب بي إلى الصحراء وأشعل النار في جسدي فإذا ما صرُتْ ترابًا ، اذْمِ بترابي هذا في مكانين بعد أن تجعل منه نصفين ، نصفٌ في البحر ونصفٌ في الصحراء لأنني لا اليقُّ ان أُدفن في مقابر المسلمين من كثرة ذنوبِي وخطاياي .

بديهي أنه كان خائفاً جداً من عاقبة اموره وخجلاً جداً من كثرة المعاشي التي مارسها بحق الموتى ؛ وكلما كان الشخص يشعر بكبرِ الذنب كلما اقترب من رحمة الرحمن الرحيم وفي آخر الحكاية يقال : إن سارق الأكفان مات وعُيَّلَ بوصيته واصبح تراباً تذروه الرياح ولكن الباريُّ الخالق أمر باحيائه ثانية وجاءه النداء الإلهي : أيها العبد ، ما الذي اوصيت به ؟ فقد عمل به فقال : إلهي وسidi ومولاي انت شاهدٌ على أنّي من خوفي وخشبي منك اوصيت أن يعمل بي هكذا فاجعلني في امانك يوم لا أمن إلا امانك ، فجاءه النداء جعلناك في اماناً ؛ وكل شخص يخشى الله ويحافظ ويستحب منه يُدخله الله في امانه فهو الأمان والسلام .

فيا ايها الشخص الذي تخشى من يوم القيمة ومن أول ليلة بعد الموت كن مطمئناً فإنَّ الرحمن الرحيم سوف يجعلك في أمان ، وغرضي هنا من هذا الحديث هو أن مسألة الخوف والرجاء ، من مستلزمات الإيمان .

حقيقة الزهد في آية قرآنية :

شعبتان اخريتان للصبر غير ما ذكرناهما : الزهد والترقب يا من ت يريد أن تصبح من أهل الصبر ، فإذا لم تكن من أهل الخوف والرجاء فلن يتسع لك أن تكون صابراً على المعصية والطاعة ، وإذا لم تكن زاهداً لن يتأنى لك أن ت慈悲 على البلاء فكلُّ فرد زهد في هذه الدنيا كانت مصائبها عنده هينة .

ما هو الزهد في الدنيا ؟ أفضلَ تعبير يمكن أن نأخذُه من على

امير المؤمنين (ع) في تفضيله للزهد حين يقول :

لقد جمعَ الله الرُّهُدَ في جملتين ॥ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكُم ॥^(١) فعندما تصير زاهداً ستُصبح صابراً وتصل إلى مقام عالٍ ففي يوم القيمة لا يحاسب الزاهدون ولا يُنصلب لهم ميزان بل يذهبون إلى الجنة بدون حساب ؛ فالذى تخسره في الدنيا من أعضاء بدنك أو حيَّة أو ماء وجه فلا تأسى عليه ، فكل أعضاء بدنك تصير إلى التُّراب لتأكل منها الحيوانات ، ففي البداية لم تكن شيئاً وفي المستقبل ستُصير إلى تراب . . .

لا تقل لماذا ؟ يا ليتني ويا ليت أجعلها جانبًا ، فكيف ولماذا تنحى جانبًا فالذى حدث ويحدث لك وما سوف تؤول إليه كله تقدير الهي وعین الحكمة والصلاح إذا كنت تفهم ذلك أو لم تفهمه ، إذن من الأفضل أن لا ت تعرض لكي تفوز بالاجر والثواب .

نصائح الإمام الصادق (ع) لسماعة :

سماعة بن مهران أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) أو غيره زار المدينة المنورة وحين وصوله ذهب مباشرة إلى الإمام ، فسأله الإمام (ع) عن أحواله وسأله عن عدم مجئه إلى المدينة منذ زمن ليس بالقصير ، فأجاب وكأنه فتح مائدة لقلبه أمام الإمام (ع) قائلاً : لقد أدارت لي الدنيا ظهرها وقلبت لي ظهر المجن فذهبت بعالي وأضحيت مديناً ، فقد الم بي ضنك العيش من جانب ومطالبة الدائنين لي أتعذبني من جانب آخر ، وحتى سفري هذا إليك فقد تكفل به أحد الأصحاب فقال له الإمام (ع) ما يستفاد منه أنه : إذا صبرت على ما أنت فيه يُشيك الله على صبرك ويعطيك من الأجر حتى تكون موضع غبطة الآخرين في يوم القيمة فلا تجعل من نفسك موضع رحمة الآخرين ، فإن صبرت فسوف

(١) سورة الحديد ، الآية ٤٣ .

يَتَمَنَّوْنَ لَوْ كَانُوا هُمْ عَلَى حَالِكَ هَذَا ، وَإِنْ لَمْ تَصْبِرْ ، فَبَلَى الْمَقْدِرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ
جَارِيَّةٌ وَلَا أَجْرٌ لَكَ وَلَا ثَوَابٌ ؛ فَمَنِ الْأَفْضَلُ أَنْ يَصْبِرَ الْإِنْسَانُ وَيَتَحَمَّلَ فَلَا
يَضْيَعُ بِذَلِكَ وَهُدُّهُ .

إِنَّ مِنَ الْقَابِ الْإِمَامِ الْحَسِينِ (ع) الْزَاهِدٌ ؛ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى السَّيِّدِ الْزَاهِدِ
الْعَابِدِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ وَلِيَ الْمُلْكَ الْمَاجِدِ وَقَتْلِيَ الْكَافِرَ الْجَاهِدِ زَيْنُ الْمَنَابِرِ
وَالْمَسَاجِدِ صَاحِبُ الْمُحْنَةِ وَالْكَرْبَلَاءِ الْمَدْفُونُ بِأَرْضِ كَرْبَلَاءِ مُولَانَا وَمُولَى
الْكَوْنَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَسِينِ الشَّهِيدِ (ع) .

إِلَهِي ، بِحَقِّ الْحَسِينِ (ع) تَفْضُلْ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنَ الزُّهْدِ الْحَسِينِيِّ حَتَّى
نَصُلُّ إِلَى قَلِيلٍ مِنْ صَبْرِهِ وَمِنْ صَبْرِهِ نَصُلُّ إِلَى إِيمَانِهِ حَتَّى نَكُونَ زَاهِدِينَ
صَابِرِينَ وَمُؤْمِنِينَ مُتَرَابِطِينَ فِيمَا بَيْنَا .

اسْتَعْرَضُ عَلَيْكُمْ هُنَا بَعْضُ كَلْمَاتِ الْإِمَامِ الْحَسِينِ (ع) إِلَى اخْتِيَّ
زَيْنَبِ (س) بِنَاءً عَلَى مَا وَجَدَتِهِ فِي الْجَزِءِ الْعَاشِرِ مِنْ بُحَارِ الْأَنْوَارِ حِيثُ يَقُولُ :

« يَا اخْتَاهُ تَعْزِي بِعَزَّاءِ اللَّهِ وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ وَأَهْلَ السَّمَاءِ لَا
يَمُوتُونَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ ، وَلِي وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ اللَّهِ اسْرَةٌ
حَسَنَةٌ »^(١) . وَالْفَقْدُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ وَطَدِي نَفْسِكَ عَلَى قَتْلِي فَالْمُلْمُوتُ مُخْطَوْطٌ
عَلَى جَبَّينِ ابْنِ آدَمَ فَلَا يَنْبَغِي لَكَ إِلَّا أَنْ تَتَحَلَّي بِالصَّبْرِ ، وَالْزُّهْدُ هُوَ عَدُمُ الرَّغْبَةِ
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

الْزُّهْدُ :

طَوْبِي لِلْزَاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ بِسَاطًا وَتَرَابَهَا فَرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالْقُرْآنُ دُثَارًا وَالدُّعَاءُ شَعَارًا .

(١) عبد الرزاق المقرم - قتيل الحسين (ع) دار الكتاب الإسلامي ص ٢١٧ .

العاقل من زهد بالدنيا :

الزهد هو عدم الميل والرغبة قبالة رغبات الدنيا الفانية ويعتبر آخر « عدم اعطاء الأهمية » ، في يوسف (ع) يمكن اعتباره زاهداً في مقابل إخوته أي لم يكن راغباً في زخارف الدنيا وهو الذي بيع بثمن بخسٍ ويقال سبعة عشر درهماً « وشروه بثمن بخسٍ دراهم معدودة »^(١) .

على الإنسان أن يفهم أن دنيا عالم المادة بكل سرورها وفرجها وزخارفها لا أهمية لها ولن تكون شيئاً مهماً في مقابل ما يوجد في الحياة الآخرة إذا ما كان الإنسان عاقلاً زاهداً . فمعنى الزاهد هو ليس ذلك الذي يمكن له أن يعيش وحياناً بدون زوجة أو بدون كنز بل الزاهد هو الذي يحكم عقله بشكل لا يجعل من الحياة الدنيا همةً الأساسي . إن جميع الشكليات والجمالات واللذائذ تفني وكذا العقل وفي نهاية المطاف يقف الإنسان عبداً لا أكثر من ذلك فكل شيء يتغير وكل شيء يفني فلا ينفي للعقل أن يتعلّق بالفاني ؛ وفي حكاية نقلت لنا في تفسير روح البيان إنَّ أحد الحكماء أرسل آنية من البلور الشمين لسلطانه فتعجب السلطان من تلك الآنية وأعجب بها جداً فقال لوزيره : كيف ترى هذه الهدية ؟ فقال الوزير : لا تنفعك ؛ فاغتاظ السلطان من كلام الوزير وقال له : أني لا تتصور إنك لا تمتلك جسماً ذوقياً ، فهذا الإناء الجميل البلوري النادر لا يعجبك !؟

خصص السلطان مكاناً معيناً يوضع فيه الإناء ، وعین شخصاً للحفظ عليه ، وحينما طلب السلطان الإناء ارتعشت يد من يحافظ عليه وسقط على الأرض منكسرًا ؛ وصل الخبر إلى السلطان فكان يومه ذاك عزاءً لما حدث للإناء النادر الشمين وحينها قال الوزير كلمة للسلطان : لقد قلت لك انه لا

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٠ .

ينفعك حتى لا تتعلق به ، لأن المعروف ان هذا الإناء قابل للكسر وحين ينكسر ، ينكسر لذلك قلبك ، فرأيت أنني ينبغي لي أن أخرجك من قلبك فلا يتعلّق به ، وهنا فهم السلطان متزلّه ووزيره العلمية والعقلية .

فالعاقل هو من فهم ان الدنيا فانية منذ البداية فلم يتعلّق قلبه بها ولم يهتم بها منذ اللحظة الأولى لإدراكه الصحيح هذا بل كان تعلّقه وحبّه بعالم البقاء « والذين آمنوا أشد حبّاً لله »^(١) فعليه ينبغي للإنسان أن تكون علاقته بالله جل وعلا ، وينبغي له كذلك ان حبّ الله وفي الله « يا من عليه معاولي »^(٢) ، فلماذا إذن ومنذ البداية يرمي الإنسان بنفسه في علاقي لا تمت بصلة بالباري الحكيم .

لا نقول لك لا تُحب ولذلك ولا تعطف عليه ، بل نقول : عليك ان تُحب الله وشكراً على نعمته ولا تجعل من ابنك ربّاً لك تُحبّه ، بل يجدر ان يكون حبّك له من اجل الله وازهد في الدنيا ولا ترغب بها وانظر إلى عيوبها بعين قلبك .

من الحُسن أن تُخرج الدنيا من قلبك
وليس من الحسن أن تكون حديث الآخرين
و שאضرب لكم مثلاً هنا لتوضيح بعض الحقائق .

كل شراب تُراقه ألف لسعة :

فمثلاً رؤية جمال المرأة الأجنبية يلتصق بها الإنسان للحظة بعدها تجلب عليه هذه النظرة حسرة وإثارة ناهيك عن كون هذه النظرة سهاماً ساماً من سهام أبلیس ، وكذا المال والجاه ، فكلّها أمور تقود الفرد إلى الاختناق والذلة والانجرار وراء المادة والماديات ليس إلا ، كذلك المليون من التقدّم الذي أخذ

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ .

(٢) من دعاء كميل بن زياد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، انظر مفاتيح الجنان المغرب - ص ٦٦ .

عقلك وقلبك واصبحت اسيرة وحارسها على الرغم من انه كان المفروض بك ان تكون خادماً لرب العالمين اضحيت خادماً لمحنة من النقود وعدة أحجار من الطين ، ينبغي لك أن تنظر إلى حقائق الأمور ، فالحقيقة هي أنك تُفني عمرك العزيز وتُنلُّ ذرایه لتذروها الرياح ، بينما كان حريًّا بك أن تنظر إلى ابعد من ذلك فترى آخر أمور الدنيا إلى ما تصير ، وعليك من الآن ان تنظر إلى نفسك وكيف جعلت نفسك متورطاً في حقوق الناس من جراء منصب أو مقام ، فمن الحماقة ان يتحمل الإنسان البليا والمصاعب من أجل أن يقال له رئيس الدولة أو الحاكم الفلاني وما قيمة ذلك على الرغم أنك تعرف انها لذة غير ثابتة بل زائلة .

وقد جاء في الروايات ان أمير المؤمنين علي (ع) وعندما كان في البصرة بعد ان تمت له الغلبة في حرب الجمل أتاه خبرُ بأن علاء بن زياد مريض (بناء على ما ذكر في نهج البلاغة وورد بعض الكتب الأخرى) وكان من اشراف وأعيان البصرة ناهيك عن انه كان من المخلصين والمحبيين لأمير المؤمنين علي (ع) ؛ فعادة الإمام مع بعض اصحابه في بيته فرأى قسراً شاهقاً مجهزاً بكل ما يلزم المرء من خدم وحشم ولوازم .

والجدير بالذكر أن أمير المؤمنين (ع) مع الحق ولا يمكن أن يغره صديق ولا يحيد عن الحق قيد أئملاه ولكنه كان أبداً عطوفاً شفيفاً يحب الخير للناس وبالخصوص لأصحابه .

وفي مضمون حديثه (ع) مخاطباً العلاء بن زياد : « هنا يكفيك من المكان عدة أمتار وحصیر واحد وفراش ولكنك بعد الموت لن يكون لك ما تريده ؛ إنك تتمكن من إضاءة دارك بسراج واحد ولكنك لن تتمكن من إضاءة قبرك بكل ما عندك من سُرُج »⁽¹⁾ ، نعم تستطيع ذلك بنور صلاتك ،

(1) جمع سراج .

وصومك ؛ فالمؤمن يرى حوله نوراً ما بعده نور في القبر ويحيط بوجهه نور كأنه كوكب دري يجعل من القبر المظلم نهاراً ، وهذا النور هو نور ولادة محمد وآل بيت محمد (ص) .

وبتابع أمير المؤمنين علي (ع) حديث للعلامة بن زياد فيقول له : « ما كنت تضيّع بسعة هذه الدار في الدنيا ، وانت اليها في الآخرة كُنْتَ أَحْوَجَ ؟ ويلى إن شئت بلغت بها الآخرة : تَقْرِي فِيهَا الضِّيفَ ، وَتَصِلُّ فِيهَا الرِّجْمَ وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعُهَا ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ » .

ويقصد الإمام بحديثه هذا أنه لقد وسعت دارك من أجل عمر لا يتجاوز الستين أو السبعين سنة على الرغم أنك لا تحتاج إلى هذه السعة ، إذ كان عليك أن توسع دارك التي هي من أجل عمر أبدى ، تلك الدار التي هي في البرزخ لا دار الدنيا الفانية .

وقد جاء في الروايات أن بعض المؤمنين الذين بذلوا الجهد في هذه الدنيا وانفقوا من أموالهم في سبيل الله يكونُ قبرهم على مذ البصر فمهما أرجعت العين هنا وهناك فسترى منازلهم الفارهة فلقد سعوا دائمًا إلى توسيع مكان ومحل ارواحهم في عالم البرزخ .

تلزمك دار وسية في الآخرة :

من الواضح وما لا شك فيه أنك تحتاج إلى إضاعة نور هناك - أي في الآخرة - فالسراج الذي يضمنونه على قبرك لا يضر ولا ينفع فالذى ينفع هناك هو نور ولادة آل محمد (ص) .

فإذا أردت أن لا تكون غريباً بعد الممات فاعمل عملاً صالحًا ، فالاعمال الصالحة والخيرات التي يمكن أن تعملها في الحياة الدنيا تتجسد بشكل نور يضيء لك الدرب فابعث بخيراتك إلى الآخرة لتحصل على النور فهذه الخيرات هي خير أنيس لك في عالم البرزخ ؛ إذا كنت ت يريد أن لا تكون غريباً فلترتبط

مع الحسين وأآل بيت الرسول (ص) وذلك من خلال اتهاج نهجهم فنهجهم وسلوکهم هو الذي يذكرك بالأعمال الخيرة .

وفي رواية عن الرسول (ص) : ان بيوت البعض منهم كالوتى في الجدار ؛ فالمسمار في الجدار لا يأخذ مكاناً كبيراً ، وهذا هو حال بعضهم بعد الموت فمنزله لا يتعدى مكان المسمار في الجدار ؛ فوسع منزلك بخيراتك .

حديث (أبو ذر) عند قبر إيه :

« من زهد في الدنيا هانت عليه المصيّبات » .

إن من كبرى مصيّبات عالم الدنيا هي موْتُ الولد ، ولا اعلم مصيبة أصعب منها ؛ لقد ماتَ ابنُ أبي ذر فكان يبكي عند قبره ويقول : أي بني أنا لا أبكي لأنك مُتْ وذهبَ عنِي بل أبكي لأن الليلة هي أول ليلة قبرك فأين مكانك ؟ وهل أجبت منكراً ونكيراً بما يليق ؟

ينبغي لك أيها المسلم أن تكون مسألة الآخرة مهمة عندك ، وعليك أن تعطيها أهمية خاصة تستدعي أن تكون مثلَ ابنَ ذر ، فلوماتَ ابنَ لك - لا سمع الله - فسأل وتعرف على مدى إيمانه الذي ذهبَ به ، ومع مَنْ سُيُّشر ، ولا يجدرُ بك أن تقول : لقد ذهبَ ولدي من جواري ، وإن مكانه خالي ، ولو كان هنا لكان له قيمة خاصة ، بل عليك أن تعلم أن ابنَك قد ارتأح فينبغي لك أن تشتاقَ أنت أيضاً للقاء وجوه الله العظيم .

لقد قالَ أبو ذر « لقد ذهبَ ولدي عنِي ولكنَّي كُلَّي أَمْلَ لأن اتداركَ ما عندي وأحكَمْ شدَّ رحالِي ، و كنتُ قد طلبتُ من الله أن يسترجع امانته لا تكون معك ولكنه جلتْ قدرُه أمهلني للتوبة والمعفورة وأحكَمْ شدَّ الرحال .

لا أعلم هل أفاقتَ القلوبُ من غفلتها وتبينتَ أين هو الوطنُ الحقيقي ؟
وهل فكرتَ أخي المسلم بوطنيك الأبدي أم لا ؟

احاديث علي (ع) دروس لطلاب الزهد :

كتب أحد المؤرخين أنه : كان المهدى العباسى في بنى العباس كعمر بن عبد العزىز في بنى أمية ، وكان أفضلاً نسباً من سائر خلفاء بنى العباس فقد أمر أن تكتب بعض كلمات من كلام لأمير المؤمنين (ع) وتحمل مع الفرد لكي يستذكراً الآخرة ، فكان شيعة علي (ع) يشترون حين يقرأون هذه الجملة ويقولون : كان ينبغي أن توضع هذه الكلمات نصب أعين الملا : .

« طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة او لشك الذين اتخذوا الأرض بساطاً وترابها فراشاً وماءها طيباً والقرآن دثاراً والدعاء شعاراً . »

فما هو أصل الدنيا حتى يتمسك البعض بجزئياتها ، وهنئاً لذلك الذي عرف الدنيا على أنها حقيقة ولم يتعلّق قلبه بها وعلى العكس من ذلك عرف عظمة وجلال الآخرة فمال لها وتوجه إليها .

كن مع زين العابدين (ع) حين يقول : « ابكي لخروج نفسي أبكي لظلمة قبرى أبكي لضيق لحدى أبكي لسؤال منكِ ونکير إباهى أبكي لخروجي من قبرى » ^(١) .

لي في كلّ ساعة الآن غمّ وهم
لأنّ في انتظاري يوم صعب
اعني الهي في تلك الساعة
وصخّني من غفلي لأنّي عبّدك
في تلك الساعة التي يحضرني فيها الشيطان
احفظ لي إيمانى بنور لطفك

(١) من دعاء أبي حمزة الشعالي في مفاتيح الجنان المعرف ص ١٩٣ .

وَعِنْدَمَا تَصْلُّ الرُّوحُ فِي النَّزَعِ الْأَخْبَرِ
 خَذْ بِيَدِي وَلَا تَنْرَكْهَا بِاَلْهَمِي
 لَأَنَّهُ لَا تَبْقَى فِي رُوحِي مِنْ لِقَاءِكَ فَطْنَةٌ
 فَلَا تَنْسَى رُوحِي مِنْ اسْمِكَ
 إِلَهِي : لَقْدْ قُلْتَ أَنْتَ فِي كِتَابِكَ الْعَزِيزِ ﴿فَإِذَا كُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١) وَهَذَا
 شَهْرُ رَمَضَانَ الْمَبَارَكَ فَتَلَطَّفَ عَلَيْنَا بِحَفْظِ إِيمَانِنَا^(٢) .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٢ .

(٢) لَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَحَاضِرَاتِ تَلْقَى فِي لِيَالِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمَبَارَكِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، فِي
 الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِشِيرَازِ كَانَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - يَخْتَمُ كُلَّ مَحَاضِرَةٍ بِعَضِ الْأَدْعَيْنَ الْقَصَارِ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَمْدُنَ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَّنَا بِهِ إِذَا وَجَأْتَهُمْ زَهْرَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتَهُمْ فِيهِ ﴾^(١)

كنا بقصد شرح كلام لأمير المؤمنين (ع) يقول فيه : جُعل الإيمان على أربع دعائم ، على الصبر واليقين والعدل والجهاد ، فالصبر من ذلك على أربع شعب على الشوق والشفقة والرُّهْد والترقب » لقد سبق وان فصلنا في الشرق والاشراق .

الزهد معناه عدم الرغبة بالدنيا :

إن ثالث شعبية من شعب الصبر هي الزهد ، يعني على المسلمين أن يكونوا زاهدين بالدنيا ، وإذا ما مارسَ الإنسان الزهد صار صابراً في مواجهة المصائب والبلايا والاضطرابات ، وحفظ بذلك رُكناً من أركان إيمانه فلا يعترض على القدير والقضاء الإلهي لأنَّ الاعتراض هذا خلاف الایمان فخلالمة الامر أن الزهد هو عدم الرغبة بالدنيا ، « من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات » ،

(١) سورة طه ، الآية ١٣١ . « ورزق ربك خير وأبقى » .

كما ورد في الأثر .

وكذلك قلنا أن الزهد الإسلامي هو « لكيلا تأسوا على ما فاتكم »^(١) إذ ينبغي للمسلمين أن تكون همهم عاليّة ولا يرون الدنيا إلا داراً للغرور طالبين بذلك القُرْبَ من العرش الإلهي .

يأتيك من طرف العرش صغير - لا أعلم ولا أعرف من أنت أيها الذي وقعت في الفخ ؛ فمعنى الزهد في هذه الآية الشريفة « ولا تمدن عيذك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم »^(٢) فلا ينبغي لك أن تتطلع إلى زخارف الحياة الدنيا ، ولا يجدر بك أن تأخذ هذه الزخارف بقلبك - فالقرآن العظيم حدد لك النهج الواضح بأن لا تنظر إلى القشور وظاهر الأمور ولا تنظر إلى الملبس الجديد والقمash الذي يذهب ببُلُبُ العقول ولا تلتفت إلى ما يقال حيث يقولون : من أي بلد هو هذا القماش ؟ ، وهل تعرف موضة نزلت إلى الأسواق للتّو ؟ ان قلوبهم دائمًا وراء القشور .

وفي مساكنهم ينتظرون وينتظرون إلى الموضات الحديثة وأيّهم هي أو هو الذي يستعرض موضته بشكل أفضل على الآخرين أو يظهرون ويستعرضون أجهزتهم وأدواتهم التي صنعت أخيراً وعلى أنها أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا الحديثة وعلى أنها صنعت في البلد الأجنبي الفلاني .

هذا كلّه خلاف الزهد ، فإذا لم تكن زاهداً لا يتسع لك أن تكون صابراً ، فمصيبة الدنيا ترُّ قدم من لا صبر له وتوصله إلى الإعراض على قضاء الله وقدره ومن ثم الكفر من أعلى الرأس إلى أخمص القدم فيخرج الإنسان من الإسلام .

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة طه ، الآية ١٣١ .

زهارات النعم الدنيوية تذليل بسرعة :

وعلى هذا فمنذ البداية يجدر بك أن لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً^(١) فانظر إلى الزهرة التي قُطفت فهيهات ان تبقى طريةً أبداً بل سرعان ما تذليل وكذا النعم الدنيوية الأخرى من مثل القماش الجديد الجميل والبناء الحديث وزخارف الحياة الأخرى حتى يفني شبابك وتصل إلى المكان المعلوم فتكون حينها قد جعلت من حياتك الأخرى قرباناً لزخارف الحياة الدنيا ؛ واكرر هنا وكما في ما سبق واقول حري بالانسان ان يتعلق ويأنس بالإيمان والقرآن والإسلام والعقل والعلم وإنفاق المال طمعاً في حياة ما بعد الموت ؛ وكما يقول السجاد في صحيفته « حتى يكون الموت مؤنساً الذي نأنس به » .

على الإنسان أن يعمل عملاً يصلُّ به إلى التذكير بالموت والعقبات التي ما بعد الموت ، فكل ما يأتي مريراً فهو تذكير بالموت فينبغي الإستثناس به ، وينحسب سهلاً إذا ما قيس بالموت ؛ فالمؤمن الحقيقي هو من يرغب بالحياة الآخرة ويتضرر الموت بلهفة ليصل إلى العالم الأعلى حيث السعادة الأبدية بدون فناء ولا زوال فإذا ما كان ذكر الموت مؤنساً فذلك دليل على أن العقل والإيمان قد اكتمل .

حديث القائد العربي إلى رستم فرخزاد :

من الجدير بالذكر أن نسرد عليكم حكاية تصبُّ في التربية الإسلامية ؛ ففي الحرب التي دارت بين العرب والفرس والتي مُنِي فيها الفرس بخسارة فادحة تحت قيادة القائد الإيرلناني رستم فرخزاد هذا القائد الذي جمع في بداية الأمر مواداً غذائيةً والآلات حربية لا تحصى ولا تعد وقدم بها إلى منطقة القادسية من أجل العجلولة دون تقدم جحافل المسلمين صوب ايران وفي ليلة المعركة

(١) سورة الحجر ، الآية ٨٨ .

تفقد القائد وحداته العسكرية ثم عرّج على جيوش المسلمين ليري وضعها عن كتب وما عليه من قوة فرأى أن عدد الجيوش الإسلامية قليل بالقياس إلى جيوبه الجحارة ولكنه على الرغم من هذه المقايسة لاحظ أن الرعب يدب في قلبه ، فارسل إلى القائد العربي (زهرة بن عبد الله) وحين مجئه قال القائد الإيراني لزهرة بن عبد الله : إنّا حلفاؤكم دائمًا وكل وقت كنتم تدخلون فيه حرب مع عدو كنّا نكون إلى جانبكم فما الذي يدفعكم إلى قتالنا ، ثم اردد قائلاً : أنا على استعداد لأن ادفع لك مبلغًا كبيرًا تعيش منه العمر كلّه من خزانة ايران في مقابل ان ترجع بجيشك هذا من حيث أتيت .

فأجاب القائد العربي : ما قلته كان صحيحاً من انكم كنتم تردون عنكم الأعداء ولكن على زمان الجاهلية ، وعلى الظاهر أنك لا تعلم بأن الله بعث لك نوراً قبل سنوات متعددة في شخص اسمه محمد (ص) يعلم بمحبيه من الله . فأمّرنا بطاعة الواحد الأحد وأبدلنا طمع المال بالإسلام ؛ فعلى الجاهلية حاربت من أجل المال الدنيوي ، أما الآن وقد أصبحنا مسلمين وقد وعدنا بالأخرة فلا حاجة لنا بمال الدنيا .

هذا الرزد الذي يدخل ضمن دائرة التربية الإسلامية السامية جعلت من رسمت إنساناً مندهشاً ومتعجبًا وقال : من العجب أنك لا ترى مالاً ، فلِمَ الحرب إذا ؟ فأجابه (زهرة بن عبد الله) : جئنا لنرفع راية «لا إله إلا الله محمد رسول الله عاليًا» ؛ جئنا من أجل أن يوحد الناس الله تباركَت صفاتَه ويتهمون عن الشرك وعن عبادة الأوثان وعبادة النار وعبادة المخلوق فلا نسمع لأحد أن يعبد غيرَ الله ولا يخضع إلا الله الفرد الصمد «لنزوي العباد من عبادة الأوثان إلى عبادة الله» ، وكذلك جئناكم لنرفع عن الشعوب الامتيازات الطبقية وننزل ما قد صنعته من طبقات أعيان وأشراف فالكل بشر يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة وإن التمايز الطيفي هو خطأ فاحش باستثناء حالات التقوى ﴿ان أكرمكم

فأطرق رstem رأسه قليلاً وفكَرَ بالأمر وقال : ان حديثك هذا جميل جداً وصحيح ولكنه لن يحصل عملياً في بلادنا فانتظر حتى أشاور قومي .

وفي الليل شارو رstem كبار القوم فأجابه الجميع على أن لا ينبغي لك أن تتأثر بمقولة هذا العربي بل علينا أن نحاربهم ونؤذبهم .

بعث رstem إلى (سعد بن أبي وقاص) طلباً في إرسال ممثل رسمي للتفاوض بشأن الصلح ؛ فبعث سعداً إليه شخصاً يدعى (ربيع بن أكرمة) بعنوان ممثل رسمي عن المسلمين ليتحادث مع الإيرانيين .

و قبل ان يحضر (ربيع بن أكرمة) قال رُستم لحاشيته علينا أن نظهر جلالنا لممثل المسلمين لكي يهاب حوكمنا ، فُنصب له كرسيٌ من ذهب وفُرش فساطوه بأحسن انواع السجاد الإيرانية ، عليه مقاعد من ذهب زينت بالمجوهرات والحلبي النادر من اجل ان يدخل الرعب إلى قلب (ربيع بن أكرمة) فيتحقق له ما يريد من انسحاب جيوش المسلمين عنه ؛ وهو لا يعلم أن الإسلام ربى المسلمين على تسليم الأمر لله فقط ، ولا مقام دنيوي يمكن أن يجعل منهم تابعين ، فغير الله صغير ووضيع والعظمة لا يتصل بها غير الله ، فالله هو العظيم وكل ما دونه من عالم الدنيا حقير .

و حينما أذن لربيع بالذهاب فجاء إلى فساطوط رstem راكباً على حصان له ودخل بحصانه داخل الفساطط سائراً به على السجاد الشمين لكي يفهم من حوله بأنه لا يغير أدنى أهمية لما تحته وحوله وجاء بحصانه إلى حيث عرش رstem وعندئذ ترجل منه فالتفت يميناً وشمالاً باحثاً عن شيء يربط به دابته فوقعت عينه على مسند نسيج من الذهب فأدخل حربته فيه وشدَّ فيه وثاق دابته فقيل له : ما

الذى تفعله ؟ فقال : ما الفرق بين مسندكم هذا والحجر فلا فرق عندي فالإثنان يُربط بهما الحصان .

وخلالصَّ القول ، حين فرغ من شدِّ وثاق دابته لم يرْ مقعداً خالياً يجلس عليه فلم يجد إلا السجادة الذهبي فطوى طرفاً من سجادة ذهبية وجلس إلى الأرض حينها قال له رستم : يا أعرابي ؛ تجلس على الأرض وترك الجلوس على نسيج من الذهب فقال : إن التراب عند المسلمين أفضل من سجاد الذهب هذا فقد نقل عن رسول الله محمد (ص) أنه قال : «لن أترك الجلوس على الأرض ما حييت » . (فالجلوس على الأرض يساهم في علو الروح الأدبية) .

لقد كان ربعي ي يريد أن يفهم الجمع الفارسي بأنهم لا يمكن أن يُشعروا روح الجلال والهيبة في روح المسلمين وأن لا أثر للدنيا عليهم ، فالحياة هي العالم العلوى الذي يطلبوه والأخر هي التي يرثون وأن الحياة الدنيا ومهما كان لها من مظاهر جميلة فلا قيمة لها عندهم ، ويريد ربعي كذلك افهمهم بأن عرش رستم هذا المذهب متصل في آخر الأمر بتابوت خصص للموتى فلا ينبغي لهم أن يتلقوا بعرش متصل بتابوت يبلى .

لقد تعجبَ رستم وحاشيته من قوانين الإسلام ومن الشائعات التي جاء بها النبي الأكرم (ص) ، وعندها قال رستم : ما جئت بجديدٍ إلينا فالحديث الذي جرى مع زهرة بن عبد الله تكرر فيما بيننا ، فهل هناك شيءٌ قررت الوقوف عنده فقال : نحن (المسلمين) ندعوكم لواحدٍ من ثلاثة إما أن تكونوا مسلمين وتضعون الامتيازات الطبقية جانباً علاوةً على ترك عبادة النار وحيثما سترجع عما نريد من حرب ، فإذا ما أصبحتم مسلمين وتركتم ما تبعدون فتحن وأنتم سواه . وإذا رفضتم أن تكونوا مسلمين فعليكم أن تدفعوا إلينا الجزية وهو نوعٌ من الخضوع للحق والإسلام ، وإذا لم تصنعوا لدفع الجزية فاذدوا بحرب

ضروس ؟ فقال رستم : هل بالامكان ان استملاكم ثلاثة أيام من أجل مشاررات جديدة فقال ربعي : لك ذلك ولا تنسى ان تختار واحداً من الثلاثة التي أخبرتك بها ؛ فقال رستم : عجيب امرك ، الا تراجع من هو فررك في الامر ، يبدو لي أنك مختار فيما تقول .

قال ربعي : إن حكم المسلمين اجمالاً على هذه الشاكلة ، فإذا كان احد المقاتلين قد اعطى أماناً لمجموعة ما ، ينبغي لبقية المقاتلين أن تأتمر بما اعطى فلا رئيس ولا مرؤوس فالكل تعلم وفق شريعة الإسلام وانا اعطيك مهلة ثلاثة أيام فقط .

لقد كان رستم راغباً بالصلح ولكن حاشيته أبى عليه إلا أن يدخل الحرب فخاضوها ، وكانت الغلبة فيها لل المسلمين ، والهزيمة الساحقة لرستم وجحافله وكانت حرب القادسية .

الغرض من هذه الحكاية هو التعريف بالمسلم وما كان عليه ، أما الآن فلا ندري لمن يقولون مسلماً ؟ فعلى ذلك الزمن يقولون للشخص الذي تحظى الآخرة باهيمة خاصة لديه مسلماً ، لا للشخص الذي يهتم بأمور الدنيا وزخرفها ؛ ولعنة الله على كل من سعى في تحريف الإسلام ، فمعاوية هو ضمن دائرة من سعوا في تحريف الناس على طلب الرئاسة والجاه والجلال والمال والمنال هذا الأساس الذي هدأه الرسول الأكرم وبنى أساساً قوياً ومحكماً سلم زمامه إلى قمر الهدایة علي بن ابي طالب (ع) ، فكان معاوية من أحد أضراراً في هذا الأساس أربك به المسلمين وجعل من وضعهم المستقر وضعماً مضطرباً .

لقد قال الرسول لهم : يا أيها المؤمنون ، هذا علي اميركم فتركوا الأمير وتبعوا معاوية الحقير ، وهذا ما ابقي على الآثار السلبية لحكومة معاوية إلى وقتنا الحاضر وحتى يوم القيمة .

فلوزهد الناسُ لما حدثت هذه المشاكل ؛ فما هي الدنيا حتى يخاف
المسلمُ من الفقر والجوع ؟ !

فمن يُنبعَ اسناناً منحه الله خبرًا كما جاء في المثل حتى يصل إلى الموت
في الموت ، فالمسلمُ الحقيقي لا يخشى الموت ولا يرهبه « ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصيبات » ، كما في الآخر .

الزهد مرجعه القلب :

إن الزهد لا يتنافى والعمل المقصود منه الكسب العادي ، ولكننا
ننصحك بأن لا تجعل من الدنيا كلَّ همك ، لا نقول لك بعدم ارتداء الملابس
الجديدة ، ولا يمكن أن يقال لك ابتعد عن المجتمع ، وفي هذا المضمار توجد
رواية تتعرضُ لإشكالٍ اورده بعضهم على الإمام الصادق (ع) حين قال له :
إنك ترتدي جبةً على خلاف ما كان يلبسُ جدُّك علىَ (ع) فيقلب ذيل جيئه
ليريهم القطع القماشية المتعددة التي هي تحت الجبة قائلًا : « استحييت من
رافقها » في الوقت الذي انت تلبس ما تلبس ، كانت جدتك فاطمة (س) تلبس
عباءةً حوت اثنا عشر قطعة من عراجين النخل .

اسمع بماذا يجيب الإمام : ان نهج اجدادي على ذلك الزمن الذي كان
يسوده القحط والغلاء يتناسب ووضعية الفقراء والمساكين فعليه كان الأجداد
يواسون الفقراء والمساكين فيلبسون مثل أقلهم ولكن زماننا هذا (زمان الإمام
الصادق (ع)) زمان سعة ، فإذا ما ارتديت مثلما كان يرتدي جدي من ملبي
تكثر في الرّقّ استهزا بي الناس ؛ ولذا كنت مضطراً إلى لبس الجديد ، بعدها
قال لمن أشكّل على لباسه : إذنْ مني فدنا منه فراراً انه يلبس الصوف الذي لا
يتناسبُ وبذنه تحت ملبيه الجديد وقال له هذا الذي البسه تحت ثيابي الجديدة
هو تواضع مني للجبار المتكبر الواحد الأحد ، اما اللباس الذي تراه فوق ما
ارتديت من خشن القماش فهو لك ولأمثالك .

وبناءً على هذا فإن لكل زمان لباس يتناسب معه ، فالزهد أمر قلبي ، فعلى الرغم من توفر الوسائل الحياتية ينبغي للإنسان أن يكون زاهداً غير متعلق قلبه بها بل عليه أن يتعلق قلبه بالملا الأعلى ، يتعلق بحوض الكوثر واعني أن أكون بينكم بجسدي وقلبي في مكان آخر ، مكان إلى جوار علي (ع) لا تصور أنك بحافلتك هذه التي هي أحدث ما انتجته التكنولوجيا وصلت إلى ما ترно إليه بل ينبغي لك أن تكون مرادك اسمى من زينة الحياة الدنيا ، إلى حيث رياض الجنان الإلهية .

قيل أن رجلاً زار الإمام علي (ع) في داره ، فرأى أناث داره أقل من أن يملكتها أي فقير ، فهو لا يملك من حطام الدنيا إلا حصيراً يجلس عليه وضيفه ، وكذا كان الرسول (ص) حين أهدي له هدية وكانت رطباً وكان الذي جاء بالرطب يريد الصحن الذي نقل فيه الهدية فسأل من في الدار : أيوجد في الدار صحن أو طبق نضع فيه هذا فبحثوا هنا وهناك فلم يعثروا على شيء فازا خ الرسول من أمامه ما كان من التراب ووضع الرطب على الأرض ، لقد كان من الواجب أن يحيا الرسول والإمام طبق اصعب موازين الحياة ، أو أقل ما يعيش ، موساة للفقراء والمساكين .

نرجع قليلاً إلى ما بدأنا فيه فيسأل الضيف علياً (ع) عن عدم وجود وسائل حياتيه في داره فلماذا لا تدرك هذه المسألة فيجيب سلام الله عليه بما يضمونه : أننا أهل بيت الرسول (ص) نذخر ما عندنا ونرسله إلى منازلنا التي سيدوم البقاء فيها ، فتلك التي تزيد أن نعم ، فإذا ما رأيت أن المتزل هنا خالي من زينة الحياة الدنيا فلأننا أرسلنا ما كان عندنا إلى الحياة الآخرة .

من خرب منزل آخرته تعلق بالدنيا :

نقل لنا الشيخ البهائي في كشكوله أن شخصاً ذهب عند الإمام الحسن المجتبى (ع) وقال له : يابن رسول الله ما السبب في أننا نحن المسلمين

نضطرب حين يذكر الموت وانتم أهل بيت الرسول (ص) تفرحون بالموت وذكره فاجاب (ع) : « لأنكم عمرتم الدنيا » على الرغم أن المترى يمكن أن يُعمر في الآخرة ، ومما لا شك فيه أنه لا يوجد عاقل يذهب عمراً إلى بيت حرب ، واعلم أنك من يُخرب بيته ، فلقد قضيتك عمرك في عمار دنياك .

وإذا ما قال لك شخص : هي نفسك لموقف لا يتجاوز المترى عرضاً ولا يزداد على قامة عمماً فهل لك أن ترضى بأن تذهب إلى هكذا خربة ؟ ولكن آل بيت الرسول (ص) وشيعتهم الخلص من الذين عمروا ما سيزولون إليه يشتفون للموت ، فذلك الحسين (ع) يقول : « وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب ليوسف » .

إلهي ، وفتنا لأن تكون متعلقين بما وراء الموت واجعلنا من يعمرون دينهم وأخرتهم ، إننا نلوذ بك من ان تكون مثل الكافرين الذين تركوا دينهم وراء ظهارتهم من مثل (عمر بن سعد) ؛ فلقد كان عمر هذا مسلماً مصلياً صائماً قارئاً للقرآن ولكن اسلامه كان كإسلام الكثير من المسلمين فانظر إليه وهو يقول :

الترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مائوماً بقتل حسين
كان يقول أقتل الحسين (ع) ثم اتوب إلى الله توبه نصوها .

لقد كان همه الوحيد الدنيا الفانية ، فمن أجل شهواته ونزواته يقتل وبعدها يريد طلب المغفرة والرضوان .

إلهي ، نلوذ بك من ان تكون مثلما كان عمر بن سعد ، سؤالنا ايماناً علواً وحسيناً منك ، واجعلنا من يتعلق بالبيت الرسول (ص) إلى آخر الأمر .

فمن اصبح حسيناً يسير على نهج الإمام الحسين (ع) فقلبه تعلق بمكان

آخر ، مكان نزل به الحسين (ع) واصحابه .

لقد تحدث الإمام الحسين (ع) إلى اصحابه في ليلة عاشوراء ، ما كان مضمونه : إن القوم يطلبونني فاتخذوا الليل جملأً ولذهب كل واحد منكم بواحد من أهل بيتي ، فتعالت أصوات أصحابه فهذا يقول لن اتركك وذلك يقول : فذتك نفسي فما الحياة بعذك إلا غم وهم ، التفت الإمام (ع) إلى (بشر بن خضر) وقال له : عليك أن تذهب إلى الكوفة وتسعى في نجاة ابنك من السجن ، فبكى بشر وقال لا ابقاني الله بعذك فلقد جئت لنصرتك فمن يكون الولد والأهل ؟ فانت العزيز ، عديمت نفس بقت بعذك تنشد الناس اين الحسين (ع) ؛ السلام عليكم يا اولياء الله واحبائه .

« الترقب »

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد
ونفع في الصور ذلك يوم الوعيد * وجاءت كل نفس
معها سائق وشهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشينا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾^(١)

انتظار الموت ينهي الآلام :

لقد كان حديثنا يتمحور حول مواضع أمير المؤمنين (ع) المتعلقة بالصبر
والذي هو أساس الإيمان ، والصبر من الإيمان بمتزلة الرأس من الجسد .
إن الدعامة الرابعة من الصبر هي الترقب ، والترقب بمعنى الانتظار فإذا ما
عد الإنسان الساعات والأيام انتظاراً وسألاً ماذا انتظر ؟ فيجيب (ع) ترقب الموت
او انتظاره .

لقد بين لنا الإمام آثار الشوق والاشفاق ، فمن كان مشتاقاً إلى الجنة ترتفع
عن الشهوات لأنّه يعلم أنها مقدمة جهنم ، فالمشتاق يربّد سلوك طريق الجنة ،

(١) سورة ق ، الآية ١٩ إلى ٢ .

فكيف يتأتى له سلوك طريق جهنم ؟ وهذا مصدق للحديث الذي نقله مسلم في صحيحه عن الرسول (ص) حيث يقول : « حُفِّتُ الجنةُ بالمكابِرِ وحُفِّتُ النارُ بالشهوَاتِ » .

وفي رواية أخرى : بعد أن خلق الله الجنة قال جبريل إلهي من هذا الذي لا يُريد أن يحظى بهذه الجنة ؟ فجاءه النداء ان انظر إلى طريق الجنة ، فنظر فرآه محفوفاً بالمخاطر والبلايا وترك هو النفس ومخالفة الرغبات فقال : إن كان هذا طريقها فإن طالبها قليل ؛ فلما رأى جبريل خلق الله لجهنم قال : من هذا الذي يروم دخولها ؟ فجاءه النداء ان انظر إلى طريقها فهي مليئة بالرغبات النفسانية واللذائذ والشهوَاتِ الحيوانية فقال : علمت ان لها مشترِين كثيَر .

علي (ع) وضَّحَ باختصار ما خفي عن الإنسان حين قال : من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوَات ومن أشْفَقَ عن النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيَّات [انظر كامل الخطبة في بداية الكتاب] .

والدعاة الرابعة للصبر هي الترقب حيث قال : « ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات ، فانتظار الموت يصرف الذهن عن الخطور في القضايا الشهوانية وعمل المنكرات ؛ فالموت من الموضوعات التي جعلها الله لكل الخلائق فلا يُستثنى منه أحداً فاحتِمال الموت شاملٌ للصحيح والعليل . فالنفس تذهب ولا تعود سواه في جهات الحرب أو على فراشِ النوم نائمةً كانت أو صاحبة فعلٍ يُذكر أن لا تنسى ذلك ؛ بل يجدر بك أن تضع هذه القضية نصب عينيك وينبغي لك أن تفكِّر أن اليوم هو آخر يومٍ من عمرك وان كفلك قد جازَ به إلى السوق فإذا ما حصل هكذا تفكير وهكذا انتظار وترقب للموت عزف الإنسان عن الخطايا والمساويء ومصدق حديثنا هذا هو ما أشار له أمير المؤمنين (ع) في حديث مضمونه : « أوصيكم بكثرة ذكر الموت وإقلال الغفلة عنه » ، فلا ينبغي أن يغفل الإنسان عن ذكر الموت قاتلاً انا انسان صحيح البدن فتذهب في نفيه الغفلة في فهو عما وعد الله به المؤمنين .

تربّيّ النفس على الخشوع للحق :

إذ لم تكن ناسيَا ساعَةَ الموت أبداً و كنت دائمَ الذكر لَه تبارك و تعالى
مِنْ يَحْصُلُ لِكَ حَالٌ تَنْتَ عنَ الْخُشُوعِ لِلْوَاحِدِ الْأَحَدِ وَهَذَا هُوَ مَا دَعَا بِهِ
حَمْدُ اللَّهِ دَائِمًا فِي اسْحَارِ شَهْرِ رَمَضَانِ الْمَبَارِكِ حِيثُ يَقُولُونَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي
سَأَتَّمَّ خُشُوعَ الإِيمَانِ قَبْلَ خُضُوعِ الذَّلِّ فِي النَّارِ »^(١) وَإِذَا غَفَلَ قَلْبُكَ عَنْ ذَكْرِ
حَوْنَتْ فَلَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ الْخُشُوعُ ، هَذَا الْخُشُوعُ الَّذِي يَظْهُرُ جَلِيلًا سَاعَةَ نَزُوعِ
سَرُوحٍ ، وَقِيمَةُ هَذَا الْخُشُوعِ فِي تَحْقِيقِ الْآنِ ، وَإِلَّا فَلَا قِيمَةُ لَهُ وَقْتُ نَزُوعِ
سَرُوحٍ .

لَكُمْ تَرَوْنَ الْمُحْتَضَرَ وَالَّذِي هُوَ فِي النَّزَعِ الْأَخِيرِ خَاصِيًّا خَاشِعًا ، وَبِالْيَتِهِ
كَذَّ - دَائِمًا عَلَى هَذَا الْخُشُوعِ وَالْخُشُوعِ مُثْلِمًا سَاعَةَ خَرُوجِ رُوحِهِ ، فَفِي الْوَقْتِ
سَيَّ تَصْيِيرُ وَجْهًا لِوَجْهِ مَعِ الْبَارِيِّ الْمُصَوَّرِ حِينَهَا تَقُولُ : يَا اللَّهُ ؟ هَلْ هَذَا هُوَ
ذَيْدٌ ؟ أَنَّ الإِيمَانَ خُشُوعَ الْقَلْبِ وَلَيْسَ اللِّسَانُ .

إِذَا مَا رَاقَبَ الْإِنْسَانُ الْمَوْتَ وَانْتَظَرَ ، لَنْ يَقُولَ أَنَا ، أَنَا ، وَلَا يَرِيَ أَنَّهُ
مُسْتَلِّ بِنَفْسِهِ وَلَا يَقُولُ قَدْرَتِي ، وَسَاعِدِي الْقَوْيِ ، وَقَلْمَيِ وَمَالِي أَنَّهُ لَنْ يَفْعُلْ
شَيْءًا ، تَذَكَّرُ دَائِمًا الْمَوْتُ وَتَذَكَّرُ أَنْكَ عَلَى صَحْنِكَ لَا تَسْتَطِعُ أَنْ تَطْرُدَ بِعَوْضَةٍ
مِنْ الْمَكَانِ الَّذِي تَعِيشُ بِهِ فَلَسْوَفَ ثَانِي سَاعَةَ لَنْ تَسْتَطِعَ فِيهَا التَّكَلُّمَ أَبَدًا ،
مَحْفَضَتُكَ لَا تَعْمَلُ وَاسِمَ ابْنِكَ أَيْضًا تَسْنَاهُ ؛ فَلَوْ كُنْتَ قَدْ تَفَكَّرْتَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ
وَنَوْسَاعَةِ لَكُنْتَ مِنَ الْخَاسِعِينَ لَعَمِلَتِ الْخَيْرِ وَلَعْرَفْتَ أَنَّكَ تَابِعُ اللَّهَ وَغَيْرَ مُسْتَقْلِ
لَعْبَكَ ، فَعِنْدَمَا يَرِي الْإِنْسَانُ حَتْمِيَةَ مَوْتِهِ يُصِيَّحُ الْإِنْفَاقَ عَنْهُ سَهْلًا وَهَذَا الَّذِي
تَرَهُ مِنَ الْإِنْفَاقِ قَبْلَ عِلْمِهِ بِمَوْتِهِ فَهُوَ صَعِبُ عَنْهُ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَأْخُذِ الْمَوْتَ بِنَظَرٍ
لَا عَبَارٌ ، فَإِذَا مَا تَيَقَّنَ الْإِنْسَانُ بِمَوْتِهِ سُوفَ يَيْدُلُ كُلَّ مَا عَنْهُ قَاتِلًا مِنَ الْأَفْضَلِ

(١) دُعَاءُ (أَبُو حَمْزَةَ الشَّمَالِيِّ) فِي مَفَاتِيحِ الْجَنَانِ الْمَعْرُوبِ - الْعَبَاسِيُّ الْقَمِيُّ - دَارُ احْيَاءِ
الثَّرَاثِ - بَيْرُوتِ صِفْرٍ ١٩٨٠ .

لي أن أعطي كلَّ ما عندي ، ويسارع حينها إلى الخيرات .

إن الغفلة تجرُّ الإنسان إلى الحرج من الخيرات ؛ إن الموت مرُّ ولكن لا حيلة إلى الفرار منه ولكن نتيجته حسنةٌ وحلوةٌ ، فالمرأة التي تخرج من بيتها عليها أن تقول : خرجت من البيت وقد لا أرجع ، فعليه ينبغي لك أن تحافظي على حجابك ولا تخرجي بدون ما يسترُّ ساقيك فهذه الأرجل العاريةُ ربما ستُلفُ بعد حين بكفن .

فإذا ما سمع الإنسان نصيحةً علىَّ (ع) وعمل بها لن يتمنى له أن ينسى الموت ؛ وهذه حكاية نسردها لكم :

قبور الماضين على اعتاب دور الباقين :

إن في كتاب « حياة القلوب » مجلسًّ يتضمن حكايةً طويلةً للاسكندر (ذو القرنين) جاء فيه : أن الاسكندر وضمن فتوحاته وصل إلى مدينة فرآي عجباً ، ومن جملة العجائب التي رأها هي : أن كلَّ عتبةٍ دار دفن عندها عدةً اشخاص ، فسأل حينها عن دار الحكومة فقيل له : لا يوجد عندنا داراً للحكومة ولا حتى قاضي فقال الاسكندر : وهل يمكن أن يقوم مجتمع بشري بدون ما ذكرتُ لك ؟ فأجاب : يا أيها الاسكندر : لا يُرى في مديتنا هذه شخصان يتنازعان ولا يشاهد من يدعى التزاع فقال : وكيف هذا يكون ؟ فقال : لقد ورثنا عن آبائنا واجدادنا أنه من يموت يجب دفنه في عتبة داره ، ولا توجد لدينا مقابر متفصلة فكل من مات دفن في عتبة داره لكي يعرف الباقون أن هذا المصير المحتمم الذي تزول إليه البشرية من خلال عبورهم صباحاً ومساءً على قبور ذويهم فعند خروجهم من الدار يمرّون على قبور ذويهم فلا يُسيئوا لأحد وعند ورودهم الدار يمتنعون عن أذى أهليهم وابنائهم .

وأجمالاً ، إن هذه القبور ، قبور الآباء والأمهات والأخوة والأخوات يجب أن تكون على مقربة من الدار حتى لا ينسى الإنسان الموت ، بل كلَّ يوم يتذكره

فلا يسرق مال أحد ل أنه لا أمل له في أن يكون حيًّا في الغد الآتي فمن أجل ماذا يدعى باطلًا ؟ ولماذا يتخاصل اثنان ويتجادل هذا مع ذاك من أجل ماذا ؟

يمكن إرجاع كل أنواع الفساد إلى الغفلة ، فالقرآن المجيد ذكر بمثل هذا المعنى فقال : « أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون »^(١) .

فكل غافل حيوان ، فهو بعيد عن الأدبية ، فمعنى الإنسان هو الإنسان وما نراه من فساد فهو وحشية ؛ ان طبقات المجتمع الانساني المختلفة تثبت بالحياة الحيوانية والسبب في ذلك هو الغفلة التي جعلت من الإنسان يتتجاوز القوانين الإلهية المرسومة له .

إنهم يتصورون ديمومة حياتهم متناسين التفكير بعيداً ، لا يريدون أن يصدقوا أن جهادهم هذه ستكون من نصيب الموت ، وقد يكون انهم نسوا الموت .

يعيش المجتمع اليوم حرماناً من الإنفاق ففي السابق كان الناس ينفقون كثيراً في سبيل الله اما الآن . . . وإذا اتفق أن رأيت صورة خير فإنها على زماننا رياة أو ان للمنافق أغراض أخرى .

قتل الهدىي وخلافة هارون :

صدقوا ، إذا ما حصلت الغفلة عن الموت والآخرة ، يبرز ادعاء الربوبية في بعض الأحيان ، فيرى الإنسان نفسه رباً ؛ وهنا أسرد عليكم حكاية تختلط فيها الموعظة الصعبة مع حلاوة الحكاية .

كتب في التاريخ أن موسى الهدى الخليفة العباسي كان على عهده من قُسّاء القلوب وغلاظها ، هذا الشخص لم يلتقط منذ البداية وحتى آخر لحظة

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٧٩ .

من عمره للموت ، فكان شغله الشاغل إراقة الدماء والغور في أسباب الجريمة ، فحدث يوماً أن بعثَ رئيس وزرائه وكان الوقت ظهراً شديداً الحرّ ، فحضر رئيس وزرائه وكان اسمه هرثمة وكان يجد المهدى كالوحش الذي يريد الهجوم على فريسته فقال له : لقد وصلني خبر بأن أخي هارون يتأمر على مستعيناً بـ « يحيى بن خالد البرمكى » للأطاحـة بي ، وانه يعمـل على ذلك سراً لتهـيـة الأرضية لعزيزـي وتنـصـيب هارـون خـلـيـفة فـلـذـا عـلـيـك أـنـ تـذـهـبـ اللـيـلـةـ إـلـىـ دـارـ هـارـونـ وـتـقـطـعـ رـأـسـهـ وـتـأـتـيـنـيـ بـهـ (يـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ أـخـوـهـ قـدـ زـاحـمـهـ فـيـ اـمـرـ السـلـطـانـ وـالـخـلـافـةـ) .

تعجب هرثمة من كلام المهدى هذا وقال له : عجيبـ هذا الأمر فهـارـونـ هو أـخـوـكـ لـأـمـكـ وـاـبـيـكـ وـوـلـيـ عـهـدـكـ ، فـإـذـاـ مـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ فـمـاـذـاـ يـمـكـنـ أـنـ تـجـبـ اللـهـ وـعـبـادـهـ ؟

قال : دع عنك هذا الكلام ؛ فـكـلـ شـخـصـ يـنـافـسـيـ فـيـ اـمـرـ الـخـلـافـةـ يـجـبـ أـنـ يـقـتـلـ ؛ وـعـلـيـكـ أـنـ تـخـرـجـ جـمـيـعـ الـعـلـوـيـنـ وـالـسـادـةـ مـنـ السـجـنـ بـعـدـ قـتـلـهـ ، وـتـقـتـلـ نـصـفـهـ وـتـرـمـيـ بالـنـصـفـ الـبـاقـيـ فـيـ النـهـرـ ، إـذـ يـجـبـ فـيـ هـذـهـ الـمـرـحـلـةـ اـنـ تـخـلـيـ سـجـونـكـ ، وـيـنـبـغـيـ لـكـ أـنـ تـذـهـبـ إـلـىـ الـكـوـفـةـ هـذـهـ اللـيـلـةـ وـتـعـلـمـ أـنـ عـلـىـ كـلـ عـبـاسـيـ أـنـ يـخـرـجـ مـنـ دـارـهـ وـبـعـدـهـ تـشـعـلـ النـارـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ ، بـالـاـضـافـةـ إـلـىـ أـنـكـ يـجـبـ أـنـ تـعـيـنـ أـشـخـاصـاـ يـقـفـونـ عـلـىـ أـطـرـافـ الـمـدـيـنـةـ يـقـتـلـونـ كـلـ مـنـ تـحـدـثـهـ نـفـسـهـ بـالـفـرـارـ ، لـأـنـيـ لـأـرـيـدـ بـعـدـ الـآنـ شـيـعـةـ لـعـلـيـ (عـ) ، ثـمـ تـبـقـىـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ بـعـدـ اـنـ تـحـرـقـ ، وـتـساـوـيـ الـكـوـفـةـ وـكـانـ شـيـئـاـ لـمـ يـكـنـ .

قال هرثمة : وما ذنب هؤلاء إنهم مسلمون ، وكيف تأمر بهكذا أمر تسيل الدماء بتنفيذـهـ .

وـهـنـاـ أـجـابـ الـخـلـيـفـةـ الـعـبـاسـيـ جـوـابـاـ عـجـيـباـ حـينـ قـالـ : اـنـ الـمـسـلـمـينـ كـلـهـمـ تـابـعـنـ لـيـ ، فـكـلـ مـنـ هـوـ تـابـعـ لـيـ مـسـلـمـ .

ان كل شخص يتصرّرُ هذا التصور الذي هو من شأن الله فقط يقصد من كلامه إدعاء الربوبية ؛ نتتجيء إلى الله من الثروة الكثيرة والعافية والسلامة ، والشباب ، ونسيان الموت ، فكلّها ترمي بالانسان في هاوية الطغيان .

وهنا طلب هرثمة أن يعفيه الهايدي من منصبه قاتلًا : لا أريد هكذا رئاسة تجرّني إلى كل هذه الجرائم فانا غير قادر على أن اعمل ذلك فقال الخليفة : جزاوك القتل إن لم تفعل ما أمرتُك به ، فرأى هرثمة أن قتله محتم فقال : لك ما تريده ، بعدها ذهب الخليفة إلى داخل المنزل عند محارمه .

حار هرثمة ماذا يفعل شعر بالألم يدب في راسه ؛ وعندما جاءت أم الخليفة عندما سمعت تصريح الخليفة على قتل أخيه جلسَت بين يديه وارادت تقبيل قدميه قائلة اترك اخاك وشأنه ولا تكن قاتل أخيك ، ولكن هذا الشقي ركل أمّه برجله فأغمقَ عليها وانقطع نفسُها .

إن لطف الحق يستوجب المداراة والشكر
فإذا ما تجاوز الإنسان الحد قُصِّمَ ظهره

بعد هذا وذاك سُمعَ في الدار إنهض أيها الخليفة ؛ مات الخليفة ، وكان ذلك حين خرجت الأم من القصر جاء الخليفة ليأكل غذاءه فاختنق بلقمة ومات . إن دعاء أمّه عليه بعثه إلى أسفل السافلين فارسل إلى هرثمة أن تعالَ ان الخليفة قضى ، فاتى هرثمة فرأى أن القوم قد أسلوا عليه قماشاً من القطيفة فكشفَ عنه وإذا به قد صار أسوداً كالقار .

وفي تلك الليلة وعلى عكس ما أراد ذهبوا به إلى القبر وجلس اخوه مكانه على مسند الخلافة .

غرضي ، أن تفاصي الطغيان وعصيَّان النفس لا يجرُ بالمرء إلى الخير ، فالذى يجرُ إلى الخير هو التذكُّر الدائم للموت وفناء الدنيا وزوالها فلقد كان

الكثير من الأجلاء يحفرُ قبره في بيته ليكون مهياً النفس دائماً .
انموذج للكسبة قبل سبعمائة عام في شيراز :

لقد كتب ابن بطوطة المصري الرحالة في كتاب يتضمن تاريخ سياحته بالبلدان ، كتب قبل سبعمائة عام حين وصل إلى المسجد الجامع العتيق في شيراز يقول : ذهبت فرأيت أن المسجد الجامع صُفَّ بالحجر الممرر ، وكان الخدم يغسلونه ثلاث مرات في كل يوم وليلة ولا يسمحون لأحد بالدخول إلا وهو حافي القدمين وكان المصلون في ذلك الوقت كالسيل حينما تحيط الصلاة وفي خارج المسجد وبالقرب منه سوق (لا أدرى أين يكون الآن) وكان هذا السوق جميلاً جداً فلم أرى مثل بناه إلا في الشام فدخلته فوقعت عيني على كاسِب لا يقف مُشتَرٌ على بَابِ دكانه فجذبني بقراته للقرآن ، اقتربت منه وسلمت عليه وسألته ماذا تفعل يا حاج؟ (شاهدي هنا) فأجاب أن أحد اعمالي هو أن قبرى هنا في هذه الحجرة فكشف عن البساط الذي يغطي أرض الحجرة وإذا بقبر قد حُفر فيها وحجرٌ نقش عليه اسمه وهذه تجاري في بَابِ قبرى حفرته هنا لكي لا انخدع بالدنيا ولا امارس التدليس في معاملاتي ولا أغش أحداً من الناس ؛ وعندما لا يكون هناك مُشتَرٌ أقفُ على قبرى وأقرأ القرآن وعلى القبر أذكر الله كثيراً ؛ فهل تعرف لماذا؟ حتى لا تطغى النفس الأمارة بالسوء .

هذا الناجر هو انموذج للتجار قبل سبعمائة سنة في شيراز ، أما في وقتنا الحاضر فأنتم ترون الوضع الحالي بأنفسكم كُلُّه غفلة ونكبات في نكبات .

تمر الشهورُ ولا يخطرُ الموتُ بباله ، فهو لا يُنفق من ماله شيئاً من أجل آخرته أو عالمٍ يرزخه ؛ إنه لا يفكّر مطلقاً بآخرته ، فكل جواريجه وافكاره بالأرض والفوائد المادية وزخارف الدنيا .

لا فرار من الموت أما جنة أو نار :

عليكم أن لا تنسوا آخر شعبية من الصبر ولا تُضيئوا من ايديكم ذكر

الموت ، واقتصر موتكم لا موت الآخرين ، فعلى الأقل ينبغي لكم أن تنتظروا إلى أكفانكم مرة واحدة في اليوم والليلة [جعلوا من أنفسكم نفساً مهياً لسفر] محتم ، وهذا لا يعني أنكم وحينما تنتظرون إلى الأكفان سيأتي الموت عليكم بسرعة ؟ ! أو إذا كتم غافلين لا يأتيكم الموت ؟ ! فإذا ذكرت الموت ألم تذكره فهناك ساعة معينة لموتك فيا حبذا لو رأى الإنسان أن موته قريب .

« الموت الموت ولا بد من الموت ، جاء الموت بما فيه من الروح والراحة والكرامة المباركة لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم وجاء الموت بما فيه من الكراهة الخاسرة لأهل دار الغرور الذي كان لها سعيهم وفيها رغبتهم ». [مضمون مقطع مما روي من خطبة للرسول (ص)] .

ولكتنا في واد ذكر الموت في واد ؟ ان النفس لا تترك الإنسان يفكر هكذا تفكير فقد يفكر بأنه سيعمل العمل الفلاني في نهاية هذه السنة أو ما شابه من هذا .

من هذه الليلة تبدأ الأيام البيض لشهر رمضان المبارك (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) ومعنى ذلك أنه : ببركة أعمال الخير في هذه الأيام وبرحمة الباري جل وعلا تبيض وجوهنا التي سودتها الذنوب ؛ فيما أهل الوجوه المسودة كونوا من بعض الوجوه إذا كتم تعلمون قدر هذه الأيام وقولوا إلهي قلوبنا ترید ذلك ولكن النفس والهوى والغالب علينا يجعلنا من الأشقياء الذين سرت عليهم الذنوب فلا يرون الموت بوضوح إلهي قعدت بي أغلالي ومنعني الذنوب من ان افكر باليوم الآخر .

« اللهم ارزقنا التجافي عن دار الغرور والإبناة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت ». .

عندما اراد الحسين (ع) في ليلة العاشر من المحرم أن يعطي اخته درساً في الصبر ، صبراً مثالياً يصمد أمام المجزرة الكبرى التي سوف تحدث تقدماً لها

ليوصلها إلى أعلى مراتب الصبر ، فذكرها بالصوت قائلاً : «اعلمي ان أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبكون » فالنبي جدي (ص) وابي علي (ع) وأمي فاطمة (ع) و أخي الحسن كل هؤلاء كانوا أفضل مني ولكنهم ذهبوا من الدنيا إلى عالم الآخرة وخلاصة القول أن الحسين يذهب أيضاً من هنا ولا يبقى في الدنيا فحربي به أن يقتل في سبيل الله « فلا يذهبن بحلمك الشيطان » .

(١) عبد الرزاق المقرم - مقتل الحسن (ع) . دار الكتاب الإسلامي ص ٢١٧

«الصبر»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن ﴾^(١)

هل يبيح الشرع الإسلامي العنوان للظلم :

يخطر في بعض الأذهان أن القرآن الكريم والإسلام وروايات الالتزام بالصبر كلها تحتل الإنسان على الصبر بل جاء البيان صحيحاً بدون الصبر لا يصل الإنسان إلى السعادة ، وكذا لا يصل إلى الإيمان بل لا يمكن أن يرى الإنسان راحة في هذه الحياة بدون الصبر ؛ وهناك (وهذا ما اريد ان اقوله) شبهة ملقةً على الإسلام هي : أن الإسلام يريد أن يصبر المسلمين على الظلم وقبول الضربات التي تذهب بما لهم واعراضهم ؟ !

خلاصة الجواب : الصبر يتم قبل وقوع الثلم أما بعد وقوعه يتوجب على كل مسلم بما يمتلك من قدرة ان يدافع عن ماله ونفسه وعرضه واجب هو الدفاع عن النفس من أجل الحفاظ عليها وإذا لم يتمكن من ذلك حينها يتوجب

(١) ﴿فَإِذَا الَّذِي يَبْنِكُ وَبِيْتِهِ عَدَاوَةً كَانَهُ وَلِيْ حَمِيمٍ﴾ سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

عليه الفرار حفظاً على سلامته وكذا بقصد المال ، فإذا كان المال ذات قيمة متدنية فلا يجب الدفاع أما إذا كان المال معتمد وثمين فحفظه والدفاع عنه واجب مثل رأس المال الذي يتطلب الدفاع عنه ولا يجوز التهاون في ذلك ويسقط معه العفو ، ووجوب الدفاع عنه هنا إلى حد لا يتحمل معه الإضرار بالنفس فإذا ما تبين له أن الضرر واقع بنفسه لا محالة يحرم عليه بذلك نفسه من أجل المال لأن أوضاع الدنيا أصغر من أن يفدي الإنسان نفسه من أجلها ؛ فإذا ما اتفق أن سرق بعض أموالك وحينما أردت استرداد ما سرق منك وجدت أن اللص مسلح وأنك في خطر شديد منه لما يحمل من سلاح فهنا يتوجب حفظ النفس تقدماً على المال .

وعلى سبيل المثال إن البعض يتجه في مواد متنوعة أو محظورة كان تكون لوازم منزلية أو صناعية أو ما شابه ، معرضاً نفسه للخطر من أجل أن يزداد ماله فهو يضحي ويعرض بنفسه أمام الأخطر من أجل المال ، وهنا أقول : إن حياة الإنسان عزيزة بينما الدفاع عن المال واجب محدود ، ووجوبية الدفاع مقيدة بـ عدم الضرر بل من أجل حفظ النفس البشرية وإذا ما كان خلاف ذلك حينها يسقط الوجوب هذا .

وجوبية الدفاع عن المظلوم

ان الظلم الذي يصيّب الآخرين هل يوجب الدفاع عنهم أم لا ؟ يمكن ارجاع ذلك إلى حكم النهي عن المنكر فيما إذا اكتملت شروط هذا الحكم أي القدرة والامكانية أولاً والأثر الایجابي ثانياً حينها يكون الدفاع لازم إذ ينبغي لل المسلم أن يمنع مثلاً شخصاً يريد الذهاب بأموال شخص آخر شريطة حفظ النفس من المخاطر التي قد تأتى من هذا المنع ، وحينما ان الخطر يتجلى وتحتمل في حالة الدفاع فلا يلزم هنا أن يقول بعض المتقولين أن المسلمين يخضعون للظلم والبغى بل ينبغي للآخرين أن يدافعوا عن هذا المظلوم حيث أن الدفاع عنه واجب وكما ذكرنا حسب الإمكانية والقدرة حيث ﴿ لا يكلف الله

نفساً إلا وسعها)^(١) .

ومهما حاول الإنسان أن يسعى من أجل أن يحظى بالسعادة مدخلًا نفسه في زحمة الدنيا الفانية فذلك له كلام آخر .

يسأل أحد الشباب المتدينين ، هل يجب على الإنسان أن يذهب هنا وهناك ساعياً جهداً الإمكان من أجل معيشة أفضل ؟ فسررت لسؤاله هذا ظناً مني أنه يقصد الحياة الآخرة !! فقلت له : نعم يجب على كل فرد أن يسعى من أجل حياة أفضل وعندما يصل إلى العالم الآخر يحظى بكل مراده هناك وبلغ أوج العالم الأعلى بجناحي العلم والعمل فلذا كان الواجب يتانى من هنا .
استحالة الراحة المطلقة هنا :

قال لقد كان سؤالى عن السعي في الحياة الدنيا والتضحية بالراحة من أجل الوصول إلى حياة أفضل ، هذا ما كان قصدي ؟ فنحن أين كان حديثنا وهو ماذا يقول ؟ وخلاصة القول أجبته إلى ما يريد فقلت إذا أردت الحياة الدنيا هدفاً لك طالباً تأمين الراحة وحياة بدون الالام ومن أولها إلى آخرها سعادة وسرور ، فاؤلاً ان ما تريده محالاً إذا كنت تروم حياة على الكره الأرضية بدون ازعاج ، ولا أعرف شخصاً في التاريخ لم تحدث له ازعاجات في الحياة الدنيا أقلها الشيخوخة والضعف وانعدام القوة والقدرة ، وإذا أردت أن لا يحصدك الحاسدون أو لا تكون متعرضاً للتزاع والجدال حسب رغبتك فهذا أيضاً محال .

رأيت شخصاً في العالم مرتاح البال ولكن ارتياحه هذا كان ظاهري فإذا كان فلا يكون هناك إنسان فلما ترى قلباً خالياً من القم في العالم بهذه الازعاجات والمنففات ملزمة لعالم الدنيا ، عالم التضاد ، عالم

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

المادة ، لماذا ؟ لأن الحياة الهادئة لم تكن في الدنيا لأحد ولا حتى محمد (ص) الشخص الأول في العالم وكذا لم تكن للسلطين ولا للحكام ولا لأي شخص .

الدنيا وطن الحيوان والأخرة وطن المؤمن :

سر هذا الحديث هو : ان وطن الإنسان لا يتمثل بوجوده على الكره الأرضية إنما يتمثل بالعالم العلوي فالكرة الأرضية مكان الغربة ؟ قل ذلك ؟ فإن السعادة لا يمكن ان تكون في الغربة ؛ ان الوطن الأصلي جوار آل الرسول (ص) انشاء الله تعالى ، فلا يمكن المقايسة بين هذه الحياة ، حياة الحيوانات وبين حياة البشر ، فكل حيوان على الكره الأرضية يعيش بهدوء ؛ فلا منغصات ولا ازعاج نسبة بأفضل وبأثري الأفراد ، فإذا ما قسنا بين الاثنين نرى أن الحيوانات تحيا بهدوء تام لأن هنا هو وطن الحيوانات ووطن البشر هناك ، كله سعادة وبشر وخير .

من مقام العرش يأتيك النداء
ولا أعرف لماذا أنت وقعت في شرك الحيوانات
فراحه البشر المطلقة لا يمكن أن تتحقق إلا بجوار محمد وآل
الرسول (ص) .

في أيها الإنسان الذي تتوقع حياة أفضل ، حقق في معنى الحياة فسترى أنك لن تجد دنيا بغير منغصات لأن ذلك محال ؛ وان الله تبارك وتعالى هيّا لك مكاناً آخر تُظهرُ فيه فعالياتك ونشاطك ويسطّ لك فيه العدل ، صحيح أن الإنسان يسعى إلى بسط العدل لكن بشرط أن يكون هذا السعي من أجل الله تبارك وتعالى جهاد الامكان ، فيسعى الإنسان أن يسطّ العدل مثلاً بين رجل وامرأة وبين عقله ونفيه حينها يتخذ العدل إلى نفسك سبيلاً .

السيد ابن طاووس ومنصب قاضي القضاة :

جاء اقتراح من بلاط الخلافة إلى السيد ابن طاووس يتضمن الطلب بالقبول للتصدي لمنصب القضاة في كل الدولة الإسلامية وقد نقل الاقتراح السيد نقيب السادات ورئيس الشيعة والذي يسكن الحاله ، فجاء من بغداد إلى الحلة عارضاً منصب قاضي القضاة على السيد بن طاووس ، و منصب القضاة يأتي بالأهمية بعد منصب الخلافة ، فأجاب السيد ابن طاووس : أني لا أصلح لهذا المنصب فقيل له : وكيف يكون ذلك وانت على هذه الدرجة من التقوى والعلم ؛ والجميع يعتقد بذلك ؟ فأجاب : ابني ومنذ سنتين في حرب ضروس مع نفسي من أجل ايجاد العدل في سلوکها ، ومن أجل تحكيم عقلي على نفسي فلم استطع ذلك لحد الآن .

بالعدل إحفظ لسانك وبالعدل إحكم السيطرة على عينك ، يدك ، رجلك قلبك وكلك يجب أن يتحكم العدل بكل ذراتك فالعدل يعني عدم تجاوز الأعمال فاي معاملة وحديث تمكّن منه العدل ؟ واي عاقل ذاك الذي سلك باعصابه وجوارحه طريق العدل فجينا يظلم الإنسان معدته بأكل لقمة زائدة على الحاجة مما يسبب له عسر الهضم : وحينما آخر يظلم بكلمة في غير محلها ؛ فلماذا تفوهت بهذا الكلام ؟

أيها الشاب العزيز ، ينبغي لك أن تمكّن العدل في نفسك ، إسع لأن لا تكون ظالماً ، إذن فالسعى في اصلاح النفس هو منع لها من الظلم ، فإذا كان عملك هذا لله فما أفضله ؛ ففي بعض الأحيان يعمل الإنسان من أجل أشياء أخرى ، وهذا ما يحدث في النفس الإنسانية ولكن ذلك يحسب حيفاً ، ومن الحيف لك أيها الإنسان ان تتعامل لغير وجه الله ومن أجل نزوة طائشة فإذا ما عملت عملاً محتبساً ذلك لوجه الله فكل صعوبة أو نصب ترى فإنَّ أجره وثوابه لا يمكن أن يضيع ﴿ لا يضيئهم ظمآن ولا نصب ولا مخصصة في سبيل الله ولا

يُطْهُونَ مُوْطَنًا يُغْنِيَنَّ الْكُفَّارَ وَلَا يَنْالُونَ مِنْ عَدُوِّنِيلًا إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^(١) .

فإذا لم يكن العمل ظاهراً ولا رباء بل من أجل الله حينها ترى الآباء
يسامح مع ابنه وكذا الجار مع جاره فكلهم مؤمنون لا يظلم أحدهم الآخر ، وإذا
ما منعت النفس من أجل المولى العزيز فإن أي بلاء يلحق بك أو ضرر فإن اجرك
عند الله العزيز القديس محفوظ ، إذا قتلت وانت في واجب من أجل الله فإن
اجرك على الله الرحمن الرحيم ، وبديهي بشرط ان لا يخالط نيتك الهوى وإذا
ما كانت النية لغير وجهه تعالى فستكون اعمالك **« كسراب بقيمة يحبها
الظمآن ماء »** ^(٢) .

القتل في غير الله لا فائدة منه :

نقل لنا الشيخ الغزالى مثلاً تجلى في احدى الغزوات ان شهيداً إشتهر
بشهيد الحمار ، فكان السبب في تسميته انه رأى احد الكفار يمتهن حماراً وقت
الحرب فعجبه الحمار لما كان له من قوة ومنظر يجلب على الحسد فقال لصاحبه
ساذج وقتل هذا الكافر واسله حماره ولكن ما حدث هو العكس تماماً فقد
قتله الكافر فراح ضحية من أجل حمار ، فما هو هدف هذا الشهيد ؟! وما هو
مراده ، ونقول ما كان هدفه فهو نصبيه .

فإذا ما كان هدف شخص تملك ارضاً وقتل في الطريق لهذا الهدف
فيتمكن اعتباره شهيد الأرض ، ان النفس الإنسانية العزيزة تصبح طرفاً لمعاملة
على ارض على الرغم أن تمام الملك من ارض ومال هو مال الله وكل ملك الله
أمانة عند الانسان ، فما قيمة الماء أو الأرض حتى يبذل الإنسان نفسه من أجلها
إلا إذا كان هناك مبرر حق ويكون طرف المعاملة هو الله جل وعلا فعلاً سبب

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٠ .

(٢) سورة النور ، الآية ٣٩ .

المثال : يريد الكافرأخذ بليد اسلامي وحيثها يشيعون الكفر والظلم ، فعن أجل منع الكفر والظلم يجب الدفاع فإذا ما قُتل الإنسان ، قُتل شهيداً ، وإذا كان الهدف شخصيًّا وموهوم ولا ينم عن حقٍّ وحقيقة فحيثها تحتسب القضية : مبادلة النفس بالأوهام .

أو مثلاً ، من أجل ان يظهر اسمه في الصحيفة اليومية بشكل منتق وجميل ، ويُطروه عليه في المذيع يسعى لأن يُقتل ، والحق يُقال : ما أكثر الأوهام التي تذهب بالبعض من الناس ، لذا فعلى الإنسان أن يكون راشداً في عقله ولا يتعامل إلا مع الله ولا يصرف نيته لغير وجه الله ؛ فلا ينبغي له أن يبيع نفسه للأوهام بينما يقول القرآن الحكيم « إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »^(١) فالذى يقايس نفسه بالشهرة والمال لا بد وأنه خسران وخسارته هذه التي يتصورها ربحاً وفوزاً هي من أجل المقام وكرسي السلطة .

إن كل ما ينزل يدرك ، فالذى تخرج نفسه عن قالبه يدرك تماماً أن روحه على حسب إدراكه وضياع إلى الحد الذى يتعامل فيه مع غير الله ، « لا تفتح له أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلعن الجمل في سم الخياط »^(٢) .

وكيف يجد من مثل هذا عروجاً إلى عالم الإرقاء ؟ ومهما يكن طرف المعاملة فإن قيمته تبقى قيمة بشرية لا ترقى إلى العوالم العليا ، وإذا ما أراد الإنسان معرفة قيمة وجوده فلينظر إلى من يتعامل معه ، ومن أجل ماذا يتهافت الإنسان على الأرض والماء ؟ إن قيمة الإنسان هي هذه ؛ إنك تركض وراء زينة الحياة الدنيا وزخرفها وهذه هي قيمتك ومقدارك لا غير .

إذا تركت التعامل مع اللطيف الخير ، فإن تعاملك سيكون حتمياً مع

(١) سورة التوبه ، الآية ١١١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٤٠ .

النفس والهوى والماء والتراب وبشكل عام مع الشهوات وأعلم جيداً ان تهادى لحظة بعد لحظة فكلما اقتربت من هدفك ابتعدت عن الهدف الأصلي ؛ المسمى القول الآتي « حلوة الدنيا مرارة الآخرة » .

وكلما كنت مطمئناً في الدنيا فستكون في الآخرة محروماً وهذا مصدق للآية التي تقول : « ورضاوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها » ^(١) .

فعندهما يحصل الإنسان على مبلغ من المال تراه ينسى كل أخطائه ومساوهه ويدو عليه البشر والسعادة لماله من اطمئنان بالدنيا .

اما انت يا من تمتلكون عقيدة راسخة تعلمون جيداً بحتمية اليوم الآخر وان الدنيا لعب ولهم وهم إلى الآخرة ؛ « وإن الساعة آتية لا ريب فيها » ^(٢) .

لا ينبغي لكم أن تكونوا مسرورين بدنياكم هذه بل ينبغي لكم أن يكون املكم في الله وفي الوصول إلى حوض الكوثر ؛ لقد قال رسول (ص) في خبر متواتر في الأيام الأخيرة من عمره الشريف ما مضمونه : ساذهبون عنكم عاجلاً إلى حوض الكوثر وسأكون متظراً لكم هناك .

على الفرد المؤمن بمحمد (ص) ان يكون دائم التفكير في يوم الآخرة فهو بين الجميع وقلبه في مكان آخر ، ضمناً لا أقول لكم لا تسعوا في الدنيا بل اقول دعوا الحرص جانباً ولا تخسوا الناس اشياءهم فانا لا أحب لكم الجلوس في الدار بلا تحمل بل إن القرآن يقول لكم « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم » ^(٣) دعوا الراحة والهدوء إلى وقت الجلوس على حافة حوض الكوثر ، انفقوا اموالكم في سبيله سبحانه واعملوا الخيرات « فاستبقوا الخيرات » ^(٤) .

(١) سورة يومن ، الآية ٧ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٣ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٨ .

وفي الواقع نرى البعض يوصي كثيراً ويفترح على الآخرين مسألة الإنفاق ولكنه لا يعمل بما يقول ، وشغله الشاغل هو تحويل الإنفاق إلى من سواه ، ولكنه وحين يسمع بقطعة أرضٍ في المنطقة الفلاحية يمكن أن يستفيد منها بعد مدة أرباحاً طائلة فإنه يسارع إلى شرائها .

علي (ع) ينشط من أجل الآخرة في رمضان الكوفة :

يقول الراوي في الجزء التاسع من بحار الأنوار ما مضمونه : رأيت أمير المؤمنين (ع) في الكوفة وكان ذلك قبل الظهر بقليل في جلسة إتكاء على حائطٍ فقلت لماذا انت هنا ؟ ولماذا لا تجلس في الظلِ وتترك هذه الشمس المحرقة ؟

فقال : جئت إلى هنا علّني انفع في نصرة مظلوم ، واثناء الحديث جاءت إليه إمرأةٌ باكية وهي تقول : يا أمير المؤمنين انصرني ؛ ان زوجي عذبني وطردني من الدار فجئتُ شاكية فقال (ع) اين هو متزلكم فقالت في المكان الفلاحي ، بعيداً عن هنا ، فسرنا ، أمير المؤمنين وأنا والمرأة حتى وصلنا إلى باب الدار ، وبعد طرقها فتح رجلٌ لنا الباب ، ولم يتعرف إلى أمير المؤمنين ، فقال (ع) للرجل : لماذا لم ترَ حق الزوجة ، ولا تعاملها بالعدل ، وبعد أن أفضى الإمام (ع) على الرجل نصائح جمةً أمره بأن يعطيها الحق من نفسه ويسلك معها سلوكاً حسناً ، وبعد أنْ أمرَ أمير المؤمنين هذا بدأ الشابُ المغorer بتلفظ كلماتٍ خلاف الأدب وقال : بسبب شكايتها لك عنِي فإنِي سأريها الويل والثبور ، فسلَّمَ أمير المؤمنين سيفه ذو الفقار وقال : سأمرُ بالمعروف لما قلت من كلماتٍ نابية ، فرأى الشاب أن القضية حامية وفي هذا الوقت يمرُّ شخصٌ ويُسلم على أمير المؤمنين ويقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين فيحمد الشاب في مكانته وكان على رأسه الطير ويعذر إلى الإمام ويطلبُ منه الدخول إلى الدار قائلاً : أقبلُ أمرُك بكلٍّ إحترام بل أضعُ وجهي على الأرض لتمرُّ عليه زوجتي بحضورك ، فشكراً للإمام على طاعته .

دخلت المرأة بيت زوجها بعد ان اوصلها الإمام (ع) إليه ، فشكر الإمام (ع) ربه لما مكّنه الله من اصلاح ذات البيت ووفقه لعمل الخير .

ان الإنسان الجدير بالحياة هو ذلك الذي يبحث عن صلاح نفسه من خلال نصرة المظلوم والضعيف والملهوف ، ناهيك عن الأذكار والأوراد وهذه كذلك أحد فروع الإصلاح ، وخلاصة القول : استفد من عمرك العزيز في عمل الخير واستثمره في الصلاح والإصلاح .

كل نفس من انفاس عمرك كالجوهر فقد [من الإنقياد] نفسك صوب الباري .

إن كل فروع الخير عملاً أو قولًا ، وتمام الشؤون التي تتعلق بأعمال وأقوال الخير ترجع بالأساس إلى المعارف والإدراكات التي يجب أن لا نضيئها جهدًا الإمكان ، فاذهب إليها الشاب وتعرف على ربك ، بل ان ما لديك من الفهم والإدراك يزداد بزيادة معرفتك وحربي بك ان لا تتوانى في هذا المجال .

اترك العمل بالهوى والتزوات الفسانية وتعالى إلى التعامل مع الباري المصور ؛ واجعل « القبر روضة من رياض الجنة ولا تجعله حفرة من حفر النيران ما نريد ان نقوله هو : ان مكانك في البرزخ هو هكذا : بدنك تحت التراب وروحك في عالم البرزخ في راحة وسرور في بستان من بساتين الجنة او لا سمح الله في إحدى الحفر مسجونة تضفطها النار من كل جانب .

نحن نقرأ في الدعاء « ظلمت نفسي وتجرات بجهلي »^(١) الغرض من ذلك أن يبدلنا الله شئم الدنيا بخير الآخرة .

(١) من دعاء كميل بن زياد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) انظر في مفاتيح الجنان المعرّب ، ص ٦٣ .

«الصبر»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهر ومساكن طيبة في جناتٍ عدنٍ ذلك الفوز العظيم وأخرى تعجبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾^(١)

الصبر قياساً بدرجات الإيمان :

ان الحديث عن الصبر واهميته كان ضمن ما تحدثنا فيما سبق ، فبدون الصبر لا يستقيم الإيمان بل أن الصبر والإيمان متلازمين ويعبر آخر أحدهما على الآخر معلول ولا يبتعد أحدهما عن الآخر ، يعني إذا عدم الإيمان لا يتأتى للشخص أن يصبر ، وإذا عدم الصبر لا يمكن للشخص أن يكون مؤمناً . بل يمكن اعتبار الدرجة الابتدائية من الإيمان وجود الصبر وهو ما يقتضي حصول

(١) سورة الصف ، الآيات ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

درجة أعلى من الإيمان ، ودرجة أخرى من الإيمان تقتضي نوع من الصبر ، فإذا ما صبر الشخص فذلك دليل على ازدياد الإيمان وإذا ما زاد الإيمان فسيكون ذلك سبباً في إزدياد الصبر .

وباعتبار أن الصبر والإيمان ودرجات كل واحد منها علة ومعلول احدهما للآخر يستحيل الصبر إذا ما عدم أصل الإيمان ، فإذا ما بان الإيمان وجد الصبر ، فالإيمان القوي هو أرضيته صلبة لصبر سديد وفي النتيجة يرقى الإيمان إلى درجات سامية .

إيمان الطفل وثدي الأم :

أجده نفسي مضطراً لذكر مثالٍ مفصلاً عن حقيقة ؛ فالطفل في سن الرضاعة أي السنة الأولى والثانية لا يؤمن بشيء غير ثدي أمه ، إدراكه يدور حول الثدي فقط ، فإذا ما منع عنه لا يصبر فتراه يبكي ويتزوج ولا يمكن أن يهدئه شيء لأن إدراكه لا يتعدي ثدي أمه ، وسبب عدم صبره لعدم معرفته غير هذا الثدي ، ومتى ما اتته السنة الثانية فإنه سيفهم أشياء أخرى علاوة على الثدي من مثل الغذاء البسيط فإذا ما تعددت الأغذية قليلاً قليلاً فستتجده يفقد علاقته بالثدي وحين يكتمل وضع برنامجه الغذائي ويستأنس بالماكولات المتنوعة عندها لا يعنيه أبداً بثدي أمه .

الإيمان بالأخرة والصبر في الدنيا :

عندما لا تكون لديك أخبار عن عالم الغيب فلن يكون لديك إيمان بالله واليوم الآخر في الوقت الذي لم تفهم شيئاً ما خلا أوضاع الدنيا كيف يتأنى لك الصبر على الدنيا ومصباتها ، إذن يلزمك هنا حالة غير مطبوعة لتمكن من الصبر على مصائب الدنيا لأنك قبل هذا لا إدراك عندهك وكما هي الحالة الأولى التي عرضنا لها المتمثلة بالطفل والثدي .

نعم ، إذا ما حصل الإيمان « الذين يؤمنون بالغيب »^(١) وفهمت أن هناك عالماً آخر ، وما هو هنا زائل ومؤقت وان هناك حياة عظيمة فيها المسرات والسعادة الكبرى وانت لم تكن لتدرى بأن وراء الحجب نعم كثيرة ربها البارئ لك « فلا تعلم نفس ما أخفى لها من قرء أعين »^(٢) فإذا ما صدقت هذا المعنى وقبلته من الرسول (ص) حينها لن يتعلق قلبك بالدنيا ، وما كان من تعلقك بهذه الحياة التي رأيت منها المسرة والمصيبة هو أمرٌ طبيعي لأنك لم تكن لتعلم أنها دارٌ غرور ولعبٌ ولهم قياساً بتلك الحياة الأصلية « اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهم وزينة وتفاخر »^(٣) .

فحزنك لماذا ؟ وعدم صبرك لماذا ؟ وكل شيء لديك سلمته إلى الدنيا لأنك غافل تماماً عن العالم الأعلى . « بل ادراك علمهم في الآخرة بل هم في شئ منها بل هم منها عمون »^(٤) ؛ مثل هذا البشر لا يمكن أن يتعدى إدراكه وحد علمه المادييات ، وهذه الحياة التي يعيشها تعتمد التراب والأرض فلم يتوصل إدراكه إلى مسائل الحياة الأخرى ؛ لكن من العمر سبعين سنة ولا تعطي من وقتك ساعة تتفكر فيها في العالم الذي ستؤول إليه ، وليس هناك تعبير أرفع من التعبير القرآني الذي يقول : « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »^(٥) .

« فلا تحسبن الله مختلف وعده رسله »^(٦) .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣ .

(٢) سورة السجدة ، الآية ١٧ .

(٣) سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

(٤) سورة النمل ، الآية ٦٦ .

(٥) سورة المعارج ، الآية ٤ .

(٦) سورة إبراهيم ، الآية ٤٧ .

﴿ وَمَنْ أَوفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ (١).

لقد وعد الله وعداً عظيماً للذى كان مؤمناً حقاً ، وكذا نوه وصرح الأنبياء والرسول سلام الله عليهم أجمعين ، فالصبر يدفع بالإنسان إلى الإيمان ، على عكس ذلك الشخص الذى يعطي أهمية خاصة للدنيا بسبب عدم معرفته وعلمه لما وراء الموت ، فإذا ما تكامل نمؤه العقلي وعلم أن هناك عالماً آخر حينها سوف يقطع أمله من الدنيا الفانية ويتوجه بكله صوب الآخرة الباقيه .

تهاجرا فخرجا من الاسلام :

جاء في روايات أهل آل الرسول (ص) في أصول الكافي ومن لا يحضره الفقيه عن الصدوق بستنـد متصل متواتر على خاتم الأنبياء محمد (ص) انه قال ما مضمونه : « أئما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثة لا يصطلحان إلا باتا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية » (٢) .

لقد باتت الدنيا عندك مهمة وان العالم الآخر ليس مهمـا !! تفكـر جيدـاً في حكايات الجنة والنار فعجاـبا لك يتعلـق إيمانـك بهذه الدنيا الزائلـة ؛ فالشخص الذى يعتقد ويصدق بالحياة التي هي بعد الموت يرى مسائل الخصم والتهاجر مسائل طفولـية ومن هنا جاءت عبارة « خارجين عن الاسلام » لأنـهما في ظاهر الأمر يفتقدـون الاعتقـاد في الحياة الأخرى .

أـي خـوف هو الـذى يـذهب نـومـك ؟

إنك عندما تسمع حدـيـثـاً قـيلـ في غـيـابـك تـأـثـرـ جـداً إـلـى درـجـة لا يـفـضـلـ لك جـفـنـ ولكنـ كـيفـ يـتـأـتـىـ لـكـ النـومـ وـانتـ قدـ سـمعـتـ بشـدـانـدـ أولـ لـيـلـةـ فيـ القـبـرـ ، انـهـ مـنـ الـمـسـلـمـاتـ انـ يـكـونـ الـأـوـلـ مـؤـمـناًـ اـسـمـاًـ وـرـسـمـاًـ ، أـمـاـ الثـانـىـ فـإـيمـانـهـ لا

(١) سورة التوبـة ، الآية ، ١١١ .

(٢) أصول الكافي - الكليني ج ٢ ص ٣٤٥ .

بتعدي حدود المال والعنال والجاه والمقام .

هل حدث يوماً أن بلغ تأثير هذا الخبر المهم على شخصٍ وحرمه نومه ؟
ينبغي أن يكون إيمانه بالعالم العلوي ، فإذا ما لم يكن إيمان بالله وبالآخرة
ووسائلات القبر ، وينذهب القلب إلى العالم الأعلى بشكل بقي على تعلقه
بالحياة الدنيا وأمالها ، فهنا يتجمس السقوط في عالم البرزخ وحينها يقول
الإنسان « رب ارجعوني * لعلني أعمل صالحاً فيما تركت كلاً . . . »^(١) .

الم تحرّك كل هذه الدعوات الالهية قلبك ، فيا أيها الشاب تحرّك بعلاقة
نحو العالم الأعلى واسأله الرحمن الرحيم وقل « اللهم إني استلّك الإيمان
والامن بك والتصديق بنيك » .

يرقى الإيمان ببركة الصبر :

عندما تكون مؤمناً بالله وبالغيب وبالعلم العلوي فسيكون إيمانك هذا سبباً
يمكّنك من الحصول دون ارتكاب المعاصي لأنك أصبحت على علمٍ بأخبار
العلم الآخر وهذا الحصول دون ارتكاب المعاصي يرقى بك إلى درجات سامية
من الإيمان ويعبر النبي الأكرم (ص) فيقول فيما يروى عنه بالمضمون : لو
صبرت على المصائب كموت الولد وفقدان المال يرفعك الله ثلاثة درجات في
الإيمان ابتداءً من الأرض وحتى العرش وإذا ما صبرت على الواجبات رفعك الله
ستمائة درجة كل درجة بمقدار يبدأ من تخوم الأرض وحتى العرش وإذا ما
صبرت على المعاصي رفعك الله تسعمائة درجة .

فكلما كان الصبر شديداً كان إيمان الإنسان قوياً وكلما زاد بالصبر زاد
إيمان الفرد حتى يكون ذا حظٍ عظيم ، وقد ذكرنا في ما سبق مثالاً عن الأم
والطفل فحينها قلنا : عندما تزيد الأم أن تمنع ولدها من ثديها في الأشهر الأولى

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٩٩ - ١٠٠ .

يمتنع الطفل عن الامتثال إلى ذلك لماله من علاقة فلذا لا تعمد الأم إلى فعل ذلك دفعة واحدة لطبيعتها العاطفية ولعلها أنَّ الطفل في هذه الحالة سيكون عرضةً للتعقيد ، لذا تدرج الأم في هذا الأمر من خلال اطعام الطفل الطعام البسيط من حلويات وأغذية سائلة إلى أن تصلَّ به إلى وضع يتحمل فيه الطفل ويصبرُ على ترك الثدي معرضةً ذلك بالأغذية الأخرى ، فالطفل يصبر على حلاوة الأغذية الأخرى ويتركُ الثدي المطلبي بالمرارة لأنَّه علِمَ أنَّ غذاءه توفر من مكان آخر هو غير الثدي ، على الرغم أنه قد يعاني ويترنح في أول الأمر ولكنه يسلم حين يطمئن إلى مصدر آخر للغذاء .

يبدل الله مرارة المصيبة بحلاوة الإيمان :

إنَّ الله تبارك وتعالى أرحم من الوالدة على ولدها ، فالشخصُ الذي يروم العالم العلوى ويريد أن يُصبح ربانِيَا الهياً ومحمدِيَا يجعل الله له حلاوة الدنيا مُرْءَةً ، يُرسِلُ إليه البلاء من أجل أن يطلب الآخرة ، فالبلاء للمؤمن يُعدُّ من أكبر النعم فهو يسمو به من التراب إلى المقامات العلى ، وَيُرسِلُ الله بلاياً آخر حتى يقول المؤمن : إلهي متى أصيِّرُ إلى جنوار عليٍّ (ع) ؟ وينتجلى هذا البلاء خصوصاً قبل الموت بشكلٍ مرضٍ يتلطف به الباري جلت قدرته ليرقى المؤمن إلى طلب الآخرة بشكلٍ أعمق وأكثر جدية .

إنَّ بعض الأجلاء يُفبرُ الرواية التي تقول « ما ترددت في شيءٍ كترددي في قبض روح مؤمن » كالتالي : هو ان أحد معاني التردد في الحديث الشريف هي البلايا ، فعندما يكون العبد مورد لطفي الله يتليه بمصيبة مريبة ويقسم له قبل موته اي في حالة نزع الروح لكي تتعلق عيناه بعليٍّ (ع) فيسلم أمره الله الحالى المصور ؛ هل سمعت :

كلَّ من كان اقربَ الله في ايمانه سوف يُعطى كأسَ بلاءٍ ملئى
لقد جاء في الروايات المتواترة والكثيرة أنَّ اشدَّ البلاء أولَ ما يصيب

الأنبياء يعقبهم الأولياء والأوصياء وبعد ذلك المؤمنين على قدر درجاتهم « إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلوثهم الأمثل فالأمثل »^(١) .

ويقول الإمام جعفر الصادق (ع) : « إن المؤمن بمنزلة كفة الميزان كلما زيد في إيمانه زيد في بلائه »^(٢) .

وعلى هذه الموازين يربد الله تبارك وتعالى ان يصل البشر إلى مقامات سامية ، وطريق الواحد الأحد هو هذا ، فإذا ما ظنتم ان تصلوا إلى الدرجات العُلُّى من الإيمان عن طريق الترف والبذخ فذلك خطأ فاضح ، وواضح هذا في دعاء الندبة حيث تقرأون « بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنيا »^(٣) ، فلقد كان شرطاً مع الأنبياء والأئمة ان يمارسوا الزهد ويصبروا عليه ، وإذا لم يكن هناك صبر فليس هناك سمو ولا رقي ، فالصبر على البلايا يصل بالإنسان إلى العبودية لله ، ومن خلال الصبر يحظى الإنسان بلطيف المولى تعالى في الدنيا والآخرة .

انموذج من التلافي الإلهي على يوم القيمة :
يعوض الله جلت قدرته المؤمن في يوم القيمة .

اللهي انتي عبد في بلاطك فدعني أجوز العرش الأعظم مبتسما فيأتيه النداء : يا أيها المؤمن الذي تحمل البلايا والمصائب وصبر عليها في سبيلي فالليوم اعوضك عن تلك الأيام .

ان الذي آمن بالغيب يصدق هذه المسائل ، وعليكم انتم كذلك أن تتيقنو أن أهل الصبر يحظون بالفعل بهذه الدرجات وتلك المقامات ويصلون

(١) سفينة البحار ، ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) سفينة البحار ، ج ١ ص ١٠٦ .

(٣) دعاء الندبة في مفاتيح الجنان المعرف - لعباس القمي ص ٥٣٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِتُبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ
أَوْتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنِي كَثِيرًا
وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْرِ ﴾^(١)

صعوبة الصبر على المعاصي والأجر العظيم :

جاء في أصول الكافي في رواية عن خاتم الأنبياء محمد (ص) يقول فيها ما مضمونه : «إن المرتبة الأولى في الصبر هي : الصبر على المكاره والمصائب والبلایا وللصابر فيها سلامة درجة والمرتبة الثانية هي الصبر على الطاعات وفيها يحصل الصابر على سلامة درجة أما المرتبة الثالثة فهي الصبر على عدم المعاصي وهي أصعب مرتبة ففيها يحصل الصابر على سلامة درجة » .

فإذا ما تهيات أسباب المعصية يقتضي أن يمتنع الإنسان عن الوقوع في المعصية وهذا ما يحتاج إلى قدرة عالية ، فالشاب الذي يمتنع عن المعصية في خلوته مع إمرأة أجنبية مع توفر كل مستلزمات المعصية يكون كف النفس فيها صعباً جداً أو فقير مبتنى ويتفق أن يكون مال الآخرين تحت يديه من مثل مال

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

وقف أو امامة وهو محتاج ولا يملك من حطام الدنيا شيء فهنا يكون الامتناع عن عمل المحرم صعب ، لذا قال رسول الله (ص) بأجره العظيم وعدّ له المولى جلت قدرته تسعائة درجة كل درجة تبدأ من تخوف الأرض إلى متنه العرش ؛ وتقسم هذه الدرجات إلى واجب ومستحب .

أولاً على كل مسلم أن يعرف الواجبات والمحرمات فيسعى الآية فوفته الواجب ويکابد من أجل عدم الخوض في المحرم .

فكـل إنسـان يـصـدر مـنـه عـلـى مـحـرـم يـتـضـاءـل إـيمـانـه ، إـذـا مـا زـادـ فـي الـأـعـالـ المـحـرـمـة فـاـنـ أـصـلـ إـيمـانـ يـضـحـيـ فـي خـطـرـ ، فـإـذـا مـا تـهـاـوـنـ فـي الصـبـرـ عـلـى الـخـطـاـيـا فـكـنـ عـلـى يـقـيـنـ أـنـ إـيمـانـكـ فـي خـطـرـ ، فـالـذـيـنـ يـسـتـصـفـرـونـ الـمـعـاصـي وـيـسـتـهـزـءـونـ بـهـا يـتـحـولـونـ إـلـى كـفـارـ بـدـلـيلـ الـآـيـةـ الـتـي تـقـوـلـ : « ثـمـ كـانـ عـاقـبـةـ الـذـيـنـ اـسـأـواـ السـوـاـيـ أـيـ كـذـبـواـ بـأـيـاتـ اللهـ وـكـانـواـ بـهـا يـسـتـهـزـءـونـ » (١) .

فـإـذـا لـم تـكـنـ مـنـ الصـابـرـينـ عـلـى تـنـفـيـذـ الطـاعـاتـ أوـ عـدـمـ الدـخـولـ فـي الـمـعـاصـي فـاعـلـمـ أـنـ إـيمـانـكـ فـي خـطـرـ ، وـبـنـاءـ عـلـى هـذـا تـكـوـنـ مـرـاتـ هـذـا الصـبـرـ وـاجـبـ ، وـاـنـ هـذـهـ الـمـرـاتـ الـثـلـاثـةـ مـنـ الصـبـرـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـوـنـ وـاـصـحـةـ لـيـتـمـكـنـ الـإـنـسـانـ مـنـ مـعـرـفـةـ الصـبـرـ الـوـاجـبـ .

الـبـلـاـيـاـ الـتـكـوـيـنـةـ غـيرـ الـإـخـتـيـارـيـةـ :

الـمـرـتـبـ الـأـوـلـيـ الـتـي تـعـرـضـنـ لـهـا مـنـ الصـبـرـ هيـ : الصـبـرـ عـلـى الـمـصـابـ وـالـبـلـاـيـاـ ، فـالـأـشـيـاءـ الـتـي هيـ خـلـافـ رـغـبـةـ الـإـنـسـانـ عـلـى نـوـعـيـنـ : نـوـعـ مـنـها تـكـوـيـنـيـ : أـيـ الـأـمـرـوـرـ الـتـي لاـ تـرـتـبـطـ اـبـدـاـ بـفـعـلـ الـبـشـرـ وـلـكـنـها تـزـعـجـ الـإـنـسـانـ وـتـثـيـرـ حـفـيـظـتـهـ مـنـ مـثـلـ الـأـمـرـاـضـ وـالـفـقـرـ وـالـحـاجـةـ وـكـلـها لـيـسـ مـنـ اـخـتـيـارـاتـ الـبـشـرـ بلـ هيـ قـضـاءـ اللهـ وـتـقـدـيرـهـ الـإـلـهـيـ بـنـاءـ عـلـى مـصـلـحةـ أـوـ حـكـمـةـ يـعـلـمـهاـ اللهـ وـحـدهـ

(١) سـوـرـةـ الرـوـمـ ، الـآـيـةـ ١٠ـ .

ومن جملتها موت الأقارب والإبناء وما شابه؛ وقد تكررت في القرآن المجيد الآيات التي تشير إلى هذه المسألة فيقول الباري جلت قدرته: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في مقامها﴾^(١) وقال عز من قائل في آية أخرى:

﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وکل بكم﴾^(٢)، ومن المكاره التكوينية البرد القارص والحر الشديد الذي لا دخل فيه للإنسان؛ كل هذه المكاره يكون الصبر عليها واجب فلا يجوز فيها الجزع والاعتراض، لذلك يجب الصبر على كل مسلم فيها.

فلا اعتراض هنا على القضاء الإلهي هو أحد حدود الكفر، واضطرام الغيط في الصدر من البلايا التكوينية حرام ولا يجوز أبداً ذكرها باللسان.

فعلى سبيل المثال، كان مرض الشخص الفلاني سبباً في خروجه على حالة الصبر حينذاك يتقول الأقاويل ويرجع السبب إلى أن الله جل وعلا أراد به هذا العرض ليضر به حرام؛ فالصبر على المرض أو في ما يشابه هذا المقام يعني عدم الاعتراض على الواحد الأحد.

وقد ذكر لنا كتاب وسائل الشيعة في باب آداب المريض روايات كثيرة من جملتها سؤال عذة من الناس لأحد المقصومين، كيف يكون الصبر بشكایة وكيف يكون بدون شکایة؟ فأجاب سلام الله عليه: إذا سُئلَ من مريض، كيف حالك اليوم؟ فيجيب: لقد ابتليت بيلاء لم يتبَّلْ به أحد قبلِي !! هذه شکایة .

فالشکایة أن يقول الشخص: قضيت الليلة البارحة بشكل لم يكن

(١) سورة الزمر، الآية ٤ .

(٢) سورة السجدة، الآية ١١ .

ليخفيها أحد ، لا ادري ما الذي فعلته حتى يقول الله معي هذا الشيء؟ بينما كان الاجدر به ان يقول : قضيت ليلة البارحة مموماً وصرف النظر عن اخبار الواقع ، او يقول : لم انتم ليلة البارحة فادعوا الله لي بالشفاء من مرضي .

الاعتراض على قضاء الله علامه عدم الإيمان :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يَؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوكُمْ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرْجًا مَا قَضَيْتُ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا﴾^(١) .

إذا كنت تعلم أنك عبد الله فما هو اعتراضك؟ ما الذي تعنيه من كيف ، ولماذا؟ فإذا ما كنت تعلم ان لك خالقاً مدبراً هو الذي أتي بك وهو الذي يأخذك وهو الذي يحفظك ، رزقك منه وكل شيء لك منه ، إذن فلا حق لك بالاعتراض على المولى العزيز القدير بل هو الذي له الحق عليك انت المخلوق وهو الخالق أنت الذي تقول عقب الصلاة «رضيت بالله ربّا» .

إذا كان العربي هو الله فلا ينبغي للعبد أن يُبدي وجهه نظره ، فالصلاح لا تعرفه انت وانما الذي يعرفه هو الله وحده لا شريك له ولا يمكن عملك نظير أعمال المسلمين في صدر الإسلام حين نصب النبي (ص) علياً (ع) رئيساً عليهم فاعترضوا وقالوا : من المفترض أن يكون الشيوخ هم الرؤساء وبعد ذلك يأتي دور علي (ع) وما كان اعتراضهم هذا إلا على الله والنبي حين كان قصدتهم بأفضلية علمهم وترجيحه على علم الله والرسول (ص) .

إذن ، فالصبر على المكاره والبلاء التكوبية واجب ، ولا ينبغي الاعتراض والجزع والفزع المتضمن للاعتراض ، فالبكاء في المصيبة لا عيب فيه ولكن إذا تعدد الأمر إلى أكثر من ذلك يحسب حساب الجزع من مثل شدة الجيوب واللطم على الخدود ، وقد ذكرت هذه القضايا بصورة مفصلة في

(١) سورة النساء ، الآية ٦٥ .

الرسائل العلمية مع توضيح دقيق ومتصل .
الصبر على البلايا التي تأتي بفعل الآخرين :

إن المكاره الثانية في عالم اليوم هي تلك المكاره المصائب التي تنزل على الإنسان بفعل الآخرين أي بفعل البشر ولا ترتبط بالقضاء ولا بالقدر كان يكون أكلُ اموال الغير ، أو الإسقاط في نظر الناس ، أو الإهانة ؛ فكيف يكون الصبر على هكذا مكاره ؟

هذه المكاره على شعبتين ، الأولى امور حرمها الشرع الإسلامي واعطى الشرع الحق للإنسان المبتلى فيها ، وعدم الصبر عليها قبل تعين الشارع المقدس لذلك الإنسان حرام ، فعلى سبيل المثال : لو كان شخص شتمك ووصفك بوصف خلاف الشرع والأدب ، فلا يجوز لك الرد بالمثل بل عليك الذهاب إلى حاكم الشرع وحينها يجلد المتتجاوز تمانين جلدة إذا ثبت لك الحق عليه ، وإذا سبك شخص ونسب أشياء لا تليق بالمسلم إلى أمك أو اختك ، في هذه الحالة يحق لأخيك أو لأمك المطالبة بجلده بعنوان أنه قدفهم لما ليس فيهم .

ان التجاوز على الحد المعيين الذي قضى به الشارع الإسلامي حرام أي أن شخصا سلب مالك يحق لك مطالبه بالمال ولكن لا يحق لك سبّه وشتمه ولا يحق لك أن تذهب بماء وجهه أو تضرره أو ما شابه ذلك .

الانزعاج من خلال المعاشرة :

ثانياً : قد تتأتى بعض الإزعاجات من خلال معاشرة أو محادثة الزوجة الزوج ، الاخ ، الاخت ، الشريك ، رفيق السفر ، وغيرهم فقد يتحدث أحدهم بشيء خلاف رغبة السامع فينقلب الحديث إلى جدل على مسائل تافهة ولا تنسجم مع الروح البشرية السامية ففي هذه الحالات يكون الصبر واجباً ، ولا ينبغي أن يكون حديث الأوهام سبّا للحقد والعداوة وتكدير الصفو .

إن فلاناً لم يأت لفاتحة والدي وانا قبل ذلك سوف لن أضع قدمي بعد اليوم في بيته ، ان فلاناً لم يسلم عليٌ وانا بعد الآن لن اهتم به ولن أحدهه .

ان الشخص الذي يسعى وراء هكذا أحاديث خيالية وأوهام بعيد كل البعد عن الإيمان ومعرفته ؛ أين هو عقله ، ان هذا الشخص عليه أن يتسامي ويرقى إلى درجة يصل معها إلى عدم الإهتمام بهكذا أحاديث طفولية .

الجمل والهاون ، وصوت الحذاء :

لقد كان للسلطان محمود الغزنوی جمل حمل على ظهره هاوناً يستخدمه لطعن الحنطة والشعير وما إلى ذلك ، وعند مرور الجمل في أحد الأزقة وإذا بطفل يخلع نعليه ويضرب أحذئها بالآخر ليُخفِّفَ الجمل ، وكأنني بالجواب يأتي من الجمل : أيها الطفل : ان صوت الهاون ما يزال في أذني فما قيمة صوت نعلك .

أنت أيضاً أيها المسلم عليك ان تكبر وتسمو من خلال سماحك لدعابة الله الأنبياء لتحرك صوب هدفهم ولا ينبغي لك أن تهتم بالآحاديث التافهة الجزئية .

في خبر عن أنَّ الإمام علياً (ع) كان ولدمة ستة أشهر يقول للمصلين بعد صلاة العشاء ما مضمونه : « تجهزوا رحمة الله فإنَّ أمامكم عقبة كثوداً ومنازل مخوفة » ، هذا هو صوت علي (ع) يجب أن يبقى أثره دوماً في أذنك لا القيل والقال الصبيانية .

وقد روي عن النبي (ص) أن البعض يبقى أربعين عاماً باهتاً ، يخاف ؛ وهذه حقائق ليست بقصص .

يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه في ما روى عنه بما مضمونه : « لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيرتم كثيراً »

من أجل ماذا أتخاصل على الرغم اني لا أعلم عاقبة امري الى أين

نَزُولٌ ، وَأَكْثَرُ أَعْمَالِي هُنَا صَبَابَيْةٌ ؛ وَبَعْدِ الْمَوْتِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ دَرَجَاتٍ وَمَقَامَاتٍ
وَلَكُنِي لَا أَعْلَمُ مَا الَّذِي سِيَحْدُثُ لِي ؟ .

نَهْدِيَاتٌ لِمَنْ يَتَخَاصِمُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ :

عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْبِرُوا قَبْلَ أَفْعَالِ الْبَشَرِ مَهْمَا كَانَتْ غَيْرُ مَلَائِمَةٍ فَالصَّبَرُ هُنَا
وَاجِبٌ ، وَحَرَامٌ هُوَ التَّخَاصِمُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِدَافَعِ الْأَهْوَاءِ الشَّخْصِيَّةِ فَالْخَصَامُ
يُعَذِّبُ الْأَنْسَانَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ الرَّحِيمِ وَيَقْرَبُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي
بَابِ الْهِجْرَةِ مِنْ كِتَابِ أَصْوَلِ الْكَافِيِّ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ وَمَسْنَدَةٌ عَنْ أَنَّ الْإِمَامَ
الصَّادِقَ (ع) يَلْعُنُ فِيهَا الْمُتَخَاصِمَ ؛ فَعَلَى إِحْدَى الرِّوَايَاتِ يَقُولُ (ع) : « لَا
يَفْرُقُ رَجُلٌ عَلَى الْهِجْرَانِ إِلَّا اسْتُوْجَبَ أَحَدُهُمَا الْبَرَاءَةُ وَاللَّعْنَةُ ، وَرَبِّمَا اسْتَحْقَ
ذَلِكَ كَلَامًا . »

فَقَالَ لِهِ مَعْتَبٌ : جَعَلْنِي اللَّهُ فَدَاكَ هَذَا الظَّالِمُ فَمَا بَالِ الْمُظْلُومِ ؟ قَالَ :
لَأَنَّهُ لَا يَدْعُوا أَخَهُ إِلَى صَلَةٍ وَلَا يَتَغَامِسُ لَهُ عَنْ كَلَامِهِ ، سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ إِذَا
شَارَعَ اثْنَانِ فَعَازَ أَحَدُهُمَا الْأَخْرَى فَلِيَرْجِعِ الْمُظْلُومُ إِلَى صَاحِبِهِ حَتَّى يَقُولَ
لِصَاحِبِهِ : أَيُّ أَخِي أَنَا الظَّالِمُ ، حَتَّى يَقْطَعَ الْهِجْرَانَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ صَاحِبِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُكْمُ عَدْلٍ يَأْخُذُ لِلْمُظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ »^(١) .

وَبِالْخَصَامِ يَتَعَرَّضُ الْمُؤْمِنُ لِلْخَطَرِ ، فَيَقْبِضُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَلْبِهِ فَلَا تَجْعَلْ
لَهُ إِلَى قَلْبِكَ مِنْ سَبِيلٍ ؛ فَصَاحِبُكَ هُوَ الَّذِي بَدَأَ بِالْخَصَامِ وَلَكُنِكَ تَسْتَطِعُ أَنْ
تَصْلِحَهُ بِقَوْلِكَ أَنَا ظَلَمْتُكَ أَوْ أَنَا ظَالِمٌ وَمَا قَلْتَهُ صَحِيحٌ لَأَنَّهُ مِنْ مَا لَمْ يَظْلِمْ نَسْهَهُ
« ظَلَمْتُ نَفْسِي وَتَجَرَّأْتُ بِجَهْلِيِّ . . . وَخَدَعْتُنِي الدُّنْيَا بِغَرْوَرِهَا »^(٢) .

وَقَدْ رُوِيَ أَيْضًا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَغْشِي عَلَيْهِ حِينَ يَرَى اثْنَيْنِ يَصْطَلِحَانَ مِنْ كُثْرَةِ

(١) الْأَصْوَلُ مِنَ الْكَافِيِّ - لِلْكَلِينِيِّ بَابُ الْهِجْرَةِ ج ٢٣ ص ٣٤٤ .

(٢) دُعَاءً كَمِيلًا فِي مَفَاتِيحِ الْجَنَانِ الْمَعْرُوبِ ، الْعَبَاسِيِّ الْقَعْدِيِّ ص ٦٣ .

إنزعاجه إننا نقرأ في مناجاة زين العابدين (ع) في الصحيفة السجادية ، « الهي وارفعني عن مصادر الذنوب » فكل ما يوافق هو النفس ونزوتها هو من مصادر الذنوب في مقابل الصلاة والصيام وهذا ما قال فيه رسول الله (ص) بإعطاء ثلثمائة درجة لمن يصبر على بلايا الدنيا ، وإذا لم تكن لتفعل ذلك فكيف يتأتى لك التعامل مع الصلاة والصوم أو بعض الأعمال المستحبة التي تترجم ورغباتك والبعض قد يكون منها بأمر من الشيطان ، وتشخيص هكذا مسائل مشكل جداً ومن أجل توضيح أكثر استعرض عليكم انموذجاً .

نصب الحجَّ ، واعطاء الماء للأمَّ :

يقول أحد أهل المعرفة ، كنتُ اسافر إلى مكة مائياً فيما مضى ؛ على الرغم من أنَّ السفر في السابق صعبَ جداً لما فيه من مشيٌّ على الأشواك والرماد وعبر الأنهر ، وفي أحد الليالي الباردة وحينما كنتُ أريد الحجَّ وكانت برفقتي والدتي ، وبعد منتصف الليل نادتني والدتي ت يريد قدحًا من الماء ، فتقاعست في الأمر هذا لأنَّ الجوًّا كان بارداً جداً خارج الحجرة فقلت له : اصبري يا والدتي فلم يبقَ شيءٌ على طلوع الفجر ، وأخيراً صبرت والدتي نفسها على الإنسجام مع العطش حتى طلع علينا الصباح .

وفي الغد بدأتُ أفكَّر بنفسي وبحالتي وبعملي الذي عملته ، فأنا أسير على الأشواك في البرد القارس للوصول إلى مكة المكرمة في الوقت الذي لا أطيع والدتي مع العلم أن طاعتها واجبة ، وحينها فهمت أن ما أعينه من تعب ونصب في سبيل الحجَّ يختلطُ معه هو النفس .

إذن ، لا معنى من أن يحجَّ الإنسان حجاً مستحجاً ويتحمل في سبيله كلَّ هذه المشاق وفي نفس الوقت لا ينفذ الأمر الواجب ولا يراعي حقوق الأمة !!

الجفاف المقدس كمِن الشيطان :

يقولون لك ان خصامك حرام ، فلا تلتفت إلى ما يقال لك ؛ ومع ذلك

تبحث عن الأعمال المستحبة ل تقوم بها ، وهذا هو الهوى النفسي وكفين الشيطان ، وليس فيه نفحة رحمانية ، وإذا ما كان الإنسان يعمل خالصاً لوجه الله فإنه سيعطي الواجبات أهمية خاصة ويعطي المحرمات كذلك أهمية خاصة ويعتبرها أهم من المكرهات ، والمهم في الأمر هو عدم تفويت الواجبات ، وعدم الولوغ في المعاصي .

فعلى طريق النفس والشيطان يعطي الإنسان المستحبات أهمية خاصة بينما لا يعني بإنجاز الواجبات وترك المحرمات وإذا ما ^{أُنْهَى} إلى ذلك ، كفر بما تقول .

عبادة الله غير عبادة الهوى :

يا أهل القرآن لا تغضبوا واعلموا ما الذي جرى لليهود والنصارى والمرتدين وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم حين قال ﴿لَتُبْلُوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْنِيَّا كثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمْوَارِ﴾^(١) .

اتقوا الله ولا تخاصموا ، ولا يهجر بعضكم بعضاً إن ذلك من عزم الأمور ، فإذا ما تحلى الإنسان بإيمان قويٍّ وصحيحٍ فإنه سيفُك كالطود الشامخ قبالة المنغصات والتي تصيب كل شخصٍ إجمالاً وبالخصوص من خلال المعاشرة .

وإذا ما أضررت بك الدنيا ووقيت في المصائب ولم تصبر على ذلك فإلك تظلم نفشك ولا تعلم ، ولا تُعرف عاقبة هذا الأمر فقد تذهب بإيمان راسخ وقد تذهب بدونه وبذلك تكون قد وقعت في حبائل الشيطان وكما ثناه عندها لا تصل إلى ما تريده بل تبقى في الوضع الذي أنت فيه من جهة . إن الإنسان بشكل عام

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٦ .

لا يصلُ إلى حدُ الإنسانية والكمال إلا أن يكون صاحب إرادة قوية ؛ نحن نسمع منك : إن الساعة حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، والقيامة حق والأخرة حق ؛ إذن ما هو هذا الانحطاط الذي يصدر عنك بين فينة وآخرى .

الجنة حق ، إذن كل ما دونها باطل فلماذا تنشغل بأعمال الباطل التي توصلك إلى جهنم ، فإذا ما كان لديك إيمان لكنك من الصابرين ؛ لمن تعطى أهمية ، أتعطي أهمية للقلة والزيادة من الأوهام على الرغم من أنك قبلت الحق ، حق الآخرة والعالم العلوي وصدقت به ؛ فلماذا إذن سقط في الباطل وسلوكك هو شاهد ودليل على ذلك .

صبرت أم لم تصبر مرجعه إليك ، وعندما يقال لك : اصبر ففعه إليك ، فمن خلال الصبر تتمكن من السمو والرقي في البين الانساني الواقعي والذي يكون محمد (ص) هو رأس الإنسانية الواقعة ويليه في ذلك آله الطيبون الأطهار .

«الصبر»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ولاتستوي الحسنة ولا السيئة إدفع بالتي هي أحسن
فإذا الذي بيتك وبيته عداوة كأنه ولئن حميم * وما يلقاها
إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾^(١).

عدم تجاوز حد القصاص :

نذكر هنا ثانية بأنه : بدون الصبر لا يترکي الإنسان ولا يضحي مهينًا
للجنّة ، بل بدون الصبر يبقى الإنسان محدود الادراك ولا يمكن أن يتحقق
بمسيرة علماء الدين .

وبدون الصبر لا يصل البشر إلى مقام اليقين لأن تمام الكمالات الإنسانية
والدرجات الروحانية مقدمتها الصبر ؛ إن أحد ثُغُر الصبر هو الصبر على
المكاره والذي لا يعبأ أهل الإيمان به في الأغلب الأعم متصورين أنهم سيصلون
إلى ما يريدون بدون الصبر على المكاره في حين أنه إحدى الواجبات ؛ فالصبر
في مقابل الظلم أو المنفَصَات أو الأذى البدني أو المالي أو الذي يتعرض
للناموس أو العرض ، حرّي بالمؤمن أن ينهج أحد نهجين اما العفو والصبر على

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٤ - ٣٥ .

ما نزل به ، أو تلافي الأمر حسب الشرع الإسلامي والعقل ولكن ينبغي هنا أن نذكر بأن تلافي الأمر أي بالقصاص لا يجدر أن يتجاوز الحد الذي قال به الشارع المقدس ، لأن تجاوز الشرع ظلم .

إن الله جلت قدرته لا يحبّ الظالمين ، فالذي يبغضه المولى تعالى كيف يتأتى له أن يذهب إلى الجنة ، فإذا ما تجاوزت بشيء قليل حد الشرع في تنفيذ قصاص فإنك ستكون ظالماً والظالم مطرود وملفوظ . . « والله لا يحبّ الظالمين »^(١) .

وقد ذكرنا وكررنا كثيراً من الأمثلة قد يكون قسم منها عالقاً في اذهانكم ففي العادة يجلس البعض تحت المنبر لكسب ثواب أكثر أو ليشن على الإمام الحسين (ع) أما إذا ما كشفنا على سبيل الفرض عن خفايا قلبه لما رأينا أنه يريد الإزدياد علمياً أو يريد زيادة إيمانه ، فعلى زمان صدر الإسلام والائمة الأطهار سلام الله عليهم كان كل من يكون مرافقاً لهم يجد سبيلاً يصله إلى السعادة الدائمة من خلال انتهاج نفس النهج الذي يتزمه الائمة وسلك عين سلوكهم .

إذا أخرّ شخص يبدنك كان يكون جرّح بسيط ، وأردت الاقتصاص منه فلا ينبغي لك أن تضرّ به أكثر من ذلك الجرح وإذا ما فعلت ذلك فسوف تعتبر انساناً ظالماً ، ففي البداية كنت مظلوماً والآن أصبحت ظالماً بعدها تجاوزت الحد الذي كان مسماحاً به لك .

فلو صفعك شخص على خدك فاحمر خدك لذلك فرددت عليه الصفة ولكنك سوّدت خدّه بصفعتك وهنا تكون قد ارتكبت معصية ، والافضل من ذلك أن تعفو وتصفح عنه « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »^(٢) .

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

فلو أن شخصاً سرق أموالك أو كان لك طلبٌ عنده ولم يعطك أياه أو بالآخر لا يريد اعطاءه إياك ، فليس لك من الحق إلا ما تطلب ولا يجوز لك أكثر من ذلك فإذا كنت تطلب مائة دينار فلا ينبغي أن تأخذ المائة دينار وفوقها مائة وجهه أو أي شيء آخر وبذلك تكون ظالماً له ولنفسك .

أو أن شخصاً سبّك وشتمك ، فاصبر فإن الصبر هنا واجب ، فالنفس تقول لك اشتمه أكثر مما شتمك ولكن الله يقول لك ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُم﴾^(١) ، فإذا ما تجاوزت الحد المعيين لك من الحق فتصبح ظالماً ، ويتناصل الحقد والضغينة في قلب خصيمك وهذا هو عين المعصية والهلاك .

الحادي لا يدخل الجنة :

لا ينبغي لكم أن تقولوا لماذا انطرق إلى هذا الحديث الذي قد يبدو صغيراً وناهياً ولكنه في الواقع مهم جداً ، وانا مضطرك هنا لأن أضرب لكم أمثلة متعددة وواضحة ؛ فالقلب الذي يحمل ذرة من الحقد والضغينة والبغض ليس قليلاً مؤمناً ولا يتأتى له أن يشم ريح الجنة ؛ ففي الجنة لا يرى من يحمل الحقد والغل ﴿وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٢) فلو كان شخصان على حالٍ من البغض والحقد فيما بينهما يستحيل عليهما أن يذهبا إلى الجنة لأن أهل الجنة لا يعرفون إلا الحسن والسلام ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِغْوًا وَلَا تَأْيِمًا * إِلَّا قِيَامًا سَلَامًا﴾^(٣) فهناك أي في رياض الجنة لا يسمع السب ولا الشتائم ولا الأحاديث التي هي خلاف الأدب فالجنة من اولها إلى آخرها لا تعرف غير السرور والحبور والسعادة ، فالشخص الذي يحمل في

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٤٧ .

(٣) سورة الواقعة ، الآيات ٢٥ - ٢٦ .

صدره الكراهة والبغض للمؤمنين محال دخوله الجنة .

وإذا ما لزم الأمر أن يذهب إلى الجنة ، يكون عليه أن يقضي مدةً من العذاب في البرزخ أو لاسمع الله في الدرك الأسفل ليتپهر من الأدران العالقة في قلبه بعدها يحكم العزيز القدير بذهابه إلى رياض الجنة ، لأن الجنة لا يدخلها إلا المحبين المسالمين ﴿لهم دار السلام﴾^(١) ، وطالما علت صيحاتي بأن اصبروا اصبروا ، لا تتجاوزوا على الغير ، التزموا وانضبطوا ، ولا أحد يقول لي نعم ، سيكون ذلك ؛ طالما قلت لكم اغفوا إذا ما أردتم تلافي ما بدر منكم وإذا ما أردتم وطلتم حكم في القصاص من اعتدى عليكم فالغفو أفضل ويقال : إن النفس تتحجج فتريد أن تقتضي من فلان الذي تجاوز أو اعتدى ، ولكن ما أجمل وأفضل أن يكون الإنسان يُسبّ أو يُشتم فيصبر ولا يردد على الساب فيحظى بذلك أجرًا عظيمًا .

ففي بعض الأوقات يرى الإنسان شخصاً من أهل صلة الجماعة يتجلّى بينهم البعض والعداوة بشكلٍ يثير على الدهشة ، ولو اتفق أن قبض الله اعمارهم على تلك الحال فهل يمكن أن يدخلوا الجنة بقلب ملؤه الحقد والضفينة ، ملجئنا رب السموات والأرض ، فما أتعس الإنسان وهو يفارق الحياة الدنيا على حال معصية فيكون ضغط القبر وعذابه من نصيبه .

أحسن لمن أساء :

وهكذا نجد الإنسان الصابر على الإساءة سامياً ومتعالياً وإذا ما استمر في صبره كان من جعل لهم مقام عظيم ودرجات كبرى على طريق الكمال الإنساني ، فيقتدر الإنسان آنذاك ويضحي من أصحاب الحظوظ العظيمة ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾^(١) ، ومن الآثار الإيجابية للغفو والإغماض عما

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٧ .

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٥ .

يصدر من الآخرين هو تسامي الإنسان فتشجع على أن يحسن كذلك لمن اساء إليه ، فالفضلُ كلُّ الفضل في الإحسان لمن اساء إليك .

ويقول عز من قائل « لا تسوى الحسنة ولا السيئة »^(٢) والكل يعرف ذلك « ادفع باليدي هي أحسن » .

يوجد هنا « الحسن » و« الأحسن » ، فالحسن ان تتغاض عن اساءة المسيء والحسن هو أن تُحبّن لمن اساء إليك ؛ فقبل مجيئه لطلب العفو ، إذْهَبْ أنت إليه ، وإذا اتفق ان طلبت منه قرضاً ولم يعطوك ، فاعفُ عنه وإذا ما طلب هو قرضاً فسارع إلى إعطائه ولا تباطأ .

حلم النبي مع أعرابي :

جاء في الجزء العاشر من بحار الأنوار (كما يروي) أنَّ اعرابياً جاءَ الرسولَ (ص) شاهراً سكيناً له ي يريد قتله ولكنَّه عندما رأى النبيَّ (ص) على تلك الهيبة والجلال وقف مكانه وبدأ له ان يسبَّ النبيَّ ويشتمه فوصف النبيَّ (ص) والعياذ بالله بأكذب من تحت السماء وأشار إلى أنه لو قُتِلَ النبيَّ (ص) لباركَت كلَّ العرب عمله وبالخصوص عشيرته ، فقام له عمر ي يريد به شرًّا ، فنهاه النبيَّ (ص) وهو ما قيل فيه « كاد الحليم أن يكون نبياً » ، فعلاوة على أنَّ الرسولَ الأكرمَ (ص) لم يَصُدْ منه أيَّ اذى للأعرابي ، رفق بحاله وقال له : يا اخا العرب وقد قالها بدون حقد ولا غضب يا اخا العرب : يشهد الله على أنِّي لم أُعْرِف إلَّا بأحمدَ الأمين ، وانا لستُ بكافر ، فاسلم تسلِّم فتحن (أي المسلمين) أهلاً للرفق والرحمة والسلوك الحسن ، فترقَّ له الصادقُ الأمين بشكلٍ يُعَثِّر على حياء الأعرابي من عمله هذا فأسلم لحلم النبي وخلقه وبذلك اسلم معه ستةَ الأف شخص من عشيرته بسبب هذه المعاملة الطيبة .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٣) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

فإذا ما أحسنت لمن أساء إليك تكون في الواقع قد شطبت على العداوة والبغضاء ﴿إِذَا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَانَهُ وَلِيٌ حَمِيمٌ﴾^(١) .

فالصبر جاء صبره من تدريب النفس على الصبر حتى يصل في نهاية الأمر إلى المكان الذي يمكنه من الإحسان مقابل الإساءة ، وهذا المقام لا يصله إلا من تمسكت الإنسانية والإيمان من نفسه ﴿وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

فَكَرْ قَلِيلًا ، إِذَا مَا وَقَعَ عَلَيْكَ الْمَوْتُ بِالَّذِي يُمْكِنُ أَنْ تَأْخُذَهُ مَعَكَ مِنْ إِيمَانٍ وَإِنْسَانَيَّةٍ وَمُلْكَاتٍ فَاضِلَّةٌ !

لقد ذكر المحقق الأرديبيلي في آيات الأحكام بشكل خاص هذه المسألة فقال : يحق للمتجاوز عليه أن يأخذ حقه ولكن بشرط أن لا يتجاوز حدود حقه ويتطرق أيضاً إلى أن هذا المعنى مشكل فيحتاط المتجاوز عليه بأن لا يردد بالمثل لأن الإنسان لا يسيطر على نفسه أثناء المعااصمة فقد يتعدى أكثر من الحد المتفق عليه وبذلك يقع في المعصية ؛ وإنماً أن رد المتجاوز أو المعتدي لا يشكّل فيه دون تجاوز حد الشرق وان الإحتياط في تركه أفضّل .

ففي بعض الأحيان نرى في المحاكم أن البعض يكيل التهم إلى البعض الآخر أو بواسطة محامي الدفاع للطرفين من أجل جلب رأي القضاة اليهم ، وهذا لا يمكن عده محموداً ولا صبراً ، فإن كان لك إيمان فاترك القضية للواحد الأحد فالاجر جزيل .

الاعتداء مع عدم وجود حق في الأصل :
ينبغي لكم أيها المؤمنون أن تراعوا الزوجة والولد والأقارب ورفيق السفر

(١) سورة فصلت ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة فصلت ، الآية ٣٥ .

في هكذا أمور ، والويل لمن ينخالص في امور لم يكن له فيها حق جاء في الشرع المقدس ، وحربي بنا أن نتعامل مع هؤلاء الذين ذكرنا أو غيرهم من عامة الناس طبق الموازين والحقوق التي قال بها الشرع فقط .

فالأوهام والتخيلات التي لا أساس لها والتوقعات الموهومة التي هي في الأصل مخالفة للموازين الشرعية لا يمكن الإعتراض بها بل ولا ينبغي لأحد إراقة ماء وجه مسلمٍ من أجلها .

ولقد رُويَ عن خاتم الأنبياء محمد (ص) أنه قال لإبن مسعود ، ما مضمونه : « يا ابن مسعود خفت من المعصية ، فقد تكون معصية واحدة توقفك مائة عام يوم الحساب » .

من هنا يمكن للإنسان أن يرى مقامه ، وكذلك هناك ولكن للأسف فهناك لا يمكن له أن يعمل شيئاً ، فمائة عام ولا نعرف أيه من أعوام الدنيا أن من أعوام الآخرة يقف الإنسان من أجل معصية واحدة ، نعم ، إنك من أهل الجنة ولكن هذه المعصية سوف تؤخرك مائة عامٍ وكذا البغض ، والحسد ، والحسد والتي توصل الإنسان إلى التوقعات التي هي في غير محلها وإلى الأوهام والخيالات .

«الصبر»

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى
عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)

قوانين القرآن قوانين عمل :

ان من أهم الموضوعات التي ركَّزَ عليها القرآن الكريم في اكثر من سبعين مكان هي الصبر ، وقد جاء التذكير بالصبر بهذه الكثرة من أجل الالتزام به وليس برقاً او اعتباطاً ، ويقول الشيخ الشوشتري : إنك تقول القرآن كتابي والكمبة قبلتي في ليلة القبر الأولى حينما تُسأَلُ عن عقائدهك ولكن هذا ليس معناه أن تعطي عدداً من الدراما لتشتري قرآنًا وتضعه في حجرة من حجر دارك يعلوه التراب ، بل ان القرآن كتابي معناه ان تلتزم بما فيه من القوانين وتسلك ما يقول من الطرق السوية ؛ ويمكن أن نضرب لك مثلاً هنا ، فعندما تكون مريضاً وتذهب إلى الطبيب فيكتب الطبيب لك نسخةً بالأدوية التي ينبغي لك أن تحصل عليها للعلاج ولكنك لن تشتري الدواء وتبقى هكذا وعندما تُسأَل تقول : ان طبيبي هو فلان وهذه هي النسخة !! وماذا بعد ذلك ؟ فهل هذا كافي

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

لشفائك ؟ كان المفروض أن تعمل بما في النسخة حتى تشفى مما أنت فيه .

ان القرآن المجيد هو شفاء للبشر من الأمراض النفسية 》 وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة 》^(١) يجب أن يكون القرآن عاملاً من عوامل الفوز بالرضوان والجنة عاملاً من عوامل السير على الجادة المؤدية إلى دار السلام الجادة الإلهية ؛ الغرض من تأكيد هذا المعنى هو أن الأوامر التي جاءت في القرآن الكريم هي واجبات وقوانين عمل يجب الالتزام في اجرائها .

لماذا تجتاز الحد المقرر فيأخذ حقوقك ؟

ان من الواجبات الإلهية التي تعرض لها القرآن الكريم في عدة أماكن مسألة الصبر على الأذى الذي يصدر من البصر في حقيقك ، والخوض في هكذا حديث يحظى بأهمية خاصة لأنَّ الإعتداء وردَ الإعتداء غالباً ما يحدث في حياة البشر ، فالقرآن الكريم يختصر المسألة ويلجع عليها بشكل مكثف في الآية التي تقول : 》 فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثلِ ما اعتدى عليكم 》^(١) فحدد القرآن بالردة على الاعتداء بالمثل فلا يمكن أن يكون الرد إلى ابعد من حدود الإعتداء والا تتحسب معصية وإعتداء ، فإذا ما كان شخص قد افترض منك مائة درهم لاجلِ معين لا ينبغي لك أن تريق ماء وجهه وكأنما أخذ منك مائة ألف درهم ، كل مكان جلست فيه وقمت منه تذكر ان فلاناً من الناس أكل حقي الذي هو مائة درهم ، انك بهذا تتجاوز عليه وتضحي ظالماً له ، ومن الأفضل أن اروي لك رواية ذكرها المجلس وهي :

المظلوم ينقلب ظالماً :

جاء في اصول الكافي ان الإمام الصادق (ع) قال : « ان العبد ليكون

(١) سورة الإسراء ، الآية ٨٢ .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٤ .

مظلوماً فما يزال يدعى حتى يكون ظالماً^(٢) .

يقول المرحوم المجلسي في شرح الكافي ان لهذا الحديث وجوهاً متعددة ت تعرض إلى أحد الوجوه فيقول : يدعى المظلوم دعاء يبالغ فيه أكثر من الحد المعقول فيتجلّى في دعائه كل الافرازات السلبية من مثل الحقد والبغض والسخط فيتجاوز بذلك على الظالم الذي لم يرّد إليه المائة درهم على الرغم من ان الظالم يمتلكها ، وقد يصل الأمر بالمظلوم إلى الإستعداد لرؤيه مقتل الظالم .

فهل ان الحقد والضغينة والسخط والدعاة الزائدة عن الحاجة يتناسب وقيمة المائة درهم هذه ؟ !

لقد اعتدّى عليكم بعدم اعطائك المائة درهم على الرغم من انه يمتلكها ، وانت تردد عليه بأكثر من ذلك اضعافاً مضاعفة ؛ إذن كنت في البداية مظلوماً والآن اصبحت ظالماً اضعافاً مضاعفة ، بينما يجدر بالانسان ان يدقق في هذكما أمر وان يطرح عنواناً أقلّ مما طرح ، وان يفكّر أقلّ من ذلك في المائة درهم .

ان ما نراه في المحاكم اليوم ، من انتهاءً لحقوق الآخرين بشكل سافر يندى له جبين الإنسانية فترى ان سخراً يدعى انه يطلب فلاناً من الناس الف درهم فيسبّ ويطعن ويشتم ويتهم المدين بشتى التهم ويتعرض إلى شرفه وعرضه من أجل ألف درهم ؛ لعنة الله على اللعناء والطعناء والفاحش والبديء ؛ إنك الآن اصبحت ظالماً وعلاوةً على ذلك تطالب بارباح على ألف درهم لتجاوزها المدة المتفق عليها بل إنك الآن اصبحت أشدّ ظلماً ، أذهبت ماء وجه المدين فاعتبرت بذلك ان لا قيمة لماء وجهه والقيمة كلها في

(٢) الاصول من الكافي باب الظلم ، ج ٢ ، ص ٣٣٣ .

الالف درهم وانت تعرف جيداً ان الله جلَّ وعلا يقول ﴿فَاعتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ فلا يحقّ لك أن تتعدى الحدود التي رسمها الله لك .

فإذا ما تهيا لك ان تمسك بباقية مدينتك في الملا العام وتصرخ باعلى صوتك من أجل مالِ الدُّنْيَا ، فانت ظالم ؛ أنا لا أقول لا تطالب بمالك ولكن ان للمطالبة شَكْلًا آخر لا يوقعك في الظلم ؛ فلم السبّ والشتم ؟ ولماذا الغيبة ؟ ومن أجل ماذا تهمُ زوراً وبطلاً ؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(١) .

أنا لا أعلم بما يمكن أن يصبر إليه هكذا مسلمين ، فهل يمكن أن تكون عواقبهم على خير وهم لا يتزمون بقوانين القرآن الكريم ؟ فالذين ملأت قلوبهم البغضاء والشحناه والحقن أنى يتأتى لهم شَمَّ ربيع الجنة ؟ لذا ينبغي للإنسان أن يخشى من عاقبة عمله .

وقد جاء في مكان آخر من القرآن المجيد ﴿وَإِنْ عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا
عَوْقِبْتُمْ بِهِ﴾^(٢) ففي أول الأمر عليك أن تغفو وتصفح فإذا ما سُبِّت فتغافل عن ذلك ﴿فَمَنْ عَفَا وَاصْلَحَ فَأُجْرِهِ عَلَى اللَّهِ﴾^(١) وإذا لم تكن لديك القدرة على العفو والصفح ﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَوْقِبْتُمْ﴾ فإذا ما قال لك شخص إنك جاهل يمكن لك الردُّ عليه بجاهل فقط ولا تتعدي إلى غير هذا ولا يحقّ لك أن تسبّ الجهل إلى أُمِّهِ وأبيه وأخيه وكل من لهم علاقة معه ؛ وما أجمل الشعر المنسوب لأمير المؤمنين علي (ع) حين يقول :

ولقد أَمْرُّ عَلَى الْلَّهِمَّ يَسِّنِي فَمَضِّيْتُ ثَمَّةَ قَلْتُ لَا يَعْنِيْنِي
﴿وَلَئِنْ صَرَبْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾^(٢) ، فالصبر في هذه الآية ليس في

(١) سورة آل عمران ، الآية ٥٧ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

مقابل الآلام والأذى والمنففات بل المقصود من ذلك ما سبق الحديث عنه في هذه الآية أي مقابل الظلم الذي تراه من الآخرين في حقك ، فالذى اكتمل عقْلُه وآمن بالله الواحد الأحد وبيوم الجزاء هو من ينضون تحت لواء أصحاب الإرادة المحكمة » فاَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ اُولُو الْعِزَمِ مِنَ الرَّسُلِ »^(٣) .

فالطفل لا إرادة له قياساً بمن كان عاقلاً مؤمناً يعرف حقوق الله وحقوق الآخرين فيصبر على أذى وظلم الآخرين .

ادعاؤه دائناً للإمام الصادق (ع) :

بعد أن أتَى الإمام الصادق (ع) طوافه حول المسجد الحرام ، اتَّخذ من إحدى زوايا المسجد مكاناً له للتعبد ؛ وبينما هو مشغول بمستحب وإذا بشخص يمسك بالإمام من ياقته قائلاً : هل ستعطيني المائة دينار أم لا ؟ فيجيب (ع) آية مائة دينار هذه ؟ فيقول الشخص : المائة دينار التي اودعتها عندك بعنوان أمانة ، اسرع واعطني إياها حالاً ؛ فيقول (ع) : قد تكون مخطئاً يا أخا العرب ؟ فانا لم اؤتمن على مائة دينار فيصرخ الأعرابي بأعلى صوته ويشير ضجّة في المسجد فيقول الإمام (ع) قم بنا يا أخا العرب بسرعة لاعطيك ما سالت .

فيسير الإمام بكل هدوء وبمتهى الأدب ويتحدث إلى الأعرابي في طريقة إلى الدار بكل رأفة ورحمة ويلتفت الإمام إلى أن الأعرابي قد تخاصم مع أحد أو تخاصم معه ؛ وعلى آية حال فقد هَنَّكَ الأعرابي حرمة الإمام (ع) ؛ وفي نهاية المطاف يصلان إلى منزل الإمام فيعطيه (ع) مائة دينار ويصرف عنه السوء (لا تقل لماذا يسلم الإنسان تحت ضغوط الظلم ونقول : لا قيمة للمال قبال ان ينحرج الإنسان إلى نزاع قد يذهب بماء وجهه ، فأفضل الأموال تُصرف من أجل

(٣) سورة الأحقاف ، الآية ٣٥ .

أن لا يرافق ماء وجه المؤمن « وما وقى به المرأة عرضة كتب له به صدقة » فالمؤمن عزيز والعمر عزيز والقضية كلها لا تستوجب من أجل مائة دينار يذهب الإمام (ع) وهو أعز الناس عند الحاكم وكم سيأخذ معه من الشهود ليشهدوا على براته) . وفي اليوم التالي وجَد الأعرابي من يطلب فانتبه إلى أنه لم يكن مصيباً ، فطالب المدين بماله فأجابه إلى ما يريد منه .

بعد ذلك ذهب الأعرابي إلى المسجد ووجد الإمام الصادق (ع) فاعتذر منه كثيراً على فعلته واسأته وقال : لقد وجد من أطلب وهذه هي المائة دينار التي اخذتها منك بالأمس .

فقال الإمام (ع) : في الأمس عفوت عنك واليوم لا بغض في صدري منك واما المائة دينار لا استرجعها لأنني اعطيتك إياها في سبيل الله « وما كان الله فلا رجعة فيه » .

إذن ، في البداية ينبغي للإنسان أن يصبر ويعفو ولا يستاء من فعل الآخرين وإن لم يستطع ذلك ي مقام الرد ، فلا بأس أن يرد بالقدر الذي أعتدي بهعليه ، فإذا ما سُب لا يحق له أن يقذف الساب في مقابل الساب ويتجاوز إلى الإعراض وهذا ما يحدده الشارع بثمانين جلدة ، وهذا الذي يوجب الحد لا ينبغي للمؤمن أن يتسم به ، فلا حق للمعتدى عليه إلا أن يرد بالمثل .



الفِصْمُ الثَّانِي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ نُطْلَاءِ عَلَيْهِمُ الْأَمْدَ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ﴾^(١)

الكل يحتاج دائمًا لهدى الله :

لقد عرضنا فيما سبق أن الهدایة التشريعية التي ترتبط بسعادة البشر الأبدية والتي توجب وصولهم إلى الجنة وإلى المعنويات والدرجات والمقامات التي خلقها الله من أجل البشر تنقسم إلى قسمين : عامة وخاصة ، فالهدایة العامة هي هذه الموجودة ضمن الفطرة الإنسانية والعقلية ، والتي تنتهي وتقوى بارسال الأنبياء والرسل وبالكتب السماوية ، وقد ذكرها القرآن الكريم بوضوح بشكل اجمالي من أول الهدایة إلى آخرها ، وتطرق القرآن كذلك إلى سبيل الهدایة وعین درجات هذه الهدایة ، وبشكل اجمالي تسمى هذه بالهدایة العامة .

أما الهدایة الخاصة فهي التي معها يعطي الله الفرد ما يريد ويطلب وتنأتى

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

هذه الهدایة الخاصة بعد أن يكون الفرد قد قبل الهدایة العامة والكلية .

ان انجاز الواجبات بالنسبة للمؤمن توأمه الهدایة الإلهية في الهدایة الخاصة وإذا لم يكن ما يقىء هذه الهدایة فسوف ينحرف الإنسان ويقع في الشكوك والأوهام والوساوس تتحاوش الشياطين التي لا ت يريد النجاة للبشرية؟! ولذا نقرأ وندعو عقب كل صلاة « اللهم اهدني من عندي وأفض على من فضلك » .

اللهم اهدني ، خذ بيدي ، وارشدني إلى سواء السبيل ، وقوئي على طاعتك هذه هي الهدایة الخاصة ، ففي كل وقت يكون الشخص محتاجاً إلى هدایة الله وإذا وكل إلى نفسه انحرف عن جادة السواء ؛ فسورة الحمد نقرأها مررتين في كل صلاة وهي واجبة ونذكر حينما نقرأها « اهدنا الصراط المستقيم » أي ارشدنا إلى الطريق التي نحيط بها عن النار ، وبشكل عام فإن القرآن هو صراط مستقيم ، وسلوك نهج محمد وآل بيته الأطهار هو صراط مستقيم ، وقد المع أهل بيت التوحيد والمعارف الحقة والأعمال الصالحة ، بعد الهدایة يطلب العبد من الخالق الباري ان يعينه على العمل بقوانيئه وستره ، فلقد جاء في الكتاب العجيد القرآن العظيم « فاعلم أنه لا إله إلا هو »^(١)قصد منها اجعل قلبي خاشعاً لك وحدك لا شريك لك .

الشبهة النصرانية في سورة الحمد :

هنا وبمناسبة شبهة القاتل بعضهم وفي معرض الجواب نبين الرد على هذه الشبهة ، فالشبهة نوعاً ، شيء ليس بالجديد ، والشبهة التي استعرضها واستحدثها نصراني بعد رحيل الرسول الأكرم (ص) هي كالتالي : يقول النصراني :

(١) سورة محمد ، الآية ١٩ .

اتم المسلمين تقولون في الصلاة عدة مرات كل يوم « اهدا الصراط المستقيم » وانا اعجب لكم في انكم لحد الان لم تتعثروا على الجادة السوية ، الصراط المستقيم والدليل على ذلك هو تكرار قولكم كل يوم لأن يهديكم الله إلى الصراط المستقيم وعلى ما يبدو انكم لم تجدوا الطريق المستقيم السوي ، فتعالوا معنا لأننا نحن النصارى عثنا على طريق النجاة - فلحق بالنصرانية نفر حديثي العهد بالإسلام وبدون أن يسألوا ويستفسروا ما معنى قول هذا ؟ وما هو جواب الإسلام على هذكاشبهة وكان ذلكعلى زمن خلافة أبي بكر ، فقيل له : جذ لنا حلاً للخلاص من هذه الشبهة ، فارسل أبو بكر إلى الإمام علي (ع) أن أنقذ أمّة الإسلام برفقة سؤال هو : إذا ما ارتد نفر عن عقائد الخلق الإسلامية عن طريق شبهة وكانوا سبباً في تزلزل عقائد الناس فما العمل معهم ؟ (ان الاسلام أهدر دم المرتد ، أي ان الإنسان المسلم بالولادة يرتد ويرجع عن دينه يجب قتله ، بل وبحسب الظاهر لا توبة له ، فقتلها حتمي على الرغم من انه - لا اكره في الدين - لما له من مخالفة للدين ومبرأة وهو ما يسبب الضرر العظيم للعالم الإسلامي الا إذا كان كفره خفي وليس بظاهر ؛ مثله كثل المرضن المصري الذي يجب قطع استمراره كي لا يسري على الآخرين .

نعم ، إذا لم يُظهر ذلك ، ولم يسر كفره للآخرين فلا يجيز الشارع المقدس إهداً دمه ، أما إذا اظهر ذلك علينا فقتله واجب ، وإذا ما ارتد عدة من المسلمين فينبغي إهداً دمهم حتى لا يجرأ بعد ذلك شخص على نشر الأفكار المخربة التي هي ضد الدين قصداً منه في أذهاب عمل النبي (ص) ووصيائنه في مهبط الرياح وهدر ما جاهدوا من أجله) .

وخلاصة القول فقد كتب أمير المؤمنين (ع) رسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم غافر الذنب وقابلل التوب شديد العقاب ذي الطول . . . يا من رجعت إلى النصرانية بشبهة واهية ، إذا ما رجعت إلى الإسلام فإن

الله يقبلك لأنك غافر الذنب ، ارجع وتب مما انت عليه الان يغفر لك ذي الطول صاحب النعمة والاحسان ، واعلم إذا لم ترجع للإسلام فإن الله شديد العقاب ، بعد ذلك كتب (ع) :

وما شبهتك « اهدنا الصراط المستقيم » فليس معناها الهدایة الكلية لأن كل مسلم عشر على جادة النجاة ويعلم أن القرآن والإسلام وولاية اهل البيت (ع) حق ، بل ان معنى اهدنا الصراط المستقيم هو : ارشدنا للزروم طريق معرفتك ولا تجعلنا ننحرف عن جادتك السوية ، ولا تجعل الشيطان ينحرف بنا عن صراطك المستقيم ويلقي في قلوبنا الشبهات فنقيلها^(١) .

فبات القدم وملازمة الصراط المستقيم على طريق العبودية لله يحتاج دائمًا إلى هداية اخرى وتوفيق لذا نكرر في صلواتنا « اهدنا الصراط المستقيم » فالمقصود ليس الهدایة الإجمالية والتي هي أصل الدين بل التدین بالدين وحفظ الإنسان من الإنحراف عن الصراط المستقيم أو الجادة السوية .

ذهبوا برسالة الإمام علي (ع) للمرتد اثناء ما كان في الكنيسة وحال قراءته لها بكى وجرى دمعه بعد ان فهم أنه اخطأ ، وان الشبهة الشيطانية لم تكن مرتبطة ببعضها البعض بل كانت هواء في شبك ؛ سبحان الله ، لقد خرج الرجل على الفور متاثرًا برسالة امير المؤمنين (ع) من الكنيسة وحضر في المدينة وتاب على يد علي (ع) .

الغرض من سرد هذه الحادثة هو : ان لا تتسرع وتبديل دينك بدين آخر ، وعلى سبيل الغرض لو أقيمت لك شبهة أو سمعت بها على غير حساب جنها ينبغي لك أن تذهب عند عالم وتسأله منه .

(١) الحديث بالمضمون وليس بالنص .

وضوء مصحح بشبهة واهية :

يقال ان شخصاً كان قد ذهب إلى الحج ثلاط مرات فوقع تحت تأثير العامة ، فقيل له يوماً : إن كل هؤلاء الناس هكذا يتوضأون وانت تتوضأ خلاف ما يتوضأ الناس ، ألم يقل القرآن الكريم « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى العرافق »^(١) فاغسل يا اخي ايديك من الأصابع وحتى المرفق ، فصدق هذا الأحمق ما قيل له ؛ وقال في نفسه سوف يقول الناس عني انه صحيحة وضوءه .

في أيها السيد الأحمق ، اسألتك لماذا لم تصحح أصل دينك من اليوم الأول ، فأنت تابع لمن في احكامك ووظائفك الدينية ، فالسنة ومنذ اليوم الأول يقولون انهم يتبعون أبا حنيفة ، وآخرين من السنة أيضاً يتبعون الشافعى أو أحمد بن حنبل ، أو مالك ، وانت ومنذ اليوم الأول تركت هذه المذاهب الأربع واتبعت جعفر بن محمد الصادق (ع) ، فمنذ البداية كان الآخرى بك أن تلتزم بمن انت تابع به او تتبع ما تابع العامة ؛ الم تعرف إمامك فتتبع الآخر او غرتك الكثرة ، وكثرة العدد ليست دليلاً على الصحة « وان تُطْعَنَ أَكْثَرُهُمْ فِي الْأَرْضِ يَصْلُوُكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »^(٢) .

فكثير هم الذين يعبدون الأصنام على يومنا هذا في العالم وكثيرون هم يتمذهبون بمعذهب الشيوعية ، وكما تعلم فلا دين لهم ، وإذا ما أردت حقيقة الأمر ترى الكثرة الغالبة على سطح الكرة الأرضية هم عبادة الأصنام ، وعبدة الدنيا وهؤلاء اكثراً من اولئك الذين يعبدون الله فايهما أفضل من يعبد الأصنام او من يعبد الواحد الأحد وهم القلة ؟ .

سيسألونك عدداً ويقولون لك : كيف انجزت اعمالك ، فماذا يكون

(١) سورة المائدة ، الآية ٦ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ١١٦ .

جوابك حينها؟ حتماً ستجيئهم بذلك رأيت الغالية تنوضاً من الأسفل إلى الأعلى أي من الأصابع وحتى المرفق أو تعتذر بعذر آخر واهي ؛ وأسالك هنا هل اتباع قول الرسول أحق أو اتباع قول أبي حنيفة ؟ من أين أنت ؟ وأين أنت عمّا قال الرسول (ص) وآله الأطهار (ع) ولقد وضع الرسول (ص) وعيّن من هم أحق بالإتباع بعده حين قال : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ؛ وبصدق العترة فكل المسلمين يعلمون أن عترة الرسول هم آل بيته ، عليّ وآل عليّ (ع) .

العترة هم ذرية الحسين (ع) إلى يوم القيمة ، وإذا ما سُئلت من أحد الناس من أين هي الأحكام التي تعمل بها ، فستجيب فوراً ودون تردد من الأئمة المعصومين من ذرية الرسول الأكرم (ص) والذين حددتهم القرآن الكريم في الآية التي تقول : « أطِيمُوا اللَّهَ وَاطِيمُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُم مِنْكُمْ »^(١) ، فالقرآن قال بوجوب إطاعة أولي الأمر وأولي الأمر على ما جاء في أحاديث الرسول (ص) هم إثنى عشر إمام ، فإذا ما ذهبت إلى مذهب أبي حنيفة فلن ترى غير التقليد الأعمى الخالي من الدليل ؟ كمثل الخلافة الأولى التي حصلت في سقيفة بني ساعدة ، فوضوء الشيعة خطأ ، وهذا معناه توجيه الخطأ للإمام (ع) والعياذ بالله ، ووضوء السنة هو الصحيح ، وكذلك الصحيح هو اتباع من لا أهلية له في حكم ولا فتوى ؟ ! .

معنى القرآن يبيّنه أهل القرآن :

ماذا تفهم أنت من آيات القرآن ؟ ممّا في جعبتك من علوم الأدب فهل تعلمت الإبتداء والابتهاء ، ومن والي ، فيبيان هذه المسائل ليس بما تعلمته من إبتداء وابتهاء بل هو مقدار من الماء يصبُّ من المرفق وحتى الأصابع ولا يحتاج إلى ابتداء وابتهاء ، متى تفهم الناس هذا المعنى ؟ وهو : أن القرآن نزل في دار

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

آل محمد (ص) وهم أهل القرآن واعرف به من غيرهم ؛ قبل أيام ارسل لي احدهم رسالة يتطرق فيها لبعض الشبهات فأجبته عن كل ما تطرق إليه ، ومن جملة ذلك يسأل لماذا يكره المسلمين الشيعة عمر بن الخطاب على الرغم من خدماته الجليلة للإسلام .

خدمات الخليفة الثاني للإسلام !!

لقد خدم عمر بن الخطاب العالم الإسلامي ومن جملة خدماته هي أن أسلم الإيرانيون على يده لقد كان هو الذي جعل من الإيرانيين مسلمين ، إذن لماذا تعرفونه بأنه سيء ، واسأته تأتي من أنه أخذ الخلافة وجلس على كرسي الحكم خلافاً لحكم الله ورسوله ، فمنذ البداية عين الرسول بأمر من الله ﷺ وما ينطق عن الهوى ^(١) أمير المؤمنين علي (ع) خليفة بعده فكل ما يعمل عمر من أعمال حسنة هي خطأ لأنها غير أساس الحكومة الإسلامية ، فهل يعلم الله ورسوله من هو الأفضل أم أنت ؟ ! عمر خدم الإسلام ؟ ان عمر أصغر من أن يفتح قرية وain هي شجاعته أو شهادته راعي الإبل هذا ، فلم يبذل ولا أبو يكر ولا عثمان قطرة واحدة من دمائهم على طريق الإسلام ، لقد كانوا دائمي الفرار على اوقات الحروب على حد قبول السيد ابن طاووس ، ويقول أيضاً : ان مجموع الغزوات التي حدثت على زمن الرسول إلى أن رحل هي ثمانون غزوة ، وإذا ما راجعنا التواريخ الإسلامية ، فيا ترى هل نشاهد أثراً في هذه الغزوات لهؤلاء الثلاثة .

لقد وعد الله ووعده الحق على أن يعلو صوت لا إله إلا الله في أجواء البلدان المجاورة ﷺ وعدكم الله مفانم كثيرة تأخذونها فمجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ﷺ ولو كان غير عمر لعلت أصداه لا إله إلا الله أيضاً ، فجيوش الإسلام التي تمتلك الإيمان من بركات النور المحمدي منذ القرن

(١) سورة النجم ، الآية ٣ .

الأول وبقيَّ هذا الإيمان يمدُّ الجيوشَ الإسلامية بالقوة والصلابة .

لقد كان عمر بن الخطاب يرتجف عندما تقدم في غزوة الخندق إلى عمرو بن وذ العامرِي وحينما رأى وجه عمرو فر إلى من حيث أتي ، ولته اكتفى بذلك بل حاول تخفيف المسلمين بقوله : كلَّ من يتقدم منكم إلى عمرو بن وذ سيفقتل لا محالة ، «وليس ينكر فراره في غزوة حنين» وكذا كان فراره وأبو بكر في غزوة خيبر وحينها قال الرسول الأكرم (ص) : ساعطي الرأبة غداً رجلاً منكم كراراً غير فرار يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ؛ ومن عجائب الأمور أن يرفع عمر الرأبة فيقول له الرسول (ص) إلى أين يا عمر ؟ الم تسمع ما قلت تفصيلاً فلن يحمل الرأبة غير علي (ع) ، وكان حينها علي (ع) يشكُّو من الم في غيبه ، فبصق فيها الرسول فذهب بالمها حتى آخر عمر أمير المؤمنين (ع) وختاماً ذهب الإمام وفتح خيبر .

Herb الرجال وصمود المرأة :

لقد كانت غزوة أحد دليلاً حياً على جبن عمر بشهادة السنة والشيعة حينما هرب ولحق به اثنان ليختبئوا جمِيعاً وراء صخرة كبيرة وهذا ما كُتب في كتب التواريُخ التي تعرضت لغزوة أحد .

ولما رأت أم عبد الله الانصاري - أحدى النساء المجللات في الإسلام - بقاء النبي (ص) لوحده وفرار الرجال الثلاثة ، بدأت تطوف حول النبي (ص) حتى لا يكون النبي هدفاً لسهام الكفرة ، وعندما نادت على أحد المسلمين الهاريين أيها العجبان إنك تهرب من المعركة فاترك لي درعك واهرب فرمى لها بدرعه وظلَّ هارباً فأخذته قصداً منها في صدَّ النبال والرماح والسيوف عن رسول الله (ص) .

مجنة عدو علي (ع) تُذهبُ بالإيمان :

لقد كنت مضطراً لأن اضرب لكم مثلاً وذلك حتى لا أبتعد عن رد

الشَّهَّةَ ، عَلَيْكَ أَنْ تَعْلَمْ أَيْهَا الْمُسْلِمُ وَتَرَاجِعْ وَتَنَامِلْ وَمَنْ شَمْ تَرَدْ عَلَى شَهَّةَ ،
فَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَبْقَى فِي مَدَارِ شَهَّةَ ، فَإِذَا مَا بَقِيَتْ ذَرَّةَ مِنْ مَحْبَّةَ عَمَرَ فِي قَلْبِكَ
فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَوْفَ تَسْلُكْ نَفْسَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَ .

فَكُلْ فَرِيدِ يَكْنُ مَحْبَّةَ فِي قَلْبِهِ لِعَدُوِّ عَلِيٍّ (ع) فَإِنَّهُ وَالْمُدُوْ وَاحِدٌ ، وَاعْلَمْ
يَقِيَّاً أَنْ ذَرَّةَ مَحْبَّةَ لِمَعَاوِيَةَ تُبَطَّلُ كَثِيرًا مِنْ اعْمَالِكَ ، وَالى أَيْنَ يَوْصِلُكَ حَبَّ
شَخْصٍ مِبْغَوْضٍ عَنْدَ اللهِ ، وَالْمَحْبُوبُ عَنْدَ اللهِ تَعَادِيهِ ، فَهَذَا هُوَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ
لَكِي يَصِلُّ بِالْإِنْسَانِ إِلَى سُوءِ الْعَاقِبَةِ ، فَكُلْ فَرِيدُ فِي الْمُجَتَّمِ الْإِسْلَامِيِّ يَعْمَلُ
بِالْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ لَا بَدَّ لَهُ أَنْ يَتَرَكَ أَهْلَ الْبَاطِلِ ؛ (رَبَّنَا لَا تَكَلَّنَا إِلَى أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ
عَيْنٍ أَبَدًا) ﴿رَبَّنَا لَا تَنْزَعْ قُلُوبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(١) . وَاهْدُنَا بِنُورِ مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ (ص) هَدَيَاةً خَاصَّةً تَتَقَوَّى بِهَا قُلُوبِنَا ، وَخُذْ بِأَيْدِنَا وَلَا تَجْعَلْ لِلشَّهَّةِ إِلَى
قُلُوبِنَا مِنْ سَبِيلٍ .

فَلَوْ اجْتَمَعَ الْعَالَمُ كَلَّمَ مَقَابِلَنَا عَلَى أَنْ تَرَكَ عَقِيَّدَتِنَا وَشَرَعْتِنَا السَّمَاءَ لِمَا
رَضِيَّنَا بِغَيْرِ الصَّمْدَ وَخَصْصَوْنَا فِي السَّاعَاتِ الْأَخِيرَةِ مِنَ الْعُمَرِ الَّتِي تَسْتَغْلِلُهَا
الشَّيَاطِينُ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ أَخْرَى لِإِبْعَادِنَا عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنْ عَقِيَّدَةِ رَاسِخَةِ ، وَهَذَا
مَا يَتَأْتِي لَعْنَ لَا إِيمَانَ لَهُ وَلَمَنْ بَغَضَ الْحَقَّ ؛ إِلَهِي لَا تَخْرُجْنَا مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى
تَرْضِيَ عَنَا وَاجْعَلْ عَوْاقِبَ امْرُورَنَا خَيْرًا ، اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عَنْدِكَ وَافْضُلْ عَلَيَّ مِنْ
فَضْلِكَ .

لِيَسَّرْ الْعَبْدَ بِشَيْخُوْخَتِهِ :

لَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ «عَدَةُ الدَّاعِيِّ» بِشَارَةٍ تَذَكِّرُهَا صَاحِبُ الْكِتَابِ مُسْتَعِيًّا بِهِ
عَلَى ذَلِكَ بِحَكَمَيَّةِ عَلَى زَمْنِ الرَّسُولِ الْأَكْرَمِ (ص) يَقُولُ فِيهَا : لَقَدْ كَانَ احَدُ
الشِّيَخُوكَهُ هَزِيلَ الْبَدْنِ ضَعِيفًا لَا يَقْوِيُ عَلَى شَيْءٍ ، قَضَى عَمَرَهُ فِي بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ

(١) سُورَةُ آلِ عُمَرَانَ ، الآيَةُ ٨.

حتى ابْيَضَ شَعْرُ رَاسِهِ ، وقد جاء هذا الرجل يوماً إلى رسول الله (ص) وكان نهاية في العجز وقال مخاطباً الرسول (ص) : يا رسول الله ان عمرِي وصلَ آخرَه لما بي من ضعف وشيخوخة فلا اتمكن من الصوم ولست لي القدرة على قيام الليل والتهجد فيه والناس نائم ، يا رسول الله (ص) : ليس لدى ما افقه في سبيل الله ولا استطيع الحج ، فهل لي من حيلة لذهاب هذا العجز والضعف وهذا هو آخر عمرِي واني احتاج إلى عمل الخير والصلاح لأفوز برضاء الله تبارك وتعالى .

لقد كان النبي (ص) ينصل إلى ما يقول وبعدها قال (ص) قل ما ذكرت ثانية فاستعرض الشيخ ثانية ما ذكرَ وينفس الطريقة التي تدلل على ضعفه ، وحيثما انتهى الشيخ من ذكر ما عنده قال له الرسول الأكرم (ص) كرر ذلك ثلاثة لكيلا يبقى من ذلك شيء في نفسك فأعاد الرجل ما ذكر ثالثة وحيثما قال الرسول (ص) : ان ملكت الأشياء ترحم لك على ما أنت عليه ؛ فقال : قل لي شيئاً استطيع فعله فقال النبي الكريم (ص) : قل بعد كل فرض واجب ثلاث مراتات « اللَّهُمَّ إِهْدِنِي مِنْ عَنْدِكَ وَأَفْضِلْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْصُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ » وعندما سئل احد الصحابة عن ثواب هذا الدعاء فاجاب الرسول (ص) : من قرأه ولم يتركه فتح الله له بعد الموت ثمانية ابواب من ابواب الجنة .

« اللَّهُمَّ لَا تَكْلِنَا إِلَى أَنفُسِنَا أَبْدَأْ لَكِبِلَا نَصْعَفْ وَيَغْلِبْ عَلَيْنَا هُوَ النَّفْسُ » .

تشكر الشيخ كثيراً من الرسول (ص) وقال : علمني شيئاً يرجع نفعه على في دنياي فقال (ص) : قل بعد كل صلاة صبح « سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهِ رَبِّي وَأَتُوْبُ إِلَيْهِ » فلن تضحي اعمى ولا مجنون ولا فقير ما حبيت . يا هادي المضلين لا تحرمنا من نور الهدایة يا هادي من استهدى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَطَ قُلُوبُهُمْ وَكثِيرٌ مِّنْهُمْ فَإِيَّاكُمْ ﴾^(١)

رسالة أبي بكر إلى أبيه والجواب الطريف :

لقد تعرضنا في ما سبق ذاكرين ان اعتقادنا بالخلفاء هو انهم غصбраوا الخلفاء والحكومة الإسلامية بدون إذن من الله ولا من رسوله (ص).

لقد كتب أبو بكر رسالة يقول فيها لأبيه أبي قحافة : من خليفة رسول الله إلى أبي قحافة ، ان الناس قد اجتمعوا وبايعوني وجعلوا مني خليفة للنبي (ص) فأنتي وبايعني .

فكتب إليه أبي قحافة : أيها الأبن الأحمق ، ان رسالتك تدل على قلة عقلك ، لما ذكرت في بداية الرسالة من أنك خليفة النبي (ص) وبعدها تذكر أن

(١) سورة الحديد، الآية ١٦.

الناس قد اجتمعوا وجعلوا منك خليفة ، فلا تقل أنك خليفة رسول الله بل قل إنك خليفة الناس .

طاعة علي (ع) وآله يرضيها العقل والشرع :

ان الشيعة لا يرون فرقاً يذكر بين الخلفاء الثلاثة وائي مسلم عادي منهم ، فلا يجب على المسلمين اجمالاً اطاعتهم شرعاً ولا يلتزم بأمرهم ونهيهم عقلاً ، وذلك لعدم امتيازهم على باقي المسلمين ولا حق لهم في الحكم ، نعم ، ان أمير المؤمنين (ع) تجب طاعته على الكل (أي كل الناس) لأنّه نُصّب بأمر من الله ورسوله (ص) « أولى الأمر منكم ، وقد قال الرسول في أمره ونهييه ، أمرني ونهيي ، فيا ترى هل قال الرسول في حق الآخرين ما قاله في حق علي (ع)؟ .

نحن وفي مقام الأعمال والوظائف الشرعية نقول بوجوب السؤال من آل الرسول في كيفية العبادة ، وهم بدورهم يجب عليهم بيان ذلك فهم علي (ع) واحد عشر من ابنته ، والرجوع إلى غيرهم مرفوض عقلاً ، فانا لأي سبب أطيع أبا حنيفة؟! انه إنسان عادي ولا يقارن بآل الرسول (ص) فجعفر بن محمد الصادق (ع) مفروض الطاعة من قبل الله تبارك وتعالى .

إرشاد الإمام علي (ع) للخلفاء :

واما بقصد الفتوحات على زمانهم فقد أشرنا إلى هذه المسألة بأن لا علاقة لهم بها ، وإن عمر أصغر من ان يفتح قرية تعداداً تفوقها مائة شخص ولم يكن ليتحلى بشيء من الشجاعة في الغزوات التي شارك بها فلم يُرّ منه غير الفرار ، وقد قال فيه ابن أبي الحديد : لم نعرف لعمر غير الهروب من سوح المعرك ؛ وقد تطرق في معرض حديثه عن عمر إلى حادثة اختفائه وراء الصخور في غزوة أحد . . . وليس ينكر في حنين فراره .

اما ما يمكن قوله في سياسة علي (ع) فلو قدر عدم مساعدة الإمام (ع) في القضايا السياسية لعمر لهلك ، وتصور السياسي عمر وهو يعدو خلف الإمام

على (ع) في كل نائية سياسية ، فعلى زمان الحرب التي قامت بين الجيوش الإسلامية وايران وبروز المشاكل التي قد تسبّب في اضعاف الحكومة الإسلامية أرسل عمر الى الأمير علي (ع) أن ماذا يفعل ؟ وطلب منه المجيء إليه عليه يحظى بتقدم في حل مشاكله ، وحينها قال الإمام (ع) لمن أرسل إليه من عمر : قال لعمر ان يجعل مكانه ، فليس من خير في ذهابه ، وليجمع أطراف جيوبه . . . إلى غير ذلك . . . ولا يحسب نفسه قائداً سياسياً ، فلا حيلة لحل مشاكله بالعروفة .

ان الفتوحات الإسلامية هي وعد الله الحتمي ، فهل سمعتم بغزوة الخندق ، انها الغزوة التي بدأ فيها النبي (ص) بحفر خندق يعيق الكفار والمرشكيين من الوصول اليهم ، وكلما ضرب النبي بفأسه الأرض لاحت شارة تدل على وعد الهي ، فقد لاحظ المؤمنون ثلاثة شرارات عبر عنها الرسول الأكرم (ص) بأن الشرارة الأولى فيها خراب قصوري اليمن والثانية فتح الشام والثالثة فتح ايران ، فالفتحات وعد من الله لعباده فإذا كان عمر على رأس السلطة أو غيره من الناس فان الوعد منجز لا محالة .

ان الجيوش التي فازت بفتح هذه البلدان تعتقد اعتقاداً راسخاً وطبق أحاديث النبي (ص) بذهب من يقتل في حرب مع المرشكيين إلى الجنة ، ولكن الشك يساور الجميع في أن من قتل في غير هذه الغزوات فلا يطمئن إلى ذهابه إلى جنات الخلد ، لذا كان المسلمين ومنذ البداية يشتقون إلى القتل في سبيل الله عن طريق هذه الغزوات ، فال المسلمين حينها وبما يعتقدون من قول الرسول الأكرم (ص) يسعون بهم عاليه من أجل إعلاء الشعار الإسلامي الذي يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

الإمداد الغيبي في فتح نهارند :

لقد تحمل المسلمون مصائب جمة وصعوبة كبرى لأن رئيس الجيوش

الإيراني في نهاوند كان قد أحكم بناء قلعة فيها وكان الجيش المتمركز فيها مهباً لصد أي هجوم .

وعندما قارب حصار المسلمين للقلعة على الشهرين بدأ عليهم الحيرة والتعب ولا من فرج غير السهام والنبال التي تناوشهم آتية من كمانين القلعة وفي هذه الحال تظهر ابنة رئيس الجيوش من سطح القلعة لتقع عينها على قائد الجيش العربي فيجذبها جماله وترسل شخصاً بشكلٍ خفي ليقول لقائد الجيش الإسلامي أن ابنة رئيس الجيوش الإيرانية تدعوك إلى الزواج منها وإذا ما قبلت شرطها هذا فتحت لك القلعة بدون إسالة لدماء .

لقد كان قائد الجيوش الإسلامية ينتظر هكذا خطاب فقال للشخص : أنا مستعدٌ لذلك ، شريطة أن تُعقد معااهدةً بعد منتصف الليل ، بعدها تُعين ساعةً لفتح الأبواب في غفلة من حرس القلعة النائمين .

فتح قائد الجيش الإيراني أبواب القلعة في الساعة المعيينة بعد أن تمت المعااهدة فيما بين الطرفين بسلام ، وارسل ابنته إلى قائد الجيوش الإسلامية . . .

وعندما رأى الشابُ القائد هذه الفتاة أُعجب بها وقال لها : رضيتك ولكن لأرى هل يُسمح لي بأن تكوني من نصبي في العناكب .

هذا هو الإيمان على وقت الفتح - فلا يحق لأحد التصرف في الأموال والغنايم بدون اكتساب أمر من القيادة العليا للمسلمين .

لقد كانت آمال الفتاة تتمحور حول الزواج ، فقالت للقائد المسلم إنك لا تريدين زوجة لك فيما أظن فلماذا أغريتني وقبلت اقتراحي إذ كان من المفترض أن ترفض طلبي من الأول فأجاب : أنا مستعدٌ لتنفيذ ما وعدت ولكنني أخاف الله رب العالمين فتعالي نذهب سوية إلى المدينة وندخل على الخليفة ونحكي له الأمر الذي جرى بدون أن تلامس يديك ، فانقضت ليلةً ويوم حتى وصل

إلى المدينة قادمين من نهاروند ، وما إن وصل حتى قصَّ القصَّة على عمر ، فقال عمر : قبلتُ ما ت يريد شريطةً أن تُسلِّم هذه البنت ، فرضيت بذلك وقالت : كانت امنية لي أن أرى الرسولَ الأكرم (ص) ولكنه الآن في رياض الجنان فلا بأس أن تذهبوا بي إلى قبره ، وذهب بها القائد إلى قبر المصطفى (ص) فجلست حينها عند القبر بعد أن تمرَّغت بترابه وبقيت من ليلتها إلى يومها وعندها دعاها القائد إلى الذهاب فأجابت بأنها لا تستطيع خلع حبِّ الرسول من قلْبِها (لقد كان في الأول حبًّا مجازيًّا وقد أصبح الآن حبًّا حقيقيًّا) فتركها لحالها و جاءها صباح اليوم التالي وقال لها : لتكمِّل ما اتفقنا عليه من عقد وزواج فأجابت : لقد أضحيت الآن محمديَّة ، لقد كنت طالبة لك وقت غفلتي عن محمد (ص) أما الآن وقد صحوت من غفلتي فتَناسَ ما بيتنا .

لقد بقيت هذه البنت أسبوعاً واحداً أو أكثر بقليل عند قبر الرسول الأكرم (ص) وبعد ذلك قضت نحبها .

إذن عندما يقول أحد المؤرخين من أخواتنا السَّنة أو أحد الذين لا يمتلكون أيَّ اطلاع عن إيران ان الإسلام في إيران مرهونٌ بعمر فهو كاذب لقد كان الإسلام في إيران وعد الله الحق ولطفه بل هو من إيمان الجيش المسلم حسب الظاهر .

النقطة الجديرة بالذكر هنا هو أن يقول الحاضرون للغائبين أنَّ الأئمَّة (ع) أوصوا بعدم إعطاء الحق لمن يسبُّ عمر بشكلٍ علنيٍّ مراعاةً للنقيمة فنبِّهُم ونبِّئُوا واحد وقبلتهم هي قبلتنا وكتابُهم كتابُنا ونحن معهم في الصلاة سواء بل ونشاركُ في صلاتهم .

رفيق الإيمان لطفُ تجلبه الهدایة الخاصة :

قلنا ان الهدایة الإلهیة الخاصة والألطاف والتوفیقات الإلهیة الخاصة هي للشخص الذي قُلِّ الهدایة الإلهیة العامة ، ورضي لنفسه ان يكون عبداً له

وحده تعالى على اساس العبادة الخالصة الصادقة من أجل ضمان سعادة الآخرين ، وهذا الشخص سيحظى بالتأكيد برعاية الله باشكال مختلفة ، وقد تتجسد هذه الرعاية الالهية برفق صاحب يقين يحفظ له قلبه قوياً على جادة السواء .

ومن اللطاف الالهية الأخرى الخاصة باهل الإيمان هي :
ان قلب الإنسان وعاء للإيمان وليس اللسان ولا البدن ، بل ان البدن هو محل ظهوره .

ان الإيمان في القلب والنفس ، وقد يقسوا القلب الإنساني على اثر الشهوات والغفلة والأمال والأمني ، وإذا ما أردت أن تفهم معنى الغفلة ينبغي لك أن تتبه لهذا المثل .

لا تكون الزراعة في الأرض الصخرية :
ان الأرض التي تروم زراعتها ينبغي لها ان تكون رخوة وخصبة حتى تتمكن من بذل البذور واروايتها لتحصل على نتيجة حسنة لما بذرت ، اما الأرض الصخرية والتي (ضررت احجارها وصخورها الى مسافة بعيدة في العمق لا يمكن ان تتحسب ارضاً زراعية لاستحالة ذهاب جذور البذور إلى داخلها ، فإذا كانت رغبتك راسخة في الزراعة حينها ينبغي لك ان تزيل هذه الصخور بطريقة او باخري ليتسنى لك زراعتها ، وإذا ما استحال هذا الأمر او صعب فيجدر بك حينها ان تبحث عن مكان آخر لبذرك .

وكذا قلبك إذا ما رافقته القساوة فلا يمكن للإيمان ان يتخذ موقعاً فيه ، فإذا ما كان قلبك ليناً متقللاً للإيمان برز ذلك واضحاً على لسانك وعينك وتجلى نور الإيمان فيما ينعكس على سلوكك الكلي .

البلايا نزيل قساوة القلب :

يقول الله تبارك وتعالى في محكم كتابه « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله »^(١) اولئك الذين لم يبق من ذكر الله شيء في قلوبهم ، فالآمال والآهون الدنيوي جعل من قلوبهم حجارة قاسية فنسوا أو تناسوا ذكر العزيز القدير .

ان الله الكريم الحكيم يريده لعبده دانعاً ايماناً يملئ عليه قلبه فيرفقه ومتى ما صار ذلك وتمكن الإيمان من قلب الإنسان ابتلاء المولى سبحانه بالبلايا والمصائب لينفطر قلبه فيذر فيه بذوره الرحمانية كمثل الأرض التي تُعمل فيها الفأس فتتفتح الفجوات لتقبل البذور .

ويسترجع الله الأمانة بأخيه لاولادك الأعزاء فينكسر قلبك لذلك وحينها تأخذ الذكرى ، ذكرى الله وذكرى نعمه طريقها إلى قلبك .

وحينما يقل ما لديك من الأموال ، أو يذهب لص بها فتأثر لذلك وتتفعل وحينها تقول : الهي ما العمل ؟ تتجه إلى الله بقلب منكسر تتسلل إليه وترجوه فتصلح بذلك النفس ويرق القلب بذكر العزيز المقتدر .

لقد تواترت الروايات علينا في هكذا مجال ففي رواية ٦ ذكرها لنا الحاج نوري في كتاب « دار السلام » جاء فيها ان امير المؤمنين (ع) قال : « من أحبتنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً » وفي أخرى جاء : « فليستعد للفقر ، فليستعد للبلاء » فالقلب القاسي محروم من حب علي (ع) وحرمانه هذا يتأتى من محروميه قلبه من الإيمان وذلك بسبب ما غشى قلبه من الشهوات وحب الدنيا التي جعلته يغفل عن الخوف والإضطراب من يوم القيمة وما فيه من المصائب والبلايا .

(١) سورة الزمر ، الآية ٢٢ .

إن الإيمان وحبّ علي (ع) غالباً ما نراه عند الفقراء والمساكين ونادرًا ما تتمكن الإيمان وحبّ علي (ع) من قلوب المتمكنين الأثرياء ، ولكن قد يصاب المتمكن ببلاء أو مصيبة تجعله يحظى بالإيمان وبالمحبة من خلال التجاهم إلى الباري بالدعاة ليرفع عنه البلاء .

ان البلاء هو هدية الله إلى الإنسان من أجل نجاته من القساوة والغفلة لذا كان المؤمن مبتلى ، فحينما يُبتلى بأذى الزوجة فينقلب عليه منزله جحيمًا فيتجه إلى الله بكل جوارجه طالباً لها الإصلاح والسواء .

بلاء أمير المؤمنين علي (ع) :

لقد جعل البلاء من قلب علي رحمة ورقة فحوّله إلى شوق عظيم للقاء الله تبارك وتعالى فقد رُوي عنه سلام الله عليه وحينما كان على المنبر ، جاءه شخص يستتجده أنّ يا علي (ع) انجدني : فقال (ع) : ما الخبر فقال الرجل : لقد ظلمني فلان بأذنه أموالي فأجاب (ع) : عندك مصيبة واحدة وقد لحق بك الظلّة مرة واحدة وقد ظلمت بعد حبات الرمال وقطرات المطر وما زلت مظلوماً ، فإذا ما ظلموك مرة فانا ظلمت منذ البداية ومرات ففي عهد الطفولة وحينما كان أخي عقيل يشكوا الماء في عينه أرادت فاطمة بنت أسد وضع دواء في إحدى عينيه رأفة به وتسكيناً لالم عينه بدا لها أنه قد يفقد عقيل بصره بما لديها من دواء ، ففضلت أن تجرب دوائهما على عيني على الرغم من أنها كانت سالمة ، فانامتني على الأرض ووضعت دوائهما في عيني ؛ (فمن هو أكثر مظلومية من علي (ع) - السلام على أول مظلوم) .

الحق الواضع المضيء :

ولم أَرَ مثل ذاك اليوم يوماً ولم أَرَ مثله حقاً أضياعاً
في البداية اعتذر لبعض الشعراء الذين أظهروا مظلومية أمير المؤمنين (ع)
بعد استعراضهم لحادثة غدير خم ولكنني اعجب لذاك الشخص الذي لم يستطع

قول بيت كامل بحق امير المؤمنين (ع) فقال صدراً واستغنى عن العجز قائلاً « ولم ار مثل ذاك اليوم يوماً » وكان هذا الصدر من الشعر بحق اليوم الذي توج فيه النبي (ص) علياً بناج الإمارة فجاء الشعر ابتر ولكنه اي الشاعر رأى امير المؤمنين (ع) في عالم الرؤيا فقال له (ع) : « ولم ار مثله حقاً أضيعاً ». فلا يوجد ولم يُرَ حقاً مضيفاً لحق امير المؤمنين الذي شيعه حفته من عباد الدنيا .

الابتلاء بالناكثين والقاسطين والمارقين :

إنه مؤمن بالله ، ومنذ سنّي عمره الأولى كان يصلي خلف الرسول الراكم مؤتمماً به ، ويقال : انه أسلم وعمره اثنا عشر عاماً ولم يتهاون يوماً في عمل من اعماله العبادية حرّيًّا أن يكون كُلُّ وجوده لله وعلى سبيل الله - لقد عاش خمسة وعشرون عاماً جنباً إلى جنبِ الرسول الأعظم (ص) وفي ، فترة خلافته التي لم يتم فيها الخمس سنوات ابْتلى الإمام علي (ع) بالناكثين الذين نكثوا العهد من مثل طلحة والزبير وبعدهما ابْتلى بالقاسطين الظلمة من مثل معاوية واتباعه الذين يقولون بکفر الإمام (ع) وفي نفس الوقت ملا المارقون قلبه قيحاً وهم الخارج الذين خرجوا عليه وكان تعدادهم آنذاك اثنا عشر ألف خارجيًّا تاركين الإنتهاج بنهجه والذي هو نهج الرسول (ص) وواضعين القرآن على رف يعلوُ التراب ، وقد كانوا يشيرون بين الناس ان الصلاة بإمامية علي باطلة ، حيث كانوا يتقدون بقائد عسكري في مسجد الكوفة ويستغثون عن الإلتزام بأمير المؤمنين علي (ع) .

لقد عملت عملها جيل عمرو بن العاص في الناس فكان يسعى جاهداً في تصفير مقام الإمام (ع) في أعين الحمقى وعامة الناس غرضه تضييع حقه في حكومة الله الإسلامية ؛ ومن ثم شرع بـالقاء التهم التي ما انزل الله بها من سلطان ؛ وإليك مضمون حكاية :

لقد أمر معاوية بإشاعة ان النبي (ص) قال : احذروا من علي (ع) فإنه ينقل عنى حديثاً كذباً ؛ وصلت هذه الشائعات من الشام إلى الكوفة وبُثت بين عامة الناس ووصلت إلى أذن علي (ع) فأنه منها الإمام طوبلاً على منبر مسجد الكوفة قائلاً : يا معاوية الويل لك ، تدعى كذباً باني أنت قول وأحرف واقول كذباً على رسول الله (ص) على الرغم من أنني أول من آمن بمحمدٍ وكتُتْ ولا أزال حتى يقضي الله يداً وصوتاً لمحمد (ص) ، فقد كان رأسه في حجري عندما رحل من دنياكم الفانية فمن أجل ماذا ؟ ولأجل ماذا اكذبُ عليه ؟ . فاصبح آخر الأمر ان الناس في الشام يقولون بعد صلاة أمير المؤمنين (ع) من جراء ما اشاع معاوية بين الهمج الرعاع حتى يكون حاكماً بلا منازع ويرجع الخلافة من بني هاشم إلى بني أمية ، والشكر لله وحده ان معاوية هذا لم يتل مراده .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم للذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقتل قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾

وصل بحثنا إلى موضوع قساوة القلب ؛ ان قبول الإسلام سهل ، أما دخول الإيمان في القلب وحب الله وآل بيت محمد (ص) لا يأتي إلا بعد ترويض القلب وحيثها يصير القلب إلى الخشوع راغباً ، ولكن اذا تمكنت قساوة من قلب الإنسان يأبى القلب ان يكون خاشعاً لله بل يكون خاشعاً للمال خاصعاً لكل ما هو مادي في دنيا الماديات ، فإذا لم يتمكن المزارع من حرث أرضه كيف يأتي له بذرها لذا ينبغي له أن يلبي الأرض ويحرثها وبعد ذلك يرمي بالبذور فيها ليغور بالثمار على وقت الحصاد وكذا القلب البشري فإذا مال كان قاسياً كالارض الصلبة لا يمكن أن تتفد بذور الإيمان إلى داخله لذا يجب في أول الأمر ان يرُوِّض الإنسان قلبه ويجعل منه طوعاً لقوانين الله وشرعه السمحاء وذلك يكون تدريبه على الخير

قساوة القلب وطغيانه يأتي من الترف :

ما هو علاج قساوة القلب ؟ ان أحد طرق العلاج اشر إليها القرآن المجيد وهي البلاء ، والمصيبة والمكابدة في الدنيا حتى يصل الأمر إلى تلبيه وترويض

القلب القاسي ، ومن عجائب الأمور ان الانسان كلما زاد ترفة واسباب راحته الدنيوية كلما زادت قسوة قلبه وهذا ما تطرق إليه كتاب الله العزيز حيث جاء فيه « كلاً إنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغِي أَنْ رَأَهُ اسْتَغْنَى »^(١) فكلما زادت الرغبات والشهوات كلما ازداد القلب غلظة وقاسوة وهذا إذا كانت هذه الشهوات مطابقة تماماً للميل والزروات الذاتية التي تنتهي إلى وقت معين ومحدود مما يزيف الستار عن مصائب واضرار وامراض يصاب بها البشر ، فيقف قطاراً الآمال إلى هذا الحد ولا يتجاوز إلا قسماً غير كثير من الأماني التي رسمها صاحب القلب القاسي .

أنجبت عشرين ، ماتوا :

ينقل لنا الحاج نوري في كتابه دار السلام إنَّ احدى العلويات المجللات انجبت عشرين مرة ، في كل مرة تلدُ فيها ولداً غلاماً يموت قبل ان يصل إلى سنتين ، وحين انجابها الطفل العشرين ويتعدى السنين ترفع يديها إلى السماء وتقول : إلهي ، الحكم لك ، ولكن ادعوك أن تتلطف عليَّ في ابقاء هذا الغلام لي - في نفس الوقت ترى مقامها في عالم الرؤيا وكان شخصاً يقول لها : انك لم تصلي إلى هذا المقام إلا من خلال ما عانيت وما جرى عليك من المصائب ؛ خصوصاً وان النساء بشكل عام يرتبطن بالشهوات أكثر مما يرتبط الرجال .

ان في قلوب النساء إلى الملبس الجميل والذهب والزينة طريقة لا يعرفه غيرهن وبهذا الوضع كيف يتأتى لهنَّ ان يصلن إلى هكذا مقامات ، ولكن هذه العلوية وصلت إلى مقامٍ عليٍّ من خلال معاناتها وتوسلها بالعزيز القدير .

التقرب إلى الله بالإبعاد عن الترف :

نحن لا نقول لك اطلب البلاء لنفسك بل ادع الله ان يديم عليك نعمة

(١) سورة العلق . الآية ٦ و ٧ .

نعافية ؟ نعم ، فإذا ما اعترضك البلاء فاعلم أنَّ فيه صلاحَك ، وإنَّ الله جبارٌ
نفعاً يرِيدُ به كسرَ حاجزِ القسوة الذي يحيطُ بقلبك ليُدخلَ حبه وحبَّ لقائه فيه .
حتى يتَسَنى لهذا القلبُ أن ينخلعَ من حُبِّ الدنيا المادِية ويتَجَهَ صوبَ الرَّحْمَنِ
شَرِحِيمَ .

انظروا إلى هذا الإنسان عندما يكونُ محتاجاً لرحمةِ الله ورأفتهِ كيف
يتَوَسَّلُ ويتَذَلَّلُ من أجلِ قضاءِ حاجتهِ ، وكلما طالتْ المدةُ كلما كانَ أفضلُ
لِإِنْسَانٍ لأنَّه يقتربُ من الله في طلبِ حاجتهِ في التَّوَسُّلِ والتَّذَلُّلِ .

وإذا - لا سمعَ الله - قسا القلبُ واستفحَلَ القساوةُ حينها لن تفِيَ مثَاثُ
المواعظِ في أن تحرِكَ ساكناً هو كالحجارة ؛ « ثمَّ قُسِّتْ قلوبِكم من بعدِ ذلك
فهي كالحجارة أو أشدُّ قسوةً »^(١) .

ما زال يفِيدُ السَّوْعَدَ مع قلبِ قسى فهُو كالحجر الذي لا يمضي في المسارِ
فالوَلِيلُ للقلبِ القاسي ، عليكم أن تنتبهُوا دائمًا لقلوبِكم التي ينبعُ لها
أن تكونَ رقيقةً وشَفَافةً ؛ وعليكم أن تعلَمُوا إذا ما قسى القلبُ فلن ينفعَ معهُ
شيءٌ حتى ولو كانَ مُعْجِزاً ؛ واحبَّدُ هنا أن اتَّحدَتْ لكم عن شخصٍ قاسيِ
القلبُ لم ينفعَ معهُ أيُّ شيءٍ وذلكَ بمناسِبَةِ التاسعِ عشرَ من شهرِ رمضانِ

أبو عبد الله المحدث ، أعمى البصر والبصيرة :

يقولُ الشِّيخُ المفید - أعلى الله مقامَه - لقد كنت يوماً بسوقِ بيَّنَدَادِ ماشِياً
انْفَقَدَ الكُتُبُ الموجوَّدةُ فيها ، فذهَبْتُ عندَ بائِعِ الكُتُبِ ، فانتَخَبْتُ عَدَّةً مِنْها
لأشْتَرِيَها ، وحينها قالَ لِي البائعُ : أيَّها الشِّيخُ لا بأسَ لو جلستَ لدقائقَ أَحدَثُكَ
بِمَا ينفعُكَ فجلستُ انصَتْ لِمَا يقُولُ فقالَ : لقد كنْتَ وصَاحِبَ لِي نَلْقَى دروسَ
في الحديثِ والتَّفْسِيرِ على يدِ محدثٍ اسمُه أبو عبد الله ، وفي يومٍ من أيامِ

(١) سورة البقرة الآية ، ٧٤ .

الدراسة جلب سمعنا حديث ينمّ عن بعضِ لعلّي (ع) وفاطمة (س) فلمْ نُطْقِ ذلك فأظهننا ما في كوايتنا وقلنا له : لن نستطيعَ بعدَ الانَّ انْ تُكملَ دروستنا عندهك لاما سمعنا منك ما يشيرُ إلى عداوتك وبغضك لأمير المؤمنين (ع) ، فكثُرَ عن أمرِه وصرَّحَ بأنه يكره الإمام (ع) .

وفي المساء ذهبتُ إلى الدار وقبلَ أنْ اهْجُمَ إلى النومِ كنتُ افكُرُ بشكلٍ دقيقٍ انَّ ماذا ستكونُ عاقبةُ هذا المسكين الشقي ؟ وفي عالمِ الرؤيا رأيتَ جمالَ محمد (ص) جالساً إلى جنبِ أمير المؤمنين (ع) ، وكان الإمام (ع) يسألُ النبيَّ (ص) : يا رسولَ الله ما الذي يدَرُّ مَنِي حيالَ هذا الشيخِ حتى يكيلُ لي السبابَ والشتائمَ ، فأشارَ الرسولُ الأكرمُ (ص) بسبابته وقالَ : فليخبو نورُ عينكِ اليمنيِّ يا من سبَّتْ علياً (ع) .

استيقظتُ من نومي وذهبتُ إلى صاحبيِّ لأقصُّ عليه ما رأيتُ في المنامِ وفي طريقيِّ إليه شاهدته يسِّرُ إلى وسأله إلى أين تذهبُ ؟ فقصصتُ عليه ما رأيتُ في منامي ، فأشارَ عليَّ بانِ نذهبَ سويةَ إلى أبي عبدِ اللهِ المحدثِ نروي له ما رأيتُ في منامي عَلَّهُ يرجُعُ عما هو فيه من ظلمٍ لعليَّ (ع) ولنفسِه .

اتجهنا صوبَ دارِه فإذا بنا نسمعُ صوتَ أنينٍ يأتي من جهةِ منزله ، فطرقنا البابَ وإذا بامرأةٌ ترددَ علينا من خلفِ البابِ أَنَّ : من الطارقِ ؟ فقلنا : لَنَا عَمَلْ ضروريٌّ معَ الشيْخِ فاجابتَ : لقد كانَ الشيْخُ بالامْسِ سالِماً صحيحاً وعندَ استيقاظه هذا الصباحِ كانت عينُ اليمنيِّ قد خابَ نورُهافعميتَ وهو الانَّ يضعُ يدهُ على عينِه ويقولُ : لقد أذبَّتْ عَلَيَّ (ع) بنورِ بصريِّ .

فقلنا : من أَجْلِ هذا نحنُ هنا - ففتحتَ لنا بَابَ الدارِ فرأيَناه واصعاً يدهُ على عينِ اليمنيِّ ، فقلنا له : يا شيخُ جتناكَ تُرِيدُ خيرَكَ وصلاحَكَ وفي الليلةِ الفائتة رأى فلانُ في عالمِ الرؤيا انَّ رسولَ اللهِ (ص) اشارَ بيدهِ المباركةِ إلى عينكِ اليمنيِّ وفقاما بسبِّ شتمِكِ أميرِ المؤمنين (ع) ، فيا ايها الشيْخِ ينفي لك

أن تكون مع الحق ، مع علي (ع) (انظر هنا إلى القسوة) فجأة صرخ بنا : لو فقا على عيني الأخرى لما رضيت به إماماً ولا قدوة !!

خرجنا من عنده بعدها سمعنا ما يثير على الدهشة والتعجب ، وفي المساء رأيت في المنام ان الرسول (ص) يشير إلى عينه اليسرى فيطفيء نورها ، فذهبت وصاحبها في اليوم التالي إلى منزل الشيخ لنرى ان عينه الأخرى قد عميت واصبحت كقلبه القاسي الأعمى فاضحى اعمى البصر والبصيرة .

عجبت أمر هؤلاء ، يرون الحق ويفهمون أنه حق ولا يعلمون به ، وكم قيل لهم أن الإمام علياً (ع) يأتي إليكم ساعة الموت ويخضر حساب القبر يجيبون بما يبعث على الشك والريبة مستهذبين مثلهم كمثل أبي جهل وأبي سفيان الذين أثاروا الشكوك دائماً في حق الرسول (ص) ؛ وبحاجدوا بها واستيقنوا أنفسهم ظلماً وغلوا فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ١) .

لن يتأتى للإنسان ان يؤمن بإيماناً صادقاً وهو لا يزال غافل القلب ، فإذا كان القلب قاسياً كيف يمكن له أن يعرف حب علي (ع) فمن أحب علياً (ع) سار على نهجه وهو نهج الرسول الهادي (ص) وبالتالي هو ما قال به الله تبارك وتعالى .

الم تر وتسمع بالإمام زين العابدين (ع) كيف كان يبدو عاجزاً منكسرأ أمام ربها تبارك وتعالى ، وكذا شيعته الذين ساروا على نهجه فاكتسبوا الطريقة من عنده ، وقد جاء في الحديث القدسي « أنا عند المنكرا قلوبهم » .

معدة خاوية وقلب رقيق :

كم كان علي (ع) خاشعاً صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان الكريم

1) سورة النمل ، الآية ١٤ .

فقد رويَ أنَّ امِيرَ المؤمنين (ع) كانَ ذا قلبٍ رقيقٍ ولطيفٍ وخصوصاً في الأَيَامِ الأخيرة من حِيَاتِه المباركة لِقَدْ كَانَ ذَا مَعْدَةٍ خَالِيَّةٍ وَكَمَا عَهَدَهُ مِنْ عَاشَ مَعَهُ .

فِي أَوَّلِ أَيَامِهِ يَنْزُلُ لِيَلَةً بِعَشَوَانَ ضَيْفَ عَلَى الْحَسَنِ (ع) وَآخِرَى عَلَى الْحَسَنِ (ع) وَثَالِثَةً عَلَى زَيْنَبَ (س) فَقَدْ كَانَ طَعَامُهُ لَا يَتَجَاوزُ الْثَلَاثَ لِقَمَاتٍ .

فِي لِيَلَةٍ وَعِنْدَمَا كَانَ الْإِمَامُ (ع) يَنْزُلُ ضَيْفَهُ عَلَى زَيْنَبَ قَالَتْ لَهُ : وَالَّذِي الْعَزِيزُ إِنْكُمْ تَصُومُ وَتَنْفَطِرُ عَلَى ثَلَاثَ لِقَمَاتٍ ، نَاصِدْتُكَ بِاللَّهِ إِنَّ يَكُونُ مَحْلُ هَذِهِ الْلَّقَمَ الْثَلَاثَ مِنْكَ؟ فَإِجَابَ : لَقَدْ وَصَلَ عُمْرِي آخِرَهُ فَأَحَبَّتُ خَلُوَّ قَلْبِي وَمَعْدَتِي لِأَنَّ الرَّسُولَ أَخْبَرَنِي بِأَنِّي سَأَنْزَلُ عَلَيْهِ ضَيْفَهُ فِي هَذِهِ الْأَيَامِ الْعَشْرَةِ .

كَلَمَا كَانَ الْقَلْبُ رِيقاً ، كَلَمَا كَانَ التَّأْثِيرُ لِلْعَوَالِمِ الْرَّبُوبِيَّةِ عَلَيْهِ شَدِيداً ؛ تَقُولُ أُمُّ كَلْثُومَ (س) : لَقَدْ كَانَ أَبِي فِي لِيَلَةِ التَّاسِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ الْمَبَارَكِ دَائِمَّاً لِلِّسْتِغْفَارِ مِنَ الْلَّيْلِ وَهَنَى بِزُوْغِ الْفَجْرِ .

لَقَدْ جَاءَ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ بَحَارِ الْأَنْوَارِ إِنَّ الْإِمَامَ (ع) قَالَ لِأُمِّ كَلْثُومِ : بُنْتِي ، كَانَ أَبُوكَ فِي مَهَالِكِ مِيَادِينِ الْحَرْبِ كَثِيرَ الْحَضُورِ ، وَلَمْ يَرَ هُؤُلَّاً أَبْدَأْ مِثْلَ مَا يَرَى الْآنَ .

انظُرْ إِيَّاهَا الْمُسْلِمِ إِلَى قَلْبِكَ بِدَقَّةٍ ، لَقَدْ قَسَتْ قَلْوَبُنَا ، امَّا قَلْبُ عَلَيْيَ لَمْ يَكُنْ لِيَقْسُو أَبْدَا ، فَهُوَ فِي أَحْلَالِ الظَّرُوفِ يَتَذَكَّرُ لِقَاءَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيَسْتَقِنُ بِضَرُورَةِ الْلِقَاءِ فِي جَوَارِ الْحَقِّ تَعَالَى .

أَنَّ الْوَزِيرَ يَرْتَجِفُ فِي مَحْضِرِ السُّلْطَانِ الَّذِي يَعْرُفُهُ - كَتَبُوا فِيمَا مَضَى أَنَّ وَزِيرًا دَخَلَ فِي مَلَابِسِهِ عَقْرِبًا فِي حَضُورِهِ أَمَامَ السُّلْطَانِ ، حِيثُ بَدَا الْعَقْرُبُ بِلَسْعِهِ ، فَكَانَ لِشَدَّةِ احْتِرَامِهِ لِلْسُّلْطَانِ لَا يَتَحَرَّكُ وَلَا يُدِي ذَلِكَ لِلْحَاضِرِينَ مَخَافَةً أَنْ يَنْزَعَ السُّلْطَانُ وَفِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ وَصَلَ سُمُّ الْعَقْرُبِ إِلَى جَمِيعِ اِنْحِيَاءِ بَدْنِهِ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مِيَّاً ،

فمن أدرك العظمة يتأدب ، وما فعله الوزير وما يفعله امثاله كونهم صغار العقول والتفوس حيث انهم يرون السلطان كبيراً وعظيماً ، أما علي (ع) كان كبيراً بنفسه ، بروحه ، بعقله فلا يرى غير عظمة الله ، كان يذوب شوقاً إلى اللقاء الإلهي العظيم .

انتا تتصورُ أَنَّ الْعَالَمَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ هَذِهِ الْكُرْتَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَالْوَضْعِ الْمَادِيِّ فِي دُنْيَا الزَّوَالِ ، وَلَكِنْ عَلَيْاً (ع) لَا يَرَاهَا غَيْرَ قَبْضَةِ تَرَابٍ لَا أَكْثَرَ وَالْكُلُّ مَقْهُورُونَ بِالْحَقِّ ؛ « وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عَبَادِهِ »^(١) وَكَذَا فِي عَلِيَّاهُ فَانِ الْمَلَائِكَةُ تَرْتَدُ فَرَائِصُهَا هَيَّةً مِنْ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ .

لقد كانت ضربات قلب علي (ع) تسارع فسألته أم كلثوم : ما الخبر فاجاب : لقد رأيت ابن عمي في المنام فشكوت له وضع الزمان فأمرني بالدعاء فدعوت الله ان يعجل في الفرج وان يأخذني إلى حيث مقام رسوله الأمين فقال لي : استجبيت دعوتك وأئنك لاحق بي في العشر الاواخر من شهر رمضان المبارك .

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٨ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَنَفَّثَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ﴾^(١)

مرض الفساد علاجه الإيمان :

ما هو منشأ الفساد ؟ وهل هو قابل للإصلاح أم لا ؟ منشأ الفساد يمكن أن يُعزى إلى عدمية الإيمان وعدم الإتكال والاستناد إلى الله . وأن ما يمكن اعتباره الطريق الوحيد والصحيح فهو الإيمان به وحده تعالى اسمه لأنه علاج هكذا أمراض .

ان سعادة الدنيا والحياة الطيبة ونهاية الامن يتأنى من الإيمان يتأنى من الإيمان بالله تبارك وتعالى فإذا ما أردت ان تكون سعيداً ابداً وفي أمنٍ وأمان على وقت ساعة الموت عليك ان تكون مؤمناً بالله وباللهم الآخر إذ من الممكن ان يقول شخص ان المسلمين يتفاوتون في قول الشهادتين . ﴿ وَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦

ولا هم يحزنون ^{٢٤} .

وجواب هذا الذي يقول بالتفاوت في الشهادتين هو : طالما كررنا وقلنا إن الإسلام غير الإيمان ، فالإسلام يعني قول الشهادتين « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، وقبول الصلاة والزكاة والحج وضروريات الإسلام والأخرى فهذا الشخص الذي يقبل كل ما ذكرنا يُسمى مسلماً ، ومن قبل كل ذلك ينبغي له أن يؤمّن قلباً لا لساناً فُيسمى وقتها مؤمناً .

ان الشيء القابل للتصديق هو من تعلق قلبه بالجنة حظي بها ، فهل يمكن أن تعرف ما هو مطلب قلبك الآخرة أم الدنيا ، يطلب المقام والمنصب أم يطلب جواز علي (ع) - فالإيمان معناه التعلق ، تعلق القلب بمحبة الله فيها ايها المسلمين هل وصل قلوبكم ان حالت التعلق همه « ألم تأن للذين آمنوا . . . » .
ان الإدعاء والظاهر لساناً يكون الشخص مسلماً لا فائدة منه ؛ يقول أنا مسلم ولكن تعلق قلبه بغير الإسلام تفضحه اعماله ؛ « إن المؤمن يرى يقينه في عمله - والكافر يرى إنكاره في عمله » ^{١١} .

فالإيمان القلبي يصدقه عملك الظاهري ، فإذا ما كانت علاقتك بالله تبارك وتعالى حسنة صدقها عملك وسلوكك الحسن .

ميزان الأعمال مرهون بالتعلق بالله واليوم الآخر :

لقد حدد القرآن الكريم قاعدة الصلاح والاستقامة المطلقة للمؤمنين حين قال عز من قائل : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرٌ هم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

(٢) سورة البقرة ، الآية ٦٢

(١) الأصول من الكافي - للكلباني ج ٢ ص ٤٦ .

يحزنون ^(١) . وقد جاء في آية أخرى تدلل على حرص اليهود حيث تقول : « ولتجذبُهم أخرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الظَّنِّ أَشْرَكُوا ^(٢) .

فحبِّ المال وطلبِ الجاه يبتعد بالانسان عن التعلق بحبِّ الله واليوم الآخر فما ابها النصارى يا من تقولون « نحن أبناء الله واحبائه ^(٣) » انكم مغرورون حينما هكذا تدعون وتعتقدون ان الجنة ملكٌ مطلق لكم ؛ وكذا الصائبون وهم صنف لا يدعُون العبودية لله ؛ فالكل خاطبهم المولى جلت قدرته في الآية التي ذكرنا وحدد لهم ميزان الأعمال بالإيمان بالله واليوم الآخر ، وبهذا يستحيل على من تحمل المسئولية ، مسؤولية الإيمان بالله واليوم الآخر ان يرتكب جنائة او يمارس معصية .

هل سمعت بالحكاية التي تقول : بان السجاد (ع) ركب جملًا ، وبعد مدة من العسير وقف الجمل فرفع الإمام السوط ليضربه ولكنَّه تذكر شيئاً فغطَّ يده عن الضرب وانزلها ثانية وقال « لولا خوف القصاص » ؛ قصد الإمام أخاف ان اضرب هذا الجمل فأحسنت غدًا على ما فعلتُ فيقال لي : يا علي ابن الحسين (ع) لماذا ضربت لهذا الحيوان ، وما حفتك في ذلك « فمن يَعْمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ خَيْرًا يُرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مثقالَ ذرَّةٍ شَرًّا يُرَهُ ^(٤) .

فإذا ما تمكن الإيمان من القلب لا يمكن أن يتطاول الإنسان على عمل الذنوب « الا اللهم » وإذا اتفق ان تجراً وعمل المنكر تبعه بالاستغفار والبكاء والآنين والتضرع الى الله تعالى بأن يغفر له ما تقدم من ذنب وما تأخر .

فالاستقامة تنم عن إيمان الفرد ، والخوف والهلع مرفوع في الآخرة عن

(١) سورة البقرة ، الآية ٦٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٩٦ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٨ .

(٤) سورة الزلزلة ، الآية ٧ و ٨ .

المؤمن لخوفه من ممارسة المعاشي على زمان الدنيا ، وهذا هو ما يتعلّق
باليمان والذي هو الحالة الأعمق من الإسلام ؛ وهنا نذكر لكم حكاية :

الأنين والاستغفار من أجل ثعلبة المعصية :

لقد ذكر المحقق السبزواري في كتاب روضة الأنوار حكاية طويلة نذكر
هنا خلاصتها بتصرف : لقد آتى الرسول الأكرم (ص) بين كل شخصين
يتناسبان روحياً وفكرياً وذلك في صدر الإسلام ، لأن المسلمين بشكل إجمالي
لا يتسع لهم الحضور في جبهات القتال ، وإذا ما حضر الجميع فسيختل
الوضع المعيشي والإجتماعي فكل اثنين متاخرين يذهب أحدهما إلى الغزو
ويبقى الآخر يهتم بأمور العيال ، عياله وعيال أخيه في الإسلام ، وفي غزوة تبوك
آتى الرسول (ص) بين سعيد بن عبد الرحمن وثعلبة الأنصاري .

ذهب سعيد مع الرسول إلى الغزو وبقي ثعلبة لكي يدير أمور عيشه
وامور معيشة الأخ المسلم ، وفي يوم من الأيام ذهب ثعلبة إلى دار سعيد ليرى
ما يحتاج عيال سعيد ، فوّقعت عينه على امرأة سعيد فلم يتمكن من السيطرة
على نفسه فازاح ستار الذي بينهما ومد يده يُريده سوءاً وما إن رأت امرأة سعيد
يَد ثعلبة حتى صرخت به قائلة إن أخاك يذهب إلى القتال من أجل رفعة راية
الإسلام معرضاً نفسه للقتل وانت هنا المؤمن تحاول خيانة بالاعتداء على
امرأته ؟ وما إن قالت زوجة سعيد ما قالت حتى أحس ثعلبة بأن سهماً من نار شغف
حشه وكان هذا أول خطأ لثعلبة ، فهاب على وجهه في الصحاري يطلب المغفرة
من الواحد الأحد .

وبعد رجوعه بالنبي (ص) واصحابه من الغزوة ، ذهب كل فرد فيهم إلى
داره وكذا سعيد ، وأول شيء سأله عنده هو : أحوال ثعلبة فقالت زوجه لقد كان
يأتينا كل يوم ويسأله حاجاتنا ، ولكنه وفي يوم من الأيام حاول خيانتك فصرخت
به وقلت له ما قلت : فصحت لنيه وذهب يَنْ ويبكي ، وقد سمعت مؤخراً انه
اتخذ من الصحاري والجبال مكاناً لاستغفاره وتوبته وإنابته .

ان قصد الخيانة جرّ عليه ما هو فيه - ذهب سعيد يطلب فرآه تحت الشعنة
الشمس المحرقة وعلى الصخور الحارة المشتعلة يبكي ويشّن ويستغفر فرق له
سعيد وقال له : يا أخي ما الذي حدا بك إلى هذا فقال : سوادت وجهي بيدي
ومعصيتي كبيرة (لقد كان قاصداً عملاً قبيحاً ولكنه لم يعمله) فقال له سعيد :
قُم بنا يا أخي لنذهب سوية إلى رسول الله (ص) ونطلب منه ان يستغفر لك
عسى ان يغفر الله لك فقال ثعلبة : لا آتي متك حتى تصنع الأغلال في عنقي
ويدي وتجرّني خلفك كمن هرب من العبيد .

فأخذه سعيد على هذه الحالة ودخل به المدينة ، وكلما كان يراه أحد يدبر
بوجهه عنه إلى ناحية أخرى فصادف ان رأته ابنته فقالت له : ما الذي فعلت
بنفشك يا أبتي ؟ ساز الموكب وسارت ابنته معه ووصلوا إلى أمير المؤمنين (ع)
وازداد بكاؤه حين رأى علياً (ع) ولكن الإمام (ع) قال له : الم تعلم يا ثعلبة بأن
من يذهب إلى الغزو مع رسول الله (ص) مجاهد في سبيل الله ومقامه في
السماءات العلى ، فماذا كان قصداً من عملك هذا ؟

سار الجميع مرة أخرى ووصلوا إلى دار النبي (ص) ويقال أن سعيداً قال
للرسول الأكرم (ص) : يا رسول الله استغفر لثعلبة فانه أخطأ ، فسأل
النبي (ص) أن ما الخبر ؟ فقصوا عليه ما كان يحدث فادار النبي (ص) بوجهه
وقال : إذهب من هنا !! ولم يقل له غفر الله ذنبك .

غفران الذنوب في الكنيسة متاجرة بالغرافات :

من سخريات القدر ان القس يغفر للمسيء والمجرم المسيحي ، فكلما
مارس الفرد المسيحي من أعمال تسيء إلى البشرية أو تخل بالنظام الاجتماعي
العام ذهب إلى الكنيسة واعطى مبلغاً من المال وأقر بما عمل من معصية غفر له
القس ذلك - مثلهم كمثل الشيطان الذي ادعى النجابة ، ولكنه والجميع يعلمون
ان ادعاؤه كاذب . نرجع هنا إلى حكايتنا مع ثعلبة ، لقد قال له الرسول ارجع

إلى ما أنت عليه من استغفار فإني انتظر ما يوحى إليك ، رجع ثعلبة إلى العراء تحت لهب الشمس المحرقة يتضرع ويسكي إلى الله ويقول : إلهي إن تغفر لي فأنت أهل لذلك سألك أن تخير النبي وتبشره بالمغفرة والرضوان لي وإذا لم تغفر فارسل عليّ ناراً تحتويني ؛ لم يطل ذلك حتى انزل الله تبارك وتعالى على نبيه آية تقول ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرَهُ اللَّهُ وَمَن يَعْصِيَ اللَّهَ فَإِنَّمَا يُعَذَّبُ مَا فَعَلُوا وَمَن يَعْمَلُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَمْنُونٌ إِنَّمَا يُعَذَّبُ عَمَّا فَعَلَوْا وَمَن يَعْمَلُ مِنْ سُوءِهِ فَمَمْنُونٌ إِنَّمَا يُعَذَّبُ عَمَّا فَعَلَوْهُ﴾^(١) .

قال الرسول (ص) : يا عليّ أين ثعلبة ؟ فأجاب (ع) : إنه في اطراف جبال المدينة فقال (ص) إذهب يا عليّ وبشره بأن الله تعالى غفر له ، فذهب الأمير (ع) وبشر ثعلبة وفي تلك الليلة شارك ثعلبة في صلاة الجمعة بامامة الرسول الأكرم (ص) ؛ وفي الركعة الأولى قرأ النبي (ص) سورة التكاثر بعد الحمد ، والمعروف أن سورة التكاثر تهُزّ كيان من ثبت إيمانه وتذكرة بالقبر والموت والشدائد التي ما بعد الموت وحين أكمل الرسول سورة التكاثر صاح ثعلبة صيحة ووقع أرضاً .

بعد إتمام الصلاة اجتمع الناس حوله وحاولوا تحريكه يميناً وشمالاً ولكن . . هيئات ، فقد قضى نحبه ؛ فهنيئاً له لقد مات بعد ان ظهر وبعد ان تاب الله عليه راحلاً إلى رحمة الرحمن الرحيم ، لقد كان قلبه ريقاً جداً لم يتحمل معه سماع آيات العذاب فرحم الله ثعلبة .

من بركات المهدي (عج) يكتمل الإيمان ويصلح العمل :
ان الإيمان بالله واليوم الآخر والتعلق بالله ويوم القيمة يستلزم التصديق والاعتقاد بوجود الجنة والنار ؛ فالعمل الصالح الخالص لوجهه تعالى علامه من

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ - ١٣٦ .

علمات الإيمان فإذا ما طاب العمل الصالح الإيمان الراسخ صلحت الدنيا
والآخرة لهذا الفرد المؤمن الملزם بالأعمال الحسنة والخيرية وكان في آمن
وأمان ، لذا ينبغي لكل فرد أن يصلح ما بينه وبين الله لينصلح ما بينه وبين خلق
الله .

إلهي : صل ذلك السيد الجليل الذي يجعل من كل خلفك عباداً مؤمنين
بك ، ذاك الذي يُسأل عنه في دعاء الندبة حين نقرأ « أين جامع الكلم على
القوى » ليتبعه المؤمنون فيحيظون بأمنك يوم لا أمن إلا أمنك « اولشك لهم
الأمن وهم مهتدون »^(١) .

قيل في ما ورد من الروايات المتواترة ان العقول تنضج وإن الإيمان يزداد
فيهم العباد يقيناً بوجود الجنة والنار وصراط الحق وذلك حين ظهور المهدي
المتظر (ع) ، ويقال أيضاً في الأخبار : ان البنت الجميلة على زمن
المهدي (ع) تذهب من بغداد إلى الشام لوحدها وبكامل مجدها وبأيتها غير
متعرضة لسوء أو إلى من ينظر إلى مجدها .

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ ﴾^(١)

روح الإيمان عطاء الله :

وصل الكلام بنا إلى أنَّ روحَ الإيمانِ أفاضةً من فيضِ اللهِ وعطاءً من عطاء ربِ العالمين ولا يدخلُ صنْعَ البشرِ فيهِ ، بل ان صنْعَ البشر يكمن في تهيئة النفسِ وتربيتها على طريقِ اشعةِ نورِ الإيمانِ - ينبغي للمؤمنِ أنْ يصنعَ او يُرتبَ الجسمَ الإيمانيِ اما روحُ الإيمان فلا يتأتى للإنسان التدخلُ فيهِ فهو مختصٌ بالله تبارك وتعالى ويتجلِي روحُ الإيمان في فروعِ الدينِ الواجبةِ وتعلُّم الواجباتِ والعملُ بها يدخلُ ضمنَ حدودِ المساهمةِ البشريةِ ، اما الخشوعُ وحضورُ القلبِ فهو متعلقٌ بالرحمنِ الرحيمِ لأنَّ المولى تعالي دائمُ الحضورِ والنظرِ إلى عبدهِ الذليلِ المرتجمِ ، وفي محضرِ اللهِ فقط يثبتُ الإيمانُ لأنَّه عطاوهُ وحدهُ لا

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

شريك له لقد جاء في أصول الكافي ان روح الإيمان هو : الإيمان الذي يرميه الباري في القلب البشري فينيره فيخرج الإنسان بذلك من غفلته ويدرك عظمة الحق ، فالحقيقة والادراك من آثار الإيمان ؛ الإيمان يعني الاعتقاد الراسخ بعظمة الله وقدرته والشعور بالحقاره مقابل العظمة والرفة ، ﴿ الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَتَبًا مَتَّسِبًا مَتَّا بَهَا مَثَانِي تَقْشِيرٌ مِنْ جَلْوَدِ الَّذِينَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جَلْوَدَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله . . . ﴾^(١) ان الإنسان وبعد ادراكه لعظمة الله ومعرفته بأن السلطان الحقيقي وحده لا شريك له سوف يتعرف على مسائل أخرى تجره إلى الخوف والرهبة من هذا السلطان العظيم الذي خلق الأرض وما عليها ، فترسخ في نفسه بأن العزيز القدير هو الحال الباري وكل من على الأرض من مخلوقات تدين له بالولاء والعبادة وأن كل ما تملك العباد هو من عند الله المقتدر متى شاء أخذ ومتى شاء أعطى وحيثها يتضائل الإنسان ويخبو أمام هذه العظمة فيضحي متواضعاً ذليلاً يتارجح بين الخوف والرجاء .

فيا أيها البشر إن الإفخار لا يكون بما عندكم من أموال وصناعات بل ان الإفخار يكون لكم متى ما عرفتم صالتكم أمام رب الشمس والقمر رب الدنيا والآخرة ؛ فلا ينبغي لخبير في شيء ان يرى نفسه كبيراً ، نقول له : عليك ان تتعرف الى خالق القمر ، وان تتفكر بمقامك الوضيع أمام مقام الله ، وحشا ان يكون هناك وجه قياس بين الخالق والمخلوق . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(١) حكاية عن الإيمان :

لقد حصل عدد المسلمين في اوائل البعثة النبوية الشريفة وبعد ثلاث سنوات إلى اربعين شخصاً حيث كان المشركون يصيرون عليهم أنواع العذاب ،

(١) سورة الزمر ، الآية ٢٣ .

فأمر الله تعالى رسوله بعدم البقاء هنا والفرار إلى مكان آخر أي عليهم أن يتركوا مكة وينذهبوا إلى مكان يتسع لهم إقامة عبادتهم بأمن وطمأنينة ، فهاجَ المسلمون إلى الحبشة وكان النجاشي امبراطوراً للحبشة آنذاك وهو رجل يدين بالنصرانية ، وعلى الرغم من أن الحبشة تدين بدين سلطانها ، كان السلطان رجلاً عالماً ومنصفاً .

كان جعفر بن أبي طالب كبير المسلمين المهاجرين في هذه الهجرة وعند سماع المشركين بوصول المسلمين إلى الحبشة شكلوا هيئة برئاسة عمرو بن العاص ، وكان هدف الهيئة المشركة هو تقديم طلب إلى النجاشي بإرجاع المسلمين من حيث جاءوا ، وعند إخبار النجاشي بوصول الهيئة المسلمة استقبلهم باحترامٍ تامٍ وقبلهم في بلاده ومن الطرف الآخر استقبل النجاشي المشركين المحملين بالهدايا برئاسة عمرو بن العاص فعرض عليه عمرو أن يسلّم المسلمين بعنوانهم فوضوين ومتمردين على دين الآباء والأجداد .

لم يرتب النجاشي أثراً على قولِ عمرو بن العاص لنضجه وعدهله بل قال : يجب أن اتكلّم إليهم شخصياً ؛ فأخذَ المسلمين إلى قصره يتقدّمُهم جعفر بن أبي طالب وعند الدخول لم ينحرج جعفر أمام السلطان ، وحينها اجتمع عمرو بن العاص قائلاً : انظر إليهم أيها السلطان انهم لا يسجدون لك على خلافِ الرسولِ والأداب المتبعة ، وكان القصدُ من حديثه هذا هو تحريض المسلمين في عين النجاشي ناهيك عن قوله مخاطباً السلطان : إنهم يحرّرونك مثلما حرّرُونا .

تقدّم حاجب الامبراطور صوبَ جعفر سائلاً إيه : ما الذي دعاك لعدم السجود - وفي العادة أن الشخص المبتلى بمصيبة وهو لا جُء إلى تلك الدولة يتعلق دفعاً للخطر الذي يُمكّن أن يلحق به - أما الإيمان عندما يتمكّن من الإنسان يجعله يفهمُ ويدركُ أن كُلَّ الأعمال بيد الله القاهر فوق عباده .

علا صوتُ جعفر وأسمعَ السلطان قاتلًا : ان ديننا لا يجيزُ السجدة لغير

الله .

ان الشخص الذي عرف الله حق معرفته لا يأبه بالمخلوق بل يحب حسابَ الخالق فقط « عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم »^(١) .

لقد عرف شيعة علي (ع) واهل الإيمان ان العظمَة لا تليقُ لغير الله وكل ما هو دونه لا قيمة له والعزة لله وحده ومن ثم لرسوله وللمؤمنين « يا من له العزة والجلال ، ﴿ وَلِهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) ؛ فإذا ما جاء الإيمان جاء الفهم ، يمكن لك ان تعرف ذلك من خلال مرورك على القبور ، فكم من قوي وكبير وجليل احتوته الأرض واكلته الهوا .

مُرُ على القبور وتمعن بها ترى المحدثين قد القموا حجراً إذا كان الانسان يحظى بمنزلة ومقام عند رب العزة فسوف يكون لانقاً بالتكريم لمعرفته بالعظيم ولتفكيره الدائم بالعظيم فبذلك يعظم الانسان ويسمو ويضحى غزيرًا ﴿ وَلِهِ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

يُنقل عن الإمام علي (ع) أنه قال : لو لم يكن غير مؤمن واحد على سطح الكرة الأرضية لتواضعَت له الملائكة ولحباه الله العزة والعظمة - فالوردة بين آلاف الاشواك لها قيمتها ، فشمرة شجرة عالم البشرية هو المؤمن ، ذاك الذي رأى بعين قلبه نور الله ، وتبين بحضور الله في كل مكان ومع كل موجود ؛ لقد رأى المؤمنون الله في كل ظاهرة ، وفي كل حادثة وعلموا أن لا فرار من حكمته .

(١) من خطبة لامير المؤمنين (ع) في وصف المتقين . انظر شرح نهج البلاغة لابن مثيم الحراني ج ٣ ص ٤١٠ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

لقد أحببَتِ العَالَمَ لِعِلْمِي أَنَّ الْعَالَمَ مِنْ عَنْدِهِ
وَاصْبَحَتِ عَاشِقًا لِكُلِّ الْعَالَمِ لِعِلْمِي أَنَّ الْعَالَمَ مِنْهُ

﴿ وَانِّي مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْعَ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَبَيِّنُهُمْ ﴾^(١) .

إِذَا لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ الْقَلْبَ فَلَا قِيمَةَ لِإِسْلَامِهِ ، وَعَلَيْهِ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ
يَكُونَ صَادِقًا فِي تَعْمَلِهِ مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَاضِيًّا بِعَقْدِهِ وَقَدْرِهِ مُسَلِّمًا لَهُ أَمْرَهُ
فَإِذَا مَا أَخْذَ اللَّهُ الْوَلَدَ وَهُوَ الَّذِي أَعْطَاهُ يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُسَلِّمَ لَهُ فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنَا
وَيُمْسِي فَأَخْذَهُ حَسَنٌ وَعَطَاؤُهُ حَسَنٌ ، وَكَذَا الْعَزَّةُ وَالذَّلَّةُ وَالْفَقْرُ وَالْغُنْيَ وَالْمَرْضُ
وَالشَّفَاءُ فَلَا شَيْءٌ مِنْ غَيْرِهِ ، كُلُّهُ مِنْهُ وَلَا هُوَ مِنْهُ فَهُوَ جَمِيلٌ .

يَسْتَلِمُ الْإِيمَانُ خَشْوَعَ الْقَلْبِ لِلَّهِ ، فَدَقَّاتُ الْقَلْبِ يَجْبُّ أَنْ تَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ أَجْلِ شَخْصٍ ، فِيَا إِيَّاهَا الْمُسْلِمُ لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ
تَسْأَعَ ضَرِبَاتُ قَلْبِكَ خَرْقًا مِنْ أَحَدٍ ، بَلْ يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَضْطَرِّبَ وَتَتَصَاغِرَ أَمَامَ
ذَكْرِيَّاتِ مَوَاقِفِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمَهْوَلَةِ ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾^(٢) .

مَا قِيمَةُ الرُّوحِ فِي مَقَابِلِ الْحَيْبِ :

﴿ يَمْنَوْنَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قَلْبَ لَا تَمْنَوْنَا عَلَيْهِ إِسْلَامَكُمْ ﴾^(٣) .

(هذا الْإِسْلَامُ الظَّاهِرِيُّ الَّذِي طَالَمَا تَبَجَّحَ بِهِ بِلْسَانِكَ لَيْسَ شَيْئًا مَهِمًا أَوْ
ذَا أَهْمَيَّةٍ ؛ أَنَّ اللَّهَ بِفَضْلِهِ يَقْبِلُ مِنْكَ الصِّيَامَ وَالصَّلَاةَ فَلَا تَتَصَوَّرُ أَنَّكَ قَمْتَ بِعَمَلٍ
مِنْهُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَتَفَعَّلُ مِنْهُ سُواكَ) فَالْمَالُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ لَكَ أَعْطَنِي مُثْلُهُ
كَذَلِكَ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، فَالْمَالُ مَالُ اللَّهِ وَهُنَّ أَنْتَ أَيْضًا مُلْكُ اللَّهِ وَالْتَّوْفِيقُ مِنْ
عِنْدِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَمَا الْمُبَرُّ لِمَنْكَ ؟ وَأَيُّ مِنْهُ هَذِهِ ؟

(١) سُورَةُ الْإِسْرَاءِ ، الآيَةُ ٤٤ .

(٢) سُورَةُ الْدَّهْرِ ، الآيَةُ ٧ .

(٣) سُورَةُ الْحَجَرَاتِ ، الآيَةُ ١٧ .

كيف أرى طرفي للحبيب على الرغم من اني خجل منه
 ناهيك عن عدم استطاعتي من تقديم خدمة له
 ان اولئك الذين يعلمون ان الروح ترجع إلى الله يتذمرون ويتأسفون ويقولون
 انت لم تقدم شيئاً يذكر بل هي بالمقامات الالهية .
 ما قيمة الروح حتى لا أفاديهما من اجل الحبيب
 فهي متاع يمتلكه حتى الحافي
 ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾^(١) .

عجبًا كيف يجرؤ البشر على أن يمن على رسول الله (ص) شيء لا قيمة له تذكر كالإسلام الظاهري الخالي من روح الإيمان؟! إن الشيء القيم أساساً هو ذلك الإيمان وتلك الهدایة الإلهية الخاصة؛ وإن الله هو المنجى بهدايته لكم وفضيله باعطائه الإيمان إليكم .

لقد كان الله لطيفاً حينما حبّا بدن الإسلام ايماناً فجعل من البشر مؤمنين ،
 خاشعين بقلوبهم .

هل تظنون أنكم وصلتم إلى درجة الإيمان؟ لا يمكن الوصول إلى درجة الإيمان الأعمال الظاهرة وبالإسلام الظاهري ، فالذى وصل إلى روح الإيمان يكون قد تعدى مرحلة كونه بشرًا عادياً لما حظي به من تبدل اساسى في تفكيره وروجه من خلال عطاء الله له هداية خاصة .

لم يؤمن بالجنة ، رجاؤه كان كاذباً ، وعمله يشوّه الغرور ، آمن برياض الدنيا التي لا يمكن ان تُقاس برياض الآخرة ، ومن اجل ان يبتاع حقلًا في الدنيا يسعى بكل جهده ويتملق لهذا وذاك على الرغم من أنه لا يسعى بنسبة ١٪ من سعيه من اجل حقل دنيوي ؛ أيها المسلم : لو كنت عرفت رياض

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٧ .

الجنة لاعطيت نفسك ومالك في سبيل الحصول عليها ، والآن عليك ان تُنفق من أموالك ، ولا تكون كالذى إذا كان في يده دراهم أعطى منها شيئاً وإذا كان في يده ديناراً لم يُنفق مبرراً ذلك بعدم وجود فرط من الدراهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تُخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ نُطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ فَقَسَّطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ﴾^(١)

آثار الإسلام والإيمان :

بعد مراجعة الآيات القرآنية والروايات والأحاديث عثّرنا على فروقات وتبينات بين الإسلام والإيمان ، والإسلام بالمعنى العام : فائدته طهارة البدن وصحّة النكاح والإرث وحفظ الدم والمال .

أما الإيمان ففائده : الساعة الأبدية وبلغ المقامات العلي عند عظيم مقدار ، فالإيمان يوصل الإنسان إلى رياض الجنة وما فوق ذلك ، ورضوان الله أكبر^(٢) .

فالإسلام معناه قبول العقائد الحقة من مثل لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ، وقبول الولاية ، ولالية آل محمد (ص) والإقرار ب يوم الجزاء

(١) سورة الحديد ، الآية ١٦ .

(٢) سورة التوبية ، الآية ٧٢ .

وضروريات الدين .

فبدون الإيمان القلبي لا يحظى البشر بفائدة أو بفوائد أخرى لأنَّ إسلامه لم يتعذر اللسان الذي يقول الشهادتين ، والبدن الذي يقوم بإنجاز العبادات ، يقول القرآن المجيد : « يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل . . . »^(١) يا من أسلتمُ عليكم ان تؤمنوا وترکوا النفاق فالنفاق إقرار بالإيمان مع عدم الخشوع والخضوع للواحد الأحد ، فيما عجباً لقد قضت السنون وأنتم إلى الآن على إسلامكم لم تصلوا إلى مرحلة الإيمان ونكرر قولنا ونقولُ ان الإيمان هو الخشوع والخضوع القلبي لله العزيز المقتدر - لسانك يقول : الجنة حق وكذا يجب ان يكون قلبك يشترط إلى رياض الجنة ، فايديما ذهب قلبك ينبغي ان يكون الإيمان مرافقاً له .

الإيمان بأهل البيت ثم التوسل :

سمعت أنَّ نسوة فرشن مائدة للعباس (ع) متصرّفات يُقمن بعبادة ؟
عليك أن تؤمن بالحسين (ع) فالعقلُ والتَّبَعُّجُ غير كافٍ ومرفوض .

علّكِم ان تذهبوا بقلوبِكم إلى جنْبِ عليٍّ (ع) هناك جوارَ الله حيثُ الأمل بالوصول إلى الجنة ، تعالوا بقلوبِكم إلى عبادة الله ، وإلى حُبِّ آلِ الرسول (ص) إلى الإيمان بفاطمة الزهراء (ع) ، ولا تجعلُوا الأهواهَ تطيرُ بقلوبِكم إلى حيثُ أماكنَ اللهو والفساد ، فيما لهفي عليكم ؛ هل انتَ إلى الآن تراوحون في مكانيكم ولم تتعدوا مرحلةَ الإسلام إلى الإيمان ، إذن ما معنى الإيمان بالله الذي تدعونه ؟ ان معناه هو كلُّ ما قالَه الرسولُ (ص) صحيح ؛ صدقُوا أنَّ ما تدعون مثُلَّه كمثلِ شخصٍ يعبدُ نفسه ويسلكُ بها سلوكَ الأشقياء مقابلَ الإيمان ؛ إذن انتَ على طرفي نقىض في ادعائِكم هذه . فنرى البعض يقرأُ زيارةً عاشوراء من أجلِ قضاءِ حوائجهُ الدنيوية يريدهُ منه البدية وحين

(١) سورة النساء ، الآية ١٣٦ .

القول : السلام عليك يا أبا عبد الله الحسين أن يصل إلى كل آماله وأماله
ويضمن سلامه على الإمام بانكار التوسل بهم (ع) من أجل قضاء حوائجه
الدنيوية ؛ ولكن حديثاً غير ذلك حيث يمكن القول لك : أنت من عشاق
الدنيا ، وایمانك لا يتدنى حدودها ، ولكنك لو علمت يقيناً ما الذي يتنتظر
الإنسان المؤمن بعد الموت من عوالم وجنان وانهار من عسل مصفى لما وقعت
في هكذا مطلب ؛ إنَّ الرسول الأكرم يعبر عن أهل الجنة تعبيراً جميلاً حيث
يقول : « إنَّ أهل الجنة ملوك ». .

عَنَّاً وَلَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ :

يقول أحد العارفين رأيت فيما يرى النائم في أحد الليالي سلطنة عجيبة
فسألت لمن هذه السلطان العظيم فقيل لي لذاك الجالس على العرش فطلبت
الاذن بالدخول فاذن لي بذلك . .

فذهب بي إليه مُحترماً فقلت له : إن من دواعي سروري أن اتعرف عليك
فقال لي : أنا عنَّا في الدنيا ، فتعجبت وقلت وما الذي أوصلك إلى هذا
المقام ؟ فأجاب : كنت ملتزماً بصلة الجماعة ، ولم أخن أحداً ولم أكذب على
أحدٍ ولم اتعامل مع الناس بغير الصدق والأمانة . .

عليك أيها المسلم ان تقبل القرآن وما فيه ، ان المعانى السامية التي
حسب حسابها في القرآن ليست مسألة اعتباطية فعندما يقول الرحمن الرحيم
ويتعرض إلى الملك الكبير يقصد بذلك ويشير إلى الحصول عليه بعد الموت ؛
فتمعن جيداً بما هي طبيعة الحياة التي هيأها الباري لعباده المؤمنين ، وما الدنيا
كُلها إلا لعب ولهم وما هي إلا مтанع الغرور وما هي إلا وهم وخيار . .

إنَّ الْمُلْكَ الْحَقِيقِيُّ هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْمُؤْمِنِ وَكَمَا عَبَرَ الْمَوْلَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى
فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْ ذَلِكَ قَالَ ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيَّاً وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾^(١)

(١) سورة الإنسان ، الآية ٢٠ .

راعي الجمال يصل إلى امنيته فيفوز بالشهادة :

لقد ذكرت بعض الكتب روايات متواترة وصلتنا منها رواية تذكر أن أحد رعاة الجمال على عهد الرسول الأكرم (ص) كان فقيراً - وحين وصلت الدعوة المحمدية إلى أغلب البلدان شمله سمعها ، فعجل بالمسير إلى المدينة ووصل إلى الرسول الأكرم (ص) فقال : يا رسول الله ماذا أفعل لأكون ملماً؟ فقال (ص) : قل الشهادتين تضحي ملماً واعلم أن بعد الموت عالم آخر يسمى بعالم الثواب والعقاب وهو عالم جزاء الأعمال ؛ فسأل الراعي عن العقائد فأجابه الرسول (ص) هذا يكفيك الآن .

لقد أشار الرسول (ص) على بعض المسلمين الذين سمعوا ما جرى بين الرسول (ص) وبين هذا الأعرابي أن يعلمهونه بعضاً من الآيات القرآنية التي تمكّنه من الصلاة ، وفي هذه الأثناء حدثت احدى الغزوات فاجتمع المسلمون لينظروا في أمر ذهابهم إلى ميدان الحرب فراراً الراعي كذلك أن يشترك معهم في حربهم ضد الكفر فذهب إلى رسول الله (ص) قائلاً : يا رسول الله إذن لي في المشاركة لأن السعادة الأخرى هي مناي ولكن ما باليد حيلة فانا لا أعرف فنون الحرب ؟ فأذن له الرسول (ص) وقال له : عليك أن تحفظ جمال وخيول المسلمين ، لقد كانت هذه الغزوة من نصيب المسلمين فكانت الغلبة فيهم لهم وغيروا مفانئ كثيرة ، وعندما أمر الرسول (ص) بتقسيم الغنائم بين المشاركين ، فشملت الراعي فكان سهّمه كسهم الباقي لا يزيد ولا ينقص وعندما قدم له نصيبه من الغنائم قال : ما الذي فعلته حتى أعطي هكذا نصيب ؟

فيا للعجب لم يأخذ الراعي نصيبه وقال للرسول (ص) : لقد كانت امنيتي في هذه الغزوة أن أقتل في سبيل الله وافوز بالجنة والرضاوان فلم تكن غاياتي المال بل كانت اسمى وأرقى من ذلك .

ان هذا الراعي هو من يقال له مؤمناً ، انه ليس كبقية المسلمين الذين

يبعون دينهم من أجل الماديات الدنيوية ، وهؤلاء لا يمكن احتساب إيمانهم إلا المال وليس الله والأخرة .

وخلالصة القول ان الراعي قال لرسول الله (ص) : يا رسول الله اريد الشهادة لأصل إلى العالم العلوي فاحظني بمكان في الجنة فادع لي بالشهادة ؛ فدعا له الرسول الكريم (ص) بذلك وقال : إلهي ان كان هذا عبدك حقًا فجذ عليه بالشهادة ، ولم تمض فترة حتى شارك الراعي باحدى الغزوات ونال مراده .

مؤمن فقير وصندوق جواهر :

انموذج آخر من الإيمان ذكره لنا أبو العلاء المودوري في كتاب فتح المدائن جاء فيه : لقد كانت ايران عاصمة السلاطين مركزاً للجواهير التي جمعها الايرانيون من الغنائم التي غنمها في غزواتهم الكثيرة ؛ ولقد اتفق أن وجد أحد الشباب المؤمنين صندوقاً من الجواهير فجاء به إلى أحد العُرَفَاءِ ووضعه أمامه فسأله العارف ما هذا ؟ فقال : ما تراه أمامك ؟ فسأله العريف ما الذي في داخله ؟ فأجاب لم اجز أن افتحه ، ولو لم يكن عندي إيمان بالله لما اتيتك به ، وانا أعلم أنه ملئ بالجواهير وأعلم كذلك حضور المولى تعالى فآليت أن آتيك به ليكون من حصة المسلمين .

لقد تمكّن الإيمان من قلب الشاب الفقير المحتاج فلم يجعله يمد يده إلى أن يفتح صندوق الجواهير على الرغم أنه تيقن منه أن الصندوق الذي بين يديه يحوي جواهرأ .

وخلالصة القول سأله العارف عن اسم الشاب منه ؟ فقال : ماذا تفعل بسامي فأنا مسلم ، فقال العارف : أريد ان ادرجه في سجلاتي لتحصّل على مكافأة و يجب إشاعة اسمك وما فعلت ؛ فقال الشاب : أنا لم أعطك الصندوق من أجل الشهرة قالها كلمة صادقة وذهب .

قصد الشاب من كلامه : ان عمله كان لله وحده خالصاً وليس من أجل شخص أو من أجل شيء آخر ، وان المكافأة سيحصل عليها منه تعالى اسمه .

الم يصل اليه الذي يدور المسلمين حول السمو ليجدوا الخالق فيجزيهم خيراً نتيجة عمل صالح كما دار وبحث إبراهيم عن ربها حتى عرفه وقبلها كان قد ظن ان الشمس هي الله ولما غربت قال : « قال لا أحب الآفلين »^(١) فالتعامل لا ينبغي ان يكون إلا مع الله ، فالكل فاني ووحده تعالى هو الحي « كل من عليها فان »^(٢) فالأشخاص مهما عظمت مناصبهم فهم فانون لا محالة والتعامل مع الفاني خسارة كبرى ، وكم هو جميل عمل امرىء تعامل مع الباقي ؛ فالتعامل مع الحي الباقي يغير أوضاع الفرد المسلم فيقلب موازين تعامله رأساً على عقب .

يدعى فلان من الناس أنه مؤمن ، ويعامل مع الفاني والفاني ، أن التعامل هذا محال انسجاماً مع الإيمان ؛ إذن يجدر بالمؤمن أن يحسب حساب الواحد الأحد وحساب يوم الآخرة فيحفظ لسانه كما يحفظ ذهنه وفضله ، وينضبط بشكلٍ تنضبط معه كل اعضائه وجوارحه فالحساب آت لا محالة .

زليخا تحسب حساب الصنم :

قيل إن يوسف (ع) عندما كان مع زليخا في حجرة واحدة وفي سرير عن نظر الناس أرادت تلويث يوسف بعمل لا يرضاه المولى سبحانه وتعالى ولكنها ومع كل هذا خلقت ما تضع على رأسها والقنة على الصنم الذي كان في الحجرة وقالت : هذا هو صنمِي ورثي ولا يليق بي أن أعمل عملاً قبيحاً أمامه ؛ فلاحظ أيها المسلم ان عبادة الأصنام يراغعون أصنامهم واوثانهم ، وانت تعلم جيداً أن الباري تعالى حاضر وناظر دائمًا ومع ذلك ترتكب المعا�ي ؛ فإذا قلت

(١) سورة الأنعام ، الآية ٧٦ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٢ .

إِنَّ اللَّهَ - وَحَاشَا لَهُ - لَا يَرَانِي فَقَدْ خَرَجْتُ عَنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ ، وَاقُولُ لَكَ كَيْفَ يَتَأْتِي لَعْيَنَكَ أَنْ تَرَى وَصَانِعُهَا لَا يَرَى ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ لَأَذْنِكَ أَنْ تَسْمَعَ وَخَالِقُهَا لَا يَسْمَعُ .

لقد كان يوسف شاباً قوياً غير متزوجٍ وكانت بين يديه امرأة صاحبة جمال ومال ، وعلاوة على ذلك فهي تعشقه وتلتمس كل الوسائل من أجل ان تحظى بلطيف منه ، فما ترى ما الذي منعه عن الدخول في المعصية ؟ لقد منعه الخشوع والتذلل لله تعالى فحفظه من كيدها وعلمه حيلة نجا بها من عمل المعاصي ناهيك عن كشف الأمر للملائكة وبرأته يوسف (ع) ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلٍ . . .﴾^(١) .

يقال : ان براءة يوسف ساهم بها طفل في المهد كان في الحجرة انتظفه الله تبارك وتعالى وبين عزیز مصر ما حصل ، وهذا ما بعث على دهشة وتعجب عزیز مصر وقال في نفسه من المستحيل ان تحدث هكذا معجزة إلا بأمر من رب السموات العلی ، وان الطفل لا يتأتی ان يُرْتَشِنَ ليشهد بهكذا شهادة غير طبيعية وحيثما التفت إلى زلیخا وقال لها : أنت من أراد السوء وليس يوسف (ع) .

آه على يوم القيمة ، فإن الذي يُعرض امام الناس من معاصي وذنوب تجعل الإنسان يموت خجلاً وبما أنه لا موت هناك فمن شدة الخجل يتلقى لحم وجه المسيء .

ثواب الله غير المحدود للمؤمنين :

جاء في بعض التفاسير أنَّ يوسف (ع) وبعد استلامه الحكم جاءه جبريل بهيئة بشر وجلس عنده وقال له : هل تعرِفُ هذا الشاب الذي يعمل عندك في

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٦ .

طبع الطعام ؟ فقال يوسف (ع) كلاً ، فقال جبريل : إنه الطفل الذي شهد لك بالبراءة من عمل السوء على زمان عزيز مصر ؛ فأحضره يوسف (ع) وتشكر منه وخلع عليه بردته واعطاه عملاً مهماً غير ذاك الذي كان يعمل به ، فضحك جبريل قائلاً : يا يوسف لقد شهد هذا الشاب لك عندما كان طفلاً بدون ان يستشعر ما هو قاتل وتبراً ذمتك أمام العزيز والناس وانت تكافئه بهذا الشكل الجميل ، وانت بشرٌ وهو بشرٌ أيضاً ، ولا أعلم ما الذي يكافيء به الله العزيز المقتدر عباده المؤمنين ، وخصوصاً اولئك الذين يشهدون بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وهو الكريم ذو الجود ، فهنيئاً لأولئك الذين يذكرون الله كثيراً ويقولون سبحان الله الها واحداً أحداً صلداً ، فرداً وتراء ، حياً ، قيوماً .

وهنيئاً لذلك الشخص الذي يقول على مدى عمره

الحمد له ، ربنا الرحمن الرحيم وكلنا أملٌ في ان يتتجاوز عما فعلنا
ولا أعلم عدماً ما الذي يصنع الواحد الواحد مع هكذا عبد كان دائم
الاستغفار والذكر ؟ !!

الفهرس

| | |
|--------------------|---------------------------------|
| الصفحة | الموضوع |
| ٥ | المقدمة |
| القسم الأول | |
| ١٣ | وجوب كسب العلم الديني وفضيلته |
| ١٤ | منافاة العبادة لأكل الحرام |
| ١٥ | العبادة والعلم |
| ١٦ | إعراض عابد |
| ١٧ | الاستثمار الصحيح للعبادة |
| ١٨ | نور الإمام (ع) |
| ١٩ | دفع الفساد بالفساد، جهل |
| ٢٢ | اجنحة الملائكة وطالب العلم |
| ٢٤ | نتيجة الإستهزاء بحديث النبي (ص) |
| ٢٥ | الإيمان والعمل الصالح |
| ٢٦ | درجات الإيمان |
| ٢٧ | الإيمان مرهون بالقلب |
| ٢٩ | إبتلاء معاوية وعبد الملك |

| | |
|--------|--|
| الصفحة | الموضوع |
| ٣٠ | جثمان ملكة مع مجوهرات ثمينة |
| ٣١ | التوكل على الله والبنات |
| ٣٢ | مصيبة فوت العبادة |
| ٣٥ | الرجاء والأمل والإيمان |
| ٣٦ | ال العبودية والإيمان |
| ٣٨ | الصبر في مواجهة الذنوب |
| ٣٩ | صبر ابن سيرين - الفتى الجميل |
| ٤١ | الصبر على الطاعة |
| ٤٢ | الصبر على المصيبة |
| ٤٧ | لا تظلم نفسك |
| ٥٠ | تناسب درجات الصبر مع الإخلاص |
| ٥١ | إخلاص زين العابدين |
| ٥٢ | حكاية عجيبة عن الصبر |
| ٥٦ | طعام الفقراء يحمل في الليل على الأكتاف |
| ٥٧ | نحن أفضل الشركاء |
| ٥٨ | البكاء على الحسين (ع) عمل خالص |
| ٦١ | الاشتياق الى الجنة، والشهوات |
| ٦٣ | تشجيع القرآن يبعث على الإشتياق |
| ٦٤ | حديث طريف بين الحجاج وأحد الرعاة |
| ٦٥ | جمال الحور العين، والشهوات |
| ٦٧ | فضل جبهة الحرب على مكان عرسه |
| ٦٩ | البكاء شوقاً لروضة البرزخ |
| ٧٠ | رؤبة أصحاب الحسين (ع) |

| | |
|--------------|--|
| الصفحة | الموضوع |
| ٧٢ | الإلتقات إلىبقاء الآخرة، والشوق |
| ٧٣ | إبنة المجلسي والهدوء عند المصيبة |
| ٧٥ | حفظة القرآن، وحفظة الإنجيل |
| ٧٦ | لم يؤثر موت إبنته عليه |
| ٧٧ | عجز كسيح وشوقه إلى الجنة |
| ٧٨ | أرواح الجميع فداء لمحمد (ص) |
| ٨٢ | الخوف من العذاب، والمعاصي |
| ٨٣ | القصاب، والصنم |
| ٨٦ | القول والفعل شاهد على الأمان والرجاء |
| ٨٧ | من لا خوف له لا إيمان له |
| ٨٨ | الخوف من الله يجعل اللص عابداً |
| ٩٠ | عدم تحمل حرارة الدنيا |
| ٩١ | أتيت عرياناً وتذهب كذلك |
| ٩٢ | أعمل عملاً ينفعك بعد الموت |
| ٩٣ | بالهمة العالية كن طالباً للجنة |
| ٩٥ | حديث مذهل لبهرام الزرادشتى |
| ٩٧ | ممارسة العداء والحسد نتيجة لانعدام الإيمان |
| ١٠٠ | الإشراق (الخوف) |
| ١٠١ | الأمل بدون عمل |
| ١٠٣ | عبد يشعل النار في أصابعه العشرة |
| ١٠٤ | سارق الأكفان |
| ١٠٥ | حقيقة الزهد |
| ١٠٦ | نصائح الإمام الصادق (ع) |

| | |
|--------|--|
| الصفحة | الموضوع |
| ١٠٧ | الزهد |
| ١٠٨ | العقل من زهد بالدنيا |
| ١٠٩ | كل شراب ترافقه ألف لسعة |
| ١١١ | تلزمك دار وسبيعة في الآخرة |
| ١١٠ | حديث أبي ذر عند قبر إبنته |
| ١١٣ | أحاديث علي (ع) والزهد |
| ١١٥ | الزهد وعدم الرغبة في الدنيا |
| ١١٧ | حديث القائد العربي إلى رستم فرخزاد |
| ١٢٢ | الزهد مرجعه القلب |
| ١٢٣ | من خرب منزل آخرته |
| ١٢٧ | الترقب |
| ١٢٩ | تدريب النفس على الخشوع للحق |
| ١٣٠ | قبور الماضين على اعتاب دور الباقيين |
| ١٣١ | مثل الهدى وخلافة هارون |
| ١٣٣ | إنموذج لكسب شيراز قبل سبعينية عام |
| ١٣٧ | الصبر |
| ١٣٨ | وجوب الدفاع عن المظلوم |
| ١٣٩ | إسحاقية الراحة في الدنيا |
| ١٤٠ | الدنيا وطن الحيوان، والأخرة وطن المؤمن |
| ١٤١ | ابن طاووس ومنصب قاضي القضاة |
| ١٤٢ | القتل في غير سبيل الله |
| ١٤٥ | علي (ع) ينشط من أجل الآخرة في رمضان الكوفة |
| ١٤٧ | الصبر قياساً بدرجات الإيمان |

الموضوع الصفحة

| | |
|-----|---|
| ١٤٨ | إيمان الطفل وندي الأم |
| ١٥٠ | تهاجرًا فخرًا من الإسلام |
| ١٥١ | رقي الإيمان ببركة الصبر |
| ١٥٢ | مرارة المصيبة وحلوة الإيمان |
| ١٥٥ | صعوبة الصبر على المعاichi والأجر العظيم |
| ١٥٦ | البلايا التكوينية غير الإختيارية |
| ١٥٨ | الاعتراض على قضاء الله وصلته بالإيمان |
| ١٥٩ | الإزعاج من خلال المعاشرة |
| ١٦٠ | الجمل والهãoن وصوت الحذاء |
| ١٦١ | تهديدات لمن يتخاصم من المؤمنين |
| ١٦٢ | الجفاف المقدس كمِن للشيطان |
| ١٦٣ | عبادة الله غير عبادة الهوى |
| ١٦٥ | عدم تجاوز حد القصاص |
| ١٦٧ | الحاذد لا يدخل الجنة |
| ١٦٨ | أحسن لمن أساء إليك |
| ١٦٩ | حلم النبي مع أعرابي |
| ١٧٠ | الإعداء بغير حق |
| ١٧٣ | قوانين القرآن قوانين عمل |
| ١٧٤ | المظلوم ينقلب ظالماً |
| ١٧٥ | ادعاؤه دائنًا للإمام الصادق (ع) |

القسم الثاني

| | |
|-----|--------------------------------|
| ١٨١ | الكل يحتاج دائمًا لهدى الله |
| ١٨٢ | الشبهة النصرانية في سورة الحمد |

الموضوع الصفحة

| | |
|-----|--|
| ١٨٥ | وضوء مصحح بشبهة واهية |
| ١٨٦ | معنى القرآن بيته أهل القرآن |
| ١٨٧ | خدمات الخليفة الثاني للإسلام |
| ١٨٨ | حرب الرجال وصمود المرأة |
| ١٨٩ | بشر العبد بشيخوخته |
| ١٩١ | رسالة أبي بكر إلى أبيه والجواب الطريف |
| ١٩٢ | إرشاد الإمام علي (ع) للخلفاء |
| ١٩٣ | الإمداد الغيبي في فتح نهاوند |
| ١٩٥ | رفيق الإيمان لطف تجلبه الهدایة الخاصة |
| ١٩٧ | البلايا تزيل قساوة القلب |
| ١٩٨ | بلاء أمير المؤمنين (ع) |
| ١٩٩ | الابتلاء بالناكثين والقاسطين والمارقين |
| ٢٠١ | قساوة القلب والترف |
| ٢٠٢ | التقرب إلى الله والترف |
| ٢٠٣ | أبو عبدالله المحدث، أعمى البصر والبصرة |
| ٢٠٥ | معدة خاوية وقلب رقيق |
| ٢٠٩ | مرض الفساد علاجه الإيمان |
| ٢١٠ | ميزان الأعمال مرهون بالتعلق بالله واليوم الآخر |
| ٢١٢ | الأنين والإستفار |
| ٢١٣ | غفران الذنوب في الكنيسة متاجرة بالخرافات |
| ٢١٤ | بركات الإمام المهدي (عج) |
| ٢١٧ | روح الإيمان عطاء الله |
| ٢١٨ | حكاية عن الإيمان |

الموضوع الصفحة

| | |
|-----|----------------------------------|
| ٢٢١ | ما قيمة الروح في مقابل الحبيب |
| ٢٢٥ | آثار الإسلام والإيمان |
| ٢٢٦ | الإيمان بأهل البيت (ع) ثم التوسل |
| ٢٢٧ | عطال ولكنه من أهل الجنة |
| ٢٢٨ | راعي الجمال يفوز بالشهادة |
| ٢٢٩ | مؤمن فقير وصندوقي جواهر |
| ٢٣٠ | زليخا تحسب حساب القسم |
| ٢٣١ | ثواب الله غير محدود |

الْأَيْمَانُ

الآيات الـ ١٠٠

مـ ٢٠٠٣

الـ سـيـد عـبـد الحـسـين دـسـتـغـيـب

تـرـجـعـة: بـحـثـة الـهـدـى

ابـحـثـة الـثـائـف

ذـكـر الـبـلـاغـة

مِكَافَةُ الْعُلُومِ الْعُلُومِ الْعُلُومِ
الطبَّاعَةُ الثَّانِيَةُ
م ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتَوُا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ نُطَالِ عَلَيْهِمُ الْأَمْدَ فَقَسْتَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ ﴾^(١) .

البيقىن بالله تعالى يتأتى بعد الإيمان :

لقد وصلنا في حديثنا إلى أن أصل الإيمان هو خشوع وتسليم القلب لله وحده ، وان فيض نور الإيمان يأتي من البيقىن بالله تبارك وتعالى ، وإذا تحقق البيقىن به سبحانه وتعالى فإن النور الإيمانى سوف يشع من المؤمن ليشمل آخرين فعندما يتقبل الفرد الإسلام وعقائده الحقة وينفذ ما عليه من واجبات تاركاً المعاصي وراء ظهره يصل إلى حالة الإستعداد الكامل لأن يفيض الله عليه من نوره ليلامس شغاف قلبه فتتووضع له الأمور الدنيوية والاخروية بشكل أدق واعمق وقد كان قبل ذلك يتصنع ليدو أمام الآخرين بأن النور قد احتوى قلبه ويمكن أن يقان انه كان خالي المحتوى ، ولكن بعد تمكن الإيمان من قلبه يفتح القلب باتجاه الله وحين ذاك يفهم معنى الإلتصال بالله والبيقىن به ، يقينه معناه : أنه إنما

(١) سورة الحديد، الآية ١٦.

ذهب يعلم أن المولى تعالى يراه ، وفي هذه الحالة يتغير وضع الإنسان كلياً فি�ضحى مفكراً في اليوم الآخر وبحساب الله الشديد ؛

لقد كان هذا الإنسان يتعامل بضعف مع الله كان يتأمل حينما يعطي الخمس ولكن بعد تملك الإيمان لقلبه تراه يسارع في تنفيذ الواجبات فضلاً عن أعمال الخير ، كان يتصور أنه يتضرر حينما يدفع ما عليه من خمس وهو لا يعلم أن عطاءه لدِرْهَمٍ واحد خالصاً في سبيله تعالى سوف يجر على حالة الإلحاد له من عند الله تبارك وتعالى « يرى الفتن مفترماً ، والغُرَم مغتماً »^(٢) : ويتلاشى هذا الوضع بعد أن يصبح مؤمناً بالله وباليوم الآخر متيناً ب يوم الحساب .

من أتفق فينفعه :

يحسب البعض أن الإنفاق في سبيل الله قد يضر به فلا يمكن من شراء حذاء يحتذيه ، لذا تراه يتهرب بشتى الطرق من الخمس أو من الإنفاق متحججاً بأنه يكابد ويكافح من أجل الحصول على المال فلماذا يتصدق به على الآخرين ؟

يتبادر إلى ذهن الإنسان في بعض الأحيان أن الخمس يلحق به الضرر فلا يستطيع حين دفعه للخمس أن يتابع ما ترно إليه نفسه على الرغم من أن الخمس هو واحد من خمس العائدات السنوية الزائدة عن الحاجة . فالشخص الذي يدخل نور الإيمان في قلبه مهما أعطى من خمس أو أتفق في سبيل الله يراه قليلاً بل قد لا يرى أنه أعطى أو أتفق شيئاً .

فالإمام السجاد (ع) عندما كان يعطي لمسكين أو فقير شيئاً ، يقبل يده ،

(٢) المعجم المفهرس للفاظ نهج البلاغة - مؤسسة النشر الإسلامي . قصار الحكم ١٥٠ - ٨ . ص ١١٢ .

وعلى بعض الروايات يُقبل يد السائل أحياناً ، وحينما يُسأل عن ذلك يجيب:
ألم يقل الله تبارك وتعالى في القرآن المجيد **«يأخذ الصدقات»**^(٣) ، فالظاهر
هو يد السائل واما الحقيقة فهي يد الله لذا **«والحديث للإمام»** أن يدي قد تبركت
بهذه اليد فكل ما يأتي من خير فهو من بركة هذه اليد السائلة .

وفي رواية أن سائل سأله الإمام الحسين (ع) حاجة فأخذته إلى داره واقفه
على الباب وقال لغلام له: جئني بكل ما عندي : فاحضر الغلام اربعة الآف
درهم فأعطاهما كلها للسائل من خلف الباب بدون أن يُرى السائل وجهه ، فسأله
المحاج ما الذي دفعك لأن تفعل بي هكذا يا ابن رسول الله (ص)
فأجاب (ع) **«احببت أن لا ترى وجهي وأنا أعطيك فتختجل مني»** ، فبكى
الأعرابي السائل وقال: آه على هكذا يد تدفن تحت التراب .
فالمال ، مال الله وعطاؤه وهو الذي يبدل به أحسن منه .

أعْنَتُ الْخَدْمَ لِكِبْلَا تَلَوْحَنِي جَهَنَّمْ :

جاء في بعض الكتب أن امرأة جليلة من أجلاء المدينة المنورة ذهبت إلى
مسجد النبي (ص) لحضور صلاة العشاء جماعة خلف النبي (ص) ، وأثناء
الصلاة قرأ الرسول (ص) **«وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمَوْعِدِهِمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ
بَابٍ مِنْهُمْ جَزَّةٌ مَقْسُومٌ»**^(٤) وبعد انتهاء الصلاة جاءت هذه المرأة المؤمنة باكية
إلى رسول الله (ص) وهي تقول: لقد أخافتك هذه الآية يا رسول الله فما الذي
أفعله حتى لا أرى أبواب جهنم؟ ويرى عنك **«الصَّدَقَةُ جُنَاحٌ مِنَ النَّارِ»** وأنا قد
اشترطت بكل ما لدى من أموال سبعة إماء ، ومن أجل سد كل باب من أبواب
جهنم السبعة عتقت السبعة إماء : فيا رسول الله هل تعطيني عهداً بأن النار لا

(٣) سورة التوبه ، الآية ١٠٤ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان
الله هو التواب الرحيم .

(٤) سورة الحجر ، الآية: ٤٣ - ٤٤ .

تمنٌ بدني؟ .

إن في القلب خوفاً من كل شيء إلا الخوف من العذاب الإلهي ، ولكن إذا تمكن الإيمان منه حينها يضطرّب القلب للإقدام على ارتكاب المعاصي وتزداد ضرباته بشدة لو تفوه صاحب هذا القلب بكلذبة واحدة بل يجفوه النوم فيضحي صاحبها لا راحة له .

اضطراب أمره لعدم اللحوق بصلة الجمعة:

جاء في لآلئ الأخبار أن قوماً زاروا أحد العلماء فوجدوه على حالٍ غير طبيعية خلاف ما عهدوه منه فسألهوا ما الخبر؟ هل حدث لك حادث أو المُت بك مصيبة؟ فقال: نعم مصيبة كبرى وحادث صعب فلقد منعني انتشاري بعض المسائل من المشاركة في صلاة العشاء جماعة ، فصليتها لوحدي وبذلك حُرمت من فضيلة صلاة الجمعة .

هذا ما يفعله الإيمان ، فالمؤمن يعلم جيداً ما لصلة الجمعة من أثر ويعلم كذلك أن الله العلي القدير يحب الجمعة ، ويا جبذا لو كان الإنسان يتاثر دائمًا لأي نقص قد يطرأ على معاملته مع الله مثلما يتاثر في معاملاته الدنيوية ويترنح حين الخسارة أو الضرر ، فلو قدر للإنسان أن يخسر شارياً لبضاعة له أو تهبط الأسعار في السوق فتكون سبباً لهبوط قيمة بضاعته فما الذي يفعله؟ يتزعج حتماً ويتاثر لذلك؟ فكيف به إذا كان المشتري هو الله سبحانه وتعالى؟ . فعلى أمور الدنيا تمتعض وينقبض قلبك ، وعلى أمور الآخرة ماذا تقول فالخسارة كبيرة قاسمة للظهور والمشتري هو العزيز الحكيم فإذا ما تسامحت في أمر كان يكون عملاً خيراً ولم تتفق مما اعطاك الله ، فانك بهذا تسامح في ربع وفي ربع الله إليك وتمتنع عن اكتسابه .

فلو قدر لك أن تأخذ يتيمًا جائعاً أو حافياً إلى أحد بيوت المسلمين أو أغلبهم واقترحت عليه أن يفيفن مما أفال الله عليه لقال: إن وضعه لا يسمح

لي بذلك ، وأنا مدین لفلان وفلان أو يقول: حري بك أن تذهب به إلى فلان من الناس : وعلى أية حال فهو يريد بعمله هذا دفع الفقير عنه ظناً منه أن ما يمكن اعطاؤه قد يسبّ لهضر ، غير آبه ولا مصدق بآيات الله ، على العكس من ذلك المؤمن الذي يبحث عن الفقراء والمحاجين فيعطيهم وهو لا يُرى ما يعطيه ﴿ولست بآخذيه إلا أن تُمضوا فيه﴾^(٥) ﴿لَن تَنالوا الْبَرَّ حَتَّى تَنفَقُوا مَا تَحْبُّونَ﴾^(٦) .

العنب الطازج أحسن للإنفاق:

لقد كان الإمام زين العابدين (ع) يُجَبِّ أكل العنب « العنب والرمان من ثمار الجنة » : لقد كان على وقبه فصل قطاف العنب ، وكان قليلاً جداً في السوق ، فجأوا الإمام بعذة عنقائد منه وحينما لامست يد الإمام (ع) عنقوداً وإذا بسائل يظهر أمامه فيناوله الإمام (ع) عنقوداً بدون أن يتذوق هو جبة واحدة من حبات هذا العنب فيخاطب أحدهم الإمام (ع) فيقول : يابن رسول الله إن هذا العنب ينذر الحصول عليه الآن ، كان حري بك أن تعطيه عدة دراهم فأجاب الإمام لرغبي في العنب اعطيته منه في سبيل الله .

وعلى رواية أن الإمام الرضا (ع) حينما كان يجلس إلى مائدة الطعام يأخذ صحنًا ويضع فيه من كل ما تشتهي نفسه مقداراً من الطعام ويقول أعطوا هذا لمحاج ، وليس خبزاً يابساً و ...

لا يجتمع الإيمان مع الخطيئة وحب الدنيا:

نور الإيمان لا يعطيه غير الله سبحانه وتعالى وإذا ما حصل هذا فإن الإنسان يتغير بشكل واضح ظاهر للعيان ، فكن أولاً مسلماً بعدها درب نفسك على ترك المعاصي لتكون مؤمناً لأن الإيمان لا يجتمع مع المعصية إلا إذا كانت

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٦٧.

(٦) سورة آل عمران، الآية ٩٢.

العصبية قليلة جداً ونادرة الحدوث ، فالشخص الذي يقر بالذنوب ويتعاظم بها لا يمكن ان يكون في قلبه مكان للإيمان .

إن حب الدنيا واللذات يبتعد بالإنسان عن الإيمان ، فعليه يجب أن يسعى الإنسان لأن يكون مسلماً يسلم الناس من لسانه ويدله ليحظى بالإيمان ويقترب إلى جادة الله السوية « وأشتق إلى قربك في المشتاقين وادنو منك دنو المخلصين »⁽⁷⁾ .

لذة المؤمن في شهر رمضان:

إنكم رأيتم عيد نوروز وما الذي يفعله الكبار والصغار ابتهاجاً بهذا العيد ، عليكم أن تحفلوا بشهر رمضان مثلما تحفلون بعيد نوروز فهو شهر البركة والرحمة والذي فيه قراءة آية من القرآن الكريم تعدل في الثواب ختم القرآن في غيره من الشهور ، فالعبد فيه ضيوف الرحمن والأنفاس فيه تسبح للواحد الأحد .

يقول الإمام السجاد (ع) في دعاء له في وداع شهر رمضان « السلام عليك يا عبد الأولياء » .

يصوم البعض شهر رمضان كارهاً ، يدعُ الأيام قائلًا متى يتنهى شهر رمضان على الرغم من انه صام خمسين سنة أي خمسين شهراً من أشهر رمضان المبارك .

لقد كان يغرس في الصيف عندما يلبس جميلاً ويأكل لذيداً أما الآن وعلى الكبير عليه ان يتلذب بمناجاة الواحد الأحد ، وقد كان في ما مضى يتلذب في قراءة القصص ، وقد حان الآن الوقت لأن يستأنس بقراءة القرآن المجيد . وهنا اذكر لكم حكاية تنم عن الاستئناس بالقرآن :

(7) من دعاء كميل - مفاتيح الجنان - لعباس القمي . دار إحياء التراث ص ٦٧ .

الأنس بالقرآن والنيل المميتة :

لقد جاء في تفسير مجمع البيان ان النبيٌ وفي احدى الغزوات قررَ أن يبقى قائدُ الجيش و معه ثلاثةٌ من الأصحاب في حدود العدو خوفاً من أن يحمل العدو ليلاً فيصيب مقتلةً من المسلمين فانتخب اثنين من اصحابه لهذه المهمة درءاً للخطر فكان عمار بن ياسر أحد هذين الاثنين ، وفي المساء نام جيش المسلمين وبقي هذان الإثنان للمهمة الصعبة وكان مقرراً أن ينام أحدهما نصف الليل وينام الآخر النصف الباقى فنام عمار النصف الأول من الليل وبقي صاحبه للحراسة ، فقام للصلوة فقرأ في الركعة الأولى سورة الكهف وفي اثناء القراءة نفذ أحدُ الجوايس اليهود ليتعرف على وضع المسلمين حتى يُخبرُ جيش اليهود بوقت الحملة على المسلمين ، لقد شاهد اليهودي عموداً في الظلام فقال في نفسه قد يكون هذا العمود شجرة أو إنساناً فلأجرب النيل فيه فإذا تحرك عرفت بذلك أنه إنسان ، فشدَّ قوْسَه ورمى صوب الحارس المسلم اثناء صلاته وقراءته للقرآن الكريم فاصاب السهمُ صدرَه ولكنه لم يتحرك لأنَّه كان متداً بالقراءة ، ففهم اليهودي على أن العمود هذا ليس بإنسان ولكن بعد مدة ساورة الشك في العمود قد يكون إنساناً فرمى ثانيةً سهمه فتفقد السهم من صدرِ المسلم إلى ظهره ولكنه لم يتحرك لاستثنائه بقراءة سورة الكهف ، فرمى اليهودي سهم ثالث فأثر في وبحركة برجله ضرب عماراً ليقيق من نومه .

انتهت الحارسُ من صلاته - وصحى عمار من النوم وبدأ الحديث بينهما فعرف اليهودي أنَّ الذي رمى لم يكن عموداً ولا شجرة وإنما كان حارساً فولى هارباً ، وعلم عمار بما جرى فعاتب صاحبه أنَّ لماذا لم توقظني ؟ فأجاب : أقسمُ لك صادقاً بآني كنت مستثنَاً بقراءة سورة الكهف ولو لا خوفي من ان اموت ولا استطيع إيقاظك ويحمل العدو على جيوش المسلمين لما إيقظتُك ؟ ! إن صلاة الليل مستحبةٌ ، ولكن انظر إليها المسلم كيف يتعاملُ المسلمون

في صدر الإسلام مع الوقوف بين يدي الله وانت لا تصلِّي صلاة الصبح إلا قضاة لأنك تقضي ليل الصيف القصير بمشاهدة التلفزيون الذي يبقى متأخراً فلا تستطيع النهوض لاداء فرضِ واجب ناهيك عن أنك تُصبح على جنبٍ وتدعى أنك مسلمٌ وتتجه بايمانك غير الموجود؟!

السمى لكتاب نور الإيمان:

إذا حصل الإيمان فإن الوضع العام والخاص للإنسان يتغير كلياً ، ولا أدرى أن هذا الكلام يهز القلوب أم لا ؟ لقد سعينا جاهدين لأن نكون مسلمين حقيقيين من أجل أن يرِد الإيمان قلوبنا ؛ فإذا لم يستحکم الإسلام ويتحکم في كل اعمالنا فلا يمكن أن يعطي الله جل وعلا الإيمان .

وكما يقول المثل «إذا لم تسعى جاهداً فليس لك أن تحظى على كنز» ، و أي كنز؟ فهو كنز الإيمان الذي يُعطى بالمجان لأي شخص ، وبالقوه كذلك لا يمكن أن يُعطى .

فالعظام والأجلاء حصلوا على نور الإيمان من خلال العبادات الكثيرة والأعمال الخيرية والتضرع إلى الله ، ونرى هذا الشيء في دعاء أبي حمزة الشمالي حين يقول الإمام (ع) «من أين لي الخير يا رب ولا يوجد إلا من عندك ، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلا بك»؛ انك ايها المسلم تن لضرر دنيوي اصابك بينما يجدر بك ان تثن وتخشع لله وتتضرع من اجل آخرتك .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسْطَ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١)

الإيمان نور ثابت في القلب:

إن الإيمان هو أساس كل خير ومقام ودرجة فإذا عدم فالحياة الدنيا تضحي حياة حيوانية ، ويتجلّى ذلك بعد الموت ، فالإيمان الحقيقي ليس الفاظاً يتلفظ بها من هم لا يعقلون والذين قال الله فيهم ﴿ صَمَّ بُكْمَ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٢)

فالإيمان حقيقة ثابتة موجودة وليس توهماً واماً انتزاعياً واعتبارياً فهو حقيقة يُعبر عنها بالنور ، النور الثابت في القلب ، المتمركز بخط الله ﴿ أَوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾^(٣) لذا فالإيمان لا يمكن أن يُمحى من القلب ، وقد

(١) سورة الحديد، الآية ١٦.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٨.

(٣) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

جاء في اصول الكافي باب ذكر فيه سؤال وهو: هل أن الإيمان يمكن أن يمحى أو يقلل؟ فكان الجواب « وما كان الله ليضيع إيمانكم »^(٤) .

ان الشياطين هم أحقّ من أن يتمكنوا من قلب احتواه الإيمان ، نعم فالفرد العامل للخطايا له كلام آخر لما للشيطان عليه من سلطان ، ولكن المؤمن المؤيد من قبل الله تعالى له قوة يدفع بها كيد الشياطين عن نفسه « وايدهم بروح منه »^(٥) هذه القوة هي نور الإيمان الذي لا ينطفئ ومكانه القلب وقد صرحت الآية الشريفة بمكان الإيمان هذا حين قال الله تعالى : « قالت الأعراب أمّا قل لَم تُؤْمِنُوا وَلَكُنْ ثُوَّلُوا أَسْلَمْتُنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ »^(٦) فالإيمان عطاء الله الذي لا ينضب يرمي به في قلب الإنسان فيُصبح كالجبل لا تهزم الريح ولا العواصف ، فيترفع عن الهموم والسفر عبر الخيال والوهم ، وعندما يصل الإنسان إلى هكذا مرحلة يقف بإيمانه في مقابل كل الخلق أمّا مطمئناً « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم »^(٧) .

آثار الإيمان الثابت:

علينا أن نعرف جيداً بأننا عباد الله وهو سبحانه خالق الخلق والعباد ، فالعبد عليه أن يقف ثابتاً في طاعة الله تبارك وتعالى ، ولا يكون كالحرباء متلوناً تتغير شكلأً تبعاً للمؤثرات الخارجية فلا ينبغي لک أن تكون في الصباح مع الله وفي المساء مع هوى النفس والشياطين تتناسى ربک الذي خلقك وآخرتك التي تنتظرك فهذا الحال هو حال الكافر الذي لم يُعرف الإيمان قلبه ولم يستخدم فيه

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣ .

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢٢ .

(٦) سورة الحجرات الآية: ١٤ .

(٧) سورة الفتح، الآية: ٤ .

موضعاً له ، فالخوف من الآخرة يجعل منك إنساناً مستقيماً متجنبًا للمعاصي والأثام وقد عبر الإمام علي (ع) في خطبة همام فقال: «قد برأه الخوف بُرئي القداح» .

الخوف هو الذي صعد من أنين علي (ع) أما أنا وانت فغافلون وفجأة نفتق ولكن على ماذا؟ حينها يكون الوقت قد قطعنا ، لقد جاء في الروايات أن المؤمن الخائف من عذاب يوم القيمة يقوم لله ليه وكأنه خشبة مسندة ، إنه يفكر في سجله الذي يُحصي عليه أنفاسه «لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها»^(٨) وحينها يسلم إليه هذا السجل المليء بالأعمال فيقال له : «إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا»^(٩) فكن منصفاً وتفكر جيداً هل فكرت يوم الحساب؟ هل انتابك حالة من خوف ذلك اليوم؟ إنك وعلى الظاهر لا تهتم لهكذا موضوع .

المصيبة والبلاء تحتسب عند الله :

الإيمان أمر ملكوتى معنوي ثابت وليس مجرد وهم وفرض ، الإيمان وكما عبر عنه الرسول الأكرم (ص) فقال فيه هو النور ، وعلى هذا الأساس ينبغي أن تكون القلوب مهيئة لورود النور فيها وقابلة للهدایة «كتب في قلوبهم الإيمان» فإذا ما كان الإيمان نوراً يبعث الله لاستقر في القلوب ، لذا ينبغي لهذه القلوب أن تكون رقيقة حتى يتمكن النور من الوصول إلى داخلها ؛ فإذا ما كانت كالحديد الصلب قاسية لا يتأتى للنور أن يعمل عمله فيها ، ولكن العزيز القدير هيأ بعض الوسائل لصقل هذا القلب وتليينه حتى يتمكن الإيمان من النفوذ إلى داخله فجعل البلاء والمنففات ليتسنى للإنسان أن يرجع إلى الله ويقول: إلهي خلصني مما أنا فيه فيبتعد القلب عن زخارف الدنيا .

(٨) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٩) سورة الإسراء ، الآية ١٤ .

إن شيعة علي (ع) ينبغي لهم أن يكونوا مستعدّين لتحمل المصائب والبلايا ، فالقلب المحب لله وأوليائه يتعدّ عن حب الدنيا ، فحبّ الواحد الأحد لا يتيح للإنسان التعلق بما دونه .

لَا فَتَنَّ إِلَّا عَلَيْهِ وَلَا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ :

لا نعرف أحداً مثل أمير المؤمنين (في الاولين والآخرين ذاق طعم الأذى ، فلقد كانت البلايا ميزة تميّز بها علي (ع) على طول حياته ، ولو تمكّنا من إحصاء المصائب والمنفّصات التي واجهته لتعجبنا ، ففي غزوة أحد وحين رجوع الإمام (ع) كان قد جُرّح تسعين جرحاً ناهيك عن سقوطه عن الفرس عدة مرات ، ولكن المولى تعالى ذكره حفظه وحينها نزل جبرائيل على النبي الأكرم (ص) وهو ينادي عالياً لَا سَيْفٌ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ ، لَا فَتَنَّ إِلَّا عَلَيْهِ ، فالبلايا التي عاشها الإمام (ع) ملأت قلبه الشريف دمأ علاوة على تقوّلات المنافقين الكثيرة التي لو أسلّها بشرحها لطال الأمر .

جراحات السنان لها الثام لَا يُلْتَامُ مَا جَرَّ اللِّسَان
عجبني لك يا أمير المؤمنين ، وأنت ترى البعض يدعى الإيمان بالله وبالنبي (ص) ويتجّح بلا إله إلا الله ليتمكن من استلام السلطة ، والبعض الآخر يتطاول عليك بكلمات لا يجرؤ اللسان على ذكرها لما لها من قباحة ، ناهيك عن اولئك الأرجاس من مثل أبي سفيان حين قال في زمن عثمان وحكومته ، وكان حينها فاقداً للبصر والبصيرة :

لَعِبَتْ هَاشِمَ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرُ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَلَ
فَتَصَوَّرَ أَيْهَا الْمُسْلِمُ مَا لَاقَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (ع) مِنْ بِلَايَا وَمَصَابَ لَوْ صُبِّتْ
عَلَى الْأَيَّامِ لَصُرُّنَ لِيَالِيَا .

صبر علىٰ من معجزاته :

إن أفضل تعبير قاله الإمام (ع) بصدق صبره هو :

« فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى » ، هل تعلم أن علياً (ع) عانى على مدى خمسة وعشرين عاماً أشد العناء ، ولا يبالغ إذا قلنا: لقد كان مثل ذلك الذي غلى عظم في آخر حلقه فلا يقدر على الكلام فتصور عزيزي المسلم مدى الصعوبة التي كان يعيشها الإمام سلام الله عليه حين الأكل والشرب وحتى التنفس .

مثله كمثل الذي استقرت في عينه شوكة فإذا ما قلت مجرد شوكة فما أنتصت ولو كانت في عينك لتجرعت الفصص

ولهذا قيل: إن من معجزات علي (ع) صبره على الشدائـ ، وإنـ فالبشر العادي لا يمكن أن يتحمل مثل ما تحمل سلام الله عليه .

وبناءً على هذا ، وفي صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان سمع الجميع صبيحة علي (ع) أن « فُزْتُ ورَبُّ الْكَعْبَةِ » ، لقد انقضى الليل الحالك وبرد التّسّور الحامي : فقد نجا الإمام (ع) من وضع معاوية اللعين ، وجاز على الفصص العظام وتركها ناجياً بامانه الأصيل وفاز بالجنة والرضوان وخسر من عاده من الذين باعوا ايمانهم بشمن بخس وذهبوا إلى حيث يزيد واتباعه ففازوا بعذاب الخلد والمهانة .

﴿ أَلَمْ يَأْنَ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١٣) .

(١٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.

ولقد أشار المولى جلت قدره إلى هذا البلاء فقال في محكم كتابه:
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِّنْ قَبْلِكُمْ فَأَخْذَنَاهُمْ بِالْبَلَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانِ تَضْرِبَعَوْا وَلَكِنْ قَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَرَأَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٠٠).

فيسبب ما بأيدي الناس من منافع ومواديات يتعد هؤلاء الناس عن ذكر العزيز ولكن الله يريد للقلب البشري أن يأنس بذكر الله فينزل البلاء لإزالة السبب ولكن بعض القلوب قاسية إلى درجة لا تأثر حتى بالبلاء والمصيبة ، واضرب لكم مثلاً على هذا:

من يعطي الشفاء الطيب ألم الله؟!

مرض فلان فقيل ان الطيب الفلانى شفاءً بنسخة كتبها له فاشترى الدواء فشفي مما كان فيه ، هكذا يتصور البعض بأن الطيب هو الشافي الحقيقي .

إن إيمان هذا الشخص ترکز عند هذا الطيب فمرة يتولى به وآخر يرجوه ، وحين يستلم منه النسخة ويأخذ دوائه ويشفي يضحي الطيب رب الأول والآخر وainما جلس يتحدث عن حذافة هذا الطيب وشفائه له وينسى الواحد الأحد الذي هو الشافي الحقيقي فلا حمدأ ولا شكوراً .

أما إذا لم يشف من مرضه ووصل به الحال إلى درجة الموت حينها يقول الهي ليس لي غيرك شافني وعافي ويتضرع ويتولى بالله الشافي وفي وقتها يعلم ان الذي شفاه وعافاه تلك المرة لم يكن الطيب بل الله الواحد الأحد ولم يكن الطيب الآسيباً من اسباب الله العزيز القدير .

لقد كان طيباً حاذقاً ذلك الذي يقول: في بعض الاحيان اكون على يقين من ان المرض الفلانى دوائه في المكان الفلانى واكتبه ورقتي وتناول مريضي

دواءه ولكن ما الخبر ؟ فالمريض لا يشفى من مرضه فابقى في شبٍ وحيرة ، لقد شخصت المرض دقيقاً ووجدت العلاج الناجع له ولكن بلا فائدة فأعطي دواء إضافياً بعنوان احتياط فارى ان الدواء الاحتياطي هو الذي بدا أثراً أثراً الاصلى لم يكن ليعمل شيئاً ، ان الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم أي دواء يُصيب وأي دواء يخطىء والآن اقول لك : بمن تؤمن انت ؟ !

العلف دواء لعدة أمراض :

نقل لي المرحوم صدر الحكماء قبل اربعين عاماً بأنه جيء بمريض له يشكو من امراض عديدة فقلت لمن أتى به : اذهب به فلا فائدة منه فقال لي متهكمأ إذا كنت لا تفهم بالطب فلم صيرت من نفيك حكيمأ وفتحت لك مطباً ، فانزعجت لذلك كثيراً وقلت له : اذهب به واعطه علناً مما تأكله الحيوانات ، ولم اكن اقصد إلا الإهانة لما وجه لي من أتى بالمريض من اهانة !! وبعد فترة ليست بالطويلة وإذا بشخص يدخل مطبي محملاً بالهدايا التي شملت خروفاً وزيناً ولبناً وزبداً وهو يبئش بوجهه ويقول : هذا ما أرسله لك المريض الفلاني ، لقد أعطيناه الكثير من العلف حتى أصبح سالماً من كل الأمراض !

يقول هذا المرحوم : لقد لقني الحيرة وعلمت انه صنع الله فهو الشافي الحقيقي .

لقد حكم القضاء أن لا يعمل الدواء فزيت اللوز لا يزيد الجفاف إلا جفافاً
الخيء واليأس من الناس :

إذا أراد الله لعبد خيراً حرمه مما في أيدي الناس لكي يلتفت إليه ، وقد يتضرر الإنسان كثيراً في تعامله مع الناس على الرغم من امتلاك هذا الشخص لعقلية مُبرمجة وقدرة عالية ، ولكن الله إذا أراد لعبد ان يتحقق في معاملاته او تجاراته لا يمكن ان تفيد مع هذا الاخفاق فطنة او ذكاء او قدرة وحيتها يتبعه

الإنسان إلى قدرة الله وقد ذكر لنا أمير المؤمنين في نهج البلاغة ما ينطبق على حدثنا هذا حين قال: «كثُر الله في أرزاق الحمقى ليتعظ العقلاء».

يتصور العلماء أنهم يصلون إلى ما يريدون ولكن العثاث منهم يختارون في أمره لا نقل بقدرتي وبعلقي وبعلمي وصلت إلى هذه الشروة . . . بل قل إن المولى تبارك وتعالى هو الذي أراد لي هذا الشيء لحكمة هو يعرفها ، فقد يكون الحرمان في بعض الأحيان لطفاً لهيا ، لكي يتبعد القلب عن زخارف الدنيا ويبعد كذلك عن الإلتصاق بها ، فعندما ينقطع الأمل بالحياة الفانية يتحرر الإنسان من العبودية إلا لله الواحد الأحد ، فإذا ما تكالبت المصائب والبلاء عليه حينها يتضرع الإنسان فيقول إلهي ، من لي غيرك ، ومن هنا يتأتى اللطف الإلهي حين يقترب العبد من ربّه متوسلاً متضرعاً ذاكراً بسبب ما لحق به من البلاء .

حجر للخرف الغافل :

عندما يخرج الحروف عن مجموعته لسبب من الأسباب يسمى الراعي العطوف جاهداً لإرجاعه إلى مجموعته بحجر يرميه به من بعيد خوفاً من ان ينفرد به ذئب جائع ، فالحديث هنا يكمن في ان الحجر المرمي والضرر الواقع على الحروف من عصاً يتحملها مضضاً هي بنفعه ، وكذا ابن آدم فمهما عانى من ويلات وطالت عليه مدد المصائب فهي ينفعه لذا كان من الأفضل له أن يعتمد على المولى تعالى وحده ، وان يتحمل صابراً محتسباً الأجر عنده بعيداً عن الهم والغم في أن احدى ساقيه شلت ولا يمكن بعد ذلك من الذهاب إلى السوق ، بل يتبعي له أن يتذكر ويتذكر لو أن كلتا ساقيه شلتا أو متنع عنه تعالى الرزق فلا يستطيع العيش ! عليه أن يعرف أن الله تبارك وتعالى وحده هو الذخر والسد «يا ذخر من لا ذخر له»^(١) ، فليكن عندك أيها المؤمن قوة قلب علي (ع) لا

(١) دعاء الجوشن الكبير في مفاتيح الجنان لعباس القمي - دار إحياء التراث - بيروت ص ٩٠

قوة المال والجواهر ، اعتمد على الله فقط وليكن ايمانك خالصاً له وقل صادقاً:
لا إله إلا الله ، الله ثقتي ، رضيت بالله ربّا ، فهو الذي يُحيي ويميت ، وربك
يخلق ما يشاء ويقدر ؛ (٤) وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل
شيء قادر) (١٢) .

القناعة بعلی (ع) لا تسجم وترف الدنيا:

ينبغي لشیعة علی (ع) أن يكونوا على أهبة الاستعداد لاستقبال البلاء ، فالقلب الذي احتواه حبّ علی (ع) وهو طائع للارتباط به (ع) لا يمكن أن ينبعض بدون بلاء ومصيبة ، ولقد ذكر الإمام ع ما معناه: «لو تنسى للمؤمن أن يعيش وحيداً على قمم الجبال لقُيَضَ له شخصٌ يؤذيه» .

في أيها المسلم ، لو أردت صادقاً الارتباط بعلی (ع) لخلعت من قلبك زخارف الدنيا وبريقها لأن القلب المرتبط بالدنيا لا يتلائم والارتباط به (ع) ساقی الكوثر ، فعلى سبيل المثال: لو قدر لشخصٍ امتلاك مزرعة يجري بها الماء كبطون الحيات مرتبة الوسائل ، تراه صباح مساء جالساً إلى جدولها العذب وأنت تذكر له الكوثر لما تحرك فيه عرقٌ يشتقّ إليه ، لما يتمتع به من سرور وحبور إلى جنب جدوله؛ ولكن إذا ما تكالبت عليه الحياة الدنيا وأخذ منه المرض مأخذة فاضطر إلى تعاطي الدواء مرتبًا حينها يتبه لنفسه فيقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ ورود حوض الكوثر : هذا الحوض الذي يقال ان شربة منه لها مئة الف طعم ، ومن يد علی (ع) ، فالمشتاق لهكذا حوض يشدو طریقاً عندما يسمع انه سيسقى من يد امير المؤمنين ربّاً رواً ، فهذا الشوق يتنافى مع حبّ الدنيا وما فيها ولا يمكن في حال من الاحوال ان يجتمع الشوق للحوض وعلی (ع) مع ما في الدنيا من شكليات .

(١٢) سورة آل عمران ، الآية: ٢٥ .

التهور يبعث على القساوة:

لقد ذكرنا بأن البلايا داء القلب ، واليوم أروم تقسيم القساوة «قساوة القلب» واتطرق إلى علاجها؛ وبعد هذا التقديم أصبح معلوماً عندنا أن الإيمان يدور حول اطراف قساوة ورقة القلب ، فإذا ما رق القلب جاء الإيمان وإذا ما قسى ابتعد عنه ، وباابعد الإيمان يبتعد الخير كله .

في البداية اذكر لكم اسباب قساوة القلب واتعرض هنا بشكل مختصر إلى أهم الأسباب :

قساوة القلب ليس أمراً طبيعياً ، ولا ترجع إلى الفطرة ، بل إن البشر يولدون وهم لا يمتلكون من قساوة القلب شيئاً ، ويمكن أن نقول أن القساوة حالة مكتسبة ، فإذا ما صار القلب قاسياً انعكس ذلك على سلوك الفرد وتتناسب قساوة السلوك طردياً مع قساوة القلب فيزداد القلب قساوة بازدياد الممارسات القاسية .

إن الله تبارك وتعالى لم يخلق بشرأً قاسياً القلب ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبدل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾^(١٤) .

فعلى الوضع الاولى الفطري يتقبل المولود الحق ، أي عنده الاستعداد الكامل لقبول الحق ، وهذه هي الفطرة أما بعد ذلك ويزور الأيام ومن خلال التهاون في بعض الأمور الموصولة إلى التهور يتأنى للقلب أن يقسو ، فإذا ما تساهل الفرد في أن يطلق العنان لعيشه - على سبيل المثال - للنظر إلى ما حرم الله ورسوله واباح لنفسه عدم الالتزام أو الانضباط في المسائل الأخلاقية أدى به ذلك إلى اسدال ستار على قلبه منسوج من الشهوات ، على الرغم أنه كان قبل ذلك يُرخي عينيه للدموع خوفاً من الواحد الأحد ﴿وإذا ثُلِتْ عليهم آياتنا

(١٤) سورة الروم ، الآية: ٣٠

زادتهم إيماناً ^{١٥}) وكان يترحم على اليتامي والمساكين ، أما الآن فهو يأكل مال اليتيم ظلماً ويقطع الرحم ويتهور في انجاز الأعمال ، وهذا يرجع سببه إلى أنه تساهل وتهان في ارتکاب الصغائر حتى وصل الأمر به إلى أن يقصو قلبه وقد تكون هذه القساوة من نظرة محرمة « فالناظرة المحرمة سهم مسموم من سهام إبليس : ومثل هذا باقي المحرمات والمعاصي .

نظرة حرام من على مئذنة مسجد ذهبت بایمانهم

جاء في تفسير روح البيان انه في سالف العهد كان ثلاثة أخوة ، الكبير فيهم شغل منصب مؤذن من على مئذنة مسجد لمدة عشرة سنوات ، فخلفه الثاني لعشرة سنين آخر ، وبعد وفاتهما اقترح الناس على الثالث اشغال مكانهما ولكنه أبي وقال: لا يمكن أن أفعل ذلك ؛ فقيل له: نقوذ تكسبها على الراحة فلِمَ الرفض ؟ هل أن الأذان إساءة ؟ ! فقال: كلا ، ولكن الأذان من على هذه المئذنة لا يمكن أن أقوم به ؛ فسئل عن السبب فقال: لقد كانت هذه المئذنة سبباً في ذهاب أخواني من الدنيا بدون إيمان ، لقد طلبت من أخي الكبير على ساعة رحيله من الدنيا أن يقرأ سورة «يس» فنهنى وقال لي: وما القرآن ؟ وكذا فعل أخي الثاني .

استغثت بالله كثيراً طالباً منه جلّ وعلا ان يطلعني على السبب الذي حدا بأخوي الملتزمين بصلة الجماعة والمؤذنين من على مئذنة المسجد أن يخرجا من الدنيا صفر اليدين ، بلا إيمان فمَنَ الله تبارك وتعالى على في عالم الرؤيا فرأيت أخي الكبير وهو في العذاب غارق؛ فقلت له: لن اتركك حتى تقول لي على علة موتك بلا إيمان ؟ فأنهمني الله سبحانه بإطلاق لسانه ليقول لي: لقد كنت انتهك الحرمات من على مئذنة المسجد من خلال النظر في بيوت من جاوروه ، فأرضي شهوتني بالاطلاع على الاوضاع الداخلية للناس .

(١٥) سورة الأنفال، الآية: ٢ .

لقد كان هذا المسكين يُضفي ستاباً جديداً على قلبه حين يطلع المئذنة للأذان ؛ تلوّث قلبه فأصحي سافلاً ، ولم يسع لأن ينقطع عن هكذا عمل فيبح ، لقد كان يرمي النبال المسمومة في قلبه حتى وصل إلى لحظة الموت وحينها يتمنى على الله أن يكون له قلب خاشع .

انظر إلى ساعة موتك كيف تكون خاشعاً ، هذا الخشوع ينبغي أن يكون الآن في قلبك خشوعاً مثل ذاك الذي احتواك على وقت وفاة والذيك « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خُشُوعَ الْإِيمَانِ قَبْلَ خُشُوعِ الدُّلُّ فِي النَّارِ »^(١٦) .

ان الخشوع الاختياري على زمانك هذا ذو قيمة ، اما ذلك الخشوع القهري والتكتوني ساعة الاحتضار فلا قيمة له .

إن الإنسان المتهور كيف له ان يفوز بالخشوع ، وكيف يتأتى للقرآن هداية هكذا شخص فاقد للالتزام الشرعي ؛ فالقرآن يهدي الورع والمتغّر « ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رِبِّ فِيهِ مُدَّى لِلْمُتَقِّنِ »^(١٧) فالقرآن بالنسبة لهكذا أفراد غير متغّرين كالمسمار الحديدي المطروق على حجر صخري .

البطنة وأكل الحرام يبعث على القساوة:

فكرة يدور حول بطنه ، فهو لا يتورع من ارتكاب معصية في سبيل ارضاء شهوة بطنه ، ولا يترفع عن اكل الحرام الذي هو سبب اساسي في قسوة قلبه ، همهُ الوحيد هو ملء بطنه من الطعام اللذيد ، نحن لا نقول بالامتناع عن الطعام اللذيد ، ولكن نقول بالامتناع عن الطعام الحرام ، البطنة ، الاسراف .

أنت تزيد ملء بطلك ، وتكون عبداً لها حينها لن يكون في قلبك مكان

(١٦) دعاء أبي حمزة الشمالي ، انظر مفاتيح الجنان لعباس القمي - دار إحياء التراث - ص ١٩٨ .

(١٧) سورة البقرة ، الآية: ٢ .

للامان ، ويضحى قاسياً بقدر لو جاءك يتيماً يستعطفك لمارفَ لك عرق ولما تأثرت .

إن منظر الحسين (ع) وطفله الرضيع يوم العاشر من محرم يرقّ له كُلُّ ذي قلب ، ولكن عجباً لتلك القلوب القاسية التي عدّمت الرحمة والشفقة ؛ إن عبارة الحسين (ع) : اسقوه الماء يُفهم منها : أنا لا أريد الماء لنفسي بل لهذا الطفل الذي يمكن أن تأخذوه انتم عندكم وتسقوه الماء : وحينها قال (ع) « قد ملئت بطونكم من الحرام » يعني بذلك : قست قلوبكم من الأكل الحرام .

المعصية وعدم طهارة القلب :

ان المرأة التي تفكّر دائماً بعرض محسنها ، متبرجة في الدوائر أو المدرسة أو السوق ، فهي كل يوم وعلى هذا الوضع تزيد في غلظ حجاب قلبها وتضيف ستاراً جديداً للستار القديمة المضروبة على قلبها : فلا يبقى مكان للإيمان فيه ، وعندما تقول : المهم في الأمر القلب السليم وليس الالتزام بالحجاب ؛ إنك لا تعلمين كيف احتوت اصلعك قلباً قاسياً غليظاً صنعت ستاراً يداك .

ان الاستعراض الذي يتبرعن به بعض النساء في اماكن دور السينما لا يقتصر على هذه الدور فقط ، بل يمتد ذلك إلى مراكز البيع والشراء التي تجج بالمتبرجات الطالبات وجوههن بشتى أنواع المسااحيق المثيرة التي يتحرك قلبك شئت أم أبيت لها ، فيما أيها الشاب المسلم المضطرب والسارح في الخيال لو قدر لك أن تسأل إحداهم عن السبب في كلّ هذا لجأتك الإجابة سريعة : من أجل ساعة ترفيت تستشعر فيها الفرج والسرور ؟ !

خلاصة الأمر ان التهور واتباع الهوى يجرّ إلى القساوة القلبية فلا يبقى مكان للإيمان وحبّ الله تبارك وتعالى ، فإذا أصبحت من يتبعون الأهواء فقد حكمت على نفسك وجعلت منها في قائمة أهل البطنة والشهوة والحيونة ، وإذا

ما سلكت سلوكاً متھراً تتلاعب بالأموال الكثيرة ، حينها يصبح همك الوحيد المال اينما وجد وكيفما اتفق الحصول عليه وبعد مدة قصيرة من الزمان ترى أنك أصبحت كالكلب العقور تنهش كلّ من تراه ساعياً وراء المال .

إن الإمام الحسين (ع) في ليلة عاشوراء كان يقول: كأني ارى كلباً أبلقاً يتسابق مع الآخرين ليحمل علىّ ، نعم ، لقد كان ذلك هو الشمر بعينه يتسابق طمعاً في نيل جائزة يزيد ، لقد رأى الإمام (ع) في ما يرى النائم باطن الشمر على هيئة كلب أبلق .

بماذا تعالج القسوة ؟

إن أساس الكفر وعدم الإيمان هي القساوة ، وعلاجها كما جاء في الروايات المتواترة عن آل بيت الرسول عليهم السلام نذكرها لكم بالتدريج إنشاء الله وأولها هو: ذكر الموت ، وتهيئة الكفن والنظر إليه كل يوم ، فذكر الموت لا يتعجل بمجيئه ، فالأجال محسوبة ولا يمكن الهروب منها : فلم الخوف منه ومن سرعة مجيئه .

لقد كشفت لنا الروايات والأخبار عن أن ذكر الموت وتهيئة الكفن من المسائل التي تمدد في عمر الإنسان فعليه ينبغي للإنسان أن ينظر إلى كفنه مرة واحدة في اليوم على الأقل ويتذكر في خلق الله وعباده وما يمكن أن يكون بعد الموت ، أما بالنسبة للنساء فإن المقنعة يمكن أن تذكّرها بالموت كما الحال عند الرجال فالعمامه والذئبة المستحب لفهَا على الرقبة التي يقال إنها ترقق القلب وتجعل من صاحبها يخشى لذكر الله ولذكر الموت ، وإذا تمكن الإنسان من أن يحفر له قبراً يمْرُّ عليه بين الفينة والأخرى من أجل أن تبتعد عنه قسوة القلب بذكر الموت وما بعد الموت .

حرىً بك أن تزور قبور والديك وحرىً بك أيضاً أن تفهم أنك لاحق بهم لا محالة ، وإن الموت لا يخبرك بأنه سيأتيك في اليوم الفلاني أو الساعة الفلانية

وان من هم أصغر منك رحلوا إلى عالم البرزخ وإلى عالم ما بعد الموت ؛ وهنا نذكر لكم حكاية انتقيناها لكم من كتاب حياة الحيوان :

حكاية الاسكندر وسلطان الصين:

عندما وصل الاسكندر إلى الصين على زمن فتوحاته للبلدان ، حاصرها - وحين الحصار وعندما كان الاسكندر يجلس في فساطته مع وزرائه ، وإذا بشخص صيني يقف على باب الفساط يطلب الإذن بالدخول من الحاجب ، فاذن له ، وحين الدخول قال للحاجب ان الكتاب الذي معه لا يمكن أن احدث به غير الاسكندر حسب أوامر سلطانا ، فأمر الاسكندر بخلية المكان معن معه ، فدخل القاصد وقال مخاطباً الاسكندر لا تعرفي ؟ فأجاب الاسكندر: كلا ، فقال: أنا سلطان الصين ، فتعجب الاسكندر وقال: كيف تأتت لك الجرأة بالمجيء إلى هنا وحيداً لا تخاف من إقدامك هذا ؟ فقال : لا ، لقد سمعت أنك انسان عاقل ولا تذهب اعمالك أدراج الرياح ناهيك عن أنني لم أsei إليك من قبل حتى يتىدار إلى ذهنك قتلي ، أما مسألة احتلال أرضي وقتلني فلا فائدة منها ، لأن بلادي محصنة بقلاع متينة وهناك من هم مثل الكثيرون يديرون البلاد فنائب السلطنة والوزراء وغيرهم من كبار المسؤولين على أهبة الاستعداد لمواجهة أي خطر ؛ فقال الاسكندر إذن نحن حاضرون للصلح معكم - لـما رأى حكمة سلطان الصين - ولكنه شرط ذلك بقوله: عليكم أن تأتونا بخروج الصين لمدة ثلاثة سنوات ، وقال: هل يضير ذلك بكم ؟ فأجاب الصيني : نعم ، فإن ذلك يطير باقتصادنا ويؤخره عن التقدم .

لقد كان الاسكندر رجلاً فطناً وذا فراسة فقال: إذا اعطيتمونا خراج سنة واحدة فلا أظن أنه يؤثر على اقتصادكم فقال السلطان الصيني : تأكد يا أيها الاسكندر أنه يؤثر على اقتصاد بلدنا فطلب اليه الاسكندر ان يدفع اليه خراج ٦٦ ، أشهر وقال له بعد ان وافق الصيني على ذلك: إنك اعقل واعلم حاكم صيني عرفته .

وخلالمة الأمر ان الصلح تم بين الطرفين بشكل سلمي وجميل ، بعد طلب السلطان الصيني إلى الإسكندر ان يقبل دعوته إلى وليمة يقيمها الصيني على شرف الإسكندر مع كبار قادته ووزرائه فأجابه الإسكندر إلى ذلك : وسار بجيشه إلى حيث فساطط السلطان الصيني فاستقبله الثاني بجيوش عظيمة أثارت القلق والحيرة والرعب في نفس الإسكندر حتى ظنَّ ان في الأمر خدعة فقال : للصيني : هل تزيد بي سوء ، فأجابه : كلا ، بل أردت أن اعرفك بأن الجيش الذي تحت إمرتي اعظم من جيشك ولكنني فضلت السلم على الحرب حتى للدماء التي يمكن أن تسيل من جراء حرب كادت أن تقوم .

واخيراً حضر الإسكندر مائدة السلطان الصيني ، فجلس الوزراء والقادة في مكان وجلس السلطانان في مكان خاص ، فانتبه الإسكندر إلى ان الآنية كلها من جواهر وأحجار كريمة فاندهش وامتنع عن تناول الطعام فقال له الصيني بالتفضل إلى تناول الغذاء فأجاب قائلاً : هذا ليس طعامي فقال السلطان الصيني : وما هو طعامك إذن ؟ فقال : خبز من القمح ورز وقليل من اللحم فقال الصيني لقد ظنتت ان هذه المجوهرات النادرة هي طعامك وإلا فالرز والخبز واللحم موجود أيضاً في اليونان فما الذي حدا بك لأن تأتي إلى بلادنا ، وبم أنت ولع ؟ !

لقد كان الإسكندر عالماً ، دائم السعي في مواكبة العلم والعلماء ولكنه في بعض الأحوال توقف ضميره وووجهه بعض العبارات التي تصدرُ من هم أقل منه علمًا وعمره ، فلقد كانت عبارات الصيني تتضمن موعظة عميقة معناها أنك لم تأت إلى هنا إلا لملء بطنك ، فهل كان الطعام في بلادكم غير كاف حتى تأتي إلى بلادنا ؟ . إنه الحرص الذي أتى بك إلى هنا لتضييع حق الآخرين !!

إذن كل هذا التحرك وجمع الجيوش من أجل المال ، الذي جعل منك قسي القلب .

دواوِكِم الذُّنُوب ودواوِكِم الْاسْتَغْفَارِ :

ضمن وصيَّته لابنه الحسن المجتبى (ع) قال أمير المؤمنين (ع) «بني أحبي قلبك بالموعظة»^(١٨).

ان أرضك أرضي في معرض رياح شمالية تتلاعَبُ بها يميناً وشمالاً
وفي تلك الأرض تمرّقت وجوهَ مَنْ هُمْ لا مشيلَ لهم
ولو كثُيَّفت اطباقيُ الثُّرى عن وجههم لم تَرَ إلَّا كدقِيقِيَ المَهَال
احياءً ولكن قلوبِهم ميَّتَه
انت لا تعرفهم، لكنهم أولئك التاركين ذكر الله

قد يصلُّ الإنسان إلى حالةٍ وإلى وضعٍ يصعبُ عليه صقلُ قلبه وحينها
تحتويه القساوة من كل جانب فلا علاجَ بعد ذلك عليك أخي المسلم أن لا
تجعلَ من قلبك صخرةً صماءً قاسيةً ، أحياها بذكر الموت ، تذكّر دائمًا موتَ
الأحباب والآقارب واعلم أنك لاحقٌ بهم لا محالة ، فكُلُّ آتٍ قريبٌ ، ولا أعلمُ
عندما احتضر في ذلك اليوم المحتوم هل سيكونُ إلى جانبي من يلْقَنِي العقائد
الحقّة وينذكّرني بالله الواحد الأَحَد .

لما يتَّسْطُرُني من شكلٍ خاصٍ كلُّ ساعةٍ أنا في فكِّيِّ
وفي تلك الساعة أرجو عفواً الله وحفظه لي من ان أقع في الغفلة
وفي تلك الساعة ارجو النجاة من الشيطان وأرجو أن يحفظ الله لي نور الإيمان
على ذلك الوقت لن يبقى لي فطنةٌ فساعدني على أن لا أنسى ذكر اسمك
مرةً أخرى نرجع إلى علي (ع) هذا الأب والطبيب الروحاني أحبّي
اذكركم هنا بدائِكم ودواوِكِم ليتَسْتَنى لكم الخروجُ من هذا الداء ، فلقد قال أميرُ
المؤمنين ما مضمونه ونحن نردد ما قال: «دواوِكِم الذُّنُوب ودواوِكِم الْاسْتَغْفَارِ» .

(١٨) المعجم المفهرس للفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ص ٩٠ .

فالذنوب التي تشمل الهوى وحب الدنيا والتهور . . . ، علاجها طلب المغفرة من الله العزيز القدير وخصوصاً في هذا الشهر ، شهر رمضان المبارك لتمكننا من جلاء قلوبكم التي صدأت .

استصغار المعصية وقساوة القلب :

لقد كان مجمل بحثنا بالأمس القريب عن سبب قساوة القلب وقد ذكرنا أن عدم التقىد والتهور أو بتعبير أشمل العصيان وارتكاب المحرمات والإصرار عليها يجعل من القلب صخرة قاسية ، وان لهذه القساوة القلبية مقدمات كان يكون اتلاف مال الغير أو التجاوز على حقوق الآخرين واستصغار هذه الأمور مما يبعث رويداً رويداً على قساوة القلب وبالتالي خروج نور الإيمان من القلب القاسي .

ولقد جاء في أصول الكافي عن الإمام الخامس محمد الباقر (ع) ما معناه ان المؤمن إذا اذنب صارت في قلبه ندبة سوداء فإذا ما استغفر الله انمحى تلك النقطة وإذا ما كرر وأصر على المعصية غداً قلبه اسوداً واصبح كالحجر القاسي لا تمضي به الموعظة ولا يتأثر بطيء الحديث وقد يصل به الأمر إلى الكفر من كثرة ممارسة المحرمات والإصرار عليها .

وقد تطرق الإمام الباقر في معرض حديثه لقسوة القلوب فقال ما مضمونه ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب .

في أيها المسلمين عليكم ان تخشوا على قلوبكم من القساوة حاولوا أن لا ترتكبوا المعاصي والأثام وإذا ما حصل ذلك فساروعوا إلى الاستغفار ومعاهدة الباري على ان لا يتكرر ذلك منكم لأن الاستغفار والتوبة والإبادة إلى الله سبحانه وتعالى هي العلاج الوحيد لمحو التذبب السوداء من قلوبكم .

الأمني وقساوة القلب :

إن الأمانى من المكرهات وفي نفس الوقت فهي من المباحثات التي تبعث على قساوة القلب وكذا الأمل وقد ذكرها آل بيت الرسول عليهم السلام

في الروايات المتوترة ، فقد جاء في احدى الروايات أنه : « لا يطولن بالدنيا املك فيقسو قلبك ». فما هو طول الأمل؟

طول الأمل : هو الفترة الزمنية بين التمني وحصول الأمنية ، فأنتم لو وضعت برنامجاً لمدة معينة بدأته بأمنية وسعيت جاهداً لأن يبرز إلى الواقع ستحتاج إلى زمن معين بالطبع فينصب بذلك كل تفكيرك على هذه الأمنية مما يجعل منك إنساناً متاسياً أو ناسياً لبعض الأمور كذكر الموت مثلاً فيقسو بذلك قلبك ؛ وإذا ما قسى القلب فأنى يمكن وكيف الحصول على قلب مليء بالإيمان خاضع لله مدرك لنيعه ، فإذا ما قلت أني من المصلين ولا يمكن أن يخرج الإيمان من قلبي نقول لك : إن الصلاة أصبحت عادة أو صرف خيال أو خوفاً من ترك واجب وباتت انجازاً لعبادة ظاهرية لا تعتمد الإيمان أساساً لها ومجردة من الخشوع ؛ لقد أهلك الخشوع طول الأمل .

خيالات الإسکافي والحجاج الملعون:

نقل لنا الراغب الاصفهاني في كتاب المحاضرات ان الحجاج اللعين خرج ليلاً مع ثلة من حرسيه يتقدّم المدينة فابتداً بالسوق فرأى أن ابواب الدكاكين قد سُدت إلا دكاكاً واحداً يجلس في زاوية منه اسکافي يتحدث إلى نفسه بصوت عال : كان يقول : إلى متى أعيش هكذا؟ فيجيب نفسه أن : عليك بالتفكير بالشيء الذي يرفع من مستواك إلى علين ، نعم ، والحديث له : ان المال الذي سأحصل عليه غداً سأؤفر نصفه ، وأقتصر على نفسي وعالي حتى يُصبح عندي مالاً وغير فاكون بذلك من الأغنياء الأثرياء ، بعد ذلك اتقدم لطلب يد ابنة الحجاج وعندما يرى ما لدى من ثروة سوف يمنعني منصباً في حكومته وبذلك لن يعرف أحد أنني كنت اسکافياً في يوم من الأيام وإذا ما جادلني الحجاج على شيء سوف اجمع يدي لا ضربة على أم رأيه .

وهنا وصل الحجاج مع حرسيه وسمع الجملة الأخيرة من حديث هذا

المسكين مع نفسه ، فأمرَ الحرُسَ باخراجِه من الدكَانِ إلى خارجهِ وبدأ يكيلُ له السباب والشتائم قائلًا له: أيها الحقيرُ مالك ولابتي في هذا الليلِ الحالك؟ وهذا أمرُ الحجاج بضربهِ ٥٠٠ ضربة سوط . تحملَ الإسکافيَ السياطَ التي مرتَ ظهرهِ ، ولا يدرِي أحدٌ بعد ذلك هل وصلَ الإسکافيَ إلى آمالهِ وآمانِيهِ أم لا؟

الأمانِ المادية لا نهاية لها:

ان الإنسان مخلوق دائمُ التمني ولا يمكن ان يتنهى عن ذلك إلا برغبة ملكِ الموتِ قادماً بالقهرِ الإلهي .

ان الرغبات الإنسانية الموهومة تُنحرِفُ به عن الواقعِ المعاش وكلما زادَ من امانِيهِ ورغباتِهِ ازدادَ شوقاً إلى التفكيرِ أكثرَ في ما يُمكِنُ ان يحصلُ له مستقبلاً مثله كمثلِ شاربِ ماءِ البحرِ كلما ازدادَ شرباً ازدادَ عطشاً ؛ اما الشخصُ الذي يطمعُ في الحصولِ على المادَةِ ويرغبُ دائمًا في ان يكونَ ثرياً فذلكُ الذي يقضي عمرَهُ في هكذا امانِي ، وكلما تَمَ له شيءٌ طمعَ بأكثرِ مما في يديهِ ، ولو قدرَ لنا أن نسألَ أحدَ طلابِ الدنيا وهو يحتضر: هل وصلتَ إلى ما كنتَ تريده؟ لاجابنا لم أصلَ إلى ١٪ مما كنتُ أتمنى بلوغهِ .

لقد خَابَ كُلُّ من طلبَ الدنيا وزيتها ، لأنَ التمنيَ في الحصولِ على زينةِ الدنيا وزخارفِها بشكلٍ كليٍ لا يُتَّسِعُ للإنسانِ سواءً كان رئيسيًّا أو مستخدماً والكلُّ يموتُ خائباً وسيخيبُ كذلك من يرومُ ويتمني ويُضربُ في الأرضِ سعياً وراءَ بلوغِ الثريا .

العجبُ كُلُّ العجب لقريتنا العشرين هذا فالتمنيات زادت والأمارُ تفاقمت حتى وصلتْ إلى حدٍ كانَ المتمنيين لا يرونُ أنَ الموتَ قريبٌ على الرغمِ من أنَ الموتَ لا يُعرَفُ صغيراً ولا كبيراً فقد يفاجئُ الإنسانَ موتَ يذهبُ به وبخيالاته إلى غيرِ رجعةٍ ، فالشبابُ والفراغُ والجدةِ يجعلُ من البشر يطيلونَ التفكيرَ في

الأمانى المستقبلية وان هؤلاء الاشخاص بطبيعة الحال يكونون من قيادة
القلوب ، اين تفكيرهم واماناتهم وآمالهم من الموت ؟
وهنا اذكر لكم حكاية فيها عبرة لمن طال املهم :

لا أرغب في دار يكون عمري معها (٧٠٠) عام :

جاء في لآلئ الاخبار ان احد الانبياء وصل في سياحة له إلى راهب يبعد
في قمة جبل لا يمل لا يكل ليس له من الحياة الدنيا بيت يحميه من برد الشتاء
ولا مكان يقيه حر الصيف ، فسأله النبي : متى وانت هنا ؟ فاجاب : منذ
ستين : فقال له : لماذا لم تتخذ لنفسك بيتا يحفظك من الحر والقر ؟ فقال :
عندما ينزل المطر التجي إلى هذا الغار ، فلهم اتخذ بيتي وليس لي من العمر ولن
يكون لي إلا اعواما معدودة ، ولقد مر بي قبلك نبي فسألته عن بقائي في هذه
الدنيا فقال لي : لن تعيش اكثر من « ٧٠٠ » سنة ، فهدات وقررت ان لا ابني بيتي
من اجل هذه الاعوام القليلة ؟ وقلت في نفسي : إنك لن تعمرا اكثر من (٧٠٠)
عام فلماذا بناء الدار ؟ فقال النبي : يأتي زمان لا يعمر فيه الإنسان (١٠٠) عام
وعلى الرغم من ذلك تراه يتخذ الحديد والحجر في بناء دار له . وحينها قال
العايد : لو كنت علمت ان عمري لا يتجاوز المئة عام لقضيته في سجدة
واحدة .

على أية حال إننا على زماننا الحاضر لا نفكّر تفكيراً منطقياً فالآمال
والأمانى قد تتجاوز في بعض الأحيان حدود أعمارنا على الرغم مما يؤثر عن
النبي (ص) فيما مضمونه : « اكثراً أعمار أمتي بين الستين والسبعين » إذن فليعلم
الإنسان عند وصوله إلى هذه السن أنه وصل على حافة حدود الموت ، وفي
حديث آخر للرسول الأكرم ينطوي إلى الحرص في العمر والحرص في المال
على زمان الشيخوخة يبين لنا أن الأمانى والأمال لا تنتهي إلا بنهاية العمر حيث
ورد عنه ما يفيده « يشتبه ابن آدم وتشتبه فيه خصلتان : الحرص في العمر

والحرص في المال » .

فحين يكون المرأة شابةً ترأه يمتعض لامتعاض احبابه واقرباءه ويسعى بجدية لأن يساعد من هم ضمن دائرة حياته ولكن الأمر يتبدل إلى غير ذلك حينما يشيخ ويشري ، فهو لا ينفق ولا يتصدق من كثير ولا من قليل خوفاً من أن يقل ما لديه من الأموال ، ففي الكبر تبدل الأخلاق إلا الإنسان المؤمن الملتم بشرع الله سبحانه وتعالى .

فرض لشهرين والأمل الطويل:

اقرأ عليكم حديثاً آخر من أصول الكافي لنفور اكثـر في أسبـار التـربية الإسلامية :

لقد اشتـرى اسـامة بـن زـيد أـمـة بـقـيمـة مـؤـجلـة فـوـصـلـ الـخـبـرـ إـلـىـ النـبـيـ (صـ) فـقـالـ: إـنـ اـسـامـةـ لـطـوـبـلـ الـأـمـلـ .

ان التعامل بالقروض يجرك إلى الحرث ويدلل على أنك لا تفكـرـ في الموت ، عجـباً : هل اـنـتـ ضـامـنـ لـنـفـسـكـ أـنـ تـعـيـشـ إـلـىـ الـغـدـ ؟

نـحـنـ لـاـ نـقـولـ لـكـ اـتـرـكـ التـعـاملـ مـعـ النـاسـ وـلـكـ عـلـيـكـ أـنـ تـفـكـرـ فـيـ موـتـكـ وـقـدـ يـكـوـنـ ذـكـ فيـ الـغـدـ الـقـرـيبـ ، فـعـلـيـهـ يـنـبـغـيـ لـكـ أـنـ تـرـكـ الـمـسـائـ الـكـمالـيـةـ اوـ عـلـىـ الـأـقـلـ تـقـلـلـهـاـ إـلـىـ الـحـدـ الـذـيـ لـاـ يـضـطـرـكـ إـلـىـ الـإـقـرـاضـ مـنـ هـذـاـ وـذـاكـ ، فـإـذـاـ مـاـ جـاءـكـ الـمـوـتـ وـأـنـتـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـةـ فـمـنـ الـمـسـلـمـ أـنـكـ سـتـمـوـتـ مـدـيـنـاـ . وـلـاـ تـتـوـقـعـ مـنـ وـارـثـكـ سـدـاـ دـيـنـكـ ، اـسـعـ دـائـمـاـ لـلـلـلـاـ تـقـرـضـ مـنـ أـحـدـ وـضـعـ الـمـوـتـ وـذـكـرـهـ نـصـبـ عـيـنـيـكـ .

النبي يرى الموت قريباً:

لـقـدـ جـاءـ فـيـ حـدـيـثـ لـنـبـيـ مـحـمـدـ (صـ) أـنـهـ قـالـ: «وـالـذـيـ نـفـسـ مـحـمـدـ بـيـدـهـ ، مـاـ طـرـفـتـ عـيـنـيـ إـلـاـ ظـنـتـ أـنـ شـفـريـ لـاـ يـلـقـيـانـ حـتـىـ يـقـبـضـ اللهـ

إن النبي (ص) عنى بذلك: إن الموت قد لا يُمهل الإنسان مضيًّا لفترةٍ وضمنها في فمه ، وانتَم إليها المسلمين أمةً هذا النبي الذي يرى الموت بهذا القرب لا ينبغي لكم أن تسيروا على نهجه وسلكوا سلوكه وتفكروا ما كان يفكّر فيه من ذكر للموت .

إن أمير المؤمنين علي (ع) كان يوصي شيعته واصحابه ويقول: « أوصيكم بكثرة ذكر الموت واقلال الغفلة عنه » (٢٠) .

عليكم أن تذكروا الموت كثيراً ، فحين خروجك إلى عملك صباحاً لا تأمل الرجوع إلى دارك ثانية فكثيرٌ هم الذين ذهبوا ولم تكن لهم عودة ، لا تطمئن إلى عمرك فقد تناه ليلاً ولا تصحوا إلا في الجنة أو في النار فقد ياتيك الأجلُ وانت نائم ، « والتي لم تَمُتْ في متامها فَيُمْسِكُ التَّيْ قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتُ » ، لذا ينبغي على المسلم أن يرقق قلبه و يجعل منه خاشعاً لله بذكرة الموت فالمؤمنون همّون لينون مستكينون .

لا أطمئن إلى عمري لذا لا أعدك :

جاء شخصٌ إلى الإمام الباقر (ع) يسأله مبلغَ من المال ليسدّ به ديناً عليه فأجاب الإمام (ع) بعدم وجود نقود ولكن مواداً من قبيل العجوب في الطريق إليه ، فقال السائل: عدنى يا ابن رسول الله (ص) بأن تعطيني منها إذا وصلت لأسدٍ بها ديني فأجاب الإمام سلام الله عليه كيف أعدك وانا غير ضامن لعمري .

(١٩) بحار الأنوار / ج ٧٣ ، ص ١٦٦ طبع بيروت ، مؤسسة الوفاء .

(٢٠) المعجم المفهوس للفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي ، (الخطبة ١٨٨) - ٣ . (ص ٦٧) .

(٢١) سورة الزمر ، الآية : ٤٢ .

لقد كانت آمالُ ابن سعيد ترکزُ في تملكِ الريَّ ، وكان مستعداً لقتلِ الإمام الحسين (ع) من أجلِ الوصولِ إلى أمنيته الواهية ، وحينها قال: إذا ما كانت هناك جهنم حقاً فلاني سأتوُّبُ إلى الله بعد قتلِ الإمام (ع) وعلىَّ اليوم أن أصلُ إلى مرادي وهو ملكُ الريِّ .

اترکُ ملكَ الريِّ والريِّ منيَّيِّ أم ارجعُ مائوماً بقتلِ حسین
لقد كان اغلبُ القادةِ الذين ربطوا مصيرَهم بمصيرِ عبيد الله بن زياد يحدوهم الأملُ بالفوزِ بجائزةِ من يد الطاغية ، ان طولَ الأملِ والأمنيات اوصلنَّهم إلى جهنَّمِ والحمدُ لله لقد خابَ ظنُّهم ولم يصلوا إلى مرادِهم الذي خططوا له .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آتَيْنَا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أَوْتَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَّتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسْقُونَ﴾^(١)

كثرة الطعام وكثرة الحديث وكثرة النوم تبعث على القساوة:
يتأنى خشوع القلب لله الواحد الأحد والإيمان به تعالى إذا نجا الإنسان
من مرض القساوة .

إن أسباب القساوة كثيرة ، ومهما ما تعرضنا له سلفاً وهو طول الأمل ؛
ومن جملة ما أكدت عليه روايات آل بيت الرسول الأكرم عليهم السلام هو ترك
الإكثار من الأكل وقلة النوم ؛ وبالأكل الزائد عن الحاجة وبالنوم الطويل تتحقق
قساوة القلب فلا يعرف الخشوع بعد ذلك ، وإن الله يبغض كل أكلٍ نزوم ، قد
يقول قائلٍ اني أكلٍ من مالٍ حلال ، صحيح ما تدعى انشاء الله ولكن الأكل

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

الزاد المؤدي إلى البطنة مبغوض عند الباري ه تعالى لأنه يجلب البلاء وقسوة القلب.

كل من الطعام ما يسد حاجتك:

ان لقمة اضافية واحدة عن الحد المعقول تضر بروحك ضمناً لا يمكن شخص ان يدعى النسبة المعقولة او المحددة لكل شخص بل يمكن ان يضع الإنسان لنفسه حداً معقولاً فلا يتجاوز بداية الشبع ؛ فالشاب العامل من الصباح حتى المساء يختلف غذاؤه بشكل كلي عن ذلك الجالس في زاوية من زوايا داره ، وعمدة الحديث هنا هو أن على كل فرد ان يدرك الغرض الأساسي من الطعام فالطعام يساعد الإنسان على الحركة وكذا الماء مثله كمثل الحافلة التي لا يمكن لها ان تتحرك بدون بنزين فإذا ما قلل فيها إلى ما يقرب الانتهاء عمدت إلى التلكؤ في المسير ؛ وهكذا الطعام بالنسبة للإنسان فهو يقويه على الحركة ويمده بدلاً عما خرج منه بصورة عرق أو فضلات .

حكمة تذوق الطعام من مُديمات البدن:

إن الله الحكيم وعلى أساس حكمته البالغة من على الإنسان بحاسة الذوق ولو عُدّمت هذه الحاسة المهمة لما جرى الإنسان وراء الطعام ، فالطعام هو وسيلة لمنع إنحلال وضعف البدن .

ولقد قال البعض : بأن التذوق وحاسة الذوق من الحكم الإلهية الخفية التي تجبر الإنسان على تناول الطعام .

المعدة تشبه خزان وقدر الحافلة:

إن الإنسان العاقل لا يتناول الطعام إلا إذا كان محتاجاً لذلك وبالقدر اللازم مثله كمثل الحافلة التي يملأ صاحبها خزان وقدرها بالبنزين بالقدر اللازم لها وحسب احتوائه خزانتها لهذا البنزين : في أيها الإنسان العاقل إنك تحتاج إلى الطعام عندما تكون معدتك خالية وبغير هذه الصورة فإن الأكل الزائد

عن اللزوم يلحق بك الضرر ، فإذا ملأت معدتك تمهل قليلاً حتى تخلو ، فإذا كانت مليئة وأكلت ثانية أضرت بك وجراحتك إلى قساوة القلب وقد يكون الأكل سفط في بعض الأحيان حراماً لأنه يجلب على النفس البشرية غلظة يضيع معها الخشوع فلا يعود ثانية إلى القلب ، ومن أجل هذا قال الإمام الصادق (ع) : «ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الأكل ، وهي مورثة ثبتين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة»^(٢) .

إن ما لا يليق عمله على مائدة الطعام هو السرعة في تناول الغذاء ناهيك عن حجم اللقمة الكبيرة . وعلى العكس من ذلك فإن من المستحب أن تكون لقمة صغيرة تتعطل في الفم لتُمضغَ جيداً وكذا يستحب طول الجلوس على مائدة الطعام ، وليس المقصود من ذلك زيادة الأكل بل يتعدى الأمر إلى غير ذلك حيث يجب أن يتفاوت طعام الإنسان مع طعام الحيوان كمّا وكيفاً .

لا تأكل بدون رغبة :

لقد عين الإمام أبي جعفر الباقر (ع) ميزاناً لضمان صحة الإنسان فقال: «من أراد أن لا يضره طعام ، لا يأكل طعاماً حتى يجوع وتنقى معدته ، فإذا أكل فنيس عليه ، وليجد المضغ ، وليكف عن الطعام وهو يشتهيه ويحتاج إليه»^(٣) .

إن لقمة أقل ، تضمن لك راحة بدنك ، وإذا ما زدت لقمة على الحد المعقول إنما أوقعت بدنك في مشكلات والألم علاوة على مشكل الروح بل والأهم من ذلك قساوة القلب التي تأتي بها اللقم الإضافية .

يقول الإمام الصادق (ع) : «ليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة

(٢) مستدرك الوسائل / تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لابحاث التراث (ج ١٦ ، ص ٢١١) .

(٣) وسائل الشيعة / ج ١٦ ، ص ٥٤٠ تحقيق الشيخ عبد الرحيم الرباني الشيرازي دار احياء التراث العربي ، بيروت .

(٤) مستدرك الوسائل / تحقيق مؤسسة آل البيت (ع) لابحاث التراث (ج ١٦ ، ص ٢١١) .

الأكل ، وهي مورثة شيتين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة^(٤) .

إن الغذاء الزائد عن الحاجة يُفسد في البدن ولا يعطي الجسم طاقة إضافية بل العكس هو الصحيح فضرره عظيم على الروح والقلب والجسم .

أكل اللحوم ، وصفات الحيوان المأكول:

إن الله تبارك وتعالى أحل لنا لحوم اغلب الحيوانات واستثنى القليل منها فحرمه ؛ فأكل اللحوم على الرغم من حليتها لها اثر وضعي على الطبيعة البشرية وخاصةً عندما يُكثّر من أكلها ، فالفرد المكثّر من أكل لحوم الخراف يقل إحساسه وشعوره وتبتعد عنه العاطفة الإنسانية وكذا المكثّر من لحوم الطيور الداجنة يكتسب صفاتها فتراه يصاب بالصداع بين الفينة والفينة حاله حال الطيور ؛ فيقل فهمه ويضحي كالطيور التي لا تعرف غير التقاط الحبوب علاوة على قساوة القلب .

وإذا لا سمع الله - أكل الإنسان لحوم الخنزير المحرمة أصبح مثله فاقداً للغيرة شاغياً في الشهوة الحيوانية ، فالخنزير حال جماعه مع اثناء قد يبقى على هذه الحالة المخجلة الى عدة فراسخ .

ولقد سمعت أن أكلة لحوم الخنازير في الغرب والشرق لا يتمتعون بالغيرة على نسائهم فتراهم يفرحون لمن يرقص مع نسائهم وهذا هو اثر واحد من الآثار السلبية التي تظهر على أكلة لحوم الخنازير .

يقال ان بعض أنواع المأكولات مُزجت بلحوم الخنازير ولا سمع الله ان يتأتى للمسلم ان يأكل من هكذا مأكولات فتتغير اخلاقه لتصير مشابهة لأخلاق الخنازير .

النوم لتجديد القوى وليس لإتلاف الوقت:

ان الافراط في النوم أيضاً يوجب قساوة القلب ، فالإنسان العاقل عليه ان يدرك المغزى الحقيقي من النوم والذى حدده القرآن الكريم في الآية التي تقول: « وجعلنا نومكم سباتاً »^(٢) فالنوم تجديد لقوى الإنسان ليتسنى له إدامة اعماله الدنيوية التي تؤدي به إن شاء الله إلى الفوز بالجنة والرضوان وليس لإتلاف الوقت الشعين .

لقد جعل الله النوم للبشر استراحة ورفعاً للملل والكلل ، وينتفاوت الناس في الحاجة إلى النوم ، فالبعض قد يحتاج إلى « ١٠ » ساعات من النوم ليتمكن من إدامة اعماله في حين يحتاج البعض الآخر إلى ساعتين تكفيه في تجديد قواه البدنية والعقلية .

وإذا ما قدر للإنسان ان يتجاوز عن حدود حاجته في النوم فإنه سيحظى بنتيجة عكسية تماماً فتراه تعباً كيلاً منهك القوى علاوة على اكتسابه غلظة وقساوة .

وبناء على هذا ينبغي للإنسان أن يأخذ قسطاً وافراً غير متعد على حاجته من النوم من أجل الخروج على حالة التعب والإرهاق التي قد يسببها العمل طيلة اليوم .

وإذا ما استسلم الإنسان للنوم فلا فرق في أن ينام على ارض مجردة أو ان ينام على ريش نعام فالنوم واحد

النوم المكره يبعث على البلاء:

عرفنا مما تقدم أن الإكثار من النوم بدون مبرر يجر الإنسان إلى قساوة

(٢) سورة النبأ ، الآية : ٩ .

القلب سوأة كان ذلك في الليل أو في النهار ولكن بعض انواع النوم يجر القلب إلى قساوة أكثر من مثل النوم بين الطلوعين والنوم في آخر ساعة من النهار أي قبل أذان المغرب .

وقد يكون أحد أسباب النوم بين الطلوعين هو العمل إلى وقت متأخر أو متابعة برامج التلفاز إلى ساعة متأخرة من الليل فتراء يقوم كيلاً لأداء صلاة الصبح علاوة على الأضرار البدنية التي يمكن أن تتأتى من هكذا سهر ناهيك عن تدنى الروح إلى الحضيض : وقد عبرت الروايات عن هكذا نوم بنوم اللعنة ونوم الشقاوة .

هل سمعت بأمير المؤمنين (ع) وهو يخرج صبيحة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك يوم ضرب ، فوقعت عينه على انبلاج الصبح حينها نلا الآية الشريفة التي تقول « والصبح إذا نفس » يقول صاحب بحار الأنوار ان امير المؤمنين قصد من تلاوته لهذه الآية إشهاد الفجر على أنه لم يكن في يوم من أيام عمره الشريف نائماً .

نرجع إلى قساوة القلب ، فالحديث الزائد عن الحد المعقول أو ما يسمى بالحديث الترفى يساهم مساهمة فعالة في تقسيمة القلب و يجعل منه حجراً أصم ولا نقصد بذلك إلا الحديث المباح ، أما الكذب والتهمة والغيبة وافشاء السر والسب والشتم والقذف كل هذه حرام قطعى ولا علاقة لنا بها .

الجلوس مع النساء يقسي القلب :

إن الجلوس إلى النساء والتحدث اليهن واستلطافهن يبعث على القساوة القلبية - لأن الاتجاهات الشهوانية والمادية قوية عند النساء ، فطالب المعرفة والكمال والخشوع القلبي لا ينبغي له إلا أن يخرج النساء من قساوة القلب التي تحتويهن ، وهذا لا يتأتى بالمعجمالات والرذ والبدل الذي يمارسه بعضهم ظناً منه أن يسلك جادة صائبة .

هل سمعت أو عرفت نسأء جلست إلى بعضهن لم يتحدثن بالأمور العادلة
الدنيوية؟ فالجلوس إلى النساء والإنصات إلى أحاديثهن يخلع على الجالس
البيه من الرجال بعض صفاتهن .

عليك أيها المسلم ان تفكّر مليأً بهذا الأمر وفي هذا الشهر شهر البركة
والرحمة شهر رمضان المبارك ويجدر بك أن تصعد من خشوعك القلبي من
خلال قيام الليل واحياءه ليتسنى لك الوصول إلى ما ارادك الله إليه .

انظر إلى أول يوم من شهر رمضان المبارك وكذلك إلى آخر يوم في
ترى هل تقدمت خطوة إلى الأمام؟ وهل رق قلبك لحالك؟ قد تساءل ما الخشوع
لترى تقدمك على طريقه فحقيقة الخشوع ستطرق إليها اشاء الله في بحثنا
القادم .

ان البعض يتخلّف عن مواكبة مسيرة شهر رمضان فتراه يُكثر في الطعام
ويكثر في المنام وكذلك في التحدث والكلام الفارغ فتكون النتيجة عكية
 تماماً ، أي يقل خشوعه في شهر رمضان .

« استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم » .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمع المال مقدمة لذهب الإيمان :

جمع المال والتهافت وراءه عامل آخر من عوامل قساوة القلب ، وقد تعرض القرآن المجيد والروايات الشريفة إلى هكذا عامل وكذا كان الوجдан الإنساني شاهداً على ذلك : فجامع الأموال مثله دقيناً كمثل جهنم التي يُقال لها : « يوم نقول لجهنم هل امتلأت ونقول هل من مزيد »^(١) فطالب الدنيا وجامع المال لا يشبعان ولا تملأ عيونهم غير حفنة من التراب .

فالإنسان الذي ابتلى بجمع الأموال وزيادتها حكم على نفسه بالقساوة وزيادتها ، لا يمرُّ عليه يوم إلا وتراءه يفكر بكيفية إضافة أموال إلى أمواله ولا يمكن صرفه عن هكذا تفكير إلا بوضع حجاب بينه وبين ما يرى ليُسكن لحظة إلى التفكير بالله تبارك وتعالى ولن يتأتى له ذلك أبداً ، على الرغم من صلاته وصيامه ، لأن صيامه وصلاته سطحيتان .

ان السعي وراء جمع الأموال واكتناف الذهب والفضة قد ينحرف بالإنسان ليصل به إلى مرحلة الكفر في بعض الأحيان وبذلك يصبح طاغية شيئاً لا أثر

(١) سورة ق ، الآية : ٣٠ .

لصلةٍ عليه لأنَّ الصلاةَ أو الأعمال العبادية التي يمارسُها مجرَّد عادة اعتادَ عليها ويبتعدُ الخطور عن ذهنه في أنه عبدُ الله ومحتاجٌ له في كلِّ الظروف والأحوال وقد يؤولُ الأمرُ إلى أن يتركَ الصلاةَ وغيرها من العبادات التي اعتادَ عليها ، وخلاصة الحديث لقد كان جمْعُ المال والسعى في زيادةٍ مقدمةً لذهاب الإيمان من قلبه وروحه .

يقولُ أمير المؤمنين علي (ع) : « كثرةُ المال يُفسدُ القُلُوبَ وينسي الذنوب »^(٢) .

فيما من جعلت هدفك الأساسي جمعَ الأموال وأنت غافل عن قلبك الذي قسى وحينما تتبَّعه لذلك ترى أنك وصلتَ إلى عتبةِ الموتِ وانتَ لا تملُكُ ذرةً واحدةً من الخشوعِ لله الواحدِ الأحد .

معَ الأسف ، إنَّ المشتغلين بجمعِ الأموال ينحصرُ تفكيرُهم بالمادة ونكمَلُ الأموال فتراهم كلَّما ازدادوا منها ازدادوا حرصاً ، فيبدو الواحدُ منهم يعيشُ معيشةَ الفقراء وهو يُحسبُ على الأغنياء فيحاسبُ بالآخرة حساباً شديداً لانه فاقدُ للخشوعِ والإيمان ممتنعٌ فقط بالآموال التي ضيَّعَ وقته الشعرين فقط لجمعها تاركاً جمْعَ الحسناتِ التي هي الأساس في نجاةِ الإنسان من عذابِ الله العزيزِ القدير .

وجودُ الأموال مفترضٌ بالاتفاق :

إنَّ البعض من طلابِ الدنيا يشكلون على المسلمين بأنهم غير نشطين في جمعِ الأموال ويعيشون على الأمل ، ويقولون بالسعى الحيث لجمعها لأنَّها تجعلُ من الإنسان سيداً مطاعاً ، إنَّ من يقولُ بهذا الشيء يغالط نفسه ويستعينُ بالشيطان على تقولاته هذه بدون أن يشعرُ ، فالإسلام حرمَ الشرارة ولم ينه عن

(٢) غررُ الحكم ودررُ الحكم ، عبدُ الواحدِ الأمدي التميمي . مؤسسةُ الأعلمِي للمطبوعات ٢ الفصل السادس والستون ص ١٠١ رقم ٣٨ .

استحصال الأموال ، والثراء هو تكديس الأموال بشكلٍ فاحش وهذا لا يتأتى إلا من خلال ترك الإنفاق ، فالذى يحصل على الآلاف عليه ان يُنفق بالآلاف وهذه الثروة ممدودة في الإسلام لما لها من جلاء للقلوبِ وابتعاد عن الكفر والزندة .

إن الفضل كلُّ الفضل في ان يحصل الإنسان على اموال طائلة لينفقها في سبيل الله تبارك وتعالى وهذا الإنسان لا يمكن أن يحصل على هكذا أموال إلا من خلال العمل الجاد والذوبوب ؛ فليخسأ من يقول بعدم سعي المسلمين وتفضيلهم لحياة الراحة على الحياة العملية .

هلك ثري لم ينفق :

إذا أنفق المال في طريق الحق تعالى فنعم المال الصالح ، وهذا ما قال به الرسول (ص) في خبر ذكره الصدوق نقلًا عن أبي ذر الغفارى ان الرسول الأكرم (ص) قال ما مضمونه : « من كان أكثر همه نيل الشهوات نُرعت من قلبه حلاوة الإيمان ». .

إن غاية الرسول الأكرم من هذا الحديث هو تشجيع الأغنياء والثرياء على الإنفاق في موارد الخير ؛ فإذا ما سعى الغنى لأن يُفريح الملهموف أو يُفرج عن مكروب فقد نجا وبخلافه هلك .

عليكم أن تجعلوا من انفسكم حمالين للمال يسعى أحذكم لزيادة ما لديه من الأموال صباح مساء ، فلقد جاء في الآباء الأخبار أن : « من أصبح وامسى وهو الدنيا والدرهم حشره الله مع اليهود والنصارى ». .

نعم ، إن الأثرياء في خطر ، لقد امتلأت قلوبهم بحب الدنيا ومالها وفرغت من الإيمان به تعالى والخشوع له ، لقد استولى حبُّ الأموال على مكان حبَّ الله في قلوبهم فلم يترك له فسحةٌ يستأثر بها الخشوع والخضوع للواحد الأَحَد .

لقد كان ثعلبة أفق أصحاب رسول الله (ص) ، كان خاشعاً لله ، دائم التضرع وكان يهتم بـالرسول (ص) كثيراً ، وفي يوم من الأيام سأله الرسول (ص) عن أحواله ليُخرجَه من الوضع الذي هو فيه ، فاستعرض ثعلبة ما هو فيه من حال ، فرق له النبي محمد (ص) واعطاه درهماً يستعين به على دُنياه ؛ وذهب ثعلبة إلى السوق واشترى مثاعاً بذلك الدرهم واستطاع بفطنة وذكاء أن يوظف ذلك الدرهم بشكل يدرُّ عليه ربحاً لا يأس به ، وتمكن بعد ذلك أن يستفيد من الدرهم وارباجه في شراء بضاعة أخرى وبيعها وهكذا دوالياً حتى تحسن وضعه ليشتري أغناًماً وغير ذلك ولكنه انشغل كثيراً بأغنايه حتى وصل به الأمر إلى عدم إقامة صلاته على وقتها مبرراً لنفسه عدم إمكانية ترك الأغنام واللحوق بصلاته الجماعة ولم يكتف بالعمل داخل المدينة بل توسيع اعماله إلى خارجها أيضاً ؛ وفي يوم من الأيام ذهب الرسول (ص) لتفقد أحواله ولكن قيل له (ص): إن له من الحيوانات والأغنام والجمال ما لا يُعد ولا يُحصى مما جعله لا يتواجد أغلب وقته إلا في أراضيه التي حوت هذه الحيوانات .

بعث الرسول إليه لدفع ما عليه من زكاة ، فعدَّ ما لديه فوجد أن الأموال التي يجب أن يدفعها بعنوان زكاة كثيرة إذا ما أراد العطاء فتهاون في الأمر وصدر منه كلام هو إلى الكفر أقرب حين قال: ما لـمحمد والـزكـاة أـيـرـيد أـن يـأخذـنـي ضرائب على أموال جمعتها بعرق جبيني .

لقد كان قبل ذلك مسكيناً خاشعاً مقبولاً عند الله ورسوله فهلك في نهاية الأمر بعدم الإنفاق .

إذا أراد المسلمون ثروة يمكن أن نطلق عليها ثروة إسلامية فعليهم أن يُحكموا إيمانهم في كل حركة أو خطوة يخطونها للحصول على الثراء إذ عليهم أن يعتبروا الإنفاق تواماً لثرواتهم وممتلكاتهم وبشكل يتناسب مع هذه الثروة ولا

نقول لهم باتفاق « ١٠٠٠ » دينار مقابل استفادة أو ربح ساقه الله اليهم مقداره « ١٠٠ » دينار ؛ ان هذا الفعل لا يمكن ان يطلق عليه إنفاق بل تهور وعدم تقدير .

قارون أهلك ثروته :

هل إن السعادة في امتلاك الأموال ؟ وهل ان اليهود كانوا سعداء على الرغم من أنهم ملوك الدنيا ؟ لقد قال عز من قائل في محكم كتابه : « فخرج على قومه في زيته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إله لذو حظ عظيم » ^(٤) .

إنهم لا يعلمون أن المال قاتل للقلوب و خانق للإيمان ، فالحياة الدنيا مكابدة و تعب و تشمل حتى الأثرياء بل ان الأثرياء اكثرا من غيرهم يعانون من المنفقات والإزعاجات حيث كلما ازدادت اموالهم ازدادت ازعاجاتهم و عدم ارتياحهم ؛ و خلاصة الأمر ان الحياة الهاشمة هي التي يعيشها الفقراء والمحرومون و ان الأثرياء والأغنياء يعيشون حالة التخوف من فلتان حالة الغنى والثروة من ايديهم و يضربون احتمالاً باسداس من اجل زيادة رؤوس اموالهم في المعمل الفلانى او يتملقون للسائل والوضيع لكي يتغافل عنهم او يتسامهم عند وقت جباهة الضرائب ؛ لقد تمنى الفقراء في يوم من الأيام ما اوتي قارون ولكن بعدما خسف الله به و بداره قالوا : « وأصبح الذين تمنوا مکانه بالأمس يقولون ويكان الله يسطر الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا و يكانه لا يفلح الكافرون » ^(٥) .

استعداد الخليفة لأن يكون منظفاً للملابس :

رأى الخليفة الأموي من بعيد وهو يجلس على عرش السلطة رأى شخصاً

(٣) سورة القصص ، الآية : ٧٩ .

(٤) سورة القصص ، الآية : ٨٢ .

يغسل ملابساً له في غدير تحيط به الحضرة من جميع جوانبه وهو يتحدث
ويضحك بشكل ينمّ عن راحة بال واطمئنان فقال عبد الملك بن مروان الخليفة
الأموي : ليتني كنت كهذا الذي يضحك ويمزح ، إنه يعيش قانعاً بما يفعل
مستأنساً بما يقول ؟

إن ذلك اليوم الذي قال فيه عبد الملك بن مروان هذه العبارة كان آخر
يوم من أيام حياته بعدها ذهب إلى مصيره الذي يتظاهر .

على آية حال فالأغنياء والأثرياء والسلطان والحكام لا تخلو حياتهم من
الفكر المشوش والبال المشغول ، والأنكى من ذلك قساوة القلب التي جلبواها
على أنفسيهم من خلال جمعهم للأموال واكتنازهم للذهب والفضة : أنا لا أقول
أن وجود المال الوفير خطيئة والسعى وراءه جريمة بل يُشترط في ذلك أن يكون
العطاء والإنفاق مناسباً طردياً مع جمع المال والسعى وراءه .

إذا أردت أخي المسلم أن تتعذر قنطرة الموت إلى الطرف الآخر
بإيمان : عليك أن لا تجعل من ثروتك مهلكة لك .

نعم ، هذا فيما إذا كان الإنفاق والعطاء في سبيله وحده تبارك وتعالى
بعيداً عن الرياء وكسب الشهرة من قبيل نقش ذلك في الصحيفة اليومية أو توقع
إكالة المدعي والإطراء لأن هذه التوقعات وانتظار المدائع من هذا وذاك تزيد في
قساوة القلب فلا تُبقي عليه ، فإذا ما كان خيالك السارع يدفعك إلى اتفاق
محضر ورياء عظيم من أجل كسب القضية الغلانية فلا بارك الله لك في هذا
خيال ، وتيقن أنه خيال خاسر .

اقول قولي هذا لك مشروطاً وأنت تتحين الفرص للفرار من الشرط
امنية الثراء ، مهلكة للفقراء :

أيها الفقراء والمساكين ان التمني وصولاً إلى الثراء والغنى خطأ حقيقي ،
فجمع الأموال إلى درجة الثراء وما يتبعه من مشاكل على هذا الطريق يمكن أن

يصيبكم مثلما اصابَ من هم امثالكم من انجرار إلى قساوة القلب وحيثما وفي اوج القضية سوف تنتبهون إلى أنفسكم وعندما تقولون « يا ليتني كنت معكم فافوز معكم فوزاً عظيماً » عندما تمنون لو كنتُ مع الإمام الحسين (ع) في صحراء كربلاء فإذا ما قلت حقاً ونطقَ صدقَ فثوابك واجرك مثل اجر وثواب الذين استشهدوا مع الإمام (ع) وإذا ما قلت هنئنا لأولئك المثرين فهلاكك حتىي مثل هلاكهم الذي يتظارهم .

ان الأماني في الوصول إلى الثراء تقسي القلب كما تعرض لها الرسول والائمة الاطهار في مجمل احاديثهم المتواترة . وقساوة القلب تبعث على تجربة غصص الدنيا والتحسر وتشغل الفكر البشري عن التوجّه الكامل إلى نهج الله وشرعه الشريفة .

نار جهنم نتيجة للمعاصي :

قال علي بن الحسين (ع) « والله إن القبر لروضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار »

ان المتمعن بهذا الحديث الشريف يتأوه ويشتاق إلى تلك الرياض الرحمة ويتمسّى على الله ان لا يجعل من قبره حفرة من حفر النيران ، ولكن القاسية قلوبهم لا يهتمون لهكذا احاديث من كثرة الجري وراء تكديس الاموال متتصورين ان اعمالهم طابت وحُسْنَت باتفاق مختصر كان على أيامِ مضت متناسياً أن عليه ان يقوّي إيمانه ويصلح قلبه الذي علاه الصدأ .

أخي المسلم لو قدر لك ان يكون قبرك حفرة من حفر النار فهل تتوقع ان الإمام الحسين (ع) يأتي لزيارتك او يشفع لك عند الله ، كلا والف كلا ، فالمكان الذي غلّت منه رائحة الحرائق لا يمكن ان يكون فيه مكان لسيد جليل

(٦) بحار الانوار: ج ٧٨ ، ص ١٤٨ طبع مؤسسة الوفاء - بيروت .

كالحسين بن علي (ع) ، فقبرك تتكالب فيه الشعابين وتسابق لانتزاع لسانك والعقاب تنتشر في زوايا القبر تنتظر دورها في الحصول على سهم يديم لها الحياة وكل هذا الذي تراه هو محصلة لما عملت يداك فالغيبة والتهمة والغش وجمع الأموال من مصادر الشبه هو الذي جر إليك كل هذا البلاء .

ففي زمان موته كان ظالماً لفلان من الناس ، لقد أودع صدر فلان واشتعل فيه النار فليندق اليوم ناراً أشدّ ؛ ناراً لا تبقي ولا تذر .

وقد جاء في كثيير من الروايات انه يُزداد على سبات الظالم من سبات المظلوم ، هذا ناهيك عن العقارب والثعابين التي تنتظر الظالم ، اما بالنسبة للمظلوم فلا يضيع الله تبارك وتعالى له حقاً .

ينبغي للإنسان ان يتبعظ ويعتبر ويتناهى عما هو فيه من معاishi ويرجع إلى فطرته السلمية ، ألم يكن قد عاهد الله وشهاده على نفسه في بداية الأمر ؟ لذا يجب عليه الآن إدراك القضية بشكل عام حتى لا يقسوا قلبه فيهوي في نار جهنم وساءت مصيرا .

ان بعض الأشخاص يعطون أهمية خاصة للامور الاعتبارية كأن يقول مثلاً: أنا عالم ، او أنا إمام جماعة وغير ذلك من الأمور التي تؤدي به إلى الغرور ، وكلما رأى الإنسان من نفسه غروراً في هكذا قضايا كان عليه ان يتذكر قدرة الله عليه وعذابه الشديد لكي يتسى له الرجوع إلى الوضع الطبيعي فيتضاءل أمام عظمة القادر المقتدر ويعرف انه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، وقد حثت كثير من الأدعية على هكذا قضايا حيث نقرأ في أحد الأدعية « اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والإبانة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت » .

بسم الله الرحمن الرحيم

عدم اليأس من رحمة الله :

لقد طرح أحد المستمعين اثناء حديث عن الإيمان مسألة يأسه من كل شيء ؛ وكان حديث هذا الشخص المستمع عن اليأس راجعاً إلى سوء فهمه لاحاديث علاوة على وجود بعض المغرضين الذين يحاولون جهاد الإمكان تشویش أفكار السذج من الناس فمثلاً يتعرض لجزء من حديث فيقول لي : ألم تقل لا فائدة من ان يستغفر الإنسان الف مرة وهو مصر على الذنوب فاجبته بنعم لا فائدة من الإستغفار وانت تمارس المعصية ولكن الإنتماء عنها والندم ثم الاستغفار يقودك إلى النجاة مما أنت فيه ؟ فمتي كان هذا الحديث يبعث على اليأس ؟ فالحديث اجمالاً كان عن ترك المعاصي وحفظ اللسان وعدم التسليم لهوى النفس الأمارة بالسوء وعدم الجري ورارة جمع الأموال والشروعات ، لقد تطرقت إلى الإنفاق والعطاء في سبيل الله ولكن يبقى عليك أن تتحكم عقلك في هكذا قضايا ليتأتي لك الإيمان الحقيقي والخشوع الواقعي لله العلي القدير وبذلك تحظى بخير الدنيا وخير الآخرة .

المؤمن الحقيقي هو من يقول : اللهم اجعلني اشتاق إلى قربك في المستيقين ، فالشوق للقاء الله واليوم الآخر يسلك بالإنسان السلوك السوي على جادة الصواب .

قد يفهم البعض من قولي ادعُ الله صباحَ مسَاءً ، انه بهذا الدعاء سوف تنزل عليه اموالُ الدُّنيا والآخرة وان المالَ مرتبطُ بالإيمان فتراء يشن ويدعو الله لأن يضاعفَ امواله اضعافاً كثيرة فقول في دعائه الهي متى يصير الإيمان من نصيبي : ظناً منه أن الإيمان والمال واحد ، وهذا الذي يسرح في هكذا خيال لم يتذمّر في الآية التي تقول : «الم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم »^(١) علاوة على ان قلبه مع قلب إمام زمانه وعمله يتنافى مع قلبه ، فخلاصة القول لسانه يقول غير ما في قلبه ناهيك عن عدم تحكيم عقله في اعماله المنافية للشرع الإسلامي الحنيف ، ففكره مشغول بالمعاملات المادية وحواسه تتبع زيادة ما لديه من اموال وسوق إيمانه كسداد ، ومن كسد الإيمان يتجرّع الفحص .

لقد جاء في اصول الكافي بصدق هكذا اشخاص يقولون بالستهم ما يتنافى مع اعمالهم «المتصغر لذنبه المرتكب له كالمستهزيء بربه» . فالاستغفار الحقيقي يسبقه الندم الملائم .

التوسل يأتي بعد المعرفة والإيمان

لا اقول بعد التصاقك بالإمام الحسين (ع) ، فكلي امل في ان تكون حسيني ؟ أما كيف ؟ فالحسيني يتلزم منهج الإمام الحسين (ع) ويؤمن بما قام به من اجل دين الله وشرعيته الحقة ، والتوصل والتضرع بالله والله اولاً والتوسل بالنبي والإمام الحسين (ع) تقرباً لله الواحد الأحد ثانياً لأن النبي (ص) مفترض الطاعة وكذا الإمام الحسين (ع) باعتباره خليفة رسول الله (ص) ونور الهدى ، فالإمام الحسين سفيحة النجاة وكل من انته杰 نهجه ابتعد عما يُسيء إلى الإسلام وال المسلمين ، فشاربُ الخمر ولاعبُ القمار إمامٌ يزيد وليس الحسين (ع) والمرأة الذي يتظاهرُ بالحسن ويعمل بالباطل إمامٌ معاوية وليس عليًّا بن أبي

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٦ .

طالب (ع) فلا تدعى أنك من المحبين لعلي (ع) وأنت تعمل عملَ يزيد
ومعاوية .

يقال ان فلاناً من الناس مَدَ مائدةً للناس متسللاً بأبي الفضل العباس
آملاً فضاء حاجته وهو يعيث فساداً ولا يراعي الله حرمة ، أو يقال ان المرأة
الفلانية نذرت نذراً للإمام القلاني من أجل نيل حاجتها أو قضاء مسالتها
الفلانية ، وهي لا تلتزم بالحجاج ، هذا الذي عمله الرجل وانجزته المرأة لا
عبادة ولا إيمان ولا يصب في الطريق المؤدية إلى طاعة الله ولن يكون سبباً
لنجاتهم من عذاب يوم الآخرة .

عبد الأصنام ، والإإنفاق في طريق الإمام الحسين (ع) :

كثيرٌ من الناس من الهند يتعاملون مع مواكب الإمام الحسين (ع) بشكلٍ
يشيرُ على الدهشةِ فهم يخصصون في كل عام جزءاً من ارباحهم السنوية لإقامة
مراسم عاشوراء وفي الوقت نفسه وفي غير أيام عاشوراء يعبدون الأصنام
وينقربون إليها زلفى .

رحم الله السيد مجتب دندانساز الذي كان يقول: كنت في بومباي مدةً من
الزمن وفي كل سنة اشاهدُ الكثير من التجار الهنود من عبادة الأصنام يسهمون
في إقامة المراسم الحسينية بتخصيص سهم لا يأس به من ارباحهم فذاك الذي
يساهم بالسكر وهذا الذي يرسل الشاي وآخر يتبني جلب الرز وهكذا اغلبُ
التجار الهندوس ولأن الشيعة في الهند يرون ان الهندوس كفراً لذلك تراهم لا
يأكلون ولا يشربون مما صنعت أيدي الهندوس وعليه يوظف الهندوس عدداً من
الشيعة لتوزيع الطعام وما إلى ذلك على المواكب الحسينية قاتلين لهم اشركونا
معكم في ثواب المراسم لكي يشفع لنا الإمام الحسين (ع) يوم القيمة .

المعاملين مع الإمام من الدنيا :

أيها الاخوة الذين تتعاملون مع الحسين والعباس من أجل المنافع الدنيوية

عليكم أن تعلموا أن العمل الدؤوب الصالح والسير على نهج الأئمة الأطهار يتطلب همة عالية وسعيًا حثيثًا والتزاماً بما التزموا به لكي تفوزوا بشفاعتهم ، عليكم أن تتجنبوا التعامل الجاف وتبعدوا عن حب الدنيا وزيتها ، لقد عهdenاكم تذكرون في أدعيتكم خلاف ما تقومون به من أعمال لا تنتم إلا عن التصاق بالدنيا وبالماديات على الرغم من أنه ينبغي لكم الإنتهاء والإبعاد عن حبها والتفكير والتدبر بما بعد الموت من حساب فحب الأئمة الطاهرين يتنافى مع حب الدنيا وما فيها من زينة .

خادم مسجد علي (ع) وحب الدنيا:

ينقل لنا أبو الفتح شهاب الدين مظفر حكاية تقول: كنت الخليفة العباسى المكتفى بالله مع اثنين من وزرائه في عام ٥٣٥ للهجرة ذاهبين إلى مسجد الإمام علي (ع) وحينها كان الخليفة العباسى يرتدي زيًّا غير زيَّه لكي لا يتعرف إليه أحد وحين دخولنا المسجد تعرف الخادم إلى أحد الوزراء ، ففجأة بدأ الخادم بالسلام والتعظيم رغبة في الحصول على هدية أو جائزة ، ففجأ الوزير من ذلك وعرفه على الخليفة العباسى ؛ - وأسفاه لهكذا اشخاص يخلطون بين حب الدنيا وحب أمير المؤمنين (ع) - ؛ نرجع ثانية إلى الحكاية لنكملاها: عندما جاء هذا الخادم لىسلم على الخليفة العباسى أدار الخليفة له وجهه ولم يهتم له وقال لوزيره أسائل من هذا الخادم وقل له: لقد جئت قبلًا إلى هذا المسجد ورأيت وجهه قد ملأته غدة حرمت عليه حتى الطعام فكان يتناول طعامه بصعوبة بالغة ، فاسأله كيف تمكن من إزالة تلك الغدة ؟ ؛ فالفت الوزير إلى الخادم وقال له هكذا سألي الخليفة فما هو قولك ؟ فأجاب: لقد عيرني الناس وشمتوا بي لتلك الغدة فتالمت كثيراً ولم أنم ليلتي تلك حتى رأيت في ما يرى النائم أمير المؤمنين علي (ع) فشككت له حالي ، وشمنة الناس بي فقال لي: إنك من يريد العاجلة وانك من محبي الدنيا ، وإنك لا ترى إلا نفسك ، سوف يشفيك الله من ذلك ، وليس لك في الآخرة من ثواب على ما عانيت .

فمن أحب الدنيا وتعلق بها ، خرج الإيمان من قلبه وجرى وراء رغباته وشهواته ، فلَدُمُ الناس وشمائلهم أو اطراطهم ومديحهم لا يؤثر على من تعلق بالآخرة ولا يثير شجون من عرف الله واولياءه ، فلقد شمت المنافقون من قبل رسول الله (ص) وكذلك فعل الحكماء الجائزون بأمير المؤمنين علي (ع) ومن بعده من ولده وعتبه الطاهرين .

ميش التمار وذكر مناقب علي (ع) :

ينبغي لك أيها المسلم أن تكون مثل ميش التمار في حبه لعلي (ع) ، فمن أحب علياً وسأر على نهجه لن يشم ريح جهنم ، ميش التمار لم يتبرأ من علي ولو للحظة واحدة على الرغم من علمه بأن الإطراء على علي (ع) وذكر مناقبه قد يؤدي به إلى الموت المحتم .

فلقد استعرض هذا الصالح مناقب أمير المؤمنين (ع) على عهيد ابن زياد في المسجد وفي السوق وفي كل مكان مبيناً حقانية أمير المؤمنين (ع) وولده في استخلاف النبي (ص) حتى وصل الأمر بابن زياد لأن يقطع لسانه ويصلبه على جذع نخلة ، لم تكن له حاجة أو غرض دنيوي ، فلا تكن أيها المسلم من طلاب الدنيا تملق للحكام والمتسلطين الظلمة .

انا لا أقول لك اعرض عن الدنيا بكلك ولا اقول لك لا تطلب المال ، بل اقول بمعرفة الإمام (ع) ونهجه القويم وتتوسل به إلى الله لأن يقضي حوائجك ، توسل بالإمام الحسين (ع) إلى الله ليدفع عنك البلايا والاخطر ، ولا تكن مثل أولئك اليهود أو النصارى من يتولون بالإمام الحسين (ع) على أيام محرم الحرام من أجل قضاء حوائجهم ، ولا تكن من ي يريد العاجلة ينبغي لك أن تطلب الآخرة ، ان تطلب لقاء الله القادر المقتدر .

ان خادم مسجد علي (ع) الذي تعرضنا إلى ذكر حكاياته لم تكتمل بعد : لقد قال الخليفة العباسي له بعد ان سمع ان الإمام علي (ع) هو الذي ساهم في

رفع الغدة من وجده: ستعطيك ما تريده لأنَّ الأمير علي (ع) شفع لك عند الله ونجاك مما أنت فيه فاطلب ما تريده: فقال: عَيْنَ لِي مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ثَلَاثَةً مِنَاقِل ذَهْبٍ كُلُّ أَوْلَ شَهْرٍ.

ذهبوا به بعدَ مدة لإمضاء على ورقة كتب فيها « لخادم مسجد علي (ع) ثلاثة دنانير » فختم خلف الورقة وكتب إلى جنب اسم علي (ع): أمير المؤمنين وسيد المتقين صلوات الله وسلامه عليه وآل وآل جمعين - وكتب مثل ذلك في حق الخليفة العباسي : وعلى آية حال فالإطراء على الخليفة العباسي لم ينبع من قلبه ، ويعرف بذلك نفس الخليفة .

فتعال يا أخي المسلم إلى انتهاج نهج الإمام علي (ع) واخلع حب الدنيا من قلبك علّك تحظى بشفاعته سلام الله عليه **الخوف وعالم البرزخ :**

لقد جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه ان أحد خواص الإمام موسى بن جعفر (ع) قال : لقد حدثني الإمام بحديث عن الأهوال والمصائب في عالم البرزخ بحيث أخذ مني الخوف مأخذة حتى أصبحت لا اهتم لمصائب الدنيا ، لقد استعرض لي الإمام كيفية انتزال الميت إلى قبره بشكل يبعث على الرهبة والخوف من الأهوال التي يمكن أن تلحق بالإنسان في عالم البرزخ .

إذن ينبغي ان نتعظ ونعتبر ونُعِرِّض عن الدنيا وزيتها ، ومن لم يفعل ذلك فهو قسي القلب ، وينبغي للمؤمن « ونحن في شهر رمضان المبارك » ان يستفيد من اوقات السحر فيقوم الله خاشعاً ذليلاً يطلب الرحمة والغفران ويدعو الله برقة قلب ويقول « أبكي لخروج نفسي ، أبكي لظلمة قبري أبكي لضيق لحدني

(٢) مفاتيح الجنان المعرّب - للشيخ عباس القمي - دعاء أبي حمزة الثمالي ص ١٩٣ دار احياء التراث العربي - بيروت .

ابكي لسؤال منكر ونكير إباهي .

شبهة الأجرار في الهدایة والضلال :

يتحذى البعض من الآية الشرفية ﴿... يُضلَّلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣) حجّة للقول بأن الله تبارك وتعالى يُكره الناس على الهدایة أو على الضلال - والعياذ بالله - ، فالهدایة والضلال ممكّنة إذا شاء؛ ولكن يمكن الحل في ابعاد هذه الشبهة بما يلي :

الهدایة على قسمين : هدایة عامة وهدایة خاصة فعلى سبيل المثال : ي يريد أحدهم الوصول إلى منزل فلان ولا يعرف أين يسكن فلان ، إذن لا بد له من عنوانٍ كان يكون اسم الشارع واسم المنطقة ويحصل على العنوان كاملاً ولكنه وحين وصوله إلى المنطقة يسأل من أحد المارة أو من ساكني تلك المنطقة عن منزل فلان وكيفية الوصول إليه فيقول له الأخير تذهب من الشارع الفلاني لأنّه أقرب إليك وتدخل في الحارة الفلانية وهكذا حتى يصل إلى مراده وهذا ما يُمثل بالهدایة العامة ، أما مثل الهدایة الخاصة فهي أن يتكلّف الشخص بمرافقة السائل ويتلطّف عليه بالتشجيع والمواساة حتى يصل إلى ما يريد .

الهدایة العامة تشمل كل عاقل مكلّف :

ان الهدایة الإلهيّة العامة والتي تبيّن السبيل إلى الجنة أو إلى جهنّم تشمل جميع البشر ﴿إِنَّا هَدَيْنَاكُمْ سَبِيلًا إِمَّا شَاكِرُّاً وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٤) وتناتي هذه الهدایة يادرّاك العقل أولاً لها ومن ثم بمساعدة الأنبياء والرّسل ولذا فإن الحجّة الإلهيّة على جميع البشر متحقّقة إلا إذا كان الشخص ناقص العقل وبغير هذا فالعقل والفطرة وانضمام الوحي وهدایة الأنبياء هم حجّة باللغة على الإنسان؛ فالعقل يقول : هذا هو طريق السعادة ويقول إنّ الذي خلقك واحد أحد ويمثل ذلك

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٣ .

(٤) سورة الدهر ، الآية : ٣ .

يرشد الأنبياء الناس إلى « لا إله إلا الله » فالإنسان السوي هو ذلك الذي استجاب لنداء العقل الداخلي ونداء العقل الخارجي الذي يمثله الأنبياء وبذلك يتحقق الإيمان في النفس مضافاً إلى العمل الصالح الذي يتبعه وهناك عدة استثناءات في هذه القضية كأن يكون الشخص على سبيل المثال لم يسمع أبداً بدعة الأنبياء والرسل أو يكون فاقداً للعقل ، لأن الأنبياء سلام الله عليهم ومنهم خاتم الأنبياء (ص) جاؤا يقول الله الذي تبئه الآية الشريفة حين يقول الله عن نفسه : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ »^(٥) أو تلك الآية التي تقول : « فَمَنْ تَبَعَ هَدَائِي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ »^(٦) .

الهداية الخاصة تتعلق بميشة الله :

واما الهدایة الخاصة فإن الله سبحانه وتعالى يخص باعطائها اولياء الصالحين ، فمن كان راغباً بالهدایة الخاصة عليه أولاً أن يمرّ بمرحلة الهدایة العامة ونضرب هنا لكم مثلاً يتناول هذه المسألة بشكل أدق واعمق ، فالشخص الذي يمتلك عنوان بيت لزميل له يرrom زيارته يمتلك اسم المدينة واسم الشارع واسم المحلّة التي فيها زميله ومثل هذا كمثل المهدى بشكل عام أما إذا تطوع فرد لأن يسّر معه إلى هذا العنوان ويتلطّف عليه إذا ما اصابه تعب أو نصب باستئجار وسيلة توصله إلى ما يريد فان مثل هذا كمثل الهدایة الخاصة ، واما الشخص الذي لم يقبل منذ البداية الهدایة العامة فكيف يتّنى له الوصول إلى الهدایة الخاصة إنه لم يرض ابتداء سلوك طريق العبودية والوصول إلى الجنة ورضي بما هو عليه من وضع دنيوي عادي بعدهما عرّفوه بطريق الجنة والنار أو كذلك الذي يتّجح ويشيع بين الشباب ان لا وجود للجنة والنار وعليكم ان تستمروا أوقاتكم باقصى ما يمكن في الإستفادة من المللّات الدنيوية المحرمة

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١٥١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٣٨ .

هذا وذاك لن يشأ ريح الجنة إنهمَا لم يؤمنَا ابتدأه ولم يتعذّبَا مرحلة الهدایة
 العامة ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾^(٧) فالمهتدى يُعِينُه المولى على البلاء وينجيه
 من السقوط في الرذيلة ولا يجعل للشياطين عليه سبِيلًا ويزدهم هدى إلى
 هداهم ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادَهُمْ هَدَى ﴾^(٨) ، فالذى يهلك هو ذلك الذى لم
 يقبل الهدایة العامة بل وأدار لها ظهره سالكًا الطريق إلى جهنم ولم يُدرك أو أدرك
 وتغافل حتى يصلَ الأمْرُ به في نهاية المطاف إلى ساعة الموت وعندها يندمُ على
 افعاله واعماله وحيثها لا ينفع الندم ، اما السعيد فهو ذلك الذى قبلَ الهدایة
 العامة ورضيَ بها فوقَته اللہ تبارک وتعالى إلى أبعد من ذلك فزاده هدى إلى
 هداه .

(٧) سورة التغابن ، الآية : ١١ .

(٨) سورة محمد ، الآية : ١٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سكون القلب عطاء من الله :

﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ﴾^(١) .

إن السكينة عطاء الله الذي يتفضل بها على البشر ، وقد أردت أن أقول في أول الأمر ان مقام الإيمان الشامخ هو عطاء الله تبارك وتعالى ووظيفتنا هي الإستعداد لتقبّل الإيمان فالروح تصلح البدن ، والروح جسم الإيمان وهي عطاء الله ؛ مرة أخرى اعود إلى القرآن الكريم الذي يقول : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾^(٢) . عليك أن تبقي على روحك الأدبية ولا تنحرف بها وتجعل منها روحًا شيطانية أو روحًا بهيمية ، إنها الروح التي تتصف بصبغة الله فابق على صبغته تعالى ذكره فالروح تتفوق إلى الإيمان الذي يشتق إلى السكينة وروح الإيمان عطاء الله السامي ، ولنترُّ قليلاً ونرى إلى من نُعطي روح الإيمان ؟

(١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

إبحث عن الماء القليل وابق عطشاناً:

علينا أن نفهم في بداية الأمر أن الشيء لا يُعطى بالقوة ، فالاكراه خطأ فاحش وكفر ، لأنه لا فائد من استخدام القوة ، فالإيمان يعطى لطالبه صدقاً ولا يُعطى لمن اراده بالقوة ولا يدخل الإيمان قلب امرء بالاجبار؛ إننا نقرأ في بعض الأدعية « اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي »^(٣) هذا ما تقوله بلسانك أما قلبك وروحك فتروم شيئاً آخر فقد تكون الأمانة هي المال أو العجاه والدعاء الذي تدعوه به يتطرق إلى الإيمان .

إن طلب الإيمان يتناسب طردياً مع الجدية في الأمر والتدليل على صدق الطلب يتحقق من خلال السلوك الإنساني الرفيع فقيام الليل وصيام النهار وترك المعاصي وعدم انتهاك الحرمات كلها تبعث على الإيمان؛ فالحصول على الإيمان مثل أولئك الذين يعملون في التنظيمات الحركية سعياً وراء الآمال المادية ، فتراهم لا ينامون في اليوم الواحد إلا عدة ساعات ويتحملون الجوع والعطش والتعب والعناء من أجل تأمين الحياة التي يرجونها ، فطالب الإيمان يجب عليه ان يتحمل كل شيء في سبيل نيل الإيمان الذي يرتضيه المولى سبحانه وتعالى ، وقد يتولى الإنسان بائمة اهل البيت من اجل ان يتلطف العزيز القدير عليه بالإيمان وقد يختلط عليه الأمر فتداخل الطلبات المادية وال حاجات الدنيوية مع طلب الإيمان ، ولا نقول ان التوسل بآل بيته الرسول (ص) من اجل الحاجات المادية عمل غير حسن ، فقد يفضل الله تبارك وتعالى على الإنسان بقضاء حوائجه ببركة الإئمة الأطهار .

وعلى أية حال فإن الله سبحانه وتعالى يحب عبده التوسل والتضرع اليه ، لكي يبقى على إتصال دائم به فلا يبتعد إلى غيره من عباد الله وخلقه الذين لا

(٣) من دعاء أبي حمزة الشمالي في مفاتيح الجنان المعرف لعباس القمي ط دار احياء التراث العربي ص ١٩٨ .

يضررون ولا ينفعون إلا إذا شاء الله تبارك وتعالى .

وعندما يفهم الإنسان هذا المعنى يسكن ويهدأ ويتواصل هذا السكون والهدوء في القبر وفي عالم البرزخ .

مراسم العرس حاضرة للمؤمن في القبر :

لقد تواترت الروايات الكثيرة بصدق مسألة مراسيم العرس للمؤمن في قبره ، ومراسم العرس ومن ضمنها الحجرة التي يجتمع فيها العروسان هي مكان الراحة والإبعاد عن المزعجات والمنغصات وكما عبر القرآن الكريم عنها حيث قال تعالى فيه ﴿ فِرْوَحْ وَرِيحَانْ وَجَنَّةْ نَعِيمْ ﴾^(٤) ففي هذه الحالة يتسع القبر ليشمل رياضًا نضرة تمتد بالمؤمن إلى يوم الحساب ويقال ان رائحة العطور المستخدمة في عرس المؤمن على زمان البرزخ تشم من مسافة ٥٠٠ سنة ، فالإنسان الذي يكون هذا مكانه كان قبل ذلك قانعاً ساكناً راضياً برضاء الله تبارك وتعالى ، والويل كل الويل بذلك الذي كان قلقاً مضطرباً لا يقنع بشيء ولا يرضي برضاء الله تبارك وتعالى فقد كان يُجهد نفسه راكضاً لاهثاً وراء هذا وذاك يطلب منهم ويتناهى وجود الصمد الذي لا ينبغي لأحد ان يطلب من سواه وبعد الموت يأتي فرداً وحيداً لا أتباع ولا أنصار ﴿ وَلَقَدْ جَنَّتُمُونَا فَرَادِي كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوْلَ مَرَةٍ ﴾^(٥) فيسأل حينها عن اتباعه وأنصاره الذين تعب من الجري وراءهم لإنجاز أعماله ، ويُسأل عن أمواله وهل كانت فيها الفائدة أو هل يمكن ان تتجه من عذاب الواحد القهار ؟

إن الإسلام الظاهري جعل منه عبداً للمال ، فالمال الله والنماء قبله والدنيا جنته ، لقد عمي عن رؤية الحق فلم يعمل به بل اتخذ الباطل منهجاً له فسلك به إلى نار جهنم

(٤) سورة الواقعة ، الآية : ٨٩ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٩٤ .

اقلع السبب من جذوره :

إن الحياة الطيبة التي يمتنع بها المؤمن تتأتى من الإيمان الذي احتوى قلبه ، فالاطمئنان والسكينة كلُّها نتائج طيبة لإيمان الإنسان بالله الواحد الأحد ، وإذا ما قُدرَ ان لا يتمكن الإيمان من قلب أمرء فإنَّ المرء يضحي مضطرباً قلقاً يتأوهُ لأقلِّ البلاء واتفه المصائب حتى يصلَّ الأمر به في بعض الأحيان ان لا تعرف جفونه النوم ولا يطيب له مأكلٌ أو مشرب .

وظيفتنا نحن المسلمين ان نطلب الإيمان اينما كان ، فنبدأ بقلوبنا نفتشر فيها أولاً فإذا ما عرفنا انها خالية منه توسلنا إلى الله ودعوناه لأن يمنحكنا إيه «اللهم إني اسألك إيماناً تباشر به قلبي» .

استطلاع أحوال القلب من مستلزمات حياته :

جاء في اصول الكافي ان أحد رواة الأخبار نقل لنا حكاية عن سفيره إلى الحج مع الإمام الصادق (ع) حيث قال: « زاملنا أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) إلى الحج و كنت وايه على محمل واحد فنادني وطلب مني ان اقرأ القرآن ، فقرأت فبكى وقال: يا ابا عصامة . . . فإنه تأتي على القلب ساعات ليس فيه إيمان ولا كفر مثله كالخرقة البالية ، لقد وصف الإمام (ع) القلب بالخرقة البالية التي تتعزق بسرعة عند الاستعمال .

وقد عنى الإمام (ع) بتصويرة القلب كالخرقة البالية ان: يا أيها المؤمن الذي تتصور ان قلبك قويٌ وایمانك محكمٌ عليك الانتباه إلى ان القلب قد يكون كالخرقة البالية حين تراوده الوساوس الشيطانية ، لذا يشير الإمام إلى استطلاع القلب بين الفينة والأخرى وامتحانه بذكر الله الحاضر والناظر فإذا ما لاحظت منه خللاً في إيمانه اسع لان ترجعه إلى فطنته التي فطره الله عليها . وخلاصة حديثنا هذا هو: ان التكليف الأول ينضوي تحت عنوان طلب الإيمان ﴿والذين اهتدوا

زادهم هدى)^(٦) فالذى قرأته في القرآن او سمعته من الرجال المؤمنين خذ به واطلب الزيادة في الإيمان لأن الله العزيز القدير يزيدك هدى إلى هداك إذا ما رأى منك طلباً جدياً و حقيقياً وليس لقلقة لسان ، أما التكليف الثاني فينصو في تحت عنوان تنفيذ الواجبات الملقاة عليك كمسلم والتي جاءت واضحة في القرآن الكريم وأقرتها السنة النبوية الشريفة وصدقها روايات الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ليصحى قلبك ممتلئاً بنور الإيمان .

دعا أبو ذر من كنوز العرش :

اللهم صل على محمد وآل محمد ، اللهم إني أسألك الأمان والإيمان بك والصدق بنبيك والعاافية من جميع البلاء والشكر على العافية والغنى عن شر أبناء الناس برحمتك يا أرحم الراحمين .

إيمان أبو ذر ، واللحظات الأخيرة من عمره :

لتتعرف هنا على الإيمان الذي ذهب به أبو ذر من دنيا الفناء على الرغم من الأذى والبعد وضيق اليد التي عانى منها :

على الرغم من تلقي امواله جميماً بسبب التبعيد والنفي الذي أصدره الحاكم بحقه ظلماً وعدواناً لم يجد على أبي ذر الغفاري آثاراً تدلل على أنه حزين ، لقد كان وحيداً فريداً لا يرافقه إلا ابنته له ، ولكنه كان يمتلك قلباً قوياً مطمئناً مليئاً بالأمان والإيمان .

عندما اتبه أبو ذر الغفارى إلى أن الموت قد دنا منه تبسم وهو في اللحظات الأخيرة ، يجود بنفسه ، بكت ابنته لأن والذها يشد رحاله فطمئنها قائلاً: سيصل أبوك بعد لحظات إلى جوار حبيه ، ان فراق الرسول (ص) قد جرءه إلى حزن ما بعده حزن .

(٦) سورة محمد ، الآية : ١٧ .

قالت ابنته : أبي ووالدي من لي بعدك ؟ وما الذي افعله اذا رحلت عنك ؟ وكيف ادفن بدنك الظاهر في هذه الصحراء ؟ فأجابها : بنية ، للك الله ، فانت لن تبقي وحيدة بعدي ، الا يُسرك ان ارحل الى الحبيب محمد (ص) وهو الذي أخبرني بقدوم ثلاثة من الصالحين بعد موتي ليجعلوا من جسدي أمانة في أرض الله ؛ فلا تحزنني فإن الأصحاب في الطريق إلينا .

مات أبو ذر ، ووقفت ابنته على مفرق طرق القوافل القادمة من العراق ، وإذا بقاقة يقودها أحد المحسنين يسأل من ابنة أبي ذر عن أبيها وكان يدو عليه أنه عظيم الشأن شبيهاً بمالك الأشتر ، وما ان سمع ان جسداً ابي ذر الغفارى الصحابي الجليل بدون غسل ولا كفن سارع واصحابه إلى التسابق لغسله وتکفيفه ودفعه فلم تتحرك القافلة حتى اقاموا عليه مراسم العزاء .

لقد ذكرنا مراراً ان الإنسان الذي قبل الهدایة العامة ورضي لنفسه ان يكون عبداً مطيناً لله ، يؤيده الله بالطافه ويدخل الأمان والطمأنينة على قلبه وهذا ما اشار إليه القرآن الكريم في الآية الشريفة التي تقول : « نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا »^(٧) فالنفس المطمئنة الراضية بقضاء الله وقدره يهدىها الله تبارك وتعالى إلى طريق النجاة ، طريق السعادة ، طريق الجنة .

المرأة الامريكية المسلمة الوحيدة في مدينة امريكا :

قرأت قبل عدة سنوات في مجلة «نور العلم» خلاصة لحادثة عجيبة ومدهشة ، فالمدينة امريكية والكل نصارى ولكن العجيب في الامر ان احدى النساء كان اسمها مهاجر ، لقد اختارت لنفسها اسم لا يتسمى به غير المسلمين ، ان بعض المستشرقين الذين زاروا هذه المدينة الامريكية يقولون : سألنا هذه المرأة كيف تأتى لك ان يكون اسمك اسم ينتمي عنك مسلمة

(٧) سورة فصلت ، الآية : ٣١ .

فاجابت : لا ينكر الجميع على ذكائي الخارق منذ الطفولة ، حيث إنني لم امارس عملاً يُنقض الله تبارك وتعالى منذ نعومة أظفاري وقد سرت محاسنِ (الرأس واليدين والرجلين) فلم يبدُّ مِنِّي غيرُ قرصِ الوجه والكفين وقد تعلمتُ القرآن الكريم واعجبت بالآية التي تقول : « ولا يَدِينَ زَيْتَهُنَ إِلَّا لِبَعْلَهُنَ »^(٨) والحق أقول : لقد الهمني الله سبحانه وتعالى معنى ومضمون هذه الآية الشريفة قبل ان اقرأ القرآن ، فأنا المسلمة الوحيدة في مدتي هذه ؛ وانهياً تضييف هذه المرأة فتقول : رأيت فيما يرى النائم ان شخصاً جليلاً يأتي من الشرق حاملاً كتاباً يقول لي : هذا هو طريق السعادة وهذا هو سفينة التجاه - افقت من نومي وبدأت ابحث ما يقارب على الثلث سنوات عن اسم وشكل هذا الكتاب ، طرقت المكتبات الشرقية في امريكا فلم أفهم شيئاً يهديني إلى هذا الكتاب ، وفي يوم من الأيام رأيت أحد الهنود المسلمين فسأله عن ضالتي بعد ان استعرضت له ما رأيت في منامي ، فتبسم واخرج لي من حقيبته كتاباً كان نفس الكتاب الذي رأيته في المنام فسأله ما اسم الكتاب فأجاب : قرآن محمد (ص) وقال : هو هدية لك ، بعد ذلك حصلت على ترجمته الانجليزية من احدى المكتبات وبدأت اطالعه وأمعن النظر في حروفه وكلماته

فيا أيها المسلم ، يا من يروم هداية خاصة ، إذا ما اردت ذلك فالامر راجع إليك فانت الذي تُساهم في جلب الهدایة الخاصة صوبك .

اسع لأن يكون أولادك مؤمنين :

إن من الوظائف والتكاليف الواجبة على كل مسلم مؤمن أن يجاهد في سبيل أن يكون أهله وأولاده مؤمنين أيضاً ولا ينبغي له أن يترك الأمر على الغارب ويتناسى مثل هذا الواجب الإجتماعي العهم في بناء مجتمع يسوده الأمن والإيمان وبهذا الأمر يتمكن المؤمن من دفع النار عن نفسه وعن أهله وولده « يا

(٨) سورة النور ، الآية : ٣١ .

أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ^(٩) ، فالمؤمنُ الحقيقي بالله ويوم الجزاء يتکفل هكذا مهمة برحابة صدر ليحظى بخير الدنيا وخير الآخرة ، فالابناء الذين يتهمون النهج القويم أو يسرون على خطى آبائهم المؤمنين يثبّت الله تبارك وتعالى آباءهم مثلما يثبّت لهم جزاء عملهم الصالح ، وكل خير يفوز به الأبناء يكون الآباء شركاء لهم في هذا الخير ، أما الذي يتغافل أو يتهاون عن تربية الأهل والأولاد فليس له منهم في الدنيا إلا التعب والعناء وفي الآخرة حساب شديد .

عدم الإعتماد على الله ، وادعاء التمدن :

نقلت مجلة «مكتب اسلام» جملة عن كاتب إنكليزي معروف كان قد كتب مقالة في احدى المجالس البريطانية ؛ وخلاصتها : ان شباب القرن الذري والذهبي - القرن العشرين اذكى واعلم من شباب القرون التي سبقت .

وواقع الأمر هو ما قاله هذا الكاتب البريطاني من حيث الذكاء والمعلومات والفهم والإدراك إلا أن هدوء البال وراحة النفس مفقودة بين شباب الجيل الجديد على الرغم من وفرة وسائل الراحة والوسائل الترفيهية والآلات والأدوات المتطرفة ، إذن فما هو الذي يجري في قرتنا العشرين هذا ؟ فكل أسباب الراحة متوفّرة وفي القرون السالفة قليلة أو معدومة ؛ إن اليأس والإحساس بعدم وجود الأمان ، فما العمل إذن ؟ ان أمريكا التي تدعى انها مهد التمدن تتطرق في اعلامها إلى حدوث حالة انتشار في كل ^{٣٥} دقيقة ، فتصور حالة الضغط النفسي الذي يجبر الإنسان على التضحية بنفسه في سبيل لا شيء وتصور الظروف النفسية التي تُحيط بالشباب والتي تجعلهم يقدّمون على الانتحار ، فما هو السبب في ان يقتل الشاب نفسه ؟

ما هو السبب ؟ إن العقلاً يعرفون ان السبب في ذلك هو الضياع الذي

(٩) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

تعاني منه هذه الفترة الزمنية ، فالأمان مفقود والملجأ كذلك والاستناد إلى هذا أو ذاك حالة شائعة - وصراحة أقول ان الإيمان بالله مفقود ، انهم اعتمدوا اشخاصاً في حياتهم وكان كلّ أملهم فيهم وعندما يكتشفون انهم اعتمدوا اشخاصاً لا يستحقون منهم كلّ هذا الأمل وذاك الرجاء حينها تضطرّب انفسهم وتصلُّ إلى درجة يضيع معها التفكير أو بالأحرى ينحصر التفكير في نقطة ضحلة الا وهي الانتحار ولو قُدّر لهم أن يستندوا إلى الله الواحد الأحد الذي خلق كل شيء وهو خبير بعباده لكان الأمر غير ذلك : فالمؤمن يصبر ويعرف ان حكمة الله تُحتم عليه ان لا يكون ثرياً أو بالعكس أي ان لا يكون فقيراً انه يعلم ان الباري هو المدبر وهو الرزاق فلا ييأس من رحمته على عكس ذلك الذي لا يؤمن إلا بالشخصية الفلانية او المذهب الفلانى فهو لا يتحمل ولا يطيق ولا يصبر على البلايا التي يمكن ان يحملها إياه من يرجوه ويأمله .

لماذا لم تعرفني الخالق ؟

يقول هذا الكاتب البريطاني المشهور الذي اسلفنا ذكره :

زارني صديق لي في بيتي ، وقد كان مضطرباً وقلقاً جداً فسألته عن السبب ؟ فقال : لقد دار بيني وبين ابن لي حديث طويل استهله الموت بعده ؛ رأيت ابني يرمي بكتابه الجامعي بعيداً ويقول : لن اذهب بعد الآن إلى الجامعة ولن أحاول الدرس والبحث في هكذا جامعات ، وعندما أراد الذهاب صرخت به وقلت : ما الذي حدث ؟ وما الذي تقوله ؟ فأجابني : لا تتحدث معي قلت : لماذا ؟ فقال : إني اكرهك وعجبأ يسموك ، أباً فقلت : ما الذي ارددته مبني ولم تحصل عليه فكل وسائل الراحة عندك ، وائي شيء طلبته جتنك به !! فقال بهدوء : ذلك الذي كان يجب عليك ان تعمّله ، لم تقم به ولم تخط خطوة على طريقه ؛ فسألته : وما هذا العمل ؟ فقال : أين المروءة التي تدعّيها وانت لم تُعرفني الله على طول هذه المدة ليكون سندك وملجأي !! قالها وذهب .

ان الابناء سيفرون ويحاججون آباءهم يوم القيمة بهذه القضايا ، ان الآباء يتصورون انهم بشرائهم التلفزيون يخدمون الابناء ؟ ان بناتكم سيرحكم عليكم بالتهاون ويجربونكم إلى السؤال لماذا لم تعلمنا الدين ؟ لماذا لم تحاولوا ارشادنا إلى طريق النجاة ؟ لماذا لم تعرفونا الهدف من الحياة ؟ ولماذا لم تفهمونا ان هناك حياة آخراة فيها الحساب .

ان التهاون في تربية الابناء جريمة لا تغفر وغبن لحقوقهم ، علموهم كيف يعتمدون على الباري المصوّر ، علموهم كيف أن الحاجات لا تطلب إلا منه تعالى ، وإذا ما أراد إنسان ان يقوم بقضاء حوانجهم فبمشيئة الله تبارك وتعالى لأن الله هو المسبب وان البشر هم أسباب فقط .

هداية خاصة بفضل الإمام (ع) :

في حكاية عن السيد عبد الحميد رئيس مكتبة الحميدية في النجف الأشرف ، لقد كان خطيباً وقارئاً ؛ كتب يقول: كانت ملك ابنة الملا علي تسكن مدينة النجف الأشرف ، وفي ليلة ليلاء لزماها صداع شديد حتى لم يعينها فلم تعد ترى وعندما وصلني الخبر قلت في نفسي ان هذه الحالة لا علاج لها إلا ان تتوسل بالله وتتضرع إليه في مكان يحب الله ان يذكر فيه ، فاقتربت على ناقل الخبر ان يقول لها بالذهب إلى حرم أمير المؤمنين (ع) وتتضرع إلى الله تعالى في ذلك المكان الشريف عسى ان يخفف المها ، وبعد مرور ثلاثة ليالي خف الألم وتمكن من الركون إلى النوم الذي غادر عينيها ثلاثة ليالٍ خلت ، وبعدئذها ارجع الله تبارك وتعالى إليها البصر ببركة الإمام (ع) فإن الله أماكن يحب أن يذكر فيها .



القسم الثالث

«الصبر»

﴿ ام حببتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾^(١)

الإستعداد في الدنيا لإدراك درجات الآخرة :

إن عالم الحياة الدنيا هو عالم الجهاد ، جها النفس ، الجهاد الأكبر لأن أصل الخلقة البشرية هو ان يجاهد البشر في الحياة المادية لتهيئة النفس من خلال الصبر والمكافحة ليصل إلى العالم الأعلى والوطن الأصلي والحياة الأبدية الخالدة .

إن شرط الوصول إلى العالم العلوي هو الإستعداد واستحقاق الثواب ، فالإنسان الذي لم يتمكن من ان يكون مسالماً ومؤمناً لن يتأتى له الوصول إلى عالم الأمن والسلام ﴿ لهم دار السلام عند ربهم وهو ولائهم ﴾^(٢) .

تعبير آخر يعبر عنه أمير المؤمنين علي (ع) حيث يقول في نهج البلاغة ما

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٧ .

مضمنه « رحم الله مؤمناً عرف من اين والى اين وفي اين » .

لقد مضى العمر وانت لم تعرف من اين اتيت؟ والى اين تذهب وما هو الهدف من وجودك؟ فيا أيها الإنسان ان الحياة الدنيا حياة مادية فكن لطيفاً مسالماً لتلتحق بعالم اللطف والسلام ، لا تسرح بخيالك وتقول ان الجنة روضة حالها حال رياض الدنيا ، لأن الحقيقة غير ذلك ولا يمكن لفرد أن يدرك حقيقة الجنة والملك العظيم ولكن القرآن الكريم يحاكي الناس على قدر عقولهم فيشبه الجنة برياض أو حدائق أو بساتين غناء ولكن الذي اخفاه الله هو اكبر من ذلك « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من فرحة أعين جزاء بما كانوا يعملون » ^(٣) .

إن الإنسان بقالبه المادي لا يمكن ان يدرك ما صنع الله وما خلق من جنات تجري من تحتها الأنهار ، فيفيها ما لا عين رأت ، وقد عبر القرآن المجيد عن ذلك تقريراً للمعنى حيث قال تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيمًا وملكاً كبيراً » ^(٤) .

هذا غير الخدم والحشم من الملائكة والولدان المخلدين : « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقيب الدار » ^(٥) ، فالحور العين تجول وتسرح ولكن ليس كنساء عالم الطبيعة ، انهن لطاف بشكل ترني الماء يسري حين الشرب في رقابهن التي هي كالزجاج الرقيق الشفاف ، ولن يحظى الإنسان على هكذا أمر إلا بصبر ونصب إلا بجهاد طويل على جادة تحفها الأشواك والبلايا « ألم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » ^(٦) .

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٧ .

(٤) سورة الإنسان ، الآية : ٢٠ .

(٥) سورة الرعد ، الآية : ٢٣ - ٢٤ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية : ١٤٢ .

اما الذين نسوا الله وسعوا جاهدين وراء حب الدنيا والاهواء والشهوات فاولئك لن يشموا ريح الجنة ابداً ﴿ وياكلون كما تأكل الأنعام والنار مشوى لهم ﴾^(٧) ، نعم يأكلون ولا يشعرون ، يشربون ولا يرونون ، انهم يشركون مع الحيوانات في شهوة البطن وشهوة الفرج بل ويؤكدون على هذه الشهوات فقط فلا ترى منهم غير القساوة والغلظة ويشتركون كذلك مع الحيوانات بأنهم لا حياء لهم ، فهم يشاهدون المؤمنين يلقهم الحياة والخجل من عمل المنكرات ؛ ولا يتحرّك فيهم عرق لانتهاج نهج الله القويم في الترفع عن المعصية وعمل الذنوب .

فالذى يعمل طبقاً لرغباته وهواء يتشابه مع الحيوانات التي لا هم لها إلا الأكل والشرب أما الذي يمنع النفس الأمارة بالسوء عن كل ما ترید وترغب معتبراً ان الحياة الدنيا امتحان له وتحمیص بينه وبين ما دونه من المخلوقات الأخرى فهو حری بالحياة الأخرى وحق له ان يدخل الجنة آمناً راضياً . ﴿ ولیمَحَضَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٨) ﴿ لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ وَيَعْلَمَ الْخَيْثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(٩) .

قد يسرح الإنسان بخياله ويمرح ويحسب ان قول « لا إله إلا الله » كافياً ومجزياً لأن يدخل الجنة ، ويتصور أنه يمكن له ان يرافق سليمان وأبا ذر بدون أن يعني ويکايد ويجادل من أجل ذلك ؟ فالإستعداد الظاهري مرفوض ، والعمل الحقيقي هو الذي يمكن الإنسان من الوصول إلى الهدف السامي ﴿ أَحِبَّ النَّاسُ أَن يُرْكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنُوا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾^(١٠) أين أنت ايها المسلم من اولئك الذين صبروا على الأذى ، وعملوا على تأجيل رغباتهم واهوائهم ، انهم

(٧) سورة محمد (ص) ، الآية : ١٢ .

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ١٤١ .

(٩) سورة الأنفال ، الآية : ٣٧ .

(١٠) سورة العنكبوت ، الآية : ٢ .

اجتازوا الإمتحان الإلهي بمهارة فائقة ﴿ ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾^(١١) .

إن الحياة الدنيا اختبار للإنسان ، فقد تكون النتيجة ، إن يُحسب على الحيوانات ، وقد تكون أن يُحسب على البشر الذين وقفوا صامدين أمام الشهوات والرغبات فلم يسمحوا لأنفسهم بالإنجمار وراء الهوى والرذيلة ، بل ضرروا واحتسبوا الأجر والثواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل من ذكر أو انتهى .

أعْنَا عَلَى اجْتِيَازِ الْإِمْتِحَانِ

قد يمر الإنسان بظروف عصبية تزلق به عن جادة الصواب إلا إذا أعاذه الله على ذلك وسهل أمره في عبور الامتحان الصعب ، فقد ينجر الإنسان وعلى اثر مشكلة أو مصيبة شديدة إلى الإقدام على عمل الحرام ، وكلما كانت المصيبة كبيرة كلما كان الامتحان عسيراً ، فالصبر على الشدائدين وتذكر مصائب الآخرين قد يهون بعض الشيء عنه ويتراجع عن عمل المنكر .

اسْتِمْارُ الْمَبَاحَاتِ يَبْتَدِعُ بِكَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ :

ان الحياة الدنيا مكابدة وجihad ، فلا ينبغي للمؤمن ان يوطئ نفسه على راحة مطلقة ، فالراحة المطلقة هناك في الجنة ، في الوطن الأبدى ﴿ في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر ﴾^(١٢) .

نحن لا نقول بترك طيب الطعام المشروط بحلية ، بل على العكس فالمباحات قد تشغل الإنسان عن المحرمات ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق ﴾^(١٣) وفي آية أخرى يقول عز من قائل ﴿ يا أيها

(١١) سورة العنكبوت ، الآية : ٣ .

(١٢) سورة القمر ، الآية : ٥٥ .

(١٣) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

الرَّسُولُ كَلَّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحَاتٍ^(١٤) .

ان الله تبارك وتعالى اباح للإنسان استثمار النعم الطيبة والرزق الحلال ، ولكنه حرم عليه ان يستفني من هذه النعم بشكل مبتدل ووضيع ، فلقد احل الله الطعام وحرم الإسراف واحل البيع والشراء وحرم الربا ، واحل معاشرة الحليلة «الزوجة» وحرم النظر إلى الأجنبية ناهيك عن اللمس وما إلى ذلك مما يجر إلى تفتيت المجتمع البشري .

إن اكتشاف المذيع والتلفاز عملٌ راقي والاستفادة منهما مباح ، أما استثماره بشكل يبعث على الفساد وتخريب الفوس فهو بلا شك محظوظ ، ولا ينبغي للمسلم أن يستخدم التلفاز لأغراض خلاف المفهوم العامة وإن فعل فقد خسر الدنيا والآخرة .

مريم ويوسف حجج الله على عباده :

لَا عذَرَ لِلْإِنْسَانِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ تَمِيزٍ وَّحْسَنَ فَتَرَى
الْأَسْتَلَةَ تَهَالُّ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدِيبٍ وَصَوْبٍ أَنْ: لِمَاذَا لَمْ تَكُنْ مَانِعًا لِنَفِيْكَ عَمَّا
تَرِيدُ وَتَرْغُبُ

لقد جاء في بحاري الأنوار الجزء الثالث ان النساء في يوم القيمة يسألنَّ
عما عملنَّ من سوء في الحياة الدنيا فيعتذرلنَّ عن أنَّ الجمال الذي خُبِيَّ به هو
السبب الذي جعلهنَّ يستعرضنَّ محاسنَهنَّ لغير ما أحلَّ لهنَّ .

يقالُ ان مريم العذراء كانت جميلة ولكنها كانت تلتزم النهج الإلهي في
عدم استعراض محاسنها على الآخرين لقوة الدين والإيمان الذي تمكّن من
قليلها ونفسيها فجر علية لأن تصل إلى علبيين .

(١٤) سورة المؤمنون ، الآية : ٥١ .

أما بالنسبة للشباب فينبع لهم أن يذكروا يوسف (ع) وما عُرض عليه من عروضٍ تطرق إليها القرآن الكريم ولكنه امتنع وأبى إلا شرعة الله على الرغم من أنه كان جميلاً وفتياً ، ومن عرضت عليه هي الأخرى جميلة وفتية .

فصبر يوسف حجة بالغة على شباب هذا اليوم ، والتزام مريم العذراء حجة على فتيات ونساء عصرنا الحاضر ، فالصبر والجهاد يسمون بالإنسان إلى ارفع الدرجات حتى ليظن المرأة أنه أقرب إلى الملائكة منه إلى البشر .

ساعة الموت ، الشياطين والملائكة :

عالم الدنيا والطبيعة كما ذكرنا لك يتطلب مواجهة النفس ، فإذا لم تكن نوراً لن يسعفك الحظ من الوصول إلى السور ، وإن لم تكن مسالماً لن تشم رائحة دار السلام ، .

صدق أخي المسلم إن الإنسان على زمان الموت تحيط به الشياطين من كل جانب يتظرون نزوع روحه ليمضون به إلى جهنم وإن الملائكة كذلك تحيط به ينتظرونه ليمضون به إلى العالم الأعلى عند العرش العظيم « إن كتاب الأبرار لفي عليين »^(١٥) « وإن كتاب الفجّار لفي سجين »^(١٦) .

(١٥) سورة المطففين ، الآية : ١٨ .

(١٦) سورة المطففين ، الآية : ٧ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوْهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ^(١)

كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون :

لقد أشرنا في السابق إلى أنَّ الحياة المادية للإنسان على ظهر الكره الأرضية ما هي إلا مقدمة للحياة الأبدية بعد الموت ، فكيفية الحياة في دنيا المادة لها نتيجة ، وهذه النتيجة يمكن الحصول عليها بعد اجتياز قنطرة الموت التي تربط الحياة الدنيا بالحياة الآخرة فلو قدر للإنسان أنْ يحيا حياة حيوانية محضة فالنتيجة واضحة وهي عدم الالتحاق بالعالم الأعلى هذا فيما إذا كان التوجه ، كُلُّ التوجه للمسائل المادية الحقيرة والتعلق بالدنيا وزينتها إلى الحد الذي لا تكون فيه علاقة للنفس البشرية مع العالم الأعلى وحينها تُصبح النفس غير تواقة للعالم الأعلى وهنا تنتفي الحاجة لالحاقه بهذا العالم الذي لا يمكن أن يكون إلا من نصيب من له علاقة خاصة به واشتياط ورغبة في الملوء بالملكون الأعلى ، فالنفس البشرية الفاقدة للعلاقة يعبر عنها القرآن الكريم

(١) سورة الكهف ، الآية : ٧ .

بدقة فيقول تعالى في محكم كتابه : « لا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الجَنَّةَ حَتَّى يَلْجُجَ الْجَمْلُ فِي سَمْعِ الْخَيَاطِ »^(٢) فالإنسان الذي تعلق قلبه بهذه
الحياة الدنيا من مالٍ ومقامٍ فارقه الحياة من الباري تعالى اسمه فهو يجري مثل
الأطفال وراء الترقي الزائف ، إنك لو نظرت إلى الطفل لرأيته يتشابه مع هذا
 فهو في كل لحظة له شكلٌ معين ، مرة يلعبُ وآخرٍ يأكلُ يشدهُ اللعب وكذا
الأكل وإذا ما أصبح له من العمر ثلاثون أو اربعون وجدَ لعبَةً أكبر لعبَة الشهوة
ولعبَة الفساد الإجتماعي وقد لا تختص الشهوة بالفرج والبطن فحسب بل
تتعداها إلى شهوة الحديث ، فهو يتحدث حينما يقتضي الحال الصبر على
عدمه ، أن نفسه تفصلُ عن قلبه على حال العبور من مرحلة الطفولة إلى ما
بعدها من المراحل .

لماذا الشهوات ؟

لماذا خلقَ الله المرأة الجميلة ، وكذا الذيَّ الطعام ،
لماذا ؟ لماذا ؟ !!

والجواب هو ما جاء في سورة الكهف حيث بينَ الخالق ذلك في سورة
الكهف حيث قال : « إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوْهُمْ أَيْمَنُ
عَمَلًا »^(٣) . إن هذه الزينة التي تتحلى بها الأرض والشهوات التي تُحيط بها
هي وسيلة لامتحان وتمكيل الروح البشرية لكي يتبيّن فيما بعد أيهما يذهب
بصاحبه أهي الشهوات والزينة أم الجنة التي وَعَدَ الله بها عباده « لِنَبْلُوْهُمْ أَيْمَنُ
عَمَلًا » وقد ينجح الإنسان في هذا الإمتحان فيفوز بوعد الله وتبهر الحور
العينُ عقله وليس النساء اللاتِ احتوتهن الحياة الدنيا .

أيّهما يذهب بعقلك وقلبك ، جنة الله في العالم العلوي ؟ أم هوى النفس

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٧ .

الذى يجرك بعيداً عن وعد رب العالمين ، أهوا قرب الماديات ؟ أم هو قرب العالم العلوي الذى سيجرك إليه ؟

الغرض من حديثي هذا هو أن زخارف الدنيا وزينتها جعلها الله تبارك وتعالى لكي يمتحن البشر ويلوهم ليرى أى صبرون أم يجزعون وليس الغرض من ذلك أن يتضاغر الإنسان أمام الجمال والمال والمقام ويتعلق بعالم الحياة الدنيا ويتهاوى ادراكه إلى الأمور الجزئية التي تبتعد به عن عالم الحياة الآخرية ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطبيات من الرزق ﴾^(٤) ، فالتلذذ بالمباح لا إشكال فيه أو عليه ، ولكن التصاق القلب وتعلقه بحيث يعمى الإنسان فلا يرى إلا هذه اللذائذ فإنه من المشكلات التي تحرف بالإنسان إلى قساوة القلب والإبعاد عما يذكره بالأخرة وبالموت وب يوم الجزاء ، فالاشتياق والتعلق يتبعي أن يكون لله وفي الله ﴿ اللهم اجعلني اشتاق إلى قربك في المشتاقين وادنو منك دنو المخلصين ﴾^(٥) ، فيما أيتها المسلمة : اعمل بالمباح ولا تنس ذكر الله تبارك اسماؤه ، تلذذ بالطعام الشهي ولا تغفل عن الاشتياق إلى طعام الآخرة اجعل قلبك يتعلق دائمًا بعالم الأرواح ، عالم الغيب واخليع عنه حب الدنيا وزينتها ، عليك أن تتساوى عندك الجلسة على الحرير أو على الأرض ولكن مرتنا من حيث وجود الشيء أو عدمه وهذا لا يتأتى طبعاً إلا بإدراكه وفهمه لا يخلو من معرفة لحقارة هذا العالم وعظمة ذلك العالم .

الجزع نتيجة حتمية لعدم إدراك عظمة الآخرة :
﴿ وللآخرة أكابر درجات وأكابر تفضيلا ﴾^(٦) ؛ ما العمل إذا انتزعجت ،

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ٣٢ .

(٥) دعاء كميل في مقاييس الجنان المعرف - للشيخ عباس القمي - دار احياء التراث العربي ص ٦٧ .

(٦) سورة الإسراء ، الآية : ٢١ .

تتجزئ الغصص الدنيوية وتشتاق إلى العيش فترة أطول ولديك الأموال ، لقد وصل بك الأمر إلى الإنزواء فلا حديث ولا بسمة ، أقل الأمور تخرجك عن طورك فلا صبر ولا تحمل ولا طاقة تحتوي الصبر لأنك لم تفهم ولم تدرك عظمة العالم العلوي ، ولو قدر لك أن يكون العالم الذي على مذ بصرك مليئاً بالخردل واقتضى الأمر أن تعد حبات الخردل هذه حبة حبة وقضيت ملايين السنين في العدد فان ما قضيت من العمر علاوة على ملايين حبات الخردل لا يمكن ان يقاس بأذلية الحياة بعد الموت ؟ كم من السنين يمكن العيش في هذه الدنيا ؟ فإن قلت 1000 عام فبعد الموت ، فالحياة التي تطول 1000 عام لا تناسب مع الحياة الأزلية وان نسبة الخردل الى الفضاء الذي لا نهاية له إذن ، لا ينبغي للإنسان ان يتعلق بحياة لا تتعدي المائة عام ويترك حياة أبدية دائمة .

لا قيمة لدارِ والمر 7000 عام :

عند عبورنبي من الأنبياء احدى المدن رأى عابداً تحت الشمس مشغولاً بالعبادة فجلس إليه وسأله: كم لك من السنين وانت هنا ؟ فأجاب: ما يقارب المائة عام ؛ فقال له: لماذا تفترش الأرض وتلتحف السماء اما كان حرّي بك ان تتخذ لنفسك بيته يظللك يحفظك من حر الصيف وقر الشتاء .

قال: على اوائل عمري وصل لي خبرٌ من أحد الأنبياء بأنني لن اعيش اكثراً من 7000 سنة ، وعند مراجعة حساباتي تبين لي ان لا قيمة لإقامة دار مع عمر يطول 7000 سنة حينها تبسم النبي وقال: ان البشر في آخر الزمان يستعملون الحديد والحجر في بناء بيوتهم على الرغم انهم لا يعيشون اكثراً من 1000 سنة ، فقال العابد مقاطعاً: لو قدر لي ان اعيش في آخر الزمان لأنهيت المائة عام بسجدة واحدة .

وفي الواقع ان 7000 عام كثير في حساباتك هذه الحسابات هي

حسابات الحياة المادية حياة الذرة ولا يمكن ان تُقاس الحياة المتناهية بالحياة اللا متناهية ، إذن بعد الموت توجّد حياة تتذكر لا نهاية لها ولا آخر ، « خالدين فيها أبداً »^(٧) انها تتجاوز حساباتك التي لا تتعدي الف ومائة الف ومائة مليون سنة .

ما دمت اخي المسلم تحيا على هذه الكرة الأرضية ، لا ينبغي لك ان يكون ادراakk ضحلاً ووضيعاً ، تجزع بسرعة وتفرج لانفه النتائج الإيجابية « وما هذه الحياة الدنيا إلا لعب »^(٨) ، عليك ان تدرك أنّها المسلم ان الحياة المادية متناهية لا محالة .

يقول الرسول الاعظم (ص) : « .. ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة ما سقى فيها كافرا شربة ماء »^(٩) ؛ تأتي بعض الاحيان ترى الإنسان ينفعل ويرعد ويزيد من أجل لا شيء ، إنك تعرف أصل الحياة الدنيا ، فالبقاء فيها محدود ومحكوم عليه بالموت فلهم هذه الضجة التي تثيرها هنا وهناك ، وما هي الضجة وما قيمتها تلك التي تثيرها الآخرون حولك ؟ إصبر فإن الصبر يجعل منك إنساناً ساماً راقياً لذا عليك اجتناب ممارسة المعااصي لأنك لو أبْحَثْت لنفسك ذلك لتباعدت عن رضا الله ولتصاغرْت ولقسى قلبك .

لا ينبغي للمسلم أن يضطرب قلبه في المصائب :

لا يستلزم ان يضطرب القلب تبعاً لإضطراب النفس ، فما اصاب النفس لا يجدر أن يؤثر على القلب وإذا كان الأمر تاثراً بالتأثير فان القلب في خطر ،

(٧) سورة النساء ، الآية : ١٢٢ .

(٨) سورة العنكبوت ، الآية : ٩٤ .

(٩) سفينة البحار ، الشيخ عباس القمي دار المرتضى - بيروت - ج ١ ص ٤٦٥ .

لذا ينبغي السيطرة على هكذا أمور لأنّ في اضطراب القلب اضطراباً للإيمان الساكن فيه ، وإذا ما تهاوى الإيمان واضمحلّ ولم تفهم بذلك فالحقيقة كبرى كمثل الذي سُرقت أمواله وهو لا يعرف وعند المعرفة تضطرب النفس فتؤثر على القلب ، ولكن حقيقة الأمر وجوهها تكمن فيما لو أنّ النفس اضطربت ولكن لم تسمح لها ان تتأثر على القلب ، أو اكثراً من ذلك وهو عدم اعطائك أهمية تذكر للبلية التي اصابتك أو المصيبة التي لحقت بك فإنك حينها تكبر وترقى نتيجة ترافقك عن الاهتمام بهكذا تواقه أو بزينة الحياة الدنيا وعندها لن تتأثر النفس ولا القلب ولا الإيمان الساكن في القلب .

الشيخ الانصاري والثرید :

عندما دعا أحد تلاميذ الشيخ مرتضى الانصاري استاذه إلى وليمة في داره وكان قد هيأ لهاذا الأمر ثريداً ومرقاً ، وحين صبه للمرق على الثريد سقط إباء المرق من يديه على الأرض فاغتمّ لذلك ، ولكن الشيخ الانصاري - رحمة الله عليه - سارع إلى تخلية إباء ثانٍ من المرق وصبه على الثريد قائلاً: أتنا اردنا ان نخلط بين الثريد والمرق للأكل والتشيع ولا ثريد ان تتأثر او تغتم وانها مسألة طبيعية جداً ، وبهذه العبارات استطاع الشيخ الانصاري أن يبعد الهم والغم وان يعيّد تلميذه إلى وضعه الطبيعي غير المضطرب .

فعلاج النفس التي تروم الإضطراب ، علينا ان نصبر ولا نجعل للجزع علينا من سبيل ، وخلاصة القول علينا أن لا نجعل القلب الحاوي للإيمان يتاثر بتأثير النفس فتقطع حيال الوصول بالآخرة ، فالوطن الأصلي هناك بعد الموت ، والجزع على مال الدنيا الفانية لا يؤدي بنا إلا إلى مصيبيين أو لاما: ذهاب المال ، أو حدوث البلية أو المصيبة وثانيهما: نفس الجزع هو مصيبة فلا يأس ان تكون المصيبة واحدة وهو ذهاب المال أو أي بلية قد تصيبنا ، اما الجزع فلتتركه جانباً ونرضي بقضاء الله وقدره ونصبر على ذلك للحصول على أجر

وثواب الصابرين .

﴿ وبشر الصابرين . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لـه و إنا إلـه

راجعون ﴾^(١٠)

(١٠) سورة البقرة ، الآية : ١٥٥ - ١٥٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

صبر

قال الإمام الباقر (ع) : من صبر واسترجعَ وحمدَ الله عند المصيبةِ فقد رضي بما صنعَ الله ، ووقعَ أجرُه على الله ، ومن لم يفعلَ ذلك جرى عليه القضاءُ وهو ذميمٌ وأحبطَ الله أجرَه ^(١) .

بالادراك العجزي تدرك اللذة الكلية :

إن المراتب والمقامات التي ينالها الإنسان في عالم الطبيعة هذه والتي تعتبر بمثابة مقدمة للحياة الآتية هي نتيجة حتمية لصبره ، وكلما زاد في مقدار الصبر كانت النتيجة أفضل وأحسن ، فالإنسان الذي يتصور أو يظن أنه يشم ريح الجنة بدون صبر ، مخطيء ، فالقرب والدرجات السامية التي وعد الله بها عباده يستحيل نيلها بدون الصبر .

في رواية عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ذكر أن رسول الله (ص) كان يقول : «ان الجنة حُفت بالمكاره ، وان النار حفت بالشهوات » ^(٢) .

(١) بحار الأنوار - للشيخ المجلسي . طبعة مؤسسة الوفاء - بيروت ج ٧١ ص ٩٦ .

(٢) المعجم المفهرس للفاظ نهج البلاغة - مؤسسة النشر الإسلامي - الخطبة ١٧٦ - ٢ ص ٦٠ - ٦١ .

فالحديث عن الصبر حديث ذو شجون ، واذا لم يتأت للإنسان ان يتسلح بالصبر لن يمكن من بلوغ المقامات الرفيعة التي كثيراً ما تطرق القرآن الكريم إليها ، وهذا التهيز هو التسامي عن عالم الحيوانية والقفز عليه إلى عالم الإنسانية المترفع عن عبادة الشهوات والأموال والنساء ، وتجاوز عالم الدنيا الدينية بالأدراك والفهم سيراً على جادة الصواب لبلوغ العالم العلوي الذي لا يُتأت إلّا بالصبر على المكاره .

لا ينبغي للمسلم ان يتضاعفَ أمام المغريات ويبقى عند الحدود الحيوانية كمثل الطفل الذي سُلِّبت منه لعنة لو أكله فتراه يجزع ويفرغ لعدم وجود الصبر فهو صغيرٌ بعمره ويعقله ، أما إذا تجاوزَ الإنسان بسن الأربعين وهو لا يزال على هذه الحالة فهو لم يكبر بعد إنما الذي كُبِّر عمره وليس عقله وادراكه على الرغم من أنَّ المفروض عليه ان يتعدى حدود الطفولة ويترفع عن كلِّ الأمور الدينية الزائلة لا محالة .

لا تعدل الدنيا جناح بعوضة :

أيها المسلمون : هل سمعتم حديثَ الرسولِ الاعظم (ص) الذي يقول : « . . . ولو كانت الدنيا تعدل عن الله جناح بعوضة ما سقى فيها كافراً شربة ماء »^(٣) .

ان الحياة الدنيا لا وزن لها يُذكر ولا قيمة إذا ما قيست بالعالم العلوي ، فالإنسان الذي يُدرك ما في الآخرة تصرُّف وتنضاءل في عينه الحياة الدنيا .

يقول أحد الشعراء ما معناه : إنَّ الدنيا وما تحتويه من زينة وتجملات لا قيمة لها عند الله في الوقت الذي تأسُّر قلبك بعض زيتها وتلهيك عن ذكر الله وذكر الآخرة والجنة ولكن عندما تقتنع أنت او يقتنع قلبك بأنَّ ما فيها زائل وان

(٣) سفينة البحار - الشيخ عباس القمي - دار المرتضى - بيروت ج ١ ص ٤٦٥ .

زيتها وهم حينها تتجه إلى حيث البقاء وحيث الحقيقة ، « فقلْ الْمُؤْمِنُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ » كما في الأثر عليك أخي المؤمن ان تصل إلى الحد الذي لو ذهب كل شيء في الدنيا من يدك ناهيك عن تكالب الأمور عليك ، إدراكك عدم وجود قيمة حقيقة للدنيا البدنية بل وأن الذي فيها من زخارف وتجملات هو امر موهوم ولا وزن له .

وقد قالت الروايات المتواترة بمعنى المذنبين الذهاب إلى جهنم بسرعة حين الحساب لشدة ما يتتباهم من خجل شديد وادراك لضحالة ما كانوا فيه في الحياة الدنيا من ترف موهوم وبقاء مزعوم : فالإنسان الذي لا يدرك القيمة الحقيقة للآخرة لا يمكن أن تكون الدنيا في نظره إلا عظيمة وقيمة ، فعلو شأنك يتأتي من إدراكك واكتبارك للحياة الآخرة « قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مَعْرُضُونَ » (٤)

إذا جزتُ الصراط . . .

في خبر على زمان ولاية سلمان المحمدي للمدائن ، يقال : ان منافقاً قال لسلمان : أيهما افضل لحيتك البيضاء أم ذيل الكلب ؟ فأجابه سلمان رضوان الله تعالى عليه بكل ببرود وبدون إثارة ضجة : لو قدر لي أن اجتاز الصراط يوم القيمة فان لحيتي افضل ، ولو هويت في النار ولم اكمل الإجتياز فذيل الكلب افضل .

لقد كان سلمان المحمدي إنساناً كيساً ، عاقلاً ، رزناً عرف كيف يحب هذا المنافق الوضيع ؛ لم تكن الدنيا عنده قيمة بل كان فكره وعقله وقلبه يبحث دائماً عن حكايات الآخرة والقيمة والصراط المستقيم ، انه يتغافل ويتناسى الدنيا البدنية بل ويراهما صغيرة وتابهة ؛ فالإنسان الكبير تكبر في عينيه الآخرة

(٤) سورة ص ، الآية : ٦٧ - ٦٨

والحقير تكبر في عينه الدنيا الفانية الثالثة .

إذا أردت أن تُصبح كبيراً عليك بالفارق من المقام الدنيوي الذي يحسبونه كبيراً واستفد من إدراكك وفهمك ، قوّه على طريق الوصول ، والتقوية هذه تتأتى من الصبر الذي بين كيفية أمير المؤمنين (ع) في خطبة همام حيث قال « ارادتهم الدنيا فلم يريدوها » .

أيها الشباب الأعزاء اصبروا ، فإذا ما أصبحتم من أهل الصبر فعلى زمان الشيخوخة يتربّع هذا الصبر ويزدي بكم إلى جواز الصراط سلاماً وأمان ، واما إذا كان العكس وتهورتم - لاسمع الله - فلن يكون هناك حتى رائحة الصبر على أيام الشيخوخة .

قاوم أيها الشاب المسلم واصمّد حين تطلبك الدنيا ولا تكن متهاوناً في هذا الأمر فالنفس تتربي وتنادب وتعلم ، والشهوات يمكن تأجيلها ليتسنى لك الفوز برضاء الله تبارك وتعالى : لا تكن من تستهويهم الشهوات وتأسرهم ، اكسر طوق الأسر هذا وكن من الأحرار وكما يعبر الأمير علي (ع) عن ذلك فيقول « وأسرتهم فقدوا أنفسهم منها » ^(٥) .

اغلال من الملوك والسلوك :

يقول ابن ميثم في شرحة لجملة « أسرتهم (الدنيا) فقدوا أنفسهم منها » تعبير عن الصورة الملكوتية واضفاء صفة الاغلال على تبعية النفس للقلب ودوران النفس حول القلب ويتطرق القرآن الكريم إلى هذا النطّ من الحديث فيقول : « إنا جعلنا في اعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمدون » ^(٦) .

(٥) المعجم لنهرين اولفاظ نهج البلاغة - مؤسسة النشر الإسلامي الخطبة ١٩٣ - ٨
ص ٧٢ .

(٦) سورة يس ، الآية : ٨ .

ان للهوى اسراراً وخفاياً لا يمكن ان تدرك بسهولة من مثل : البخل ، الكبر ، الحسد ، الحرص ، سوء الظن ، حب الدنيا ، طلب الراحة ، حب الذات ، العجب فالجري وراء كل واحدٍ أو كلٍ من هذه الأسرار أو الخفاياً غلٌ ، وفي النتيجة لا يفهم ولا يرى ولا يميز الإنسان في هذه الحالة الجري الحسن من السيء ، وبالتالي يتداعى الأمر إلى عدم الإدراك وبذلك يضحي اسيراً على الرغم من أنه ينبغي له أن يكون حرّاً ، حرّ النفس والهوى لا تحكم به وبقلبه الشهوات .

المؤمن حرّ عزيز :
كن حرّاً لتتحقق بالرجال الأحرار .

جاء في اصول الكافي عن رسول الله (ص) أنه قال : «ان الحر حر على جميع أحواله ، ان ثابتة ثابتة صبر لها ، وان تدافت عليه المصائب لم تكثره وان اسر وقهراً واستبدل باليسير عسراً»⁽⁷⁾ ، يقول الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز : «وَلَهُ الْعَزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»⁽⁸⁾ .

يجب على المؤمن ان يكون عزيزاً وحرّاً غير ذليل ، عزيز النفس والهوى ، ولكن البعض تراهم يتهاون من اجل حفنة دنانير لأنهم اذلاء لا يتسرى لهم السيطرة على انبיהם الستهم بطونهم ، او اعضائهم من اجل الفوز بشئون بخس ، اسرتهم الدنيا فهم لا يعرفون ما يدور في خارجها ، لكن المؤمن المتنقى حرّ نفسه وأدبها وصدها عن الانغمس في ما تشتهي وتُرِيد ، ولئلا عبرة في يوسف على نبينا وعليه السلام .

لقد كان يوسف حرّاً منذ البداية وحتى النهاية ، رموه في البئر فكان حرّاً ،

(7) سفينة البحار - الشيخ عباس القمي . دار المرتضى بيروت ج 2 ص 4 (باب الصبر) .

(8) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

وخرجَ منه وصارَ إلى حُكْمَةِ عَزِيزِ مصرِ وَكَانَ حَرَّاً أَيْضًا ، أَبِي أَنْ يَقْعُ في شَرِكِ زُلِيْخَا لَأَنَّهُ كَانَ حَرَّاً ، وَكَذَا كَانَ فِي سُجْنِ مصرِ - الْهَيْ نَجَّنَا مِنْ شَرِّ اَنْفُسِنَا وَلَا تَجْعَلْنَا نَرْكَنْ إِلَى الشَّهْوَاتِ ، اجْعَلْنَا مِنْ يَتَعَالَوْنَ عَلَى الْهَوَى ، هُوَيْ النَّفْسِ - ، عَجَباً لِهَذَا الشَّابِ الَّذِي كَانَ اسْمُهُ يُوسُفُ ، كَانَ جَمِيلًا وَفَتَيَا وَكَذَا الْمَرْأَةُ الَّتِي حَاوَلَتْ اِيْقَاعَهُ فِي حِبَائِلَهَا فَهِيَ جَمِيلَةٌ وَذَاتُ جَاهٍ وَمَقَامٍ فَلَوْ قُدِّرَ لِيُوسُفُ أَنْ يَوْافِقَ هَوَاهُ لَكَانَ نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الرَّئَاسَةُ وَالْمَالُ وَالْمَقَامُ ، لَقَدْ هَدَدَهُ زُلِيْخَا بِالسُّجْنِ إِنْ لَمْ يُطِعْ لَهَا أَمْرًا وَلَكِنَّهُ فَضَلَّ السُّجْنَ عَلَى دُعُونَهَا ، « قَالَ رَبِّيُّ السُّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي » ^(٩) .

يَقَالُ إِنْ يُوسُفَ (ع) كَانَ يَتَلَقَّنِي مِنَ الْعَذَابِ يَوْمِيًّا عَلَوْهُ عَلَى سُجْنِهِ مَائَةَ جَلْدَةٍ . « فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْتَمُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهِيدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا » ^(١٠) ، لَقَدْ كَانَ يُوسُفَ (ع) شَابًا سَامِيًّا رَفِيعَ الْمُسْتَوْى لَا يَتَأْثِرُ بِالْزِينَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهْوَاتِ الْمُتَهَيَّةِ إِنَّا نَحْنُ الَّذِينَ نَجَّرِي وَرَأَيْ الشَّهْوَاتِ جَارِيًّنَ عَلَى اَنْفُسِنَا الْذُلُّ وَالْهُوَاهُ لَا تَنَاهِي عَنِ الْمَالِ الْحَرَامِ وَلَا عَنِ النَّظَرَةِ الْحَرَامِ وَلَا عَنِ . . . ، عَلَيْنَا أَنْ نَصِيرَ وَنَجَاهِدَ هَذِهِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بِالسُّوءِ ، وَنَتَحَمَّلَ الْمُشَاقَّ وَالصَّعَابَ وَتَاجِيلَ الشَّهْوَاتِ لِكَيْ نُرْقَى وَلَوْ إِلَى درْجَةِ مِنَ الْدَرَجَاتِ الْكَثَارِ الَّتِي جَازَهَا يُوسُفَ (ع) .

إِذَا لَمْ يَذْقُ الْإِنْسَانُ مَرَارَةَ الصَّعَابِ لَنْ يَتَبَسَّرْ لَهُ الْحَصُولُ عَلَى الْكُنْزِ الشَّعْنَ .

فِي الْغَبَابِ وَالشَّهْوَاتِ لَنْ يَتَمَكَّنَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْفُوزِ بِنَصِيبِ يَسْرٍ » وَجَعَلَنَا مِنْهُمْ أَنْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا » ^(١١) ، إِنَّ الْكَمَالَ وَالسُّمُوَ وَالرُّفْعَةِ تَأْتِي مِنْ

(٩) سُورَةُ يُوسُفَ ، الآيَةُ : ٣٣ .

(١٠) سُورَةُ النَّاسِ ، الآيَةُ : ٦٩ .

(١١) سُورَةُ السُّجْدَةِ ، الآيَةُ : ٢٤ .

كثير صبر على هوى أو على شهوة ، فالحرية الحقيقة هي عدم الإرتباط بالرغبات والشهوات بل يمكن اعتبارها سلسلة تطوق الإنسان لتجعله من اسيراً لها ؛ فحرى بك أخي المؤمن ان تكسر هذه الأغلال وهذه السلسلة لتحرر من الأسرة لها ، وهي مقدمة طيبة للسمو والرفعة والنمو الفكري .

ملك الدنيا وذهابه اطار واحد لصوريتين :

يقول الرسول (ص) ما مضمونه : « أخوف ما أخاف على أمري ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتلون » .

هذا الحديث الشريف يشجع الإنسان العاقل على الإنفصال عن العلاقة بال المادة من خلال تربية النفس وتدريبها على التعلق بالأخرة وعدم إعطاء الدنيا وما فيها من ماديات أهمية تذكر بل ينبغي منح الحياة الآخرة أهمية بالغة لأنها هي الوطن الأصلي للإنسان ، فإذا ما تسامي الإنسان وترفع عن الماديات تقدم بخطوات واسعة نحو الحياة الآخرة ناهيك عن عدم الإغترام والتأسف على ما في هذه الدنيا الدنيا .

إن الإنسان ليكبر حينما تمت جذور تعلقه بالحياة الآخرة وتجف جذور تعلقه بالدنيا وزيتها ، فعندما يدرك الإنسان ويتيقن بنعم الآخرة وما فيها من الثواب والأجر الجزييل تهابي الحياة الدنيا بعيته وتُصبح عديمة الأهمية وعلى العكس من ذلك فالذي يتعمق بحب الدنيا تضحي الآخرة عنده غير مهمه ولا قيمة لها .

جاء في اصول الكافي حكاية عن خبر يقول : عند خروج امير المؤمنين علي (ع) من المسجد في يوم من الأيام وإذا بشخص يلتقيه وقد اخذ التعب والنصب منه كُل مأخذ ، حائرا ، مضطربا فسأله الإمام (ع) : ما الخبر يا اخا العرب فأجاب : مات ابي وامي واخي في حادثة ، وانا اخاف الموت تأثرا عليهم ؛ فقال له الإمام : اصبر فإنك لاحق بهم لا محالة ، او تظن أنك خالد ؟

أيها الشابُ المسلمُ : أقولُ لكَ أيضًا إنكَ ذاهبٌ من هنا فهذا المكانُ وما في زائلٍ ، وإذا ما صبرتَ واحتسبتَ فاجرُك على الله ، إن الله لا يضيئُ أجرَ من عملٍ عملاً صالحًا .

كثيرةٌ هي الأحاديثُ التي تتناولُ الصبرَ ، وقد جاء في كتابِ أصولِ الكافي ٢٥ حديثًا عن الصبر ، ناهيك عن باقي الكتبِ التي تتناولُ الصبرَ والصابرينِ .

كان ابن المفضل ممثلاً للإمام الصادق (ع) في الكوفة فمات : فبعث الإمام الصادق (ع) كتابَ تعزية إلى المفضل وقال لسماعة بن مهران إذا وصلت الكوفة فقل للمفضل أن ابني اسماعيل ماتَ أيضًا ، وقد عنى الإمام (ع) بذلك أن الدنيا عاريةٌ وفانيةٌ وان الله قادرٌ عباده بالموت فاصلبِ .

الشخص أو المال أحدهما يذهب قبل الآخر :

جاء في أصولِ الكافي أن سمعةً بن مهران أفلَّ بعدَ أن كان تاجرًا ثريًّا ، فجاء إلى مكة وكما هو عهده كلَّ عام ثم عرجَ على الإمام الصادق (ع) في المدينة فسأله الإمام (ع) : ما سببُ عدمِ مجىئك للعامِ الفاتح ؟ فاجابَ : بالبن رسول الله (ص) أن الدنيا أعرضتْ عنِي فذهبَتْ اموالي واصبحتْ مدیناً لهذا وذاك فقالَ له الإمام (ع) ان تصرِّفَ تُفْطِطِ وإنْ لا تصرِّفَ ينْفَذِ اللهُ مقاديره راضيًّا كنتَ أو كارهاً^(١٢) .

إن الهدفَ من هذا الحديث هو تذكيرُ نفسي وإياكم بالصبرِ علنا نحظى بسهم من صبرٍ يريده الله لنا ان شاء لكي نحفظَ قلوبنا سالمةً ونرتفع إلى مقام الصابرين الصالحين الذين سبقونا إلى الإيمان .

إن عظيمَ صبرِ هو ما صبرَ الإمام عليَّ (ع) حتى وصفَ صبرَه على حد

(١٢) سفينة البحار : الشيخ عباس القمي - دار المرتضى - بيروت ج ٢ ص ٥ .

قوله : « فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجاً »^(١٣) .

إن صبر الإمام علي (ع) كان فوق التصور فيده التي حملت السيف بخبير هي نفسها التي أطاحت بسيف عمر بن عبد العامري من أجل مرضاة الله ولكنك لو ترأه وقد اشعلوا النار في بيته وهو لا يحرّك ساكناً لعجبت لصبره ولشككت في قدرته ، كلا ، والفت كلاماً فهو الشجاع البطل فامانة تفرّ الرجال ولكن الأمر يختلف هنا إنّه الصبر والخوف على الإسلام .

(١٣) نهج البلاغة / ضبط نصه : الدكتور صبحي الصالح ص ٤٨ طبعة بيروت الصغيرة .

«**يقين**»

بسم الله الرحمن الرحيم

اليقين ، الركن الثاني للإيمان :

نرجع إلى حديث أمير المؤمنين علي (ع) الذي سبق وأن نظرنا له في الجزء الأول من كتاب الإيمان حيث يقول: إن الإيمان يرتكز على أربعة دعائم : الصبر ، اليقين ، العدل ، والجهاد وقد أسلينا في الحديث عن الصبر .

أما اليوم فنبحث في الدعامة الثانية وهي اليقين فالإيمان موقوف باليقين ، فعند عدم اليقين بوصول سيارة الأجرة إلى بيتك فلا إيمان يحصل بوصول ، فعدم اليقين بالعوالم الإلهية الغيبية التي تبعد الإنسان عن الإضطراب والتزلزل لا يمكن أن يتأتى الإيمان الذي يبعث على السكينة والهدوء .

ومن أجل معرفة اليقين ومراتبه وما يتعلّق به ومن ثم حصول اليقين ، وبعد ذلك زيادته ؛ فستجده ذلك تفصيلاً في هذا الكتاب شريطة أن تقرأ بقلب سليم وتنعم به ؛ وهنا نتطرق بشكل مختصر إلى معاني ومراتب وحصول اليقين من خلال إشارات بعض العلماء إلى ذلك .

اليقين هو الاعتقاد الجازم :

في البداية نذكر بعض اقوال العلماء بصدره اليقين فاليقين : هو الإعتقاد الثابت المطابق للواقع ، وعنى بثباته عدم ذهابه بين الفينة والأخرى ، فالبعض منكم يعتقد اعتقداً راسخاً بمكة على الرغم من عدم ذهابكم إليها ولكن المساعي الكثير عن مكة جرّكم إلى اليقين بها بشكل لا يمكن حرفكم عن هذا الإعتقاد حتى في أحلّ الظروف .

اليقين : واقع أو حقيقة نادرة ، فعندما يحصل اليقين بالله ، بالمعاد ، بحسب اليوم الآخر ، بالجنة والنار يستحيل تزلزل هذا الاعتقاد او التشكيك به ولذا كان من المفروض على الإنسان ان يصل الى مرحلة اليقين بالعقائد الحقة التي يستحيل معها الضياع والولوغ في جادة الشك وإذا ما اتفق ان رافق الشك بعض الإعتقاد فإن اليقين منذ البداية لم يتم لأن حصول اليقين لا يمكن صاحبه من التشكيك في عقيدة من العقائد ، وبعبارة أخرى يمكن اعتبار الشك في هكذا أمور شكأ عرضياً بل إن الإيمان بالعقيدة الفلانية بشكل إجمالي كان تقديرياً .

لقد اشار القرآن المجيد الى مراتب اليقين في بعض السور الشريفة فقد جاءت عبارات علم اليقين ، وعيّن اليقين وحق اليقين بشكل واضح وصريح ، اما اليقين التقليدي فشرحه من على منبر فلا فائدة منه بشكل عام ناهيك عن أن الذين يرثون معرفته قلة .

كفاية الظن الإطمئناني :

الشيء الموجود يكفيه ان نقول به منذ البداية - وغير معلوم وصولنا إليه في بداية الأمر ، ومرتبة اليقين تلك التي تعرض لها الشي الأنصاري (ره) في بحثه ظن الفتوى وهي :

مهما بدا من الأدلة الواضح في وجوبية تحصيل علم اليقين على

المكلف ، والسعى لإيصال نفسه إلى هذا العلم فالظنُّ الإطمئناني كافي ومجزي ، لأنَّ تحصيل علم اليقين مسألة عَسِيرَةٌ ومحرجَةٌ في نفسِ الوقتِ عندنا من الدلائل ما يشيرُ إلى أنَّ اليقين قليلٌ وعزيزٌ وأنَّه في المجتمع الإسلامي نادر ، بل إنه كالكبريت الأحمر ؛ لذا لا ينبغي استساغة الشك في مسائل القبر ، الجنة والنار ، العيزان والصراط بل المفروض أن يحصل الإطمئنان الكاملُ بها من خلال البحث أو التعلم من علماء الدين الأعلام والوثوق بهم إلى درجة يصلُّ إليها إلى اليقين - إن «الإذا» إذا دخلت على أنَّ الله كريم فاعلم أنَّ «الإذا» هذه كفرٌ والحاد ، عليك أن تطمئنْ بوجود شيءٍ قطعيٍّ من مثلِ القيامة والحساب والكتاب والصراط والعقاب وما إلى ذلك وإذا ما قام الناسُ خلافاً لما تقوله من اطمئنان بما ذكرنا ، فاصمُد على ما أنت عليه من اعتقاد بمقامِ علمِ اليقين ، وواقع الأمر ان مقام علم اليقين من المشكلات .

لكن الوصول إلى مقام الظنِّ الإطمئناني وبركة القرآن المجيد والموعظة والصبر ممكناً **»** هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين **«**^(١) والظنُّ الإطمئناني هو ظنُّ الخير بالقضية الفلانية وليس ظنَّ السوء ، فظنُّ الخير لا يتعريه الشكُّ أبداً .

يحتاج الظنُّ الإطمئناني دائمًا إلى حركةٍ ومتابعةٍ ، وكذلك يحتاج إلى دعاءٍ مثلما تدعوه دائمًا من أجل دنياك ومن أجل صلاح حاليك الدنيوي ، اطلب من الباري الإيمان وحدث نفسك بعدمية قيمة الحياة الدنيا فكلُّ شيءٍ مقدرٍ ومحسوبٍ ولا يمكن أن يتتجاوز الإنسانُ ما قدر له كثيراً كان أو قليلاً ، والويلُ والثبورُ لذلك الذي لا يقين له والفاقد للإيمان فاقد للإيمان وخسارة كبرى في الدنيا والآخرة ، فاحفظ إيمانك أخي المسلم ولا تجعله يتمايل مع الشكوك والريب وخصوصاً في أصول العقائد والمعارف الإلهية وكن دائم السعي لأن

(١) سورة الفتح ، الآية : ٤ .

تحصل على اعلى مراتب اليقين .

الفطنة من مستلزمات الایمان :

جميل هو كلام الإمام أمير المؤمنين علي (ع) وكم هو لطيف طريق الوصول إلى اليقين ؛ يقول الإمام (ع) « واليقين على اربع شعب : تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة وسنة الاولين » .

الفطنة من المستلزمات الضرورية للمؤمن ، فعند التعامل مع الآخرين ينبغي للفطن ان يستثير ذوي العقول ويبحث في الأمر هنا وهناك ومن ثم يُصمم على التعامل مع فلان أو فلان هذه تسمى فطنة : والفتنة ارقى مرتبة من الذكاء ، فإذا ما أعملت فطنتك في المعارف الإلهية والأمور الدينية فتصل في نهاية الأمر إلى اليقين .

اما الشقي او الأحمق فهو ذلك الذي لا يستفيد من ذكائه او فطنته في امور دينه ، لأن الشيطان تلبس في بدنه وعقله فهو لا يفهم غير لغة المادة والمعاملة القدرة الوضيعة والتحايل على الناس ما سُنحت له الفرصة انه لم يُحاول ان يُعد الشيطان او الأعمال الشيطانية عن نفسه . نفسه غلبه وطغت على قلبه فلم يعد يفهم غير اليقين بأعماله المخالفة لشريعة الله تبارك وتعالى .

بالدقة والعبرة تصل إلى اليقين :

ان الدقة من مستلزمات العمل بشكل عام وتأول الحكمة هي التدقيق في الحقائق التي يروم البشر الوصول إليها ، وعند العمل بدقة عليك ان تعتذر من تجارب الماضين إذا كنت تُريد ان لا تصطدم بعدم الفهم في امورك الدينية .

يقول عز من قائل في محكم كتابه « وكأين من آية في السموات

والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »^(٢) فالعاقل هو من يرى في كل شيء من حوله آية ويكتب العبر ، فتتعكس عليه متذكراً الله وجميل صنعه وقد يصل الإنسان إلى مرحلة ترى فيها أن جمیع الbeatitudes تسبح وتقول وحده لا شريك له ، وان الفطن هو من يرى في اوراق الاشجار الخضراء اوراق معرفة وان كل ورقة تدل على حکمة الباري جل اسمه ، فالتتعامل مع الدنيا يستلزم اليقظة وكم هي الآيات الإلهية التي نشاهدها كل يوم على الأرض ، فالمؤمن لا يمكن له ان يتغافل عنها بل يدرك أنها دلالات على وجود الخالق بينما الذي سلبت عقله الدنيا بزريتها لا يلتفت البتة إلى ما حوله من آيات كثيرة صنعها الباري لكي يعتبر الإنسان منها .

جمال الحاجين والعجبة

كم مرة تعرض نفسك على المرأة ؟ ان من المستحبات ان يرى الإنسان نفسه في المرأة قبل الخروج من داره فلقد كان الرسول (ص) في اغلب الاحيان يعرض نفسه على المرأة أو على الماء ليربّ حالي اذا قد يكون شيء لا يليق قد لا صدق وجهه الشريف من أجل حفظ ماء الوجه ومن أجل عدم التعرض إلى الإستهزاء من قبل الآخرين فالمؤمن له كرامة والاستهزاء به واهانته لا تنسجم وما حباه الباري من إيمان .

وقد يعتمد الإنسان في النظر إلى المرأة فيكثر في الأمر بشكل غير معقول ، ولكنك لو أمعنت النظر لمرة واحدة إلى القوسين الجميلين «ال الحاجين » وفكرت في وضعهما في هذا المكان بالذات لعرفت أنهما سدان يمنعان العرق النازل من الجبهة باتجاه العينين وان الحاجين الاسودين يساعدان العينين على كسر الضوء الساقط عليهمما مباشرة « فبارك الله أحسن الخالقين »^(٣) .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١٤ .

خلق الأهداب من عجائب الحلقة :

لو أمعنت النظر في ترتيب الأهداب لشاهدت هدبًا في الجهة العليا من العين والأخر في أسفلها حفظاً على العين من أن يدخل فيها جسم غريب .

ان وجود الجنين شيء عجيب وكذا الأهداب فهي لا تنطق مبشرة بل تأتي بينهما شعيرات (أي شعرة من الجهة العليا واخرى من الجهة السفلية وبينهما شعرة ثالثة قد تكون من الجنين العلوي أو قد تكون من الجنين السفلي مما يدل على قدرة الخالق في تزويج أهداب العين ؟ والمسألة الأخرى هي ان إتجاه الشعيرات يكون إلى خارج الجنين وليس إلى داخله وقد يُتلى البعض بدخول بعض شعيرات من الأجنفان إلى داخل العين فتؤدي حينها إلى الألم والتألم ، لذا ينبغي للإنسان أن يشكر الله على نعمة الأهداب التي تتجه باتجاه خارج العين ويشكر الباري على نعمة الأهداب التي نظمت بشكل يبعث على الدهشة حفظاً لسلامة العين .

حركة العين إلى الجهات الأربع ، نعمة إضافية :

ان احد صفات العين السليمة هو التحرك في الإتجاهات الأربع ، ولا يحتاج الإنسان لتحريك رأسه إلى هذه الجهات ، بل تعمل العين حركتها إليها بدون هذا التحريك ؛ والجدير بالذكر ان حركة العين نسبية وليس كثلاً ؛ فكم هو جميل صنع الله ودقيق ؛ وأما الحكمة من تحريك العين الى اربع جهات فلأن الرأس عظيم والعين تنبُّ عنه في الحركات النسبية .

قبل أعوام مضت كنت في دار على أثر دعوة ، وقد كان صاحب الدار يتلکأ في مسيره بشكل يبعث على الدهشة فسألته : ما السبب في مسيرك بهذا الشكل ؟ هل حدث أمر لرجلك جعلك تسير على غير ما هو مألف ؟ فأجابني : إن شريان الدم الموجود أسفل عيني جف منذ مدة مما اسهم في ايقاف حركة عيني إلى الأسفل لذا كان علي حين المشي او الجلوس إنزال رأسي أكثر من

المالوف لأرجي موضع قدمي .

تفكر أخي المسلم في حركة العين إلى الأسفل واعتبر ، فإنها نعمة عظيمة حبها الباري لعباده بصورة عامة ، ولا تذكر النعمة هذه ولا تتنكر للخالق الذي أنعم عليك ، قد يكون الإنكار من بعضهم تمرأ وقد يكون حماقة ، ولكنه في الوقت ذاته يُعمل فطنته في الأمور الدنيوية بشكل جيد ، ويتغابى في أمور آخره .

أيها الشاب المسلم : إن الفطنة ، ينفي أن تعمل بشكل جيد حتى يتسمى لك بلوغ مقام اليقين . ناهيك عن الإعتبار مما تشاهد وترى .

العبرة ، انتقال من موضوع إلى موضوع آخر :

العبرة ، بمعنى الإنتقال من موضوع إلى آخر والاستفادة من خبرات الموضوع الأول ؛ فإذا ما اعملت فطنتك وذكاءك في وضع الحياة الدنيا وتفكرت بما فيها من نعم كثيرة ووصلت إلى حد اليقين بربوبية الخالق تبارك وتعالى والإعتقاد بالحياة الأبدية بعد الموت لصررت إلى وضع لا يؤثر معه عليك إنسان فاقد لهذا الإعتقاد قيد أملة بل لا يُمكنه أن يحرفك من حالة اليقين إلى حالة الشك مطلقاً .

خلق الله الإنسان بحكمته البالغة من أجل سعادته ، وهي غير متوفرة في الحياة الدنيا لأنها ليست بالحياة الأصلية ، على عكس الإعتبار القائل بأصلية الحياة الآخرة وإنها الوطن الأصلي والسعادة الحقيقة .

ولو افترضنا عدم وجود القرآن وأحاديث الأنبياء فإن الفطرة والعقل يقولان بالوصول الحتمي إلى الموت وبالوصول أيضاً إلى العالم الابدي .

التعلق بالفاني خطأ فادح :

علينا أن نعتبر من الفناء والزوال ونعرف بحكم العقل أن التعلق بالحياة

الدنيا خطأً فادحً ، وعلامة الوصول إلى مقام اليقين هو عدم الالتصاق بالفاني .
ان الموت لا يحتاج إلى فهمه أو ادراكه بلوغ مرحلة اليقين فكل يوم
تسمع ان فلاناً قد مات وأن فلانة اصابتها سكتة قلبية ، إذن فالموت حتمية لا
يمكن تجاوزها ، فلِمَ أَذْنَ هَذَا التَّعْلُقُ بِدُنْيَا الْفَنَاءِ ؟ وانت على يقين بذهابك من
هنا إلى عالم آخر ؟

جاء في أصول الكافي « جعل الله الراحة في اليقين والرضا »؛ فمن أراد
الراحة فليطلب اليقين والرضا ، فاليقين والرضا يتبعان بالإنسان عن حُبِّ الدنيا
لاطمئنانِّهم بفنائهم والذهاب عنها .

حتى سليمان وجب عليه الموت :

يقول أمير المؤمنين علي (ع) « فلو أن أحداً يجده إلى البقاء سلماً أو لدفع
الموت سبيلاً لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سُخِّرَ له ملك الجن
والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة ، فلما استوفى طعمته واستكمل مدة رمته قسي
الفناء بنبال الموت »^(٤) .

للتبوة ملكان ، ملك ظاهري وملك معنوي ، والملك الظاهري للأنبياء لا
يُشَاهِدُهُ في كينونته ملك الإسكندر المقدوني أو غيره بل « سخر له ملك الجن
والإنس » وطائفة الجن لها من القدرة والقدرة أضعاف القدرة والقدرة التي يمتلكها
البشر ، فعشرة أنفار من الجن لهم من القدرة والقدرة ما يعادل قدرة وقحة الف نفر
من البشر أو أكثر ، ومثال على ذلك عفريت الجن الذي أخبر سليمان بقدراته
على جلب عرش بلقيس من مسافة « ٥٠٠ » عام قبل ان يقوم من مجلسه ،
مخلوقٌ لطيفٌ ومن البشر اسرع واقوى .

(٤) المعجم المفهرس للفاظ نهج البلاغة - مؤسسة النشر الإسلامي الخطبية - ١٨٢ - ١٨٤
ص ٦٣ .

سلیمان(ع) کان سلطانه علی جمیع الإنس والجن حيث کان له جیش
علی یمینه لمسافه ۲۵ فرسخاً وكذا علی شماله ، ولو أمرهم لنفذوا أمره علی^۱
الفور ومن جملة اعمالیم «اعمال الجن» جلب الصخور الجبلية الضخمة لوضعها
تحت القدور الراسيات العظيمة ليوضع فيها مئات الخراف والجمال من أجل
تهیئة الطعام لسلیمان وجندوه ، هذا ناهیک عن تسخیر الله للريح وتطویعها لنقل
بساط سلیمان من مكان لآخر حين يُرید ﴿ ولسلیمان الريح غدوها شهر
ورواحها شهر ﴾^(۵) .

يرتفع البساط سلیمان (ع) وینذهب به صباحاً من الشام الى المدائن
المتاخمة لبغداد وعند الظهر يتناول طعامه هناك ليرجع عصراً الى حوض
سباحته في فارس ، مسافة نصف شهر بنصف يوم .

لقد کان سلطان وملک سلیمان نموذجاً حقيقياً للقدرة والقوة والعظمة .

تعرّض امیر المؤمنین (ع) لملك سلیمان ووصفه بأنه کان ملکاً معنوياً ،
أي أنه عندما قدر له أن يموت عند انتهاء مدة حكمه کان من المقدّر له أيضاً أن
يأكل اللقمة الأخيرة ويشرب قطرة الأخيرة من الماء ليتهي وينذهبوا به إلى مثواه
الأخير .

ذکر الروایات الصحيحة ان سلیمان ورث أباه داود وهو في سن
الخامسة عشرة ومارس الملك (ع) عاماً وبنت له الجن قصراً شامخاً من المرايا
احتوى كل المدينة علواً ، فكلما أراد (ع) ان ينظر الى جيشه ويساطله طلع الى
اعلى القصر ليتقدّم اوضاع مدينته وجيشه ؛ وفي يوم من الأيام قال سلیمان (ع)
لهاشیته : لا أرید ان ارى اليوم أحداً يدخل عليّ ولا احب ان اسمع اليوم خبراً
لا احب سماعه وبعد هذا الأمر دخل سلیمان (ع) إلى قصره متکناً على عصاً

(۵) سورة سبا ، الآية : ۱۲ .

له ، وفجأة وعلى حين غرة دخل عليه شابٌ مسرعاً فاضطرب سليمان وتعجب
للأمر وقال له بعد ان اقترب منه . من أدخلك الدار ؟ قال: ربُ الدار ، فانتبه
سليمان إلى أنَّ الذي يخاطبه من الجنّ وقال له: من انت ؟ فأجابه : ملك
الموت : فامتنع سليمان لذلك .

ان هذا الموت يكرمه كلَ من يمشي على الغبراء
قال سليمان لملك الموت : حيث لزيارتني ألم لقبض روحِي فأجاب :
لقبض روحك ؛ فقال سليمان : امهلني كي ارتب الأمر بعدي واعين خليفي
فيما لي بناء في بيت المقدس ثم قبل أيام واريد ان انظمه ، ولي . . .
ولي . . . ، فقال عزرايل كلا ، . . . فلم يسمح له حتى بالجلوس أو
الاضطجاع بل قبض روحه وهو واقفٌ يستند إلى عصاه ؛ وبقي على حاله هذه
لعامٍ كامل ولم يقربه أحد خوفاً من عقوبته .

وعند اقتضاء الحكمة الالهية لكشف الأمر ، أمر موته بعث جلت قدرته
دابة الأرض تأكل عصاه فتخربها ليسقط الجسد الطاهر على الأرض « ما دلهم
على موته إلا دابة الأرض تأكل منه فلما خرَّ تبيَّنَ الجنُّ أنَّ لو كانوا يعلمون
الغيب ما لبوا في العذاب المهيمن »^(١) .

الزهاء (ص) تفرح لخبر موتها :

ذُكِرَتْ لَكُمْ فِي حَكَائِيَّةِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ : مَا إِنْ سَمِعَ سُلَيْمَانُ اسْمَ مَلِكَ الْمَوْتِ
حَتَّى اضطربَ ، وَأَنَّ لِشَخْصٍ عَدَمَ الْإِضْطَرَابِ حِينَ سَمَاعِ اسْمِ مَوْتِهِ ، وَقَدْ
ذُكِرَتْ لَنَا الرُّوَايَاتُ الْمُتَوَارَةُ إِنْسَانًا لَمْ يَدْعُ عَلَيْهِ الْإِضْطَرَابَ وَالْخُوفَ مِنْ مَوْتِهِ بَلْ
كَانَ فَرِحًا مُسْرُورًا ، إِنَّهَا تَلْكَ الَّتِي لَمْ يَتَجَوَّزْ عَمْرَهَا « ١٨٨ » رِبِيعًا ، إِنَّهَا الزَّهَاءُ
الْبَتُولُ عَزِيزَةُ الرَّسُولِ (ص) ؛ عَجَبًا لَهَا وَالْفُ عَجَبٌ ، إِنَّهَا الْيَقِينُ الْحَقُّ ،
بِالْمَوْتِ الْحَقُّ ، وَالْقَلْبُ الْمُطْمَئِنُ الرَّاضِي بِرَضَا اللَّهِ ، بَلْ إِنَّهَا الْبَشَرِي لِلْحَرْقِ

(١) سورة سبا ، الآية : ١٤ .

بختهم الأنبياء وسيد السفراء رسول رب العالمين محمد (ص) .

عندما كان الرسول الهايدي (ص) يوجد بوجه الطاهرة ، بكت الزهراء خوفاً من فراق العزيز الحبيب ، ولكن الرسول الأكرم (ص) ناداها فاقتربت منه حتى وضع فمه الشريف عند أذنها وقال لها شيئاً لم يسمعه من كان حاضراً ، بعد ذلك علت البسمة والسرور وجه البتول (ص) ؟ وحينها سالتها عائشة ما الذي قاله لك الرسول (ص) حتى ينقلب حزنك الشديد إلى فرح شديد ، فاجابت بالبشرة بعدم بقائها بعده كثيراً في دنيا الفناء وانها أول شخص تلتحق به من آل بيته سلام الله عليهم أجمعين .

وقد قيل عن لسان فاطمة بيت شعر لا يأس من ذكره هنا لفهم الانسان مظلومة أم أبيها الزهراء البتول :

صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَابِّ لَوْأَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْأَيَامِ صِرَنَ لِيَالِيَ
الْيَقِينِ بِالْتَّوْحِيدِ :

إن أقل ما يجب أن يصل إلى الإنسان في مقام اليقين هو الإطمئنان بـ « لا إله إلا الله ، محمد (ص) رسول الله ، وهو الرزاق والمدبر وهو الذي يُدير الخلق »؛ ويمكن اعتبار هذه المسألة من اصول الدين فلو قُدِّر للإنسان ان لا يطمئن إلى ان الله واحد احد او فرد صمد لبطلت كل اعماله وتزلزل وضعفه بشكل يوصله حتماً إلى نار الخلود - عليه ان يعرف ان الجزاء بيد الله وحده ، فهو الذي يعاقب وهو الذي يثبت « ولتجزى كل نفس بما كسبت »^(٧) ، ووصل الإنسان إلى اليقين من خلال أربعة طرق إنسانية وهي : الفطنة ، الحكمة ، والغيرة ، والإلتئمات والتدبّر في حال السالفين .

يقال : ان الحمار لو دخل من مكان ضيق يصعب عليه الخروج منه ، لـما أعادها ثانية ودخل من نفس المكان ، وهذا ما يسمى بالعبرة ، فلا يأس ان

(٧) سورة الجاثية ، الآية : ٣٢ .

يعتبر الشاب من موت شريكه الذي يعمل معه على الرغم إنه لم يكن به علة أو مرض ، فالكل يموت فربك قادر عباده بالموت .

خروج الإنسان من أسر الشهوات :

لو قدر لنا ان تكون معتبرين ومن أصحاب الحكمة فما الذي يجب ان نفعل ؟

بشكل عام ، ان الإنسان الذي يلهث وراء الأمال والشهوات وهوى النفس وحب الذات لن يتأتى له ان يصل إلى مرحلة الحكمة والفهم الروحاني ، فما دام طلب الراحة يسيطر عليه والشهوات تأسره لن يكون له الطريق سهلاً لبلوغ الفطنة ، الحكمة ، العبرة والانتباه والتي بمجموعها تشكل مقدمة اليقين .

ان العلف الذي يقدم للخرف ليس جبأ فيه وانما من أجل ان يزداد وزنه ويكبر ليكون حاضراً للذبح والاكل ولو فهم الخروف ذلك لما أكل العلف ولكن فهمه في مكان آخر ، فهمه محدود بالأكل فقط ولا يتجاوز ذلك ولا يرقى إلى غيره فالإنسان إذا تحدث فهمه فقط بالأكل والشرب والمسكن واللباس لكان حاله حال الخروف الذي لا يخرج فهمه عن دائرة الأكل ؛ فأنى لك ايها الإنسان فهم الحقائق ، ومتى تعتبر ؟ فالدنيا كلها عبر .

العنب اللذيد ، وخلق العن :

عندما تقع عين الإنسان على العن يتسرع الذهن إلى طعمه فتشتهي النفس مذاقه ولكنه يا ترى هل يتبادر ذهنه إلى خالق العن ؟

عندما ينشغل الفكر بالهوى وحب الذات وطلب الراحة يبتعد التفكير عن الخالق ، وخلاصة القول ان فكره سلك مسيراً واحداً وطرفاً واحداً وتعاقف عن المسير الآخر الذي يؤدي به إلى عظمة الخالق تبارك وتعالى ؛ ففي الشتاء ترى شجرة العنب جافة اوراقها صغيرة وحبات العنب التي تحملها حادة المذاق ولكن

بعد مضي ثلاثة أشهر يتغير الحال إلى حال آخر فالأوراق تكبر وتختصر وحبات العنب يحلو مذاقها وهكذا حتى تصير إلى وضع يستأنس الأكل والناظر بها ؛ إلهي أين كانت هذه الحلاوة ؟ أين كان هذا الطعم ؟

ومثل آخر النخلة ، وثرها الحلو الطيب المذاق ، أين كانت الحلاوة والطعم هذا ؟ وأما النواة فهي بمثابة المحور الذي تلتف حوله الثمرة .

ذكرت الروايات لنا كيف ان الرسول الأكرم - حين يقدم له التمر - يشم الشمر ويقبله وكذا بتراه يفعل لبنيه اصحابه إلى قدرة الباري تعالى ، وهكذا كان يفعل مع باقي نعم الله الأخرى .

هذا هو النور ، والأصل نار :

ان فطنة وحكمة وعبرة العاقل تلفت نظره قطرة ماء فيرجع بفكره إلى المنبع الأصلي ، فالذى يدرك الجمال المحدود عليه ان يرجع إلى أصل الجمال فالذى يرى رشحات جمالية في الحياة الدنيا ينبغي له ان يرجع بفكرة وعقله إلى المنبع الأصيل في عالم الجمال عالم الغيب .

كثيرة هي الروايات التي تتطرق إلى جمال حور العين وكيف لو أن احدى الحور العين ظهرت لأهل الدنيا لما تحملوا النظر إلى جمالها ولزمحت أرواحهم من الترق للحظيرة بها ، اما النساء في الحياة الدنيا المقدّر لهن انتهاج شرعة الله ورسوله فيحشرهن الله بجمال ارقى من جمال الحور العين .

في حكاية عن أحد الأجلاء أنه رأى في عالم الرؤيا امرأة من الحور العين تتلاًّا فسألها : من أين لك هذا التلال ؟ فقالت اضفاه على الدم المراق في الأسحاق خوفاً من الله تبارك وتعالى .

النساء الملزمات وعالم المحجة :

إن النساء الملزمات بدين الله وشرعه يحشرن الله كرامة لهن ازواجهن

معهمَّ وقد قال القرآن بذلك **والسَّنَّة النَّبُوَّة الشَّرِيفَة** ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِم﴾^(٨) ناهيك عن الأحاديث الكثيرة التي ذكرتها سفينة البحار في الجزء الثاني وعلى التحديد في الصفحة ٣٨٣ .

واما مسألة تعدد الزوجات فهي مسألة طبيعية في الآخرة ولا يوجد مجال او مكان للحقد والضغينة فالزوجة والحور العين يطلب احدهما الآخر وانسان بعضهما البعض ﴿وَنَزَّعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غُلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرِ مُتَقَابِلِين﴾^(٩) .

فالوحدة والمحبة التي تتجلى في الجنان لا يدركها العقل المحدود بل تدركها العقول التي تسامت ورقت وصارت إلى المقامات العلي ، فالمؤمن المدرك يفرج لمقام أخيه المؤمن الذي يرقى على مقامه في جنان الله ورياضه فأنت في الجنَّة وليس في دنيا الفناء ، نعم أن الحياة الآخرة هي امتداد للحياة الدنيا فالذى خلا قلبه من الحقد والحسد في الحياة الدنيا كذا يكون في الحياة الآخرة والعكس هو الصحيح .

بعد شهادة زوجها الأول في جبهة الحرب ضد الكفار تزوجت أم سلمة من رسول الله (ص) ، وحينها سالت الرسول الأكرم (ص) عن الحياة الآخرة وعما قد يحصل في الآخرة لها ولزوجها الأول وكان الرسول وقتها قد طرح مسألة التحاق الزوجة بزوجها فاجاب سلام الله عليه بما مضمونه « لها الخيار في ذلك » .

اما الاستغفار والدعاة للمؤمنين فحتى الملائكة الذين يسبحون بحمد الله يستغفرون لهم ، فالحب ، والسلام والأمن والأمان كلها مزايا من مزايا الآخرة

(٨) سورة غافر ، الآية : ٨ .

(٩) سورة الحجر ، الآية : ٤٧ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه القضية فقال عز من قائل : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا . . . »^(١٠)

لا تغرنكم زينة الحياة الدنيا :

ينبغي للمؤمن الحقيقي أن يكون فطناً حذراً من الواقع في مخالب الحياة الدنيا وزيتها ، فالعاقل هو من طلب الأصل وترفع عن الفروع فالآخرة أصل العالم والدنيا فرع من فروعه وانها دار امتحان واختبار اما الآخرة فهي دار القرار ، لا ينبغي لنا ان ننخدع بما لدينا من حقول ورياض ومزارع ، فشبر واحد في الجنة أفضل من آلاف الكيلومترات في هذه الدنيا لذا يجدر بنا ان نهيء مستلزمات البناء للوطن الأصلي مع عدم التلذذ في السعي الذي يمكن معه حفظ ماء الوجه في الحياة الدنيا فالقطن من عرف كيف يرتّب نفسه لحياة دائمة والاحمق من جرى وراء القشور والسفافس في دنيا الزوال ، ولا أقصد من الفطنة الشطارة في كيفية الحصول على الأموال والوصول إلى الشراء الفاحش فكل إنسان قدّر له رزقه ، فالطفل له رزق معين وكذا الشاب وهكذا الكل ، ولكن العاقل والقطن هو ذلك الذي عرف كيف يُنفق ما حصل عليه وعرف كيف يحصل على رزق لا تشوبه الشبهات « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها »^(١١) .

وقد بين لنا القرآن الكريم بصرامة هذا المعنى حين قال تعالى « وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثلكم تنتظرون »^(١٢) .

(١٠) سورة غافر ، الآية : ٧ .

(١١) سورة هود ، الآية : ٧ .

(١٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ ، ٢٣ .

اشقياء اصفهان والمرحوم المجلسي :

اجتمع جماعة من الاشقياء حول أحد مریدي الشیخ المجلسي یریدون الاستهزاء ، وفی احد الايام أخبروه بأنهم یریون زیارتھ في داره فاضطرب الشیخ المرید لذلك لأن الاشقياء لو جاؤ داره لجاؤوا بوسائلهم التي یستفیدون منها في اللھو المحرّم فلجأ المرید إلى الشیخ المجلسي وأخبره بالأمر ، فاقتصرت علیه المجلسي بدعوتھم شریطة ان یكون الشیخ المجلسي أيضًا في حضورھم .

حضر الشیخ المجلسي في بیت مریده قبل ان یحضر الاشقياء ، وفی البداية یحضر أحدهم ففتح له المجلسي الباب وادخله إلى حيث ھی ، مكان لهم ، فبدلا للشقي انه لا يمكن ان یسخر بالمرید في حضور المجلسي لذا قرر ان یتفوه بكلام یستفز به المجلسي فيذهب لحاله ویستأنر هو بالمرید لوحیده فقال : أيها الشیخ لماذا یعیب الناس علينا بعض تصرفاتنا على الرغم من أنا لا نخون الزاد والملعن فقال له الشیخ المجلسي : ان ما ذكرته من الزاد والملعن أمر لا إشكال فيه بل ومدحون أما سلوككم فلا خير فيه ابداً ولا خصلة عندكم إلا الخصال الذميمة أما مسألة عدم خيانتكم لمن اكلتم من ملحة وزاده فهذا ما لا أراه فيکم فانفع الشقي بكلام الشیخ المجلسي وقال : اسأل من ترید في اصفهان فلن تجد إلا ما ذكرت لك ! فقال المجلسي : انا اشهد شهادة على انکم تخونون من خالط ملحة وزاده لحمکم ودمکم ، انه الله الواحد الاحد الذي حباكم كل هذه النعم واتم لا تزالون تتبعون هوی النفس . ولا تتبعوه ؟

لم یقل المجلسي (ره) الا واقع الامر والحقيقة المرة التي الجمت الشقي فلم یعد یتنفس إلا بصعوبة وطاطا رأسه خجلاً فلم یتبس بینت شفه (يا جبذا لو كان المقدسون من العلماء تاركين للغرور مثل هذا الشقي المتعظ) .

وفي صباح اليوم التالي طرق الشقي باب دار المجلسي وعندما فتح له

قال الشقي : أيها الشيخ ان كلامك بالأمس اشعل ناراً في قلبي اضاءت لي
السبيل الى الحق والحقيقة فادع الله تعالى لي بالتجاوز عن سيناتي ، فادخله
الشيخ في بيته وتحدث إليه بلطف وعطف وعرفه أنَّ الباري يتوب على البشر لو
كانوا صادقين .

نحن أيضاً ، كم هي خياناتنا مع الرحمن الرحيم الذي تفضل علينا بكل
هذه النعم ، فالآن خيانة ، والتكبر خيانة ، والعجب خيانة . . . خيانة ؛
إننا لم نعرف إلا فلاناً من الناس الذي بيده أمور المؤسسة الفلانية ونسينا الذي
بيده الأرواح والسموات السبع والأرضين السبع وعالم الحياة والغيب . . .

قد تتحدث إلى فلان من الناس فتقول لولا فلان لهلكت فيا أيها المسلم
يا من تدعى الإيمان وانت بعيد كلَّ البعد عنه الا تخجل مما أنت فيه ؟ أين ذهبَ
الحياة عنك ؟ وهذا شهر رمضان شهر الطاعة فاستمره للتوبة النصوح وقل « أنا
الذى عصيَّ جبار السماوات أنا الذى أعطيت على معاصي الجليل الرشا ، أنا
الذى لم استحيك في الخلاء ولم ارافقك في الملا ، أنا صاحبُ الذواهي
العظيم ، أنا الذى على سيده اجترى » .

اليقين بالولاية والإمامية :

إن الخامس عشر من شهر رمضان المبارك وبناءً على الروايات الصحيحة
السنّية والشيعية هو اليوم المطابق ل يوم ولادة الإمام الحسن بن علي (ع) .

ولد الإمام الحسن (ع) وهو الإمام الثاني من أئمة آل بيت الرسول الأعظم
في السنة الثالثة أو الرابعة للهجرة في المدينة المنورة وبهذه المناسبة الكريمة
نتناول بحث اليقين بالولاية والإمامية .

لقد ذكرنا سابقاً وطبقاً لحديث أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي (ع) بأن
اليقين هو الدعامة الثابتة للايمان ، اليقين بالتوحيد ، الأفعال الالهية وحتى
اليقين بالمعاد .

ان احدى شعب اليقين الواجب تحصيلها على كل مسلم وملمة ، هو اليقين بالإمامية والوصاية ووجوب التبعية والمحبة لأنمة النور الأخرى عشر الطاهرين والذين اولهم علي ابن ابي طالب (ع) وآخرهم الحجة بن الحسن العسكري (ع) ، هؤلاء الأئمة الأبرار تجب اطاعتهم بشكل يقيني لا يخالطه الشك ولا يساوره .

لقد شاهدنا بعض الحالات التي انجرف فيها بعض المسلمين إلى الشكك بالائمة متأثرين بشبهة أو باخرى .

علي (ع) ولٰي من أولياء الله :

نطرق هنا إلى شبهة يتقول بها بعض المهرجين ونردّها بشكل لا ينفع من قيمة أحد ، فعندما يقول فلان «أشهد أن علياً ولٰي الله» في الوقت الذي لا يحتاج الله العزيز القدير إلى ولٰي حسب الآية الشرفية التي تقول «ولم يكن له ولٰي من الذل»^(١٣) هذه القضية قد يتطرق إليها بعض الذين يسيرون الفهم لأن القصد من أن علياً ولٰي الله هو : أن علياً ولٰي من أولياء الله الصالحين وله الحق في الولاية على المؤمنين بأمر من الله تعالى على لسان رسوله الأمين لأن الإمامة أُسُّ الإسلام واصل كل خير ونظام الأمة وانها أي الإمامة زمام الدين ، ونظام المسلمين ، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين وعن أبي جعفر (الباقر) (ع) أنه قال : «بني الإسلام على خمسة أشياء : على الصلاة والزكاة والحج ، والصوم ، والولاية ، قال زارة ، فقلت : وأي شيء من ذلك أفضل ؟ فقال : الولاية أفضل لأنها مفتاحهنّ والولي هو الدليل عليهم»^(١٤) ؛ هذا وان القرآن الكريم قد ذكر الولي وأولياء الله وما إلى ذلك حين قال تعالى في محكم كتابه : «الا ان أولياء

(١٣) سورة الاسراء ، الآية : ١١١ .

(١٤) انظر اصول الكافي - للكليني الجزء الثاني باب «دعائم الإسلام» من ١٨ الحديث الخامس .

الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٥﴾ .

لماذا لا يغسل الشيعة أقدامهم عند الوضوء :

عندما لا يصل الإنسان إلى مقام اليقين يساوره الشك في أتفه المشاكل بل وفي البديهيات أيضاً ، فقد يتزلزل الإنسان عقائدياً ويقول بغسل رجليه عند الوضوء هذا إذا اقتنع بالكلمة التي هي «وارجلكم» مفتوحة ومعطوفة على فاغسلوا ﴿١﴾ وامسحوا برازوبيكم وأرجلكم إلى الكعبين ﴿٢﴾ هذه المسألة الأولى أما المسألة الثانية فهي أن النظافة غير الوضوء عمل خاص من أجل الطهارة المعنوية وليس الظاهرية ، نعم ، يمكن أن تدخل النظافة بالطبع بعض أعضاء البدن فيضطر الشخص إلى استعمال الصابون والغسل من أجل إزالة مادة دهنية أو ما شابه ، إذن نحن نقول قد يستوجب الأمر إلى التوضؤ وفي اليد صابون وهذه الطريقة لها حدود ضمن إطار اطاعة الأمر للخروج من الحدث ، أو قد يغسل الإنسان للخروج من الأوساخ المعنوية ، أما طهارة الجسم لا تتم بالغسل الإعتيادي بقصد تنظيف الجسم وهنا لا يمكن اعتبار الغسل صحيحاً ولا الوضوء ، فتطهير الجسم ظاهرياً على جده ويدخل ضمن النظافة ولا يدخل ضمن إطار الإغتسال ، فالإغتسال مسألة معنوية للخروج من الحدث ، والوضوء غير التنظيف وغسل الرجلين والرأس وما إلى ذلك والإغتسال غير السباحة فال الأول معنوي والثاني ظاهري ، وهيبات أن يكون الظاهري كالمعنوي .

البائع ، وكيس النقود أثناء الموت :

ينبغي للإنسان العاقل أن يصل إلى حد اليقين في مجمل العقائد الحقة لكي لا يتزلزل ولا يساوره الشك وبالخصوص في ساعة الموت العصبية .

(١٥) سورة يونس ، الآية : ٦٢ .

(١٦) سورة المائدة ، الآية : ٦ .

لقد جمعَ أحدُ البايعة المتجولين «١٧» درهماً في كيس له بعنوان توفير لنقوده التي حصل عليها من بيته ، وكان متعلقاً جداً بهذا الكيس ، وعندما حضره الموت وهو على فراشه وبدأ بالاحتضار بدأ أحد أقربائه بتلقيه الشهادتين وبعدها طلب منه ان يقول اشهد ان علياً والأئمة من ولديه حجج الله وانهم مفترضو الطاعة سكت ولم ينطق بذلك ، ومن حسن حظه انه لم يمُت على هذه الحالة بل تعافى ورجعت إليه عافيته وما كان عليه من صحة ، فسألوه عن سبب سكوته وعدم جريان شهادته بان أمير المؤمنين (ع) والأئمة من بعده مفترضو الطاعة وهو الذي قضى عمره في ذكر الإمام علي (ع) والأئمة من ولديه فأجاب : كأني رأيت وأنا على فراش الموت شخصاً يحمل كيساً كالذى جمعت فيه نقودي وهو يقول : ان اعترفت بالولاية اخذت هذا الكيس وكما تعلمون انتي كنت على علاقة خاصة بكيسى الذي ذكرت لكم .

الأدعة الحزينة ثبت اليمان :

ان الذي لم يتمكن من بلوغ مرحلة اليقين ، تتقاذفه الأهواء وتتلاءب بقلبه الفتنة ، سأله الباري ان لا يجعل القلب يتعلق بالأموال والجاه والمقام « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » .

نصح الإمام الصادق عليه السلام اصحابه بالدعاء الحزين ونطرق إلى مسألة أن الإنسان قد ترأء دينه صباحاً وفأقدأه لدینه مساء ولا يعصمك من ذلك إلا الدعاء الحزين ،

« عليكم بالدعاء الحزين : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » (١٧) .

نرجع ثانية إلى ولادة الإمام الحسن (ع) فهو الإمام الهمام الحسن ابن

(١٧) مفاتيح الجنان المعرب - للشيخ عباس القمي - دار احياء التراث العربي - بيروت من ادعية الصباح والمساء ص ٢٣ .

عليَّ العجبين ثانٍ أئمَّة آل البيت ، طاعته واجبة على جميع المسلمين وواحدٌ من اثنتي عشر إماماً عينهم الرسولُ الأكرم وشَادُ بهم وقد روت الكثير من الكتب من الفريقين ان رسول الله (ص) قال : « اللهم إني أُحِبُّهُ فاجْهُهُ »

..... عن سليم بن قيس قال: شهدت وصيَّة أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى إلى ابنه الحسن (ع) وأشهد على وصيَّته الحسين عليه السلام ومحمدًا وجميع ولده ورؤسائه شيعته واهل بيته ، ثم دفع إلىه الكتاب والصلاح^(١٨)

فاليفين بأئمَّة آل البيت ينبغي تحصيله والتأكد عليه فالولاية ركن من أركان الأصول الخمسة .

الثواب والعقاب :

..... واباب الخلق اليكم وحسابهم عليكم ،^(١٩)

إن الأئمَّة الأطهار سلام الله عليهم شفعاء يوم الحساب وسلطين عالم البرزخ ، لقد شاءت القدرة الإلهية ان يكون الأولياء والصالحون شفعاء للناس بياذن الله تبارك وتعالى .

لقد قيل على سبيل المثال في علي بن أبي طالب (ع) « قسيم الجنة والنار » ، فالائمة وعلى رأيهما أمير المؤمنين (ع) وبإرادة الباري جل ذكره يسمون في تقسيم الناس ناهيك عن الأبرار والشهداء فقد تطرق الروايات المتواترة إلى أنَّ الأئمَّة والأبرار والشهداء يمكن أن يكونوا شفعاء لهذه الأمة فمن أحجمهم وعمل بعملهم يشفعون له بياذن الله ومن عادهم ونصب لهم العداوة وادار

(١٨) الأصول من الكافي : للكليني - دار الأضواء بيروت ج ١ ص ٢٩٧ باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليهما السلام - الحديث الأول .

(١٩) الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة - السيد عبد الله . بيروت . مؤسسة الوفاء ص ٢٤ .

وجهه عن نهجهم وسلكهم الذي هو نهج الله وسلكه اداروا هم كذلك
وجوههم عنه .

سلام على علي جلب له الربيع الوفير :

لقد ذكر الرسول (ص) اسم شخص في مجلسه وأشار إلى أنه ربع ربيعاً
وفيراً ، وعند دخول هذا الشخص إلى مجلس الرسول الأكرم سأله الأصحاب ما
الذي فعلته وما كانت تجارتُك لتربيع بهكذا أرباح ؟ فقال : لم اكسب شيئاً ،
وكلت قد ذهبت إلى السوق مبكراً فلم أجد أحداً فقلت في نفسي لذهب واسلم
على علي أمير المؤمنين (ع) فذهبت إليه واستنصرته فنصرني فاحسست
بالإطمئنان في نفسي ففهم من في المجلس أنَّ حديث أمير المؤمنين (ع) ربيع
أكثر نفعاً من ربيع التجارة .

حبُّ محمد (ص) ربيع ، وحبُّ آل بيته ربيع لماذا ؟ لأنهم يدلُّون البشرَ
على الجادة الصواب التي تسلكُ بهم إلى رضوان الله ورضاه والفوز بالجنة ؛ أما
أولئك الذين اضمروا الحقد والمداوة لآل الرسول (ص) فلن يتأنى لهم ان
يسلكوا الطريق الحق ولن يتأنى لهم الفوز إلا بالثار الحامية التي تتظارُهم يوم
القيمة .

التبعة والمحبة :

التبعة بلا شك يلزمها المحبة ، فمن تعلقَ بآل بيت العصمة والطهارة (ع)
وسارَ على نهجهم الذي هو نهج الحق والصدق والعدل وكان تابعاً لهم في ما
عملوا ، فسوف يلقاهم ويُحشر معهم .

إن سيرة آل بيت الرسول (ص) غير خافية على أحد ، فلقد كانوا المثال
الواقعي لما جاء في القرآن الكريم من ايمان ويقين وصدق ، فهم لم يعرفوا غيرَ
ذلك ، لم يعرفوا غير الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، فهم الكهف الحصين وسفينة
النجاة وحجج الله على خلقه ، ولو تصفحنا التاريخ لما وجدنا أفضلَ منهم ديناً

وانضباطاً فلقد نهوا عن المنكر وأمروا بالمعروف وعبدوا الله حقّ عبادته فما وهنوا وما استكانوا حتى اللحظات الأخيرة من عمرهم الشريف ، وأن العدو والصديق يشهدُ لهم بذلك ، فالذى احبّهم سلّك سلوكهم ووصل إلى شاطئ النجاة ومن اضمر لهم العداوة والبغضاء خسر وهو في جهنّم وبشّ المصير .

الشفاعة في يوم القيمة :

لقد تعرضت أحدى الروايات والتي نُسبت إلى الإمام محمد بن جعفر الصادق (ع) إلى أن الشفاعة تكون في يوم القيمة : وحين سُؤل أحدّهم للإمام الصادق عن ذلك اجاب بما يفيد: «... لكن الشفاعة في القيمة واني اتخوف عليكم من البرزخ ». .

فتصور أخي المسلم الجليل كم يطول عالم البرزخ بك حيث لا شفاعة فيه ، ففي البرزخ عذاباً ايضاً لمن انحرف عن جادة الصواب وفيه يضغط القبر على ساكنه وفيه ... والبرزخ كما تعلمون المدة أو الفترة بين الموت ويوم القيمة لأن القيمة تشمل جميع البشر اما البرزخ فلا يشمل إلا الموتى .

إذن لا ينبغي للمسلم ان تملأ العداوة والبغضاء قلبه ولا يجدر به إلا ان يتمكّن بالأخلاق الفاضلة وبأوامر الله تبارك وتعالى وسنة المعصوم التي هي تفصيّل لما في كتاب الله الكريم حتى يفلت من عذاب عالم البرزخ الذي لا يمكن معرفة مدته فقد تطول وقد تقصر ، فالحاجب في الله والبغض في الله قد يؤدي بالإنسان إلى التخفيف من العذاب الذي قد يلاقيه في عالم البرزخ ، يقال « ان في الجنة عموداً من ياقوتة حمراء عليه سبعون ألف قصر في كل قصر سبعون ألف غرفة للمتحابين في الله » وفي يوم القيمة يتمكّن المحبين للمؤمنين ولآل بيتهما الطاهرين بدعاه «الله أسلّك بحث محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما يُحيني ». .

ذكر أهل بيت الرسول والكرامة :

ان العقبات والصعوبات التي يلاقيها البشرُ بعد الحياة الدنيا يسهل الموت معها إذا قيس بها ، ولكن الاستعانة بالله العفو الكريم وشفاعة آل بيت الرسول (ص) قد تهون بعض الأمور ، أما الأمور التي هي على زمان الدنيا والتي تدخل ضمن دائرة التهرين الذي ذكرنا فهو ذكر آل محمد (ص) في الجلسات الخاصة ؛ فقد تواترت الروايات على ان الجلسات التي يُذكر فيها الرسولُ وآل بيته الأطهار (ع) تحفُّ بها الملائكة مستغفرين للحضرور وطالبين العفو من الرحيم الغفور لهم ؛ « اللهم إنا نسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة المعصومين من ولد الحسين (ع) العفو والعافية والمعافاة . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

واليقين على اربع شعب : بصيرة الفطنة وتأول
الحكمة ومعرفة العبرة وسنة الأولين ، فمن أبصر الفطنة
عرف الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف
العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان مع
الأولين ^(١)

علامات انتشار الصدر :

قلنا ان الدعامة الثانية للإيمان هي اليقين الذي هو نور يرميه الله في قلب
عبده ، وقد تواترت الروايات في أن اليقين يشرح الصدر وقد ذكر ذلك في
مجمع البيان وغيره من كتب الأخبار والتفسيرات ؛ وقد سُئل الرسول الأعظم (ص)
عن انتشار الصدر فأجاب بما مضمونه : « في التجافي عن دار الغرور والإنابة
إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفتول » .

فمن ترك المحرمات وعمل بشريعة الإسلام وتجاهى عن دار الفرور دار
الحياة الدنيا مبتعداً عن كل ما يثير الشهوات جاء الله انتراحاً في صدره ويقيناً

(١) الاصول من الكافي - الكليني - بيروت - دار الأضواء ج ٢ ص ٥٠ - ٥١ باب صفة
الإيمان .

في قلبه فهو لا يميل إلى النزاع ولا إلى الجدل لأن الفرد الذي شرح الله صدره يترفع ويتسامي عن هكذا افعال تم عن صغير في الهمة وظلمة في القلب ما بعدها ظلمة ، ومن عمل بذلك تراه ضيق الصدر يقطع رحمه على اثر امر تافه وينظر إلى الحياة الدنيا كما ينظر الطفل إلى الأمور الجزئية من لعوب لهو .

نزاع منعادي من أجل الفوانيس :

قبل ثلاثين عاماً مضت روى لي أحد وكلاء الطب العدلي حكاية تبعث على الدهشة انه كان يقول : كان في الهند قبل الاستقلال والتجزئة الى قسمين حيث كانت الهند والباكستان وبنغلادش ترث تحت نير الاستعمار البريطاني ؛ كان هناك ملف عجيب لورثة احد النواب الهنود الذي كان مديرأ لناحية من نواحي الهند حيث جاء في الملف : ان نزاعاً نشب بين الورثة دام لمدة طويلة تقارب العشرة سنين وقد اختلفت اموالاً طائلة على هذا النزاع كان الرابع فيه المدافعين عن الاطراف المتنازعة .

وبعد اعوام طوال وصل الأمر بان يرسل ملف النزاع إلى لندن لكي يلقى الحل الأخير ، وعند وصول الملف إلى يد رئيس المحاكم في لندن ، دقق في الأمر فوجد ان النزاع على أربعين ملكاً عظيم على ما يبدو من الملف فقام من ساعيه وذهب إلى الهند وجمع الورثة وقال لهم أروني هذا الملك الذي تذعون ، وإذا به اربعون فانوساً تشكل بمجموعها ثريا قد علقت في سقف أحد الدور فأمر بانزاله إلى الأرض ، وعند الإنزال سقط الأربعون فانوساً على الأرض وتحطم ولم يبق منها إلا الزجاج المتأثر ، فاضطر رئيس المحاكم إلى ختم الملف وفصل النزاع .

نقول هنا أن الذي حدث من نزاع ولسنين طوال لم يكن إلا عملاً صبيانياً ، فقد تُلقت الأموال وامتلاك القلوب حقداً وغيظاً من أجل إرب لا قيمة له تذكر .

«الفرق» أمر حقيقي واعتباري بنور العقل :

العقل هو من شُعُّ نور الإيمان واليقين بقلبه فجعل منه كبيراً وحينها رأى كلّ اوضاع الدنيا على حقيقتها وفهم أنّ الدُّنيا لعب ولهو فلا فرق عنده من ان تكون الحاجة الفلانية ملكه أو تكون صرف اعتبار ، وهم وخيال ، انت في الحمام عريان وفي المكان الذي يغسلونك فيه بعد الموت ايضاً تكون عريان . فعنك يتزععون الملابس القديمة ولا فرق في ان يكون القماش من الدرجة الأولى أو يكون عاديّاً لا قيمة له ، ولو كان عندك في البنك مليون من النقود أو لم يكن في ذرّاتك شيء واحد وهو : انه في آخر الأمر يذهبون بك إلى القبر ؛ فرأس المال ذرّاتك فهي التي تذهب معك وهي التي ترافقك في القبر ولا يرافقك ما عندك في البنك وفي الدار أو في الصحراء .

أكلة النجاسات والأوكار الصغيرة :

ان أفضل تعبير يمكن ان يقال لمن عجز فكره واهتم وحرص على ان يجمع الأموال هو «الجعل» والجعل حيوان يأكل النجاسات ويعتاش عليها ، وواقع الأمر هو ما قيل في الحريص .

ولو قدر ان بقيت قافلة في الصحراء إلى يومها الثاني ترى حيوان الجعل يعتاش على ما يخلف المسافرين من براز وفضلات فتري هذا الحيوان يتنافس مع مثيله من الحيوانات في جمع الفضلات ويؤدي بها إلى وكرٍ حقيرٍ صغير وبالتالي لا يمكن هو من الورود إلى وكرٍ فهو تارة يأكل من هذه النجاسات وآخرٍ يتکالب عليها ليرمي بها في وكرٍ الصغير ، والبعض الآخر يسد عليه بابه أو منهنه بهذه النجاسات فلا يستطيع الخروج من وكره فيموت حسرة على ما تبقى في خارج وكره وكذا الحريص الذي لا يملأ عينيه غير حفنة من التراب ولا يذهب إلا بكفن شُقّ من يعينه ليضع خده الأيمن على التراب .

من كان لا يطأ التراب برجله يطأ التراب بناعم الخذ

التوكل على الله والرجوع له :

ان حيوان «الجمل» يحسب حساب الآتي فيجمع في وكره الكثير من الفضلات ولكن لا يفهم متى يكون الآتي ؛ اما الإنسان العاقل الذي كبرت روحه ونفسه وفهم ان الباري تبارك وتعالى اوصله إلى هذا اليوم يفهم كذلك انه تعالى اسمه سيتكلف به بقية عمره ، فيما أيها المسلم من أين لك ان تعلم ان الشخص الذي اعتمدك عليه واستندت إليه وتكلفك لمدة من الزمن سيتكلفك إلى آخر عمرك ؟ فلا تكن قليل العقل والإيمان واليقين لا تكن صغيراً وتجافى عن دار الغرور ولا تعتمد في اعمالك إلا على الذي خلقك واوصلك إلى هذا المقام ، وكذلك انت أيتها المرأة التي ترومين اللحاق بقافلة الزهراء فاطمة (س) فالملامح والإدراك والعلو والعظمة التي وصلت إليها الزهراء لا يمكن الوصول إليها بالحقاره والخطأ ، وحتى لو قدرت انك تصلين إليها فلن تكوني عندها إلا إذا كبرت على الرذائل وترفعت عن الصغائر ونظرت إلى الدنيا نظرة احتقار وصغر .

فما أيها المسلمين انظروا إلى انفسكم فهل وصلتم بأفكاركم إلى العالم العلوي أم كان تحرركم تحركاً عرضياً وأوهاماً وخيالات فإذا كان كذلك فماين الفطنة والحكمة والعبرة منكم ؟ ظاهر الأمر انكم لم تستفيدوا من تجارب الماضين ولم تعملوا الفطنة والحكمة في اعمالكم التي ستحاسبون عليها في الغد القريب .

مدة قصيرة والرؤوس تتطاير في دار الامارة :

ان اكتساب العبرة من السابقين أمر لا بد منه حتى يتسمى للبشر سلوك الطريق التي تؤدي بهم إلى الحياة السعيدة الأبدية في جنان الله ورياضه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

يروي التاريخ شواهد كثيرة ينبغي لنا ان نتخد منها دروساً وعبرأ في حياتنا

الحاضرة : عندما صعد عبدُ الملك بن مروان إلى كرسيِ الحكم أو ما يسمونه بالخلافة فكرَ أول ما فكر في الحربِ ضد مصعبَ بن عمير الذي كان والياً على العراقين فأعدَ الجيوش الشامية وتحركَ صوبَ الكوفة وتغلَّبَ في نهايةِ الأمر على مصعبَ وفتحَ دارِ الإمارة في الكوفة ، جلسَ على منبرِ الحكم والبهجةُ والسرور تعلو سحنات وجهه ، وعندما دخلوا عليه رأس مصعبَ قال أحدُ الأعراب والذي كان حاضراً مجلسَ عبدِ الملك : أيها الأمير قبلَ مدة وفي هذا المكان وتحت هذا السقف كان مصعبَ بن عمير يجلسُ مجلسَك هذا وقد أحضروا بين يديه رأسَ المختار ، وجلسَ قبلَ ذلك على هذا المنبر المختار و كنتُ أنا حاضراً حين دخلوا عليه رأسِ ابنِ زياد ، وقبلَ المختار رأيتَ بما عيني كيف كان ابنِ زياد يجلسُ مجلسَك هذا وقد دخلوا عليه رأسِ ابنِ بنتِ رسولِ الله (ص) الحسين ابنَ علي - عليه السلام - . العجيبةُ هنا في قتل ابنِ زيادِ والذي صادفَ في العاشر من محرم الحرام بعد « ٦٦ » أعوام من قتلِ الإمام الحسين (ع) حيث لبس بنى هاشمَ السواد ولمحَ يخلعوه عنهم حتى جيءَ برأسِ ابنِ زياد وحينها هدوا نسبياً .

كان العاشرُ من محرم الحرام « يوم قتل الحسين (ع) » ، وبعد ستةِ سنوات قُتل ابنِ زياد وحُزِّ رأسُه بيدِ ابراهيمَ بنِ مالكِ الأشتر وقد عرفه من كثرةِ ما كان يتعطَّرُ بالمسكِ والسببُ في استعمالِ ابنِ زياد للمسك في كلِّ الأحوال هو ما ذكرته كتبُ التاريخِ والتي جاءَ فيها : « بعد مرورِ يومين من قتلِ ابنِ بنتِ رسولِ الله (ص) جيءَ برأسِ الحسين (ع) إلى ابنِ زياد فأمسكَ اللعين بالرأس الشريفِ وبدأ بالإستهزاءِ والسخرية ففتَّلتَ عينُ الإمام (ع) ونزلَ الماءُ منها إلى العري » ومن المريء نزلَ الماءُ مختلطًا بالدمِ المبارك على فخذِ ابنِ زياد فاثر في فخذِه فارتَاعَ لذلك ورمي بالرأس على الأرضِ دهشةً وتعجباً منه ؛ لقد كان مكانُ ابنِ زياد دائمَ التعفنَ وحتى آخرَ عمرِه لذا كان يتعطَّرُ بالمسك يومياً ليقلل

من الراية القدرة التي لازمه .

طلب الرئاسة شرًّا ومشكلٌ :

عليك ان تعتبر اخي المسلم الكريم ، فمن طلب الرئاسة طلبوه وما الحوادث التي جرت في دار الإمارة إلا شواهد حية يعتبر بها العاقل فلا تطلب

الرئاسة من أجل ان تقمم فلاناً أو تنتقم من فلان فعاقبة الأمر الإنقاص منك والإيقاع بك ، فمن أراد الإيقاع بالآخرين وسحقهم فلينظر الى عاقبته فهو على ما يفعل ، ولا فائدة في هكذا أمور يمكن الفوز بها .

ان هذا الذي يطلب الرئاسة من أجل ان يضر بالآخرين ، انسان خاسر وليس له من جزاء إلا نار جهنم ، ومن تفكّر وتدبر ونهى النفس عن الهوى فهو سعيد وفائز برضاء الله ورضوانه لذا ينبغي لك ايها المسلم ان لا يكون تفكيرك محدوداً مثل تفكير معاوية الذي تحكمت به الشهوات وركب رأسه عناداً من أجل ان يستأثر بالسلطة والرئاسة .

جاء في عيون أخبار الرضا ان من وقعت عينه على قمار أو مائدة خمرٍ ولعن من قتل الحسين (ع) كتب الله له ١٠٠ الف حسنة ؛ والغرض من ذلك هو أن اللاعن يعبر عن التزامه بسلوك الإمام الحسين (ع) ولا يرضى بسيرة يزيد التي طبعت على الخمر والقمار ، وخلاصة القول : علينا ان نعتبر من سير الماضين ونرتب أمرنا بشكلٍ نتمكن معه من انتهاج نهج الصالحين والأبرار والأئمة الأطهار (ع) محكمين العقل في ذلك طالبين العون من الله الرؤوف الرحيم في شرح صدورنا على الحق والتنكر للباطل .

يقال أن سلمان المحمدي حين كان يوجد بروجه قال ما مضمونه : « لا ادري أللحق بمحمد (ص) أم لا ؟ ولا اعلم هل نفذت ما جاء به محمد (ص) »

أم لا ؟ رجوت الله ان لا يبعدني عنه» .

ونحن نقول : اللهم لا تجعل بيننا وبين الحسين (ع) ستراً إنما نسعى لأن نسلك طريق الإمام الحسين (ع) طريق التقوى والحقيقة طريق التعامل الحرّ مع الله العزيز القدير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِكَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)

واليقين على اربع شعب: تبصرة الفطنة وتأول الحكمة ومعرفة العبرة ،
وستة الأولين . . .

فطنة المؤمن ، وحسن العاقبة :

من أين يأتي اليقين ؟ انه على اربع شعب فأولها الفطنة وثانيها الحكمة
وثالثها العبرة ، ورابعها ستة الأولين ؛ فالفطنة هي الذكاء مخلوط بالكياسة
والدقة والحكمة ، فالفطن هو من كان دقيقاً في حساباته وحكيماً في معاملاته
فحياته مرتبة يخافُ الله رب العالمين ويستأنسُ بالمعارف والحقائق ؛ يُقال : ان
«المؤمن كيس» وقد يتصور البعض ان الشيطنة واكل مال الناس وطلب الرياسة
والجاه فطنة وكياسة ؟ إنها ليست بفطنة ولا بكياسة بل إنها مكرٌ وخداعة !

إن الكياسة هي التي عرف الناس بها علياً وشييعته الذين ادرکوا أنّ الدنيا
لعب ولهم .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٠ .

يقول الرسول الراكم (ص) فيما تذكره الروايات ما مضمونه « الكيس من عمل لما بعد الموت » ؛ اما الاحمق فهو من ساح في الحياة الدنيا طلباً في زيتها ولهوها وكله امل في نيل الآخرة ॥ وان ليس للإنسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يُرى »^(٢) .

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا الذي كان قبل الموت بانيها
فبناء الدور والقصور كثُر ، ولكن الفطن هو من فكر في دار يبنيها لآخرته
الدائمة ، فمن لم يفكر في مسكنه الأبدي ولم ينته عن المعاصي فليس له إلا
الشدائد والبلايا في زمان البرزخ ناهيك عن أهوال يوم القيمة .

الإيمان بالله محصلة الفطنة :

الفطنة والذكاء والتروي كلها صفات تؤدي بالفرد إلى الإيمان بالخالق ، فالتأمل بالمخلوقات فطنة والتفكير والتدبر بما صنع الله من سماوات علا فطنة ، فالإيمان يتأتى من الفطنة ولا يتأتى من التقليد ، قد يؤدي بك التقليد إلى إيمان واعتقاد مختصر ولكنه يخبو بعد فترة وجيزة ، اما الإيمان الحاصل عن فطنة وتدبر لا يمكن ان يتضاءل ويختوبل يزداد ويقوى ، فالذى علمك شرب الماء في بداية الأمر ورزقك اللبن في ثدي امك سوف لن ينساك ويقطع عنك ما قدر لك ، فلم الحرص ؟ ولم القنوط ، إنك تجري اليوم وراء فلان وفلان وكلك تصور بأن الذي تجري وراءه هو الذي يرزقك ، لقد أخذت الخيال منك كل مأخذ ، فالرزاق هو الله وحده لا غير وباقى المخلوقات أسباب أصغر من أن تدر عليك رزقك فما قدر لك لا يمكن ان تأخذ اكثراً منه وما منع عنك لا يمكن ان تناهى يدك فاتق الله في ما تفعل فانت المخلوق وهو الخالق والرازق فالجري وراء الدنيا بهذه الكيفية وبهذا الشكل قد يكون منشأه الكفر والإشراك بالله الواحد الأحد .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩ - ٤٠ .

السابق في القيادة لا فائدة منه :

ان السابق مع الزمن خيالٌ ووهم وان العجلة في قيادة السيارة من أجل الحصول على رزق اكثـر وتعريف النفس إلى الخطر حرام ، وبعقيدتي كفر ، لأنـ السائق يزيد في سرعته من اجل بلوغ مطلب او رزق او غير ذلك وحين طلـه للرزق بهذه السرعة يدلـل على اعتقادـه بـان الرزق بـيدي ، فإذا ما زاد في سرعتـه ظـن انه سيحصل على رزق اكثـر مما لو كانت سرعتـه بطـينة او معتـدة .

ان المسلم الذي يقول لا إله إلا الله يعتقدـ بـان الرزق بـيدي الله وان السرعة لن تزيد في الرزق ﴿ الله يسطـ الرزق لـمن يشاء وـيقدر ﴾^(٣) فالرزق محسـوب ومقدـر ولا يمكن تجاوزـ هذه الحقيقة بـزيادة السرعة فالذـي كان مـقدـراً له رزقاً قـليلـاً لا يمكنـ أن يزيدـه بـسرعة سيارـته او مركـبـته التي قد تصـطـدم بـشخصـ فـتحـيلـه الى القـبر او المستـشفـى وبـذلك تكونـ هذه السـرعة باعـثـاً للضرـرـ به وبالـآخـرين ؛ فـأينـ فـطـتكـ التي تـدعـي ؟ وـأينـ هو الدـينـ منـكـ ؟ وـأينـ ذـهـبـ القرآنـ الذي عـلـمـكـ بـانـ الرـزـقـ بـيـدـ اللهـ ، فإذاـ ما اـرـدتـ ان تـفـعـلـ شـيـئـاً او تـصـلـ إـلـىـ مـكـانـ ما فـقـلـ اذاـ اـرـادـ اللهـ اوـ إـذـاـ شـاءـ اللهـ فالـرـزـقـ وـغـيرـهـ بـيـدـهـ وـحـدهـ ﴿ وـلـاـ تـقـولـ لـشـيـئـ إـنـيـ فـاعـلـ ذـلـكـ غـداًـ . إـلـاـ انـ يـشـاءـ اللهـ ﴾^(٤) ، لاـ يـبـغـيـ لـكـ اـيـهـاـ الـمـسـلـمـ الـإـدـاعـ بـأـنـكـ سـوـفـ تـفـعـلـ الـأـمـرـ الـفـلـانـيـ غـداًـ ، مـنـ تـكـوـنـ اـنـتـ ؟ اـنـ حـيـاتـكـ مـرـهـونـةـ بـيـدـ اللهـ وـانـ نـفـسـكـ تـنـفـسـهـ بـادـنـ منـ اللهـ فإذاـ اـقـضـتـ مـشـيـئـةـ اللهـ الـأـمـرـ الـفـلـانـيـ لـاـ يـمـكـنـ لـكـ وـلـاـ يـتـانـيـ اـنـ تـغـيـرـ مـشـيـئـتـهـ جـلـ ذـكـرـهـ .

ابـلـعـ سـمـاًـ وـيـرـيدـ القـاءـ نـفـسـهـ مـنـ عـالـ وـلـكـ . . .

قبلـ عـدـةـ سـنـوـاتـ كـتـبـ فيـ اـحـدـىـ الـمـجـلاـتـ اـنـ شـخـصـاًـ فـيـ اـحـدـىـ الـمـدنـ الـأـمـرـيـكـيـةـ اـنـحـصـرـ تـفـكـيـرـهـ فـيـ زـيـادـةـ ثـرـوـتـهـ فـدـأـ بـيـانـ بـنـاءـ بـنـاءـ مـنـ عـدـةـ طـوـابـقـ بـكـلـ ما

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٢٦ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٢٢ و ٢٣ .

لديه من أموالٍ ليستفيد منها في كريها للآخرين ولكنه وصل إلى حد انتهت معه أمواله ولم تكتمل البناء بعد فاضطر لأن يفترض من عدة مُرابين ليكمل ما بدأ به ولكنه وقع تحت ضغط الدائنين ولما يكتمل البناء ، وحين رأى أن المبالغ التي عليه لا يمكن سدُّها بسهولة والدائنين يضططون عليه بشتى الوسائل والطرق صمم على الانتحار ، وحتى يكون موته محتماً قرر ابتلاع السمّ وإلقاء نفسه من أعلى البناء ؛ ولكن العجيب في الأمر وبعد ابتلاعه للسم اراد الصعود إلى أعلى البناء وكان هناك بعض الأخشاب على سالم البناء فتعثر بها ، وخرج السمّ من فيه ولم يمت .

أيها العاقل ، الم تفهم بان سلب الحياة والروح بيد الله تبارك وتعالى ، فكن فطنًا واعلم ان الله حي لا يموت وان وراء هذه الحياة عالمٌ غبي ﴿فسبحان الذي بيده ملائكة كل شيء﴾^(١) .

لم يتبه ولم يلتفت هذا الإنسان إلى أن الرزاق هو الله ولم يدرك ذلك ، كان يظن أنَّه بعمله هذا سوف يحظى بمالٍ ورزقٍ كثير ولكن مشيَّة الباري تبارك وتعالى ارادت له غيرَ ما يُريد فما كان له ان يتَّعجلَ الأمر لأنَّ « مع التشتت تكون السلامة ومع العجلة تكون الندامة »^(٢) .

والتشتت هذا الذي ذكرنا يدخل ضمن دائرة الفطنة ، والتشتت معناه التتحقق في الأمر ، فالتحقق بأنَّ الله هو الرزاق لا يمكن أن يلهمث وراء المال والجاه والمقام بشكلٍ وضيعٍ وسائلٍ وكذا الذي لا يتحقق ولا يشتت من القول فيضرُّ بنفسيه وبالآخرين . ﴿... ان جاءكم فاسقٌ بنا فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾^(٣) .

(١) سورة يس ، الآية : ٨٣ .

(٢) سفينة البحار : ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية : ٦ .

كيفية اطعام الطائر الأعمى :

يقال : ان النبي (ص) كان مضطجعاً تحت شجرة على التراب فجاءه ابو ذر وقال له : يا رسول الله انظر إلى أعلى الشجرة فان عليها طائراً أعمى فلترافقه ؛ وما مضت إلا لحظاتٍ وإذا بطائر آخر يأتي ويحطُّ عند ذلك الطائر مقرباً منقاره إلى منقار الطائر الأعمى ويغذيه .

إن الله سبحانه وتعالى لا يغفل عن خلقه لحظةً واحدة ، فكلُّ له رزقٌ والكلُّ قادرُ الله لهم أرزاقهم وكتب على نفسه جلَّ اسمه أنْ يرحمهم ويصلهم .

فيا أيها الذي وصل بك العمر إلى ستين سنة اتذكر ما كانت عليه مدينة شيراز قبل اربعين سنة ؟ هل كانت تتمتع بكل هذه النعم من الغذاء ، فلقد ازدادت التفوسُ وازداد معها الرزق والنعم ، فعلى ذلك الزمان لا يدخل الرزق إليها بهذه الكمية ؛ لقد ازدادت التفوسُ وازداد معها الرزق ؛ فأجعل اعتمادك عليه وعلى فضيله وكرمه فان الله قريبٌ منك ورحيمٌ بك وقد ذكرت الروايات ان الله سبحانه وتعالى أحنٌ من الوالدة على ولدها فلا تخشى قلة الرزق ولا تتشابه عليك الأمور فالعيوب والنقصُ فينا وليس فيه والعياذ بالله .

محبة الطير لصغاره ومحبة الله لمخلوقاته :

جاء شخص إلى مسجد الرسول في زمان صدر الإسلام حاملاً اثنين من صغار الدجاج فقدمهما إلى رسول الله بعنوان هدية قاتلًا وجدتهما في طريقي إليكم فآلية أن أقدمهما هدية إلى رسول الله (ص) ، وما أن حل وثاقهما في المجلس وإذا بدواجية تحرم حول المجلس تردد الدخول وما أن رأت صغارها حتى اسرعت إليهما بشكل يثير على الدهشة وبيعث على الرقة والترحم .

ان العجيب في الأمر هو الرقة والعطفُ الذي ابدته الدجاجة على صغارها وقد تواترت الروايات على ان الله سبحانه وتعالى ارحم بعباده من الام على اولادها .

أيها المؤمن خذ عبرة مما اقول ووجه وجهك صوب الرحمن الرحيم فقد
قدّر لك العزة والشرف ، فقد أرسل إليك اشرف مخلوقاته محمداً (ص) ليجرّك
إلى جنته **﴿فَنَرَوُا إِلَيْهِ أَنَّهُ لَهُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾**^(٨) فلا تنسَ الرحمن الرحيم ولا
تنسى عطفه فلو تقدمت إليه خطوة لتقدم إليك خطوتين فاتقِ الله في نفسك وتعال
إلى ما أراد الله لك من خير وصلاح .

إنك تدعوهם حتى كأنك تحتاج إليهم :

إنه تعبير جميل نقله لنا التاريخ عن الإمام السجاد علي بن الحسين (ع) ،
فرحمة الله وسعت كل شيء ، انه جل ذكره يدعو الإنسان إلى الأخلاق الحميدة
إلى الترفع عن المعاصي من ظلم وجرور وانتهاك حقوقه وما إلى ذلك **﴿قُلْ يَا عَبْدَ اللَّهِ اسْرُفْ وَأَعْلَمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾**^(٩) **﴿وَأَنْبِيَا إِلَيْهِمْ رَبُّكُمْ وَاسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ إِنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾**^(١٠) **﴿فَاذْكُرْ وَنِي اذْكُرْكُمْ وَاشْكُرْ وَالِي لَا تَكْفُرُونَ﴾**^(١١) ، ولو
تمعنا في الأدعية وخصوصاً دعاء الإفتتاح في ليالي شهر رمضان المبارك لفهمنا
وادركت أنَّ المولى تبارك وتعالى يتحبّب إلى الناس ولا تعي الناس واقع الأمر
حيث نقرأ في بعض الأدعية **«وَتَحْبَبُ إِلَيَّ فَاتَّبَعْتُ إِلَيْكُمْ وَتَوَدَّدُ إِلَيَّ فَلَا أَقْبَلُ**
منك ، كأنَّ لي التطول عليك فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي والإحسان إلي
والفضل علي بجودك وكرمك فلم أز مولاً كريماً أصبر على عبد لثيم منك
عليَّ .

(٨) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(٩) سورة الزمر ، الآية : ٥٣ .

(١٠) سورة الزمر ، الآية : ٥٤ .

(١١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

العبرة

ان الهدف الأساسي من خلق الإنسان هو إيصاله إلى الكمال والبلوغ به إلى السمو والرقي حتى يصل إلى حالة الملائكة بل ويتعداهم إلى أبعد من ذلك .

إن الله تبارك وتعالى خلق الأشياء من أجل الإنسان ولكنه تعالى خلق الإنسان من أجله ؛ لقد خلق الله العالم قبل ١٧٠ الف عام وجعل منك أيها الإنسان تفاحة على رأس مائدة ملئت بالنعم ، إنك فاكهة عالم الوجود ، زهرة نورية للعالم انت ، يريده بك العلو وتلبي إلا أن تكون في الأسفل ، لماذا ترمي بتفيك في الحضيض والله يريده لك الغور في اسبار السماء فأين فطتك وأين حكمتك التي تُعلّي عليك سلوك ما يريده الله لك ، فعلى علمي أنَّ الذي يروم الوصول إلى اليقين ينبغي له أن يتمتع بفطنة وحكمة عاملتين تعينه على فهم وادرالك ما يُريد الله له من خير وصلاح .

ما أكثر العبر وأقل الاعتبار :

اما الإعتبار بستة الاولين فهي مسألة مهمة فعلى سيل المثال لو أخذنا سيرة وسلوك الإنسان الذي وصل الى مقام اليقين والعلم علي بن ابي طالب (ع) لاستفينا الكثير الكثير منها ولتعلمنا كيف نصبر وكيف نتعامل مع

الناسِ وَمَعَ اللَّهِ تَبَارَكْ وَتَعَالَى فَهُوَ الْمَثَالُ الْحَيَّ لِلْإِعْتَبَارِ وَحِيَّاَتُ الْدُّرْسِ الْعَلْمِيِّ
لِلْبَشَرِيَّةِ جَمِيعَهُ ، وَالْإِعْتَبَارُ يُجِبُ أَنْ يَكُونَ مَلَازِمًا لِتَعْلِمِ السَّنَةِ الشَّرِيفَةِ فَالْإِعْتَبَارُ
بِلَا عِلْمٍ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ ، وَالسَّنَةُ بِلَا إِلْتَزَامٍ لَا فَائِدَةَ مِنْهَا أَيْضًا : وَأَوْلَ خطْوَةٍ
يَخْطُوْهَا الإِنْسَانُ عَلَى جَادَةِ الإِعْتَبَارِ هُوَ التَّفْكِيرُ الَّذِي لَا بَدْ مِنْهُ وَكَمَا يَرَوْيُ عَنْ
الْإِمَامِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ (ع) « تَفْكِيرٌ سَاعَةٌ خَيْرٌ مِنْ قِيَامٍ لِلَّيْلَةِ »^(١) ثُمَّ قِيلَ لَهُ
وَكَيْفَ يَتَفْكِيرُ قَالَ :

« يَمْرُّ بِالْخَرْبَةِ أَوْ بِالْدَارِ فَيَقُولُ أَيْنَ سَاكِنُوكَ وَأَيْنَ بَانُوكَ مَالِكُ لَا
تَكَلَّمِينَ »^(٢) .

أَيُّوْانُ الْمَدَائِنِ عَبْرَةٌ تَارِيْخِيَّةٌ :

عِنْدَمَا وَصَلَّى الْإِمَامُ عَلَيْهِ (ع) فِي سَفَرِهِ إِلَى صَفَّيْنِ طَاقِ كَسْرَى فِي الْمَدَائِنِ
تَلَّا هَذِهِ الْأَيَّةُ الشَّرِيفَةُ « كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْوَنٍ وَزَرْوَعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ
كَانُوا فِيهَا فَاكِهَيْنِ »^(٣) ، وَلَوْ مَرَرَتْ بِالشَّامِ عَلَى قَبْرِ مَعَاوِيَةَ لَمَا رَأَيْتَ غَيْرَ حَفْنَةَ
مِنَ الْأَحْجَارِ وَكَوْخَ مِنْ طِينِ وَبَابَ مَغْلَقَةٍ ، وَلَوْ نَظَرْتَ مِنْ ثَوْبَ الْبَابِ الْقَدِيمَةِ
الْمَغْلَقَةَ لِرَأْيِ الْقَبْرِ وَقَدْ عَلَتْهُ الْفَتَرَانُ الَّتِي تَخْرُجُ وَتَدْخُلُ إِلَى دَاخِلِ الْقَبْرِ
الْمَتَعْنَفِ ؛ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي حُكِمَ بِالْقُوَّةِ عَبَادَ اللَّهُ وَأَذَاقُوهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَارْتَكَبُ
الْجَنَاحِيَّاتِ وَالْجَرَائِمِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعَذَّبَ وَتُحَصَّنَ بِعِنْدِ أَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ
وَالْطَّهَارَةِ نَاهِيَّكَ عَنْ قَتْلِهِ لِلْأَخْيَارِ وَالصَّدِيقِيْنِ مِنْ أَتَابَعِ رَسُولِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُحَمَّدَ بْنَ
عَبْدِ اللَّهِ (ص)

قَبْلَ عَدَّةِ قَرْوَنَ كَتَبَ الْمُؤْرِخُونَ : عَلَى زَمَانِنَا هَذِهِ خَرْبَةٌ مُشَهُورَةٌ وَمُعْرَفَةٌ
بِقَبْرِ يَزِيدَ ، فَكُلُّ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ وَمَرَّ عَلَى هَذِهِ الْخَرْبَةِ وَرَمَى حَجْرًا عَلَيْهَا

(١) سَفِيَّةُ الْبَحَارِ : لِلشِّيْخِ عَبَّاسِ الْقَعْدِيِّ - مَوْسَيَةُ الْوَفَاءِ - بَيْرُوتُ ج ٢ ص ٣٨٢ .

(٢) نَفْسُ الْمَصْدَرِ وَالصَّفْحَةِ .

(٣) سُورَةُ الدُّخَانِ ، الْأَيَّةُ : ٢٥ - ٢٧ .

قضيت حاجته ، فمن كثرة ما رُميَ بها أو عليها من الأحجار والأوساخ صارت مزبلة ، وعند دخول بنى العباس للشام نبشا جميع قبور الأمويين واخرجوا الجثث واحرقوها وعندما وصلوا إلى قبر يزيد وجده محترقاً منذ زمن بعيد وعلى ارتفاع قامة إنسان ، وقد قال بذلك اغلب المؤرخين من أهل العامة والثقة منهم ، بعد ذلك أصبح هذا المكان مزبلة عمومية إلى ما قبل مائة عام من الآن ، أما على زماننا فلا أثر للخرابة ولا للمزبلة .

ان المعتبر لا ينبغي له أن يتبع نهج معاوية ولا نهج يزيد لأن نهجهم موسوم بالشهوات وحب الدنيا **﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾**^(٤) بل المفروض بالإنسان الذي يعتبر من سير الماضين أن يتبع نهج الحسين (ع) نهج القرآن نهج الصواب **﴿فاعتبروا يا أولي الأ بصار﴾**^(٥) .

بلغ اليقين لا يخلو من الصعاب :

ان مقام اليقين والإيمان الكامل الذي يخرج به الإنسان المؤمن من الدنيا لا يخلو من عناء وتعب ، عليه أن يعمل ليصل إلى المقامات العُلُى يتعرف عن طلب الرئاسة والمناصب الدنيوية ، يؤجل رغباته وشهواته ويكتابد من أجل أن لا يتزلق في متزلقات الأهواء والترف والإسراف ؛ هل شاهدت طلاب الدنيا كيف يبذلون المال والعمَرَ أملأً في بلوغ الكرسي الفلاني في الوزارة الفلانية أو المنصب الفلاني في المكان الفلاني فاسعَ أنت لأن تبلغ العُلُى في العالم الآخر وترفع عما يصبو إليه طلابُ الدنيا وزيتها لكي تفوز بجوار الأولياء والصالحين والمحلصين الذين جاء فيهم **﴿وشيئك على منابر من نور مبضة وجوههم حولي في الجنة وهم جيراني﴾**^(٦) فالذي ي يريد اليقين والإيمان الكامل ينبغي له ان

(٤) سورة الأنعام ، الآية : ٤٥ .

(٥) سورة الحشر ، الآية : ٣ .

(٦) دعاء الندبة - في مفاتيح الجنان المعرب - للشيخ عباس القمي - بيروت - دار احياء التراث العربي ص ٥٣٤ .

يتحمل الصعب والبلاء من أجل ذلك ، ولا يمكن له كسب هذا المقام بدون هذه الصعب وتلك البلاء .

ديمومة الاعتبار تحصيلاً للبيتين :

ان العبرة هي احدى طرق الوصول إلى اليقين ، وهذا لا يمكن تحصيله يوم أو يومين ، فالاعتبار يمكن أن يتأتي من كل شيء تراه ابتداء من خروجك من المنزل صباحاً قاصداً مكان عملك وانتهاء برجوعك ثانية إلى دارك التي تأويك فلو قدر لك ان ترى إمرأة متزينة عليك ان تعتبر وتذكرة أن هذه المرأة مسكينة ولا فهم ولا إدراك لها فبعد أيام تُلْفَ بكفن شَقْ من يمينه لتضع خدها اللطيف على التراب العليء بالهوا المتنتظره طعامها ، واول ما تأكل هذه الهوا عين الإنسان التي طالما خانت ولم تلتزم بما أمرها الله تبارك وتعالى به من غضير للبصر .

الغرض من هذا الحديث هو : ان لا ينسى الإنسان الاعتبار في سرح وسرح كيما اتفق مطيناً هواه وشيطانه الذي لا يربد له إلا الشر .

صورة الميت بدلاً من الصورة المهجحة :

ان بعض الشباب يسألون ماذا نفعل ونحن في عصر كلّه مهيجات ومثيرات والأنكى من ذلك الصور التي تتناولها أيدي الشباب والتي تبرز محاسن المرأة بشكل سافر .

وفي جوابهم قلت : إذا اردت النجاة والخلاص من هكذا مواقف عليك بحمل صورة رفيقك أو زميلك الذي مات منذ سنين ، فحين تُعرض عليك الصورة الجنسية انظر إلى صورة زميلك الميت وتذكرة كيف أنه كان معك يأكل ويشرب ويلعب وهو الآن تحت التراب وأنّ مصيرك إلى ما صار إليه زميلك لا محالة فالانتهاء والاعتبار يبتعد بك عن سلوك طريق الشهوات الخطير ويقترب بك من طريق اليقين بالله الواحد الأحد وباله يوم الآخر الذي لا بدّ من ذهابنا إليه

والوقوف على أحداته .

ذكر الموت حياة للقلوب :

جاء في المحجة البيضاء ان عائشة سالت الرسول (ص) : هل يدخل الجنّة أحدٌ بدون حساب فأجاب (ص) : من يذكر الموت ٢٠٠ مرة في اليوم والليلة .

يقول عزٌّ من قائل في محكم كتابه ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾^(٧) وما يشابه ذلك ما ينقل عن علي (ع) بما مضمونه : « فاجعلوا إجتهادكم فيها التزود من يومها القصير ، ل يوم الآخرة الطويل ، فإنها دار عمل ، والأخرة دار القرار والجزاء » ، فالدنيا دار متاع ودار تزود والأخرة دار قرار ودار جزاء فليعمل الإنسان لأنّه وليتذكر دائمًا الموت ليعيشه هذا التذكرة على الخروج من سلط النفس والشيطان ، فطالب الإيمان واليقين عليه ان يجري ذكر الموت أبداً على لسانه وليعمل بالخوف من الله وبالرجاء لرحمته تبارك وتعالى علاوة على الإعتبار من سير الماضين واتخاذها دروساً ، خاصة في المواقف العصبية التي يتلقي بها الإنسان من مثل العيل نحو الشهوات أو الإقدام على المحرمات فذكر الموت أحسن وأفضل سلاح لمبارزة هكذا مواقف .

الاعتبار حتى في التخلّي :

ان الإنسان لا ينبغي له ان يغفل ولو للحظة عن اكتساب العبر والدروس حتى في اوضاع الأماكن؛ ففي الإستخلاف عبرة للإنسان فلو قدر لإنسان ان لا يخرج بوله من بدنـه فـما هيـ الحـالـةـ التـيـ سـيـكـونـ عـلـيـهـ؟ـ سـيـذـهـبـونـ بـهـ إـلـىـ الـمـسـتـشـفـيـ لـكـيـ يـضـعـونـ اـنـبـوـاـ حـدـيدـيـاـ فـيـ آـلـهـ لـيـسـنـىـ لـهـ إـخـرـاجـ عـدـةـ قـطـرـاتـ مـنـ بـولـ إـنـ جـبـتـ أـدـتـ بـهـ إـلـىـ الـهـلـاـكـ فـيـ لـهـاـ مـنـ نـعـمـةـ لـاـ يـقـدـرـ الـقـادـرـوـنـ قـدـرـهـاـ وـقـدـ

. (٧) سورة غافر ، الآية : ٣٩ .

توالت الروايات في آداب الاستخلاء من أوراد وافعال تؤكد الشكر للخالق الصمد ، الذي جبنا امكانية إخراج المواد السمية بشكل يبعث على الإعتبار والالتفات إلى رحمة الله تبارك وتعالى بعباده وخلقه على السواء .

وخلاصة القول : ان العبرة مسألة اساسية في حياة البشر فبدونها لا يلتزم الإنسان بكثير من القضايا التي أمرنا الله بها .

الكعبة أول بيت للعبادة :

مثال آخر للاعتبار ، بيت الله الحرام ، أشرف بقاع الأرض ، وقد نص القرآن الكريم على ذلك حين قال تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذي يسّكناه مباركاً وهدى للعالمين » ^(٨) .

في أيها الحجاج والمعتمرون ، يا من طریتم مراحل من الإيمان واليقين لا تشغلا الفکر فقط بالبيع والشراء والهدايا بل يجدر بكم ان تصرفوا مقداراً من الفكر في الإعتبار من الحج ، فهنا مکان الاستفادة الأصلي والإعتبار العظيم .

في البداية عليكم ان تدركوا ان مکة هي اول قطعة ارض اختارتها الذات المقدسة لأن تكون مکاناً يتبعد فيه المؤمنون وقد أوصى الله انبیائه الابرار ببنائها ، وقد خص بالبناء أفضل الأنبياء بعد خاتم الأنبياء محمد (ص) إبراهيم (ع) ، فقد رفع إبراهيم الخليل قواعد هذا البيت بمساعدة اسماعيل (ع) ذبيح الله « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل . . . » ^(٩) ، لقد طاف حول هذا البيت جملة من انبیاء الله ورسليه لذا يجدر بالحجاج الكرام ان يلتفتوا إلى هذه النقطة المهمة بشكل يشوبه الأدب والوقار ، انهم يضعون اقدامهم في المکان الذي وضع رسول الله (ص) قدمه الشريفة وغيره من الأنبياء والأولياء لذا كان حريًّا بهم أن يتذكروا أعمالاً وافعات النبي المشرفة والتي رفعت

(٨) سورة آل عمران ، الآية : ٩٦ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .

اسم الإسلام عالياً في كل بقاع المعمورة وينظروا إلى الكعبة نظرة تختلط بالتفكير والتدبر فان «النظر إلى الكعبة عبادة»^(١٠)
النظر إلى الكعبة وذكريات أصحاب الفيل :

عند النظري إلى الكعبة تذكر عمل ابرهة القبيح قبل اربعة عشرة قرناً حين جاء بجيشه الممتد للقيلة من اليمن ليُدكُّ أساس بيت الله الحرام بشكل لا يترك للقرشيين واهل مكة إلا الفرار من مكة المكرمة؛ لأنَّه لا فائدة من المقاومة أمام جيش جرار عظيم ومقنطر وقد أمر في وقتها عبد المطلب جدُّ الرسول ابنه عبد الله بالصعود على جبل أبي قبيس ليرى ما في الأمر وإذا به يقول لأبيه: أنَّ ما يشبه البقع السوداء تأتي صوبنا من جهة البحر، فقد يكون ذلك غيوماً محملة - ولكن الأمر غير ذلك - فقد كانت جيوش الآباءيل ، إنها طيور السنونو الصغير جاءت وهي تحمل في مناقيرها وارجلها شيئاً كانه «الحمص» فلقد حمل كل طائر ثلاثة حمصات ليهوي بها على ثلاثة رؤوس كافرة من جيش أبرهة الطاغية ناهيك عن عبور حبات الحمص من رؤوس الفيلة لخرج من بطونها ناراً تحيط بها من كل جانب «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل»^(١١) لقد أضحي جيش أبرهة كذرات الرمل في يوم عاصف ، أصبح مكرُّهم وكيدُهم في ضلال وحفظَ الله تعالى بيته الحرام من الزمرة الكافرة الضالة ، وعليه ولأهمية وقدسيَّة المكان عليك أيها المسلم أن تتعامل بحذر شديد في هذا المكان الذي حبا الله لطفاً خاصاً فانت عبد ذليل في ضيافة الله القادر فلا جدُّ ولا نزاع ولا خلاف ولا تحسب على الذين ليس لهم من العجِّ إلا التعب والعناء .

(١٠) سفينة البحار : ج ٢ ، ص ٥٩٦ (وردت ضمن حديث ابتدأ «النظر إلى علي (ع) ...» .

(١١) سورة الفيل ، الآية : ١ .

طيور الحرم ، تؤدي الاحترام :

ان في المسجد الحرام آياتٌ بیناتٌ لو امعنت النظر فيها لتعجبت ولعرفت
وادركت قدرة الباري جل اسمه .

كم هو عدد الطيور التي تدور حول الحرم وعند الحرم ؟ يمكن ان تعرف ذلك من خلال ما يلقى لها من الجبوب فهي كثيرة جداً ، والعجيب في الامر انها على كثريتها لا تمر من فوق الكعبة مباشرةً وقد طالعت هذا الموضوع شخصياً فتعجبت لهذه الطيور التي هي في تكوينها الحيواني تتأدب وتحترم حرمة المكان فلا ترى برازاً لها في مكان ما من الكعبة على الرغم من كثريتها ، فالحيوان هذا يعمل بمقاييس الأدب في الحرم ، وانت أيها الإنسان العاقل ينبغي لك ان تراعي الأدب والإحترام اضعاً مضاعفة إذ لا يمكن المقارنة بينك وبين الحيوان .

قال أبو عبدالله : ان الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف ، صنف يُعتقد من النار ، وصنف يخرج من ذنبه كهيته يوم ولدته أمه ، وصنف يحفظ في اهله وما له وذلك ادنى ما يرجع به الحاج .

أبناء آدم عبرة لبني آدم :

ان الفرد الذي يطلب اليقين عليه ان يضيئ سيرة الماضين نصب عينه لكي يعمل وفقاً لمقوله امير المؤمنين فيما يُنقل عنه (ع) مضموناً : « من نجا انما نجا بطاعة الله ومن هلك انما هلك بمعصية الله » ، ولا يأس بنا ان نرجع إلى بداية الخليقة للإعتبار بما حدث لابني آدم فيدلنا القرآن الكريم على ذلك في الآية الشريفة : « واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق ، إذ قربا قربانا فقبل من أحديهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتنك قال انما يتقبل الله من المتقين »^(١٥) .

(١٥) سورة المائدة ، الآية : ٢٧ .

لقد اشتعلت نارُ الحسدِ في قلبِ ابن آدم فجئني على نفسيه بسفك الدم
وأي دم ، إنه أخوه ؛ وما الحسدُ إلا تفريطُ للحسنات ، فليتعظُ أبناءُ آدم ولا
 يجعلوا للحسدِ إلى قلوبِهم من سبيلٍ ، فلا بأس أن يربح زميلك أو جارك
 شيءٌ ، ولا ضيرٌ في أن يفوزَ فلانٌ من الناس بكسبٍ تجاري ، وما فائدةُ حسدك
 لفلانٍ أو حاول أخي المؤمن أن تردعَ النفسَ الأمارةَ بالسوءِ منذ البدايةِ لثلا
 يستشري الحسدُ هذا ويُصبحُ عادةً من العاداتِ السيئةِ التي لا يُمكن بعد مدةٍ من
 الزمنِ أن تنتهي منها إلا بصعوبةٍ بالغةٍ وقد لا تستطيعُ لأنها قد تمتلكُ عليكَ قلبك
 وعقلكَ فلا تجعلُ لكَ سبيلاً للخلاصِ منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وان لكم في القرون السالفة لعبرة ، اين العمالقةُ وابناء العمالقة ، اين الفراعنةُ وابناء الفراعنة ، اين اصحابُ الرسَّ ، اين الذين قتلوا النبيين وأحيوا سُنَّةَ الجبارين .

القسم الرابع اليقين : معرفةُ سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ ، فمن عرفَ السُّنَّةَ فكأنما كان مع الْأَوَّلِينَ واهتدى إلى التي هي أقوم ونظر إلى من نجا بما نجا ومن هلكَ بما هلكَ .

الاستقامة في العبودية والهلاك في المعصية :

طالبُ الإيمان واليقين يجب ان تتجلى فيه تجربةُ الماضين وان يكون معتبراً بما حدث لمن سبقوه في الحياة الدنيا ، عليه ان يعتبر من هلكوا ويرى كيفية طبيعة هلاكهم ، وكذا من الناجين الذين بلغوا السعادة في الدارين ويرى كيف وصلوا شاطيء السلام ، فالتفكير والتدبر طبيعة المتقين» والمعاقبة للمتقين»^(١) ، فالعملُ الحسن هو حاصلٌ عَمِّر قضاةُ صاحبه بالتقى ملتزماً جادة الصواب والتي ارادها الله ورسوله له ، واما الشقاء فهو حاصلٌ عَمِّر قضاة صاحبه جرياً وراء الأهواء والشهوات وعدم الالتزام بالقيم الأخلاقية والتهور في انجاز

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٢٨ .

عمل ما ، وانت اخوتي المؤمنين تمتلكون من الشواهد الكثير فكم شخصاً رأيتم
كان هُمُ الْوَحِيدُ جمع الأموال وتدبرها وتملك الدور والأسواق ولم يُحْظَ بفائدة
أو ربحٍ بدا عليه منذ البداية وحتى نهاية حياته ؛ فهو يُفْتَر على اسرته ويعنها من
شراء حتى الحاجات الضرورية للمعيشة ناهيك عن بخله الشديد حتى على
نفسه فلا يأكل جيداً ولا يلبس جيداً يحاسبه الله حساب الأغنياء على الرغم من
أنه عاش معيشة الفقراء .

ورأيتم كذلك كيف كان هناك أشخاص كسبوا الكثير - وقد يكون الكسب
معنوياً - من خلال عمل الخير ، ومساعدة الملهوف ، والبذل والعطاء فالكل
يذكُرُهم بخير وهذا كسبٌ وفُوزٌ والكل يترحم عليهم بعد وفاتهم وهذا أيضاً فُوزٌ
عظيم فلا يأتي ذكرهم إلا وذكر الناس اعمالهم الخيرة هذا غير ما يتظரهم من
عطاء الله في جنان الخلائق والدرجات العلي .

على أية حال ينبغي للمسلمين أن يقرأوا القرآن ويتذمروا ما فيه من مواعظ
جاءت في قصصه المتناثرة كالذرز في صندوق المجوهرات لمعرفة سُنة الأولين
وعندما يجترب الإنسان المسلم الآخاء والمعاصي ويسلك طريق من نجوا
طريق الصواب والحق والصدق .

حكاية الأخوة يهودا وبطروس في القرآن العظيم :

اقرأ عليكم انموذجاً روائياً جاء في القرآن الكريم علنا نكتب عبرة أو
نعتبر ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحفناهما
بتخلٍ وجعلنا بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا
خلالهما نهراً ، وكان له ثمر ﴾^(٢) . جاء في بعض التفاسير :

كان في بني إسرائيل أخوان ، اسم الأول يهودا والثاني بطروس ورثا عن
ابيهما «٨٨» ألف دينار كانت حصة كل واحد منها «٤» ألف دينار ، فانفق يهودا

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٣٢ - ٣٤ .

اربعة آلاف في سبيل الله تبارك وتعالى ولم يُق على شيء لنفسه ، اما الاخ الآخر بطرس او بطرس فقد اشتري جنتين او بستانين باربعة الآف من الدنانير واجرى بينهما نهرأ واتخذ لنفسه قصراً بين الجنتين يشتمل على الخدم والخدم وما إلى ذلك .

ذهب يهودا إلى أخيه الوحيد بطرس ليقترب منه بعض المال ، فنظر إليه بطرس نظرة ازدراء واستهزاء وقال له : لو كنت تعرف كيف تصرف بأموالك لما آلت بك الأمر إلى القرض علاوة على هذا فقد قال بطرس بعدم زوال جنته هاتين « ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبىء هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولتن ردت إلى ربِّي لاجدَنَ خيراً منها متقلاً »^(٣) إله لا يعلم أو يتغافل عما بين يديه ، أنَّ الذي بين يديه من ملك أو زروع ونخيل عارية فالملك الله الواحد الأحد ، خلاصة الأمر بدأ يتحدث بشكل يبعث على الدهشة حيث وصلَ به الأمرُ للشكك بِيَوْمِ القيمة إلى ان جاءه يهودا وقال له كما جاء في القرآن : « قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقت من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً »^(٤) ، « لكننا هو الله ربِّي ولا اشركُ بربِّي أحداً »^(٥) أبدى يهودا النصح لأخيه عَلَى يرجع إلى فطرته او يتخلَّى عما صدر منه ولكن هيهات !! لقد تمكَن الغرور منه بشكل وصلَ به إلى الطغيان على كلِّ القيم السماوية .

إرادة الله

لقد نصح يهودا أخيه بِشَتَى الوسائل والطرق وذكره بالله تبارك وتعالى ولكنه لم يدعه وقال له : « إن تربَ أنا أقلَّ منك مالاً ولدَاه فعمى ربِّي أنْ يؤتَينَ خيراً

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٣٥ - ٣٦ .

(٤) سورة الكهف ، الآية : ٣٧ .

(٥) سورة الكهف ، الآية : ٣٨ .

من جنتك ويرسل عليها حباتاً من السماء فتصبح صعيداً زلتاً ^(٦) فلم يقتصر بكلام أخيه بل سخر منه وطرده من جنته « وأحيط بشره فاصبح يقلب كفيه على ما أتفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربتي أحداً » ^(٧).

ينبغي لك أيها العاقل المسلم أن تعتبر من هذه الرواية التي سردها لنا القرآن المجيد، فنبحث في قصص الأشرار وكذا في قصص الآخيار فإنما هكذا من هكذا بمعصية الله ونجا من نجا بطاعة الله.

بنو أمية وخبيثهم :

لو نظرنا في التاريخ لرأينا خيبة الساعين في اذهب الحق وتضييعه، « يُرِيدُونَ لِيُظْفِنُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَتَّمْ نُورَهُ » ^(٨) ، انهم « بنو أمية » وقفوا قبلة الحق ، حاربوه حاولوا ان يمحقوا اسم الدين من الوجود ولكنهم لم يصلوا إلى أهدافهم الوضيعة؟ لقد استمروا على البقاء في الوحل ونخب سعيهم وضلّ .

لقد بذلَ بنو أمية الغالي والنفيس من أجل ازاحة آل بيت الرسول (ص) عن الحياة السياسية والإجتماعية بل قتلواهم شرًّا تقتل وشردواهم شرًّا تشريد وسبوا علياً ^(ع) ٣٥ سنة على المنابر وقتل يزيد ابن بنت رسول الله وأحد سبطي الرحمة ولكنَّه وغيره من المردة لم يبلغوا مرادهم وهو الذهاب بالإسلام والقضاء عليه .

أنَّ الإمام علي ^(ع) أمرَ ابنَهَ الحسنَ بتشكيل أربعة نعوش بعد وفاته لتضييع الأمر على معاوية خوفاً من التمثيل بيدنه الشريف؛ لذا كانت هناك أربعة

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٣٩ - ٤٠ .

(٧) سورة الكهف ، الآية : ٤٢ .

(٨) سورة الصاف ، الآية : ٨ .

مكانت للدفن فالمكان الأول مكة المكرمة والثاني صوب بيت المقدس والثالث في بيت الإمام (ع) والرابع وهو الأصلي حيث دُفن البدن الطاهر ليلاً بعد ان نامت العيون المتطلة ، ولقد بقى قبر أمير المؤمنين علي (ع) مضيئاً لقرن من الزمان بعدها ثبت التاريخ اسم كتاب قرحة الغري لابن طاووس وهو من الكتب المعبرة الذي يبيّن فيه المؤلف كيفية العثور على قبر الإمام سلام الله عليه .

أن عاقبة الأمور لا تفارق المتقين بل هي حتمهم أنهم سعداء الآخرة ، فلابن موسى بن جعفر (ع) من هارون ؛ أن هارون لم يتنازل يوماً واحداً عن هوى النفس وحب الشهوات وانتهال الحرمات ، على العكس من عباد الله الصالحين الذين أحسن الله عاقبتهم فأصبحوا سلاطين عالم الملكوت .

هل تريـد السـمو ؟ هل تـحبـ الرـقـي ؟ هل تـريـد أن تـكـبـرـ ؟ كـن صـغـيرـاـ في قـبـالـ اللهـ ، وـأـنـكـ ذـاتـكـ الـتـي تـأـمـرـكـ دـائـماـ بـالـسـوـءـ ، كـنـ مـثـلـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ (ع)ـ حـينـ كـانـ يـمـرـعـ وـجـهـهـ بـالـتـرـابـ تـصـاغـرـأـ أـمـامـ اللهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ لـقـدـ كـانـ «ـحـلـيفـ السـجـدـةـ الطـوـيـلـةـ »ـ .

بسم الله الرحمن الرحيم

العدل :

... والعدل على أربعة شعب غامض الفهم وغمر العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم فمن فهم فسر جميع العلم ، ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً^(١) .

وخلالصة حديث أمير المؤمنين (ع) هو : يجدر بالمؤمن فهم المشكلات ، ولا قيمة للمؤمن بدون فهم ، وادرأك هذا ناهيك عن إصرار المؤمن بسر أعمق الحقائق وفهمها لكي يتضمن له مراعاة الإلتزام بالعدل وان يكون ذات حكمة ظاهرة يستفيد منها في درك الحقائق ؛ وقد جاء في بعض النسخ « تناوص الفهم » المأخوذة من غاص ، يغوص ؛ وقد تكون كذلك لأن العلم كالبحر والفهم كالمجوهرات ، فمن رام الجواهر نزل إلى البحر وغاص في أعماقه مستخدماً علمه وادرأك للخروج بجواهير الحكمة من أعماق بحر العلم الممتد .

أساس العدل الفهم :

لقد أولى الإمام علي (ع) الفهم أهمية خاصة حيث أشار إلى أساسيته في

(١) الأصول من الكافي - الكليني - دار الأضواء - بيروت ج ٢ ص ٥١ .

شعب العدل الأربعة ، فأساس العدل الفهم ، ولكن المسألة تكمن في الإرتباط بين الفهم والعدل ؛ فأول مراتبه هو الفهم لهذا كان أساساً له . والعدل هذا على ثلاثة مراتب العدل مع الله ثم العدل مع الخليق بعدها وثالثاً يأتي العدل مع الذات .

عندما يكون التعامل مع الله تبارك وتعالى وفقاً لاحكامه وشرعيته يكون الإنسان عادلاً ؛ من خلال دقة وفهمه للحقائق جميع المسلمين يعلمون أنَّ من الأحكام الضرورية العقلية والشرعية هو عدم التصرف في ملك الغير بدون إذن ورضا صاحبه ، فالعقل يقول بقباقيه والشرع يقول بحرمة ولا أعتقد ان أحداً يشك في ما أقول ؟

فالوروذ في بيت بدون علم صاحبه مرفوض عقلياً ومحرم شرعاً .

الصرف في ملك الله بدون إذن :

هل تعلم ملكية أبداننا وأعضائنا ؟ في الحقيقة إذا تعمقت في الأمر فستفهم وتراعي العدالة في هذه الملكية .

لناخذ مثلاً هذه العين فمن هو خالقها ؟ فهل أنت خالق أو صانع لجهاز التصوير هذا والمتكون من سبع طبقات تتصل كل طبقة بالطبقة التي فوقها ؟ وهل لك يد في الرطوبة التي هي بين الطبقات والتي إذا ما جفت الرطوبة في إحدى الطبقات فقد صاحبها البصر .

أو هل لك دخل في خلق الأذن التي تحتوي على ثلاثة آلاف من الذرات ؛ يقول الشيخ الطنطاوي من مصر في تفسيره : إن الأذن البشرية لا يمكن أن تسمع شيئاً إذا لم تكن مكتملة الخليا ، وعدد الخلايا فيها ثلاثة ملايين خلية ؛ فمن صاحب هذه الأذن ؟ ومن هو صاحب اللسان أن صاحبها هو ذاك الذي صنعتها ، ولست أنت ، إنها ليست بملك لك ، لا الأذن ولا اللسان ولا ... و ... كلها ملك الله جل قدرته فأنت ملك الله من رئيسك وحتى

أخص قدمك ، وعقلك يقول بذلك أيضاً فهو يعرف أنك ملك غيرك ويجب أن توظفه في خدمته وفي رضاه ، فملك الغير لو استخدمته بدون إذن صاحبه يُعد ظلماً ، ولا ينبغي لك أن تنسى أن البشرية جموعاً اتفقت على أن استخدام مالك الغير بدون إذن قبيح عقلاً وحرام شرعاً ؛ فالإنسان الذي يسب ويشم بلسانه ، لم يعدل في ملك الله ، وتصرفة هذا في غير محله وكذا العين الخؤون ، وخلاصة الأمر أن آية حرمة في ملك الله في غير رضاه ظلم .

أولادك ملك الله ، وهم أمانة في يدك ، ائتك الباري عليهم وكذا دارك والحجر والترب والحديد والخشب وكل شيء راجع له وحده لا شريك له ﴿إلى الله تسير الأمور﴾^(٢) .

أن تصرفك بملك الله على أنه مالك ، ولا يسمع الناس منك إلا أموالى ، ومالى ، وملكي فأنت ظالم له وليس فيك شيء من العدل لأن كل شيء ملكه وحده ولكن نسيانك الله جعل منك ظالماً ، ظالماً في أعضاء بدنك وفي مالك وفي غير ذلك ، فعلى سبيل المثال إذا كنت مسراً فأنك ظالم ؛ ﴿والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتروا﴾^(٣) ﴿ولَا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تسطعها كل البسط فتقع ملؤماً محصوراً﴾^(٤) ﴿... والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾^(٥) .

السجاد والسوط :

لقد جاء في بعض الأخبار أن الإمام السجاد عليه بن الحسين (ع) حج إلى بيت الله الحرام ^{١٥٥} ، حجّة هذا غير حج العمرة التي غالباً ما يقيمها في شهر رجب المرجب وأحياناً في شهر رمضان المبارك .

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٣ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧ .

(٤) سورة الإسراء ، الآية : ٢٩ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٣٤ .

وقد روي في حقه أنه في حجّ له على جمل رفع سوطه على جمله يُريد ضربه لتعطيله عن السير بسبب كلامه لكنه تذكر أن الجمل ملك الله وأمانة عنده فامتنع عن ضربه وقال : « لولا خوف القصاص » .

أن الإمام (ع) يدركُ جيداً أن ضربَ الجمل مسؤولية كبيرة يحاسبُ عليها فيما بعد فلو تأذنَ الإمام (ع) يقيناً أن ضربَ الجمل مرضأة الله لضربه ولكنَّه يعلمُ يقيناً أن الضربَ في هكذا حالة فيها قصاص مأمور لا محالة لذا كان امتناعه عن الإتيان بالضربِ في محله .

وفي مناجاة أمير المؤمنين (ع) جاء : « مولاي مولاي أنت المالك وأنا المملوك ، أنت الصانع وأنا المصنوع » .

أن المعاني المدركة من مناجاة الإمام (ع) تدلُّ على التقوى الحقيقة وعدم القول باستقلالية التملك في ما خلقه الباري تعالى شأنه وإن الله تعالى هو الوحيد الذي يمكن أن يتحكمُ فيما خلقَ .

العدل مع المخلوق يستلزمُ الفهم أيضاً ، فمن كانتُ الحكمَة من نصيبي يفهمُ جيداً عدمية التباين بين جميع البشر حسبَ أصلِ الحقيقة وهي أنَّ الكلَّ من ترابِ والكلُّ يصيرُ إلى تُرابِ والجميعُ مخلوقاتُ ربِّ العالمين التي تُنفَى في آخرِ الأمر ، فالإنسان خُلق من غير اختيارٍ وينهَى به إلى العالم الآخر بدون اختيارٍ أيضاً ، فما الفرقُ إذن بين أفراد البشر حسبَ الخلقَة والتوكين ؟ لا فرقٌ بينهم فهمُ سواء في خلقِ الله لهم ، وذهابهم قهراً من عالم الحياة الدنيا إلى عالم الحياة الآخرة ، إذن لا ينبغي لاحد أن يستعلي على آخر ولا ينبغي له أيضاً أن يتكبرُ ويقول بأفضليته على الآخرين .

نقلَ لنا الغزالِي حكاية عن أيام ولاية عهد الإمام الرضا (ع) في خراسان جاءَ فيها : ذهب الإمام الرضا (ع) إلى الحمامِ وما مضتَ غير دقائقٍ وإذا بصاحبِ الحمامِ يعود الإمام الرضا (ع) ليسأله إذا كان لديه حاجة أو لا ؛ ولكنَّه

رأى العجب !! انه رأى الإمام (ع) وقد أمسك بليف ليدلّك ظهر أحد المتخمين فارأى ان يحمل على الشخص ذاك ولكن الإمام (ع) أشار إليه بالإنضباط ، والظريف في الأمر ان ذلك الشخص لم يكن يعرف أن الإمام (ع) هو ولٰي المهد ، فكان قد عرض عليه أن يدلّك له ظهره بالليف فامتثل الإمام (ع) إلى طليه وتقدّل له ما أراد .

نعم ، فالملحقات البشرية سواء في العبودية لله تبارك وتعالى ، اما مقام الإمامة والنبوة فهذا يرجع إلى درجات عطاء الله للإنسان الذي تمكن من لجام نفسه وتسامي عن الشهوات والمعاصي ؛ اما من ناحية العدل فلا ينبغي لأحد أن يتعالى ذرة واحدة فوق نظراته من الخلق وإن فعل فهو ظالم لنفسه وللغير .

أشد الناس حسرة :

أربع طوائف هم الذين تكون حسرتهم أكثر من الباقيين :

الأولى : عالم ينصح الناس ولا يلتزم بما يقول ولا يعمل بما يعلم فهو هاوي في نار جهنم وغير مجتاز للصراط ويرى بأم عينيه مریديه يجتازون الصراط المستقيم بسلامة وهو لا يقدر على ذلك فيتسرّع .

الثانية : رجل لم ينفق من ماله في سبيل الله شيئاً ومات وله ورثة أنفقوا المال في عمل الخيرات والصالحات يأتون يوم القيمة لينالوا الدرجات وهو ينظر إليهم من قعر في جهنم حام .

الثالثة : رجل وامرأة كان لهم خدم وعيّد يحكمون عليهم ويستهزّئون بهم فإذا جاء يوم القيمة رأوا مكانهم في أعلى علرين وهم (اي أصحاب الخدم والعبيد) في نار جهنم يصطلون .

الرابعة : رئيس جلس على كرسي الحكم يأمر وينهي ويلحق الفسر بمحكوميه وفي يوم القيمة تراه في مكان يحكم عليه محكوميه فينالون منه أكثر مما نال منهم .

الحكام واقعون في المصيبة إلا من عدل :

في رواية تتحدث عن الولاية والحكم جاء في مضمونها : « من ولَيَ عشرةً فما فوقهم جاء يوم القيمة مغلولة يدُه إلى عنقه فإنْ كانَ مُحسناً فلُك عنْه ، وإنْ كانَ مُسِيناً زيدَ إلى غلُمه » وفي رواية أخرى وإنْ كانَ ظالماً هوَ بِهِ في نار جهنَم وبِهِ المصير » .

لقد تحدَّثَ بالأمسِ القريبُ عن تربية الأُولاد وقلناَ أَنَّه لا يجُبُ تركُ الحبلِ لهم على الغارب ولا يجُبُ شتمُهم وسبُّهم فأنَّ السُّبُّ والشتمُ ظلمٌ ناهيكُ عن اكتسابِ الطفلِ لهذهِ الصفةِ الذاتيةِ ، وقد أُولئِيَ الإسلامُ العزيزُ عنايةً خاصةً بالطفلِ وقالَ بابِيَّ العَهْدِ لِهِ إِذَا عاهَدْتَهُ فِإِذَا مَا قَلَّتْ لَهُ سَاشْتَرِي لَكَ الحاجةُ الفلاطيةُ وحدَّدَتْ لَهُ الْيَوْمُ وَالسَّاعَةُ وَبِدَاتْ تَسْوُفُ فِي الْأَمْرِ فَانْتَ ظَالِمٌ عَلَوْهُ عَنِ اكتسابِكَ صفةَ عدمِ الوفاءِ بالوعِدِ والعَهْدِ .

وعلى آيةِ حالٍ فأنَّ الأَطْفَالَ يجُبُ أَنْ يَتَبَرَّوْا بِشَكْلٍ يَفْهَمُونَ مَعْنَىَ الْكَذْبِ قَبْيَحٌ وَمَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ كَرِيهٌ ، ولوْ تَأْتَى لِابْنِكَ ابْدَاءً صَدِيقٌ فِي الْقَضِيَّةِ الَّتِي تُخْفِيَهَا عَنْ فَلَانٍ مِنَ النَّاسِ ، وَابْدَيْتَ لَهُ الْلَّوْمَ فِي ذَلِكَ فَسَيَقِنُ أَثْرُ كَلْمَتِكَ الْبَاطِلَةِ فِي ذَهْبِهِ مَا دَامَ حَيًّا وَبِذَلِكَ ظَلَمْتَ نَفْسَكَ وَابْنَكَ وَالْمَجَمِعَ .

والويلُ والثبورُ لِلآباءِ والأمهاتِ مِنَ الَّذِينَ يُكْرِهُونَ أَوْلَادَهُمْ عَلَىِ الْفَسَقِ والفحْرُورِ بِلِ وَيُشَجِّعُونَ عَلَىِ ذَلِكَ وَهُنَّاكَ وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُمْسِكُ الْأَبُونَ بِتَلَابِيبِ أَبْرِيهِ وَيَقُولُ لَهُمْ : ظَلَمْتُمُونِي ، فَأَتَمُّ الَّذِينَ شَجَعْتُمْ عَلَىِ ذَلِكَ وَلَوْلَا أَنْتُمْ لَمْ سَرَقْتُ ، وَلَوْلَا الْحَدِيثُ الْفَلَانِي لَمَا فَعَلْتُ وَهَذَا .

حقُّ الْأَبْنَاءِ عَلَىِ الْأَبَاءِ :

أَنَّ الْحَدِيثَ فِي بَيَانِ الْعَدْلِ مَعَ الْمُخْلُوقِ تَعْرَفُنَا إِلَيْهِ بِشَكْلٍ وَجِيزٍ حَيْثُ قُلْنَا أَنَّ اِدَاءَ الْحَقْوَقِ يَوْجِبُهُ الْعُقْلُ وَالشَّرْعُ ، وقدْ شَرَحَ وَفَصَلَ كِتَابُ الْفَقِيْهِ فِي بَابِ الْمَعَاشِرَةِ حَيْثُ جَاءَ فِيهِ : أَنَّ حَقْوَقَ الْأَبْنَاءِ تَشَمَّلُ الْأَبَاءِ (الْأَبُ وَالْأُمُّ) عَلَىِ

السواء فهم شركاء في تربية الأبناء وحيران ، وبائع ومشتري ، ورفقاء سفر ومحظوظين في جلسة واحدة وقد أسلفنا في الحديث عن هذا الموضوع اختصاراً . ونذكر اليوم القاعدة الإجمالية ل التربية الأبناء أو حق الأبناء في أعناق الآباء .

يلزم الآباء في كل وقت وزمان تشجيع الأبناء على ترك المعاصي والوقوف سداً منيعاً أمام انتزاعهم في مهافي الفساد حيث يكون المنه في هكذا حالات واجباً أما المسائل التي يمكن أن يمارسها الطفل بصورة عشوائية وتحسب من المعاصي فلا خوض فيها لأن الطفل غير مكلف ولكن يبقى تدريسيه وتعلمه على أن الذي يفعله ليس صحيحاً وتعويذه منذ البداية على الحسن من العمل والقول ، فعلى سبيل المثال لو قدر أن يستقبل الطفل أو يستدير القبلة حين التبول أو التغوط - وهو حرام على كل مكلف - فهو عليه غير حرام لأنه غير مكلف أو غير بالغ سن الرشد وليس في ذلك وجوب من منعه بل الأجر أن يسلك به طريقاً إلى التمرير على عدم ممارسة ذلك من خلال إلتزام البالغين بذلك . فالصلة مثلاً لا يأس بأن يقوم بها من غير احتسابها واجباً عليه ولكن الوالدين عليهم أن يسعيا إلى جرّ الابن إلى ممارسة بذلك قبل الوصول إلى سن البلوغ فالابن يصلّي في سن الثانية عشرة والبنت في السابعة وإذا لم يتم ذلك لا سمح الله - فالمعهدة في رقبة الآبوين وإذا ما صارت البنت إلى التاسعة من عمرها ولم تمارس فريضة الصلاة وكذا الابن الذي يصلّي الخامسة عشرة فالمعهدة على الآبوين لأنهما لم يوفقا أبناءهما إلى الصلاة من قبل البلوغ .

صدّ الطفل عن ممارسة الكذب والنميمة :

إن زجر الآباء يتوجّب على الآباء في حالة ممارستهم للمعاصي التي تتمّ عن الفساد من مثل الكذب ، إذ لا ينبغي للأباء أن يتركوا أبناءهم يعتادون على الكذب والغيبة والنميمة ولا يجدون بهم أن يتسموا في وجوههم حينما يمارسون هكذا معاصي لأن التبسم في وجوههم أو لهم يبعث على الفتنة والسقوط في هاوية المعاصي ، بل يجب عليهم أن يسدو النصح لهم حين التفوه بكلمات

يُفهُمُ منها أنها غيبة أو نسيمة ، وقد يُشاهدُ في بعض الأحيان حالات تبعث على الأسف من مثل تشجيع الأمهات لأنوثهن على ممارسة المعاصي بدون أن يشعرون بذلك فعلى سبيل المثال قد يعاقبُ الأبُ ابنه أو بنته بسبب ممارسة لمعصية ، فتسرع الأمُّ لترضية ابنها بقولها لا تهتم بذلك فاني سأجعلُ من أبيك إنساناً راضياً عنك بدلَّ أن تُسدي له النصيحة وتعلمه إنَّ الذي فعله أبوك معك إنما هو الصحيح لا يجدرُ بك أن تفعل ذلك مرةً أخرى ، ولكنَّ بشكلٍ هادئٍ جداً ، فستَّ الحياة أن يتشددَ أحدُ الآباء في حالة معصية الأبناء ويهديه الآخرُ الأمورَ بدون أن يتعرض إلى إذهابِ النصيحة . ادراج الرياح .

يرافق أمَّه العجوز إلى مكة والمدينة :

هذه نبذة مختصرة عن حقوق الوالدين التي يتحملها الأبناء لتعرف إلى بعضها من الحكاية التالية :

كانَ لأحدِ أصحابِ الإمام الصادق (ع) أمٌ عجوزٌ طلبتْ منه أن يأخذَها معه إلى مكة والمدينة ان كان ذلك ممكناً ولم يتوانَ الشابُ في الأمرِ بل أبدى رجولةً فيه وسأَرَ مع أمِّه صوبَ الحجاز على الرغمِ من أنَّ السفرَ في ذلك الزمان لا يخلو من الشدائِدِ والصعابِ ناهيك عن كثُرَةِ سُنَّ أمِّه واحتياجِها المتواصلِ إلى من يهتمُ بها بشكلٍ غيرٍ طبيعيٍ وعندَ وصوله إلى المدينة المنورة ذهبَ إلى الإمام الصادق (ع) وقصَّ عليه ما جرى له ولأمِّه في الطريق إلى المدينة وقال : يا ابنَ رسولِ الله هل وفَيتَ بحقِّها ؟ فأجابَ الإمام (ع) بالتفى .

ولو حملَ هذا الرجلُ أمَّه على كتفه وجاءَ بها من الكوفة إلى المدينة لما وفَقَ حملَها له تسعَةُ أشهرٍ في بطئها ومحافظتها على هيئتها واهتمامها به في سُيُّ الطفولة ، فصعُودُها لعالٍ مشكلاً وهو في بطئها ، ونومُها صعبٌ ووضُعُها أصعبٌ من كلِّ ذلك وعن الصادق (ع) يقولُ في ذلك : « النفَاسَ تُبَعِّثُ من قبرها بغیر

حساب لأنها ماتت في غمٌ نفاسها^(٨) .

وخلالصَّةُ الحكَايَةُ : إِنَّ تَحْمِلُ الْأَمْ لِلصَّعَابِ وَالْعَنَاءِ ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ
بَقَاءِ طَفْلِهَا حَيَاً .

الصَّبَرُ جَمِيلٌ لَوْ تَعْرَضُ الْإِنْسَانَ لِرِجْرِ الْأَمْ :

مِنْ الْخَطِيَّةِ الْفَادِرِ أَنَّ لَا يَتَحَمَّلُ الْفَرَدُ غَضَبَ أَمْهُ أَوْ زَجْرَهَا لَهُ ، وَقَدْ
تَعْرَضَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِهَذِهِ الْمَسَأَةِ حِيثُ نَهَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنِ التَّحْدِيدِ
لِلْوَالِدِينَ بِصَوْبَتِ عَالٍ . أَوْ عَدْمِ اطْعَاتِهِمَا وَلَوْ بِكَلْمَةٍ « أَفْ » فَالْتَّأْفُوتُ غَيْرُ جَائزٍ
فَكَيْفَ بِالْإِسَامَةِ إِلَيْهِمَا بِكَلْمَةٍ بَذِيَّهُ أَوْ تَوْجِيهِ رَفْضِ إِلَيْهِمَا عَنْ أَمْرِ امْرَأَ بِهِ « فَلَا
تَقْلِيلٌ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا^(٩) » ؛ فَالصَّبَرُ عَلَى إِسَامَةِ قَدْ
تَصَدَّرَ مِنَ الْأَبْوَابِ فِيهَا ثَوَابٌ جَزِيلٌ وَاجْرٌ جَمِيلٌ لِمَا لَاسَانُهُمَا مِنْ شَفَاءٍ غَيْرِهِمْ
يَحْمَلُهُنَّهُ ، اِمَّا الْعَكْسُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْخَرُوجُ عَنْ طَاعَتِهِمَا أَوْ نَهَرَهُمَا بِكَلْمَةٍ
جَارٍ فَلَيْسَ فِي إِلَّا الْفَوْزُ بِسُوءِ الْعَاقَبَةِ .

عَاقَبَةُ لِعْنِ الْأَوْلَادِ السَّيِّةِ :

إِنَّ اللَّعْنَ بِشَكْلِ اِجْمَالِيٍّ غَيْرُ مُحَمَّدٌ ، وَأَمَّا لِعْنُ الْأَبَاءِ لِأَوْلَادِهِمْ فَلَهُ
عَوَاقِبُ سَيِّةٍ .

قَدْ يَظْهُرُ بَعْضُ الْأَبَاءِ إِنَّ وُجُودَ الْأَبْنَاءِ يَبْعُثُ عَلَى الْفَقْرِ وَالْفَاقَةِ فَلَذَا نَرَأُهُمْ
يَلْعُنُونَ أَبْنَاءَهُمْ لِأَنَّهُمْ الْأَسَبَابُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ يَبْغِي لَهُمْ أَنْ يُبَدِّلُوا الشَّفَقَةَ
وَالْعَطْفَ وَالرَّحْمَةَ عَلَى أَبْنَائِهِمْ فَاللَّعْنُ قَدْ يُحَفِّزُ الْأَبْنَاءَ عَلَى اِنْتِهَاكِ بَعْضِ حَقُوقِ
الْأَبَاءِ وَالْتَّجَاوِزُ عَلَيْهِمْ بِشَكْلٍ غَيْرِ مُحِبِّ فَالْضَّرْبُ وَالشَّتْمُ وَاللَّعْنُ لَا يَجِدُرُ أَنْ
يَكُونَ فِي الْبَيْتِ الْأَسْرِيِّ لِمَا لَهُ مِنْ بُوَايَتٍ عَلَى الْفَرَقَةِ وَالْتَّشْتِتَ وَالْإِنْفَصَامِ فِي

(٦) سفينة البحار : ج ٣ ، ص ٦٠٤ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٢٣ .

عن الأسرة الواحدة .

شلل الزمخشري وحكاية المصفور :

كان الزمخشري صاحب تفسير الكشاف الملقب بجبار الله ذا رجل سالمه واحدة وقد علل ذلك بداعه أنه عليه حين كان صبياً ، ففي يوم من أيام الصبا تسلق جداراً لينزل عصافوراً من عشه ، وحال انتباه المصفور وأثناء طيراهه أمسك الزمخشري الصبي برجله فقاوم المصفور مسكة الصبي محاولاً الفرار ولكن الصبي لم ينزل من الجدار إلا ورجل المصفور في بيده ، وبعد أن رأى أن رات أم الصبي ما حدث للعصافور من خلع لرجله تأثرت كثيراً إلى درجة دعت فيها على ابنتها وقالت : « شلل الله رجلك يا ولد » .

وقد يبادر إلى ذهن البعض حمد الله وشكراً على أن أمه قد ماتت ولا يمكن أن تدعى عليه بهذا دعاء ولكن الأمر غير ذلك فقد تدعى الأم من مكانها في عالم البرزخ على ابن شقيق لها ويقال إن الخيرات والدعاء والإستغفار للأم يُرضيها عن أولادها في الحياة الدنيا فلا تدعوا لهم إلا بالخير والصلاح والهدایة .

حق الجار :

ان رعاية حق الجار قضية مهمة جداً ولقد تعرض أمير المؤمنين إلى هذه القضية بشكل مفصل في مجمل أقواله وأحاديثه ولقد جاء عنده (ع) ما مضمونه : « ما زال رسول الله يوصي بالجار حتى ظنت أنّه سيورثه » .

فرعاية حقوق الجيرة هي : أولاً : ستره ، فلو تأنت لأحد أن يرى من جاره ما يخفي فلا يجوز له اشاعته ؛ وثانياً : التسلط على الجار من أعلى البناء حرام ، وثالثاً : إذا خرجت رائحة الطبيخ من بيتك إلى بيت جارك الذي احتوى أطفالاً صغاراً فالاجدر بك أن تسلق أحد طرفيين : اما أن تجعل من جارك شريكاً لك في طعامك أو لا تنسع قدرأ على نار ؛ ورابعاً : لا يجوز لأحد أن

يضع شيئاً على جدار جاري له بدون إذنه وخامساً : عدم رمي الأوساخ في باب جارك ، وفي ذلك يروى عن أمير المؤمنين (ع) ما يشير إلى موضوع الإيمان والجار :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليؤمن جاره بوائقه » .

فإذا ما احتاج الجار إلى صحن أو قدر أو غير ذلك من لوازم المنزل بعنوان مجيء ضيف له فلا تمنعه من ذلك .

اطعام بحر العلوم لجاره :

حين كان المرحوم جواد العاملی - صاحب كتاب مفتاح الكرامة - يرورم تناول عشاءه طرقت بابه وإذا به أستاذه السيد بحر العلوم المعروف بمكاشفاته واطلاعه على عوالم عجيبة وغريبة فادخله في الدار وجلسا إلى مائدة الطعام وكان بيدو على بحر العلوم الإنزعاج والإنفعال فسأله المرحوم جواد العاملی عن السبب في ذلك فقال : هل تعلم بحال جاري الذي لم تُتعلّم له نار ويوضع عليها قدر من سبعة أيام وله أولاد صغار لا يأتیهم النوم من جراء جوعهم ، لقد ذهب جاري عدة مرات ليقرض شيئاً من البقال ولكنه قال له : لقد أتقلّل الحساب فاستحق من ذلك ولم يذهب بعدها وكان قرضه ماء وجهه لقاء تمرات ؛ فأجاب سيد جواد : لا علم لي يا أستاذى الجليل بذلك ففاطعه بحر العلوم قائلاً : لو كنت تعلم ولم تؤد ما عليك من حق الجيرة لكنك خارجاً عن الإسلام ولكن الأخرى بك أن تفرض في الأرض وانا اعترض عليك لغافلتك عن جاري وعدم سؤالك عنه فاما صحوتك وارسل خادمك بها إليه وارفق ما ترسل بهذا الكيس من النقود ؛ وعليك ان تفعل ما أقول الآن وبعدها يمكن ان تجلس إلى طعامك ، فعل السيد جواد ما قبل له ولكن الخادم رجع إليه ليقول ان الجار لا يرضى قبول الطعام إلا ان يعلم من الباعث له به ، ولكن بحر العلوم أبى أن يُقال للجار باسم الذي بعث إليه الطعام ، فاصر الجار إلا

العلم باسم المرسل ، فاضطرر الخادم للبرح باسم بحر العلوم وحينها قال الجار : إلهي لا علم لأحد بحالك غيرك .

ارددت أن أقول هنا وأؤكد على حديث بحر العلوم حين قال ل聆ميذه إن كنت تعلم بحال جارك فلست من الإسلام في شيء ؛ فمن كان على علم بوضع جاره المزري ولم يكن سندًا له خارج من ذمة الله ، فمن يدعي الإسلام عليه أن يتحرى وضع جاره ويسأله عن حاله فقد يكون مريضاً وقد يكون له أولاد صغار .

رعاية حق الشريك في كل الأحوال :

حق الشريك : يجب أن يكون العدل حاكماً بينك وبين الشريك لكي يتسع لك رعاية حقه وكذا من يشاركك بيتك أو من تعامل معه تجارياً أو من كان على سفري معك .

من مستلزمات الشراكة بين اثنين من البشر هي عدم التصرف في مال الشركة إلا باكتساب الإذن من الشريك ويجب حفظ مال الشركة أو المال الخاص على كلٍّ منهما قبالة الآخرة . إذ يسقط الفرق في الشركة بين الشخصي وحال الشركة في حالة غياب أحدهما ؛ ويتبلور العدل في الشركة فيما لو سعى كلٍّ منهما جاهدًا مقابلًا سعي صاحبِه الجاد .

أسرتان يتخاصل أبناؤهما ويسري الأمر إلى الكبار فتبرز العصبية الجاهلية لتصل أوجها في الوقت الذي تلتف الأسرتان إلى أن الابناء بدأوا ثانية باللعن مع بعضهم البعض .

ففي الشركة ينبغي مراعاة الدقة الشديدة ومن أجل هذه العبارة أشرع بسرد حكاية لكم ليتوضّح الأمر بشكل أعمق .

سمرة بن جندب والنخلة :

كان على صدر الإسلام شخص يسمى سمرة بن جندب كان لا يفهم

معنى العدل ولا يدرك من الإيمان شيئاً ، هاتكأ للحرم متجاوزاً لحدود الله وشرعيه السامية ؛ كانت له نخلة في أحد بيوت الأنصار ، وكان يمر عليها اهتماماً بها ورعايتها لها ، وعندما كان يريد ذلك يدخل بيت الأنصاري بدون إذن منه غير مبالٍ بمن في الدار من نساء ورجالٍ وعندما واجهه الأنصاري بذلك وأبدى له تأثراً من هذا الأمر ، ظهرت منه خشونة في الحديث ووقاحة في الإصرار على إدامة عمله هذا متبعحاً بأنه له حق العبور فما السبب في اكتساب الإذن .

شكى الأنصاري سمرة بن جندب إلى الرسول الأكرم (ص) بعدما استند كلُّ الطرق والوسائل لإيقاف سمرة عن تجاوز الحرمات بسبب وجود نساء في الدار .

حضر سمرة إلى الإحتكام عند الرسول (ص) وخَيَر باعطائه نخلة في مكان آخر مقابل نخلته في بيت الأنصاري ولكنه لم يمثل لأمر الرسول الأكرم (ص) وقيل له بابدال نخلته بـنخلتين فلم يقبل وبثلاثة فلم يرض وبأربعة وبخمسة . . . حتى وصل الأمر إلى عشرة من التحيل فأباى إلا نخلته فقال له الرسول (ص) : « لا أراك إلا مساراً لا ضرر ولا ضرار في الإسلام ، ، ، ، اقلعها وارم بها إليه » .

لم يكن من علاج لهذا الخشن الجلف إلا بقلع نخلته التي ما فتئ بصر على وجودها في بيت الأنصاري ، ، ، ، انها النفس الأمارة بالسوء المتأصلة في هذا الشخص ، ولا يمكن علاج هكذا نفس عدوانية إلا بمثل ما أمر به رسول الإنسانية محمد (ص) لكي يوقف هذا السلوك العدوانية عند حده ، فظاهره كان مسلماً وباطنه خالياً من الإيمان والرحمة والشفقة .

عاقبة السوء تجلت في اتهام علي (ع) :
كان حريضاً على مال الدنيا أشد الحرص فجره ذلك لأن يكون عدواً لامير المؤمنين (ع) ، بهره لمعان الذهب الذي أغدقه عليه معاوية فذهب إلى

الشام وحيثها قال له معاوية : لك « ١٠٠ » ألف درهم شريطة ان تعلو المنبر وتقول : ان الآية الشريفة « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله »^(٨) نزلت بحق ابن ملجم المرادي وليس بحق علي بن أبي طالب (ع) فاجاب : يا معاوية إن هذه كذبة كبيرة وان قيمتها أكثر مما قلت بكثير ؟ فقال معاوية تعم ، هو كذلك فلك « ٢٠٠ » ألف درهم ان قلتها فلم يرض حتى قرر القرار على « ٤٠٠ » ألف درهم .

قضى سمرة بن جندب دراهم الحرام نقداً وذهب إلى صلاة الجمعة ليعلو المنبر ويقول كذبته في جمع كبير من المسلمين ، فلم يعترضه أحد .

هل تعلم أخي المسلم ماذا كانت عاقبة هذا المخادع الحريص ؟ لقد كانت عاقبة أمره أن سقط في قدر ما يغلي ليهري جلده ويسلخه ؛ وفي الآخرة له عذاب إليم .

اجعل نفسك ميزاناً :

نسلل السثار على حقوق الآخرين بعدمها تعرضنا لحقوق الجار والشريك والاب والأم .

ولو كان مرامك مراعاة حقوق الآخرين ، وان تعمل بالعدل في معاملاتك معهم عليك بالعمل وفق جملة من جملات علي (ع) حيث يقول فيها : « اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك »^(٩) .

أيها العطار : إنك لا ترغب في أن يكون ميزان البقال طفيفاً حين تشتري

(٨) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٧ .

(٩) سفيه البحار : ج ١ ، ص ٦٥٤ (فيها قصة سمرة والأنصاري لكن لم يكن الوارد هنا بالنص) .

(١٠) المعجم المنهرس للفاظ نهج البلاغة ، مؤسسة النشر الإسلامي - الكتاب ٣١ - ٥٤ ص ٩١ .

منه الرز ، فكن أنت كذلك حينما يشتري الناسُ منك الشاي والقهوة ، كن منصفاً في معاملاتك مع الآخرين مثلما تُحب أن يكون الآخرون منصفين معك ، يا من تتأثر حين يتحدث الناس عنك في غيرتك فلا يتحدث عن الآخرين بما يفضح عيوبهم المستور ، فإذا أردت أن لا يُظهر الناس عوراتك فلا تحاول اظهار معافات الناس وفضح عوراتهم .

انك تريد أن يعفوا الناس ويتجاوزوا عما بدر منك من عمل قبيح ، وتريد أن يرحمك الله تبارك وتعالى ويتجاوز عنك صفحًا فهل فعلت أنت ذلك فيمين هو دونك ؟ هل ترحمت أو رحمت صغيراً ؟ انك لا ترحم وتدعو يا أرحم الراحمين ؛ ان الله الرحمن الرحيم يتعامل معك وفق تعاملك مع الناس ومع نفسك ، فحالك في الدنيا هي حالك في الآخرة ، لم تكن رحيمًا في الدنيا ، فلا رحمة لك في الآخرة ؛ انك لا تتفق ولا تتصدق وتدعو الله ان يعطيك الجنة ، انها حقًا مغایطة ولا يمكن أن يمر على الله تبارك وتعالى من مثلك بلا حساب .

نريد الجنة للمؤمنين ولا نزاحم في الأموال :

يقال أنه كان في أحد المساجد مؤمن يدعوه الله بالجنة للمؤمنين ، وعند باب المسجد حين خروجه يصل مسافر من مكان بعيد ليشره أن فلاناً من عشيرتك لم يكن له وريث فجعل منك وريثاً له ؛ والقى بين يديه هميان من الذهب فأخذها ورجع إلى باحة المسجد ليقول لمن كان هناك ، من كانت له حاجة أو ذين فليجلسوا وياخذوا نصيبي من هذا الذهب فلم يبق في المسجد أحد إلا وأصابه شيء مما كان في يد الرجل المؤمن حتى لم يبق منه شيء له ، وحينها قال له رفيقه وصاحبه : أينها المؤمن ما الذي صنعت ؟ انك لم تُتق شيئاً لنفسك ، فقال : قبل أن يحدث ما حدث كنت أدعوه لهؤلاء بالجنة فهل أسابقهم على مال الدنيا الفاني ؟ !

فمن كان يتمنى لأبيه النجاة من عذاب البرزخ عليه ان يحل معضلات اصحابه او يدفع السوء عن جار له او يسد ديناً لآخر مؤمن لي Ashton في ذلك معضلة أبيه ودفع السوء عنه واحراجه من المشكل الذي قد يكون فيه .

فالتعامل مع الله تبارك وتعالى كالتالي : ان كنت لا تمرر كلمة لأحد ولا تتجاوز عن اشتياق بذر من صاحبك فلا تتوقع ان يتتجاوز الله عنك او يغفر لك كبار ما عملته من الذنوب .

وخلالمة الأمر اجعل من نفيك ميزاناً بينك وبين الناس ليتسنى لك ان تكون عادلاً .

النجاة من المدعين الخصوصيين :

لقد وردت عبارة تثير الدهشة في دعاء أبي حمزة الشمالي تشير إلى أنه في يوم القيمة يوجد مدعون يطالبون بحقوقهم التي سلبت في زمن الحياة الدنيا و من أيدي الخصماء غداً ، فهم أي المدعون يُمسكون عليك أطرافك يُريدون ما سلبت منهم ظلماً وعدواناً ، وفي زمن الحياة الآخرة لا يتأتى للفرد ان يرجع إلى الآخرين حقوقهم فيؤخذ من حسناته ليضاف إلى ميزان الآخرين ؛ وان لم يكن له حسنات ، زيد في سيئاته باضافة سيئات الدائنين إلى سيئاته ، وقد أشار الرسول الأعظم إلى ذلك و وجدناه مذكوراً في الجزء الثالث من بحار الأنوار حيث يصف النبي هذا الفرد الذي لم يبق لديه من الحسنات شيء ، بل زيد في سيئاته يصفه بأنه « مفلس » .

لقد تطرق الكثير من العلماء إلى هذه المسألة من خلال بحثهم في القرآن الكريم والسنّة فوصلوا إلى أنَّ المدين ينفعه له أن يُرضي دائنه بشكل أو باخر لثلا يطالب بذلك يوم لا ينفع مال ولا بنون ؛ علاوة على طلب المساعدة من الله تبارك وتعالى والتوجه إليه بقلب صادق ونية سليمة لكي يرفع عنك هذا البلاء الذي ما بعده بلاء .

نداء من مصدر الجلال :

عندما يطالب ذو الحقوق وبأخذون بأطراف المؤمن في يوم القيمة من مثل الأب ، الأم ، الأولاد ، الجار ، الشريك الصاحب ، أصحاب الحقوق العرضية ، فيرى المؤمن حينها تكالب الناس عليه ولكنه كان في الدنيا مؤمناً تقىً ولكن بعض الحقوق النسبية بقيت في عاته ؛ في ذلك يأتي النداء من مصدر الجلال والعظمة ليقول إن كان لكم حساب مع عبدي المؤمن فليكن معي فانظروا إلى ما علاكم من غرر في وقامت حميد فهو لكم .

نداء موسى بن جعفر (ع) :

في حكاية عن رؤيا صادقة شوهد فيها المرحوم معتمد الدولة عم ناصر الدين شاه ، والذي بنى الصحن والرواق لحرم موسى بن جعفر (ع) ومحمد الجواد (ع) في مدينة الكاظمية الواقعة بالقرب من بغداد ، وفي ذلك الزمان رأى أحد العلماء الكبار فيما يرى النائم أن المرحوم معتمد الدولة قد أحاط به ذوو الحقوق من كل جانب وفي هذه الأثناء يأتي نداء من قبر موسى بن جعفر (ع) أن اتركوه ، وخذوا حسابكم مني فانا ضمته ؛ والجدير بالذكر أن قبر معتمد الدولة هذا يكون بالتحديد في موضع أقدام الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) . وواقع الأمر أن الأئمة الأطهار (ع) هم الكهف الحصين وغياث العضطى المستكين . لقد ذكرنا في ما مضى أن العدل مع المخلوق يكون طبقاً للميزان الذي عينه أمير المؤمنين (ع) حين قال لابنه الحسن (ع) « اجعل من نفكك ميزاناً بينك وبين غيرك » وخلاصة ما ذكرنا أنه : لا يجب أن يتوقع الإنسان من الغير العمل الحسن وهو يعمل بالسوء فإذا ما أردنا أن تكون عدولاً علينا أن لا نبخس حق الناس حتى لا يبخس أحد حقنا ، وعلى سبيل المثال : لو أساء أحد إليك بكلمة لا ينفي ذلك أن تردد عليه بعشرة كلمات على الرُّغم من أنك تتوقف العفو لو كنت أنت الباديء بكلمة سبعة وهذا عين الظلم .

ثلاثة تحت ظل عرش الله :

جاء في لآلئ الأخبار عن الإمام الهمام جعفر بن محمد الصادق (ع) :
« ثلاثة يسكنون تحت ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، رجل أعطى الناس ما
هو سائلهم عنه ورجل لا يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً إلا برضى الله ورجل لا
يعيب أحداً ما هو فيه حتى ينفي عنه ذلك العيب » .

إن ظل عرش الله تبارك وتعالى هو مكان الأنبياء والأولياء والأوصياء ، ولو
أردت ذلك أليها المسلم العزيز عليك أن تتصف الناس من نفسك مثلاً تريد أن
يُنصفوك من أنفسهم ، والطائفة الثانية التي تعرض لها الإمام الصادق (ع) هم
أولئك الرجال الذين لا يقدمون رجلاً ولا يؤخرون أخرى إلا في مرضاة الله جلت
قدرتها ، ومني يتحقق ذلك ؟ يتحقق ذلك حينما يخالف الرجل هواه ويعمل
خلافاً لما تميل إليه نفسه وطبقاً لرضى الله تبارك وتعالى .

ولقد تواترت الروايات على اختيار المكان الذي لا تريده النفس لو خيرت
بين مكانين أحدهما عرض والأخر تشيع جنازة .

اما الطائفة الثالثة : فهم أولئك الذين لا يعيرون على الناس أشياءهم
لكرنهم لا يستغفرون اعابة الخلق لهم .

وواقع الأمر أن الشخص الذي يعيّن على فلان من الناس حرمه وبخله
وهو بخيل حريص فليس من الحياة الأخلاق في شيء ، وقد يُحِبُّ الحريص
الثاني الذي أعاد على الحريص الأول حرمه بإني لا أملك من حطام الدنيا
إلا مائة دينار وهو يملك الملايين . ونقول له : إن حرصن الأول في حدود
الملايين وحرصك في حدود المئات ولا فرق في الحرصن ان كان على ملايين
أو كان على مئات فالإثنان يُسميان حرضاً .

ابحث عن عيوبك :

لو تعمقَ الإنسان في أعماله وسلوكيه وتتابع ما يكون منه لما تحدث عن

فلان أو فلان أو أشاع عيوب زيد من الناس ، فقد يقول الإنسان : إن فلاناً لم يزد ما عليه من حقوق على الرغم من أنه ينبغي له أن يراجع نفسه فهل أخرَّ الخمس لهذا العام ؟ وهل وصل أرحامه ؟ وهل رد الملهوف الفلامي الذي طلب منه قرضاً لشهرين ؟ فلو قدر للإنسان أن يلاحظ معاييره وسيتايه لما كان له الوقت الكافي لمتابعة معايير واساءات الآخرين .

عيه المتمادي لا يراه ويرى

قالوا : لقد كانت الهند مركزاً للحكماء والعلماء وكانت مهدَّ المدن بعد اليونان حيث الفطنة والذكاء التي كان يكتسب بها أهل الهند ، وقد حاولَ الحكيم الهندي الذي كتب كتاب كليلة ودمنة ، وترجم بعد ذلك إلى عدّة لغات أن يُجري الحكمة على لسان الحيوانات ليتَّخذ الإنسان منها عبرة وعظة يستفيد منها في مجمل حياته .

في ذلك الزمان وفي مركزِ الثاني عشر ولاية أي في العاصمة يوجد تمثالان وُضعاً بشكلٍ مُقابل أي أحدهما يقابل الآخر ، تمثال على اليمين غاية في الحسن والجمال يُزيّن وجهه خالٌ كعبة العبر زاده جمالاً إلى جماله وعلى الشمال تمثال آخر غاية في القبح وقد أشار بيده إلى تمثال الجمال .

تحت تمثال القبح كُتب : هذا القبيح يقول للجميل إنَّ الحال الذي في وجهك أسود وقبيح - فهو لا يرى قبحه الكلي ويشكُّل على الآخرين بخالٍ زادهم جمالاً وحسناً .

والحقيقة إنها حكمة لمن أراد أن يصلح نفسه وبغض النظر عن عيوب الآخرين ويشغلُ بعيوبِ نفسه وشكليه وعقله .

فإذا ما أردتَ أن تكونَ تحت عرشِ الرحمة الإلهية ، عليك أن تجعلَ من حديث الإمام الصادق (ع) درساً لك لكي لا تعيّب على الآخرين ما هم فيه وتشغلُ بعيوبك التي لا تُعدُ ولا تُحصى .

فالإنسان كُلُّه عيوب ومن لا عيوب فيه فان لم يكن في جماله فعقله وان لم يكن بعقله فقليله وان لم يكن بقليله فبنفسه وهكذا ؛ إذن لا يمكن لأحد الإدعاء بأنه كاملٌ وحالٌ من العيوب إلَّا اللَّهُمَّ أَنْ يَكُونَ مَعْصِمًا ؛ لذا كان حرثاً بنا ان تتخذ من ميزان الأعمال نهجاً لنا ونقول : «السلام على ميزان الأعمال» .

العدل مع الذات والنفس :

حرثي بالإنسان أن لا يكون ظالماً لنفسه بل يفترض به أن يكون عادلاً معها ، فالإفراط والتفرط يُعتبر ظلماً ولقمة زائدة عن الحد المعقول تُحسب ضمن دائرة الظلم (ظلم النفس) ، وكذا السهر الذي يضر ببدنك يُعتبر ظلماً لنفسك إذ قد يتسبب الأكل الزائد والسهر الطويل في إضرارك واقعاتك عما يجب ان تقوم به من عبادة الله أو اجراء خير يُفدي الآخرين يمكن ان يقوم على يديك . «كلوا وشربوا ولا تسرعوا»^(١١) امتنع عن الظلم في الأكل والنوم .

لا تظلم نفسك في أكل أو منام :

على الإنسان أن لا يكون ظالماً لنفسه في كمية وكيفية الطعام ، وقد تواترت الروايات على أن مثل الأكل كمثل الهم أن زدت فيه ازدلت هما ، إذ لا ينبغي الأكل على شيء أو الأكل ترفاً كأن يكون السابق عليه سمة لك حينها يكون مجلبة للأمراض فالمعدة بيت الداء .

فلا الإسراف يقول الله به ولا التقىير ، بل الأكل بمقادير ليتفقى الإنسان على عمله ، فلا تظلم نفسك ب الطعام كثيراً بدخلتك الكثير ورزقك الوفير بل القناعة في لأننا أمة وسط ؛ وكذا النوم الزائد فيه الضرر وهكذا قلة النوم ، بل نقول أيضاً وطبقاً لشريعة الله تبارك وتعالى بالاقتصاد في الملبس أيضاً والمسكن ، فبناءً مسكن متعدد الطوابق من أجل استمراره على الآخرين يدخل ضمن إطار الرياء والسمعة ورد في الآخر «من بنى بيته رياة وسمعة حمله

(١١) سورة الأعراف ، الآية : ٣١ .

الله يوم القيمة من الأرض السابعة وهو نار يشتعل منه ثم يطوق فيه عنقه ويلقى في النار (وفسر بناء زائد على قدر حاجته استطاله به على جيرانه وبهاده لإخوانه فيكون مسرفا) .

ظلم النفس معصية :

إن الظلم من نظرية حياتية قد يكون حباً للدنيا ، أما من الناحية المعنوية والأخروية فكل ظلم مارسته في حق النفس فهو تقرير لنار جهنم من نفسك وقد أكد القرآن والأخبار هذا المعنى .

٧٠) قتلة لقتلة واحدة :

عندما أراد الحجاج قتل سعيد بن جبير عالم زمانه وبعد ما جرى من تفصيل في حديث جري بين الحجاج وسعيد بن جبير سأله : كيف تُريد أن أقتلك فأجاب سعيد (ره) : بالشكل الذي تريده أن يقطع به رأسك .

وحقيقة الأمر أن سعيداً عنى أنت تقطع رأسك ؛ وقد ذكر الدميري في حياة الحيوان أن أحد الأحيان رأى الحجاج في عالم الرؤيا وسأله عن معاملة ملائكة الله معه فقال : في مقابل كل قتل قمت به قتلوني قتلة واحدة إلا في سعيد بن جبير فقد قتلت ٧٠ قتلة .

من هو الذي لم يظلم نفسه ؟

فرَّأَتْ أَنَّكَ ضرَبْتَ فَلَانَا وَظَلَمْتَهُ وَلَا تَدْرِي أَنَّكَ ضرَبْتَ نَفْسَكَ وَظَلَمْتَهَا وَتَظَنُّ أَنَّكَ مَنْصُورٌ حِينَما أَشْعَتَ عَيْنَ فَلَانَ وَلَا تَعْرِفُ أَنَّكَ أَكْلَتَ لَحْمَ الْمَيْتِ ، أَنَّكَ لَا تَقْهِمُ مَعْنَى عَمَلِكَ هَذَا إِلَّا بَعْدَ الْمَرْوِرِ مِنْ قَنْطَرَةِ الْمَوْتِ .

ظلمت فلاناً يأخذ ماليه وأعطيت زيداً قليلاً من كثير ماليه ، وهكذا تفعل مع الآخرين ولا تعلم أنت تسرق من نفسك وتُقلِّ من ميزانك فإذا ما جئتَ غداً في يوم القيمة لن ترى غير ما عملت ظلماً إلا بنفسك فالكل يحيطونك يطالبون بما موالهم وما سرقت منهم فتعطينهم من حسناتك ويعطونك من سيئاتهم ؛ وكذا

المرأة التي تتصرف في أموال زوجها من دون عليه ثاني غداً وتشاهد الحسناً التي كانت تتوقعها لها قد ثبّتت في حساب زوجها ؛ وخلاصة الحديث ان كل معصية يقوم بها الإنسان لا يظلم بها إلا نفسه « ومن لم يتبع فأولئك هم الظالمون »^(١٢) ، ويحدّر بنا في هذا المقام ان نتذكّر دعاء زين العابدين علي بن الحسين (ع) حيث كان يدعو الله ويقول : « وانقلني إلى درجة التوبة إليك واعني على نفسي بما تعيّن به الصالحين على أنفسهم واعني بالبكاء على نفسي فقد أفتنت بالتسويف والأعمال عمري » .

فالطريق الوحيد الذي يجب أن يسلكه البشر بعد هذا ظلم هو أن يستوهب المظلوم أولاً ويدعو الله ثانياً ليُبَدِّل نور التوبة ظلم المعصية ، فالندم ومعاهدة الله على عدم تكرار المعصية ورد الحقوق إلى أصحابها قد تُسَاهِمُ في دفع ومحو المعاishi التي سُجّلت في سجل الله الذي لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

يزيد أيضاً ظلم نفسه :

قلنا مراراً إنَّ من بدا منه الظلم للآخرين ما ظلم إلا نفسه ومن ضرب الآخرين ما ضرب إلا ذاته ومثل ذلك قالت الحوراء زينب بنت علي (ع) ليزيد الطاغية حين بذلت شماتته بقتل الإمام الحسين (ع) : « فواه ما فرب إلا جلتك ، ولا حزرت إلا لحمك ... فَكَدَ كِيدَكَ واسع سعيك وناصب جهادك فواهلا لا تمحو ذكرنا ... »^(١٣) ، قالتها زينب (سلام الله عليها) ولم يذهب حديثها سدى إنها سَتَّة الله في العالمين .

(١٢) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .

(١٣) مقتل الحسين - للعمري - دار الكتاب الإسلامي ص ٣٥٩ - ٣٥٨ .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَا
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لِمَلْكِ
تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

والعدل على أربع شعب : غامض الفهم .

حسن العدل انه فطري يتحكم به العقل :

عنوان بحثنا مقوله الإمام علي (ع) التي يقول فيها : « بنى الإيمان على
أربعة دعائم » ؛ فإذا ما تداعت دعامة واحدة تخلخل وضع الإيمان والدعائم
هذه هي الصبر واليقين وثالثها العدل أي حينما يكون الإنسان مؤمناً يكون عادلاً
وان لم يكن كذلك فصلة الظلم ملاصقة له ولا إيمان في قلبه .

عنوان بحثنا بالعدل لتعرف إلى الدعائم المهمة من الإيمان وبعدمها
يتداعى البناء من أساسه حيث ينعدم الوصول إلى بناء منزل .

فالعدل يقول العقل بوجوبه وكذا الشرع المقدس وكذلك الإجماع حيث
اتفاق العامة والخاصة على أن حسن العدل وقبح الظلم فطري وعقلاني ؛ وقد

(١) سورة النحل ، الآية : ٩٠ .

طرق القرآن الكريم إلى مثل ذلك حين حرم الله الظلم وأوجب العدل فالظلم ظلمات العدل نور وكل من عمل بالعدل جعل الله في قبره نوراً يستأنس به ومن ظلم جعل الله قبره ظلمات لا يكاد يرى يده من شدة الظلمة ، فالعدل سعادة ، والظلم شقاوة لذا حري بنا ان نتحذ لانفسنا نوراً في ظلمات القبر من خلال ممارستنا للعدل مع الله والناس وأنفسنا وننمر مروز الكرام على الظلم فلا نعمل به ولا نتحذ نهجاً لنا .

معنى العدل :

لقد فسر المحققون معنى العدل فقالوا : « باعطاء كل ذي حق حقه ، فعدم إعطاء الحق ظلم محضر وتجاوز على حدود العدل ، والعدل هو وضع الشيء في محله ومراعاة حقوق الآخرين وكثيرة هي الحقوق ولا مجال لذكرها كلها هنا فحق الله وحق للوالدين وحق للجبار وحق لنفسك وحق فالحقوق كثيرة وكثيراً وكثيراً صنفت تحت ثلاثة عناوين .

حق الله هو ان تعلم انك عبد :

اول حق ، هو حق الله عليك ، حق المالك على المملوك ، حق المولى على العبد ، ان الله حقاً في عنقك إذا أديته فأنت عادل مع الله وان لم تفعل فأنت ظالماً فحق الله هو أن تعلم وتفهم انك عبد له وإذا قدر عدم سيرك على صراط العبودية حينها تُحسب متجاوزاً لحقوق الله عليك وبالمحصلة ظالماً لحقه تبارك وتعالى إن الله مالك مطلق ، ومعرفتك بأنك عبد ومملوك له تبارك قدرته يوصلك بالنتيجة إلى معرفته ، فالعلامة يبنك وبين الله القادر المقتدر بدنك وعينك واذنك ويدك ورجلك وغير ذلك والأكثر من ذلك العلاقة الخارجية التي تربطك به جلت اسماؤه والتي هي فرع زائد على الأصل والتي لا يمكن احساسها على غير الله من مثل الزوجة والأولاد وكل ما في يديك فأنت ومن هم عبادك وزوجوك وما في يديك منه تعلمت قدرته « العبد وما في يده كان لمولاه » .
وإن صادف قولك بالإستقلال عن الله من خلال القول مالي ، وقوتي ،

وتعيي ، فانا لوحدي جمعت هذه الاموال وعملت هذه الروضة أو البستان فان
قلت بذلك فانت ظالم في قبالي الله - ولا سمع الله - جعلت له شريكاً على
الرغم من أنه سبحانه وتعالى مالك الملك ومجري الفلك ومسخر الرياح وخالق
الاصباح **﴿هُوَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**^(٢) - **﴿لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**^(٣) . ان ادعائك هذا لا جدوى منه مطلقاً ، ومن هو الظالم في هكذا
قضية ؟ نعم انه هو المتجاوز على الحد المرسوم له - انت لست بخالي ولا
بمالك ولا بصانع فلماذا هذا الادعاء الكاذب ؟ أنا عملت كذا وأنا وأنا ، انت
ظالم لا غير انت ت يريد مبارزة مولاك وسيدك وخالقك ، فالمالك واحد فلهم تدعى
الملكية ، انت تسخر من نفسك ؛ الا تعلم بأن الباري تعالى قد اتنىك على
نفسك وأهلك وما في يديك فلا تسرخ بث الخيالات لظن انت المالك المطلق ،
انت لا تمتلك حتى نفسك فكيف بالآخرين ولا تمتلك رزقك فكيف بالأموال
والقصور والروضات .

إذا كنت تدعى صدقاً انت وانت فلا تجعلها تهرب منك ، بل خذها معك
إلى أي مكان تشاء وخذها أيضاً إلى القبر وإلى الحياة الأخرى فهل تستطيع
ذلك ؟ هذا ما يقول عنه أمير المؤمنين غامض الفهم .

حربي بالمؤمن أن يكون دقيق التفكير ، كيما يفهم ما يقول ويدرك ما يقال
له وما يقرأ في كتاب الله العجيد فالتفكير له أبواب وأحدى أبوابه العلم وهو
كالبحر وثاني أبوابه الحكمة وهي كالجواهر التي تخفي في أعماق بحر هائج
على مذ البصر .

بماذا يفوز العبد من ادعائه الاستقلالية ؟
يقال أن أحد الموالى اشتري عدة من العبيد والبس كل واحد منهم لباساً

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٩ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٠٧ .

فانحراً وزينه بزيته ما بعدها زينة ورتب له منزلًا ووضعاً حتى وصل الحدُّ بالعبيد إلى نسيان مولاهم مدعين الاستقلال عن مولاهم والأنكى من ذلك مباهاتهم وفخرُهم على أقرانهم وآخوانهم من أنهم ملوك وأبناء ملوك فاشترموا العبيد والإماء وحكموهم بالنار وال الحديد وزادوا في حجم لايسيهم فوسعوا جيئهم الغالية الثمن وجلسو على العروش وحكموا ظلماً وجوراً .

من أنت أيها الإنسان أنيت أنت كنت نطفة نجحة وبيوول الأمر بك في نهاية المطاف إلى جيفة نتنية فلا تدعى القدرة والعظمة والقوة انك ضعيف جداً قبلة الموت الذي تهرب الله به عباده .

توالت الروايات وأسهمت في علي (ع) فعلى إحدى الروايات التي جاءت في ذكر مناقب أمير المؤمنين علي (ع) حيث جاء فيها : أنَّ علياً يبتاع لنفسه قميصاً بذرْهم ولخادمه قنبر قميصاً بذرهمين ؛ ويقال أنَّ بعض الكسبة في ذلك الزمان يقللُونَ من القيمة الشرائية حينما يرونَ أميرَ المؤمنين يرثُمُ الشراة ولكنَّه يمتنعُ عن ابتياعِ أي شيءٍ منهم بل يذهبُ إلى من لا يعرِفه ، وقد احتاجَ البعض على أمير المؤمنين علي (ع) بشرائه قميصاً لقنبر خادمه أغلىَ مما يلبَس هو وعندما سألهُ منهم توضيَّح السببُ أجابه بأنه الخليفة ولا ينفي له أنَّ يلبَس أقلَّ من خادمه فيشيرُ إلى أنه وخادمه عبيدٌ ومماليكُ الله خالقُ الخلق ؛ هذا هو عينُ العدل على الرغم من أنَّه علىِ الذي شاد بأخلاقه وفضائله العدو والصديق .

التكبر خلافاً للعبودية :

«ان كل من في السموات والأرض إلا آتني الرحمن عبداً»^(٤) .

فكلُّ البشر من أول شخص إلى آخرهم مروراً بحبيب الله محمد (ص) سواه في العبودية لله تبارك وتعالى فهو الملك المطلُّق ولا يجوز لأحد ممارسة

(٤) سورة مرثيم ، الآية : ٩٣ .

التكبر فهو المتكبرُ فقط لا غيرَ وعَدْمُ اطاعةِ أوامرهُ ظلمٌ ، والظلمُ معناهُ مَدَ الرجلَ أكثرَ من الغطاءِ الذي يعلو الفردَ حينَ النومِ .

عجباً لهذا الإنسان الذي خلقَ من حفنةٍ ترابٍ ويتهمي إلى حيفَةٍ تأكلُها الهواُم يفخرُ على أبناءِ جنبيه الذين هم معايلُك مثله فبماذا يزيدُ عليهم ، فالبعضُ تراه يتعاملُ مع خادمهِ بشكلٍ وكأنَّه هو الذي خلقَه ، على الرغمِ إنَّ الكلَّ يعرفُ بأنه لا فرقَ بينَ الأستاذِ والطالبِ والعاملِ ورئيسِ المعلمِ من ناحية العبوديةِ لله تباركَ وتعالى ، إنَّك تظنُّ كُلَّ الظنون بالواحدِ الأحَدِ وتجعلُ له شريكاً لأنَّك تمتلكُ حفنةَ من الدنانيرِ ! كلاً فالآمرُ ليسَ كذلكَ يجدرُ بكَ أن تذهبَ هذه الليلة إلى المقبرة لترى من هم كانوا أثريَّ منك وأغنىَّ أينَ صاروا ؟ وأينَ كانوا ؟ فاليلوم ، تمتلكُ الأموالَ وغداً تصيرُ أموالُك إلى الورشةِ بدونَ أنْ يتغيرَ شيءٌ في ذراتِ حقيقتك ؛ إنَّها ظنونٌ وخيالٌ محضٌ وإذا أحبْتَ أنْ تنظرَ لمن هم مثلكَ من الظلمةِ فانظرْ إلى شخصٍ جلسَ خلفَ منضدةً كبيرةً واتخذَ من عبادَ اللهِ خدماً له فهذا سكريتيرٌ وذاك حاجِبٌ يامرُ بالناسِ وينهى يحبُّ أنه مستقلٌ وجزءٌ من غيرِ كُلِّ اللهِ ظالمٌ وحذارُ من أنْ تكونَ مثله فالوليلُ والثبورُ لمن لم يفهمْ ولم يدركْ معنى العبوديةِ .

قوامُ الخلقةِ على العدلِ :

إنَّ الدعامةَ الثالثةَ التي يقومُ عليها الإيمان هي العدلُ والتي تعرَّضَ لها أميرُ المؤمنين (ع) في أصولِ الكافي فبالإيمان يلزمُ العدلُ وبغيرِه لا يمكنُ أنْ يكونَ الإنسانَ مؤمناً ، فكلُّ مؤمنٌ عادلٌ وكلُّ كافرٌ ظالمٌ .

إنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خلقَ السمواتِ والأرضَ ومن عليها وفيهما على أساسِ العدلِ **«شَهَدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوْلَوْا الْعِلْمَ قَاتِلًا بالقُطْطِ»** (٥) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية : ١٨ .

العدل يعني الميزان لا زيادة ولا نقصان ، ولا افراط ولا تفريط ، وضع
كل شيء في محله واعطاء كل ذي حق حقه .

لو أمعن الإنسان النظر فيما فوقه وفيما تحته لتجلى له العدل في كل مخلوقات الله جلت قدرته فكل شيء في السموات والأرض خلق طبقاً لعدالة الباري تعالى ؛ ولو أراد شخص إحصاء موارد العدل الإلهية في عالم الخلقة لما استطاع إلى ذلك سبيلاً لكثرتها المتمادية ولكن يمكن استعراض انموذج مما هو فوقنا وأخر مما هو تحتنا ليترسخ العدل التكוני لكم ول يكون مقدمة لبيان العدل التكليفي .

ميزان العدل في نجوم السماء :

لا تُحصى ولا تُعد نجوم السماء ، لقد أحصى العلماء قبل قرابة من الآن ٣٠٠ مليون نجمة وأحصوا على قرابة هذا من المجرات والمنظومات ما يزيد على المليار مجرة ومنتظمة ويقولون أن هناك الكثير من العوالم التي لم يصل نورها إلى الأرض بعد الآن ، نور يتحرك في كل ثانية ١٠٠ ألف كيلومتر لم يصل هذا النور إلى الكورة الأرضية منذ أن خلقها الله تبارك وتعالى وهذا ما يُدلّل على النظم الدقيق والعدل في كل مشاهدة أو مخلوق إلهي «السماء رفعها ووضع الميزان»^(١) ، فهل علم أحد بأن هذه المجرات أو المخلوقات في حركة دائمة منذ أن خلق الله الخلقة وإلى الآن ؟ منظومات لا نهاية لها و مجرات في مسیر دائم ودّوّوب ، أنها تتسارع دائماً بشكل أسرع من الصوت ، ولا تصطدم ببعضها البعض ، ولو اتفق ذلك لاختلت الجاذبية بشكل عام مما قد يؤثّر تأثيراً مباشراً على جميع المنظومات والمجرات ومن ضمنها الكورة الأرضية التي نعيش عليها - أنها حسابات دقيقة جداً وقد تصل بعض الحسابات إلى واحد بالآلاف .

(١) سورة الرحمن ، الآية : ٧ .

إنَّ البَشَرَ يُرْسِلُ الْمَرَاكِبَ الْفَضَائِيَّةَ لِتَصْلِي بِرَعْبِهَا التَّعْجِيلِيَّةَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
فَقَطْ إِلَى الْقَمَرِ عَلَى الرَّغْمِ أَنَّ الْقَمَرَ دَائِمُ التَّحْرُكِ فَكُمْ هُوَ الْحَسَابُ دَقِيقٌ وَجَذِيْفٌ
وَيُسْتَطِعُ بَعْضُ مِنْ يَعْمَلُونَ بِتَحْقِيقَاتِ الْأَجْرَامِ الْفَضَائِيَّةِ أَنْ يَحْسِبُوا وَضْعَيْفَ الْقَمَرِ
لِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُسْتَقْبَلَةِ لِيَسْتَنِي لَهُمْ مَعْرِفَةً الْوَضْعِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ لَهُ وَلَوْ تَأْخِرُوا عَنْ ذَلِكَ
ثَوَانِي أَوْ تَقْدِمُوا لِمَا عَرَفُوا الْمَكَانُ الَّذِي سَيُؤْلَى إِلَيْهِ الْقَمَرُ ؟ فَتَصْرُّرُ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ
مَقْدَارُ النَّظَمِ وَالدَّقَّةِ فِي حَرْكَةِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ ؟

حَفَظُهَا اللَّهُ بِلَطْفِهِ :

قَبْلَ عَدَةِ سَنَوَاتٍ أَعْلَنَتْ مَرَاصِدُ أُورُوبَا اِنْفَصَالَ قَطْعَةَ مِنْ إِحْدَى
الْمَنْظَوَمَاتِ وَهِيَ تَحْرُكٌ بِتَعْجِيلٍ عَالٍ نَحْوَ الْكُرْبَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَإِنَّهَا فِي الْيَوْمِ
الْفَلَانِي سَتَصْطَدِمُ بِالْأَرْضِ وَتُدْمِرُهَا .

لَقَدْ كَانَ وَقْعُ الْخَبَرِ عَلَى السُّكَّانِ كَالصَّاعِقَةِ لَأَنَّ الْمَرَاصِدَ كَانَتْ كَانَتْ حَدَّ الْيَوْمِ
وَالسَّاعَةِ الَّتِي سَتَنْتَفِي بِهَا الْأَرْضُ عَنْ بَكْرَةِ أَيْمَانِهَا ، وَخَلَتِ الْمَدُنُ مِنْ سَاكِنِهَا
وَاتَّجَهُوا صَوْبَ الصَّحَارِيِّ نَاهِيَّكَ عَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتَّحَرَّوْا مِنْ هُولِ سَعَاعِ
الْخَبَرِ حِيثُ الْقَنِيْفُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْفِيْهُ فِي الْبَحْرِ .

جَاءَ الْيَوْمُ وَصَارَتِ السَّاعَةُ إِلَى مَا حَدَّدُوا وَلَكِنْ لَمْ يَحْصُلْ مَا قَبْلَ . لِمَاذَا ؟
أَنَّهُمْ حَسَبُوا الْحَسَابَاتِ الْدِقَيْقَةِ وَالْمُضْنِيَّةِ وَحَسَابِهِمْ كَانَ صَحِيْحًا لَا غَيْرَ عَلَيْهِ
وَلَكِنْ نَسَاوُ أَنْ حَرْكَةَ هَذِهِ الْمَتَحْرِكَاتِ لَهَا مَدِيرٌ وَنَظَامُهَا بِيَدِ صَاحِبِهَا مُثْلِمًا حَسَبَ
حَسَابَاتِ تَنظِيمِ الْبَشَرِ مِنْ خَلْقَيْهِ وَعُقْلِهِ وَنَفْسِهِ وَرُوحِهِ ، أَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ وَنَظَامُهُ
وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ .

يَجِبُ أَنْ يَسُودَ الْعَدْلُ :

أَنْ عَدْلُ الْبَارِيِّ جَلَّتْ قَدْرُهُ الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ شَاهِدَ حَيْثُ عَلَى نَظِيمِهِ
تَعَالَى وَلَوْ قُدِّرَ لَنَا أَنْ نَتَطَرَّقَ إِلَى ذَلِكَ فَمَنْ أَيْنَ نِبَادًا ؟ مِنَ الْبَنَاتِ أَمْ مِنَ
الْحَيْوَانَاتِ أَمْ مِنَ الْإِنْسَانِ ، الصَّحَراءِ ، الْجَمَادِ ، مِنْ أَيْنَ نَشَرَ بِالْتَّدْلِيلِ عَلَى

علمه تبارك وتعالى .

اعطى الله البشر قدرة على الفهم والشعور والإختيار بواسطة العقل والروح الإلهي الذي دلّ الإنسان على جادة العدل والصواب ، ولقد أوجب الله العدل مثلاً رتبه على جميع مخلوقاته من غير البشرية ، وأوجب العدل ليضاع على كل فرد ضمن تعامله الأسري والإجتماعي ، وفي زماننا هذا يظن البعض أن فلاناً أصبح عادلاً لذا يجب أن يكون إمام جماعة في الوقت الذي يجب أن يكون الجميع عدولاً رجالاً كان أو امرأة شاباً كان أو عجوزاً ، عالماً كان أو جاهلاً «اعدلاً هو أقرب للتفوي»^(٢) .

أن العدل واجب على كل مسلم وكل عمل يعمله الإنسان يجب أن يستند إلى العدل ، عدل مع الله ، عدل مع الذات ، عدل مع الخلق مع العاجز مع كل أفراد البشر - أمننا أن يفهم الجميع هذه العبارات ويرجعوا إلى صوابهم ولا يتضادوا أكثر مما هم فيه من ظلمٍ وليدأوا من جديد حياة طبيعية يكون العدل أساسها ليتنى لهم أن يحظوا برضى الله ورضوانه .

الأهل والأولاد والمال والأعضاء كلها من الله :

العدل مع الله ، يعني العبودية لله والإعتراف بأن هناك خالقاً وأنت المخلوق ، فالعبد المطين لسيده إذا أنجز ما يأمره به مولاه فهو عادل وإذا ما عمل خلاف ذلك مدعياً الحرية والإستقلال فهو ظالم .

فالعبد له طريقة وسلوك غير طريق وسلوك الحر ، وانت أيها الإنسان خلقت مملوكاً ، ومرزوقاً وحالقك ورازقك هو الله القادر المتعال لقد أوصلك إلى هذا العمر وكنت نطفة وأعطيك المال ؛ فالمال ماله والعقل منه والحافظة والفهم وكل الأعضاء والجوارح منه وجعلك أميناً على الدار والمرأة والولد

(٢) سورة العنكبوت ، الآية : ٨ .

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لَتَسْكُنُوا إِلَيْهَا»^(٨) .

لَا تَكُنْ مِثْلُ فَرْعَوْنَ وَقَارُونَ :

من أدعى أنه لم يكن ولا يكون عبداً لأحد فهو إذن بدون رب وهذا معناه الإشراك بالله سبحانه وتعالى «أَنَّ الشَّرْكَ لِظُلْمٍ عَظِيمٍ»^(٩) والظالم هو من لا يرى المتعن ولا يعرفه ولا يعرف أنه يقف في قباه ، ونقول للظالم لا يليق بك إلا أن تكون عبداً ، عن الإمام أبي جعفر (ع) قال «العَزْ رَدَاءُ اللهِ وَالْكَبْرُ اِزَارَهُ»^(١٠) ولا ينبغي لك أن تكون متعالاً متكبراً كما كان قارون الذي قال : «أَنَا أَوْتَيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عَتْدِي»^(١١) يعني بذلك أنه حصل على الأموال والخزائن بفطنته وذكائه وعلمه ؛ ولا تكن مثل فرعون الذي قال : «أَلَيْسَ لِي مَلْكُ مَصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي»^(١٢) فإذا ما أصبحت هكذا فلا فرق بينك وبين قارون وفرعون في الظلم فهم ظلمة وانت ظالم .

دُولَةُ سَقْطٍ بِسَبِبِ . . . :

لقد نسيت بأن لك رباً من جراء غرورك بالأمور الإعتبرية الوهمية فاضحيت تقول أنا . . . أنا .

أن الخلافة الإسلامية لم تكن سلطنة على بلد أو بلدين بل كانت على جميع الْبُلْدَانِ الإِسْلَامِيَّةِ وتحت سلطُط الخليفة حينذاك .

كان مروانُ الْحَمَارُ آخرَ خلَفَاءِ بَنِي أُمَّةٍ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ عَظِيمٍ يَزِيدُ

(٨) سورة الروم ، الآية : ٢١ .

(٩) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(١٠) أصول الكافي : باب الكبر ٢ ص ٣٠٩ طبعة دار الأضواء بيروت .

(١١) سورة القصص ، الآية : ٧٨ .

(١٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥١ .

على ١٠٠٠ ألف نفر يتجه صوب جيوش أبي العباس السفاح الذي جاء لحربه ولكتلة جيش مروان وعدتهم والأنهم الحربية كان مطهطاً جداً على نفسه الأمر الذي جعله يشترك في هذا الجيش الجرار .

ومن الصدف أن مرواناً كان مبتدئ بسلام البول بدون اختيار وقد اضطره الأمر هذا قبل الإشارة لجيشه بالهجوم والحمل على عدوه أن يتزل من حصانه ليقضي حاجته ولكن لم يضبط لجام حصانه مما يكون سبباً في فراوه ، فيجري الحصان وسط الجيوش المروانية بدون فارس فيظن عسكره أن مرواناً قد قتل ، فتشيع الفوضى ويفرجُّ جيشه وتكون الغلبة لجيشه أبي العباس السفاح ، فيايرون الكثيرون منهم ويقتلون ويجرحون ويسفكون بعوان ويفقطون لسانه ويلقون به إلى قطة لتأكله ، لقد ذهبت الدولة ببؤة .

ويشكل عام نجمل ما تحدثنا به فنقول من كان مغورراً متناسياً لله وشرعه المقدس فهو ظالم كائن من كان الحاج فلان أو السيد أو العالم أو أي شخص مهما كانت منزلته الدنيوية ؛ فمن ادعى الاستقلال والإنفصال عن الله جلت قدرته فهو أناني وظالم ومصيره جهنم وبئس المصير .

فلباس البشر العبودية وليس الكبراء ، فالعبد عليه أن يتبعه وأن لم يفعل فهو ظالم لمولاه ، فمن ترك صلاته فهو معطل لأمر من أوامر الله وداخل ضمن الكفار الذين لا يقيمون أي وزن للفروع ولا للأصول لأنهم تكبروا على وضع جنابهم على الأرض مقابل مولاهم وخالقهم .

حديث موسى بن جعفر (ع) بصدق بشر الحافي :

جاء في مجالس المؤمنين أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع) وبينما كان يصر من على دار بشر وإذا بصوت قيام يطرق اذنه وبينما هو في حال العبور خرجت من الدار أمّة لبشر ت يريد رمي بقية طعام لها سأله الإمام (ع) أنْ : من صاحب هذه الدار ؟ فلما جابت : إنها دار بشر فقال الإمام (ع) : أحرّ هو أم عبد ؟

فأجابت : انه حُرٌّ وله من الإماء والعبد الكثير فقال الإمام (ع) : صدقـتـ لو كان عبدـاً لما فعلـ ذلك .

دخلـتـ الأمةـ إلىـ داخلـ الدارـ فقالـ لهاـ بـشـرـ : معـ منـ كـنـتـ تـحدـثـينـ ؟
فـقـضـتـ عـلـيـهـ ماـ جـرـىـ فـاـضـطـرـ بـشـرـ وـخـرـجـ منـ الدـارـ حـافـيـاـ يـرـيدـ اللـحـاقـ
بـالـإـمـامـ (ع)ـ وـقـدـ كـانـ بـشـرـ مـنـ أـصـحـابـ الشـرـاءـ وـالـشـهـرـةـ وـالـمـنـزـلـةـ .ـ وـعـنـدـمـاـ صـارـ عـنـدـ
الـإـمـامـ (ع)ـ قـالـ : يـاـ آبـيـ رـسـوـلـ اللهـ أـرـيـدـ أـنـ أـكـونـ عـبـدـاـ عـلـىـ يـدـ مـوـسـىـ بـنـ
جـعـفـرـ (ع)ـ ؟ـ فـتـابـ وـتـابـ اللهـ عـلـيـهـ .ـ

شرفـ البـشـرـ فـيـ الـعـبـودـيـةـ لـهـ :

هلـ أـنـتـ عـبـدـ اللهـ أـمـ لـاـ ؟ـ انـ الطـرـيـقـ وـالـطـرـيـقـةـ الـتـيـ تـسـلـكـهاـ وـالـتـهـوـرـ الـذـيـ
نـرـأـهـ مـنـكـ وـعـدـمـ الـإـهـتـمـامـ بـالـحـكـامـ الـدـيـنـ شـاهـدـ حـيـ علىـ أـنـكـ غـيـرـ ذـلـكـ ،ـ فـعـنـدـ
الـغـرـوـبـ شـاهـدـ الـمـسـاجـدـ وـأـخـبـرـ ماـ بـهـاـ وـشـاهـدـ دـوـرـ السـيـنـماـ وـمـاـ بـهـاـ أـنـهـ يـسـأـلـونـ مـاـ
الـذـيـ حـدـاـ بـكـ إـلـىـ نـارـ جـهـنـمـ **«فـأـلـوـاـ لـمـ نـكـ مـنـ الـمـصـلـيـنـ»**^(١٣)ـ ؟ـ فـيـ آيـهـ الشـفـقـ
يـاـ مـنـ هـوـ لـاـ يـتـجـاـوـزـ حـفـةـ مـنـ التـرـابـ ،ـ أـنـ التـواـضـعـ يـنـاسـكـ جـدـاـ لـأـنـكـ عـبـدـ
عـاجـزـ ،ـ حـرـيـ بـكـ أـنـ تـزـورـ الـمـقـابـلـ لـرـىـ مـاـ آلـ إـلـيـهـ مـنـ هـمـ أـشـدـ مـنـ بـاسـ وـقـوـةـ ،ـ
أـنـ عـزـتـكـ وـشـرـفـكـ هـوـ أـنـ تـنـاطـيـ ،ـ رـاـسـكـ اللهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ لـلـمـالـ وـالـجـلـالـ
وـالـمـقـامـ وـالـجـاـءـ ،ـ وـمـجـمـلـ الـحـدـيـثـ أـنـ الـعـدـلـ مـعـ اللهـ يـعـنـيـ أـنـ تـكـوـنـ دـائـمـاـ فـيـ
حـالـةـ الـعـبـودـيـةـ لـهـ جـلـ اـسـمـهـ وـلـاـ تـدـعـيـ وـتـقـولـ أـنـاـ وـأـنـاـ ،ـ إـعـرـفـ نـفـسـكـ وـقـدـرـكـ وـاتـرـكـ
الـأـمـرـ وـالـحـكـمـ وـالـمـالـ وـالـشـانـ جـانـبـاـ وـلـاـ تـكـنـ ظـالـمـاـ وـتـذـكـرـ أـقـوـالـ الرـسـوـلـ
الـأـعـظـمـ (صـ)ـ فـيـ هـذـاـ الـمـجـالـ .ـ

الـرـسـوـلـ (صـ)ـ وـالـعـبـودـيـةـ لـهـ :

روـيـ عـنـ رـسـوـلـ اللهـ (صـ)ـ أـنـهـ قـالـ مـاـ مـضـمـونـهـ :ـ «ـ خـمـسـ لـاـ أـدـعـهـنـ حـتـىـ
الـعـمـاتـ الـأـكـلـ عـلـىـ الـحـضـيـضـ مـعـ الـعـبـدـ ،ـ وـرـكـوـبـ الـحـمـارـ مـوـكـفـاـ ،ـ وـحـلـيـ

(١٣) سـوـرـةـ الـعـنـثـرـ ،ـ الـآيـةـ ٤٣ـ .ـ

العتر بيدي ، ولبس الصوف ، والتسليم على الصبيان لتكون سنة بعدي .

لقد ذكرنا بالأمس القريب أن أمير المؤمنين يشتري لنفسه قميصاً بدرهم بينما يتتابع لخادمه قبّر قميصاً بدرهمين ويربر ذلك بأنه وخادمه عبادن الله ولا فرق بينهما .

مداراة الزوجة :

اما العدل مع الخلق فهو على اقسام ؛ فعدل مع الأهل والوليد ، وعدل مع العجار والرفيق ، وعدل مع المشتري وصاحب الطريق ، والعدل مع الشريك . . . لا ينمّ يوم علينا إلا ولنا ظلم مع فلان أو فلان من الناس ولا ندري ماذا سيجيئ علينا هذا الظلم في القبر وفي البرزخ وفي الآخرة فمن لم يرافق بزوجه فقد ظلم فالمرأة مخلوقٌ لطيفٌ ورقيقٌ ولا ينبغي ان تؤذني ويضغط عليها ، ولا يجدر بالزوج أن يشعرها بسوء ظني بها فهي أنس وسكينة ، فالمحبة والالفة يجب ان تسود الأسرة لسلام المجتمع من الانزلاق في مهابي الخطية ومن سعى غير ذلك كان يكون في اليني الاسري تعاملٌ ماديٌ فهو الظلم بعينه لأنّه وضع الشيء في غير محله وفي هذا المضمار روايات كثيرة تطرق إليها الرسول والآئمة الأطهار من أهل بيت العصمة توضح السلوك الذي يجب أن يسلكه الفرد مع زوجه .

العدل مع الزوجة والأولاد :

عدل المرأة مع زوجها ، احترامها له وحفظه في ظهر الغيب علاوة على عدم افشاء الزوجة لأسرار الزوجية كان يكون استعراضها لحياتها مع زوجها لأهلها (حافظات للغيب بما حفظ الله) (١٤) .

اما العدل مع الأولاد فهو على مراحل ؛ مرحلة الرضاعة التي هي من

(١٤) سورة النساء، الآية: ٣٤.

ناحية تكوينية أن يُرضع الطفل أو يصل إلى الغذاء حين جوعه وهذه مسألة طبيعية حيث يترخّم حتى على الحيوانات وبهتم بامر غذانها فكيف بالطفل الإنسان ؛ ولو رجعنا إلى الوراء قليلاً إلى زمن الإمام علي (ع) عندما كان خارجاً من دار أم كلثوم وإحاطة الأوز له من كل جانب يتعرضن عليه خروجه قبل اعطائهم الطعام وقد تواترت الروايات بشأن تغذية الحيوانات ومن لم يستطع يجُب عليه إطلاقها ، وعدم استخدامها ترفاً بالقائهما في مشاجرات تكون مشاهدتها أنساً له .

المساواة في المعحة بين الأولاد :

إن العدل مع الأولاد يجُب أن يكون بشكل يتساوى فيه الجميع ، فالمحبة للكل بدون استثناء والشراء للجميع ولكن مستدرك الوسائل يتضمن رواية تقول بتقديم البنت على الوليد الذكر في الشراء وفي العطف ؛ عكس أولئك الذين يرجحون الذكور من الأولاد على البنات .

والنقطة الثانية هي مسألة الإرث فلو كان الأب غير راض عن أحد ابنائه لا ينفي له أن يحرمه من الإرث ، ويمكن زيادة إرث الضعيف منهم بدنياً أو مالياً حيث يستطيع الشخص التنازل من ثلثه إلى من يراه ضعيفاً ليتمكن من سد ضعفه ؛ أما ما يكون طبقاً للميل والرغبات والهوى فهذا خلاف العدل .

العقوبة النفسية غير تربوية :

لا يليق بالإنسان أن يستخدم القضايا النفسية أو الحيوانية من مثل الضرب والشتم بحجية أنه ابنه ، فهو أمانة الله بيده فلا تخن الأمانة ، فشفاء غبيظك فيه لا يدخل ضمن دائرة التربية فمن ضرب ابنه على خده واحمرّ خده لذلك عليه أن يتصدق بمثقال ذهب وإذا أسوأ فالتصدق يكون بستة مثاقيل .

وخلالمة الأمر أن التربية لا تكون بهذه الكيفية فالإسلام حدد أموراً وشرع أخرى يُلْفِتُ النَّظرَ بها إلى التربية الحقة حيث العطف والشفقة والرحمة بالأولاد

ومخاواتهم حين يبلغوا سن الرشد وما إلى ذلك من أمور تجعل للأولاد شخصية مستقلة بهم وتحدوها بهم إلى الاعتماد على أنفسهم ، وكذا عدم الخصم أو الجدل أمامهم مع من يحبون من مثل أمهم لأن « من حق الولد اكرام أمه وعدم الإساءة الموجبة لحرفه » كما في الروايات .

ومن حق الولد على والده أن يحسن انتخاب اسمه ولا يجعل منه سخرية للساخرين أما البنت فما دام وجودها في بيت أبيها فعليه رزقها وكسوتها بالمعروف « وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »^(١٥) .

نزويج الأولاد حق في عنق آبائهم :

من حق البنت على أبيها أو بالآخر من واجب الآب أن لا يرده طالب عرف فيه التقوى والصلاح ليدي ابنته وبغير هذا يعتبر ظالماً لها وقد ذكر في وسائل الشيعة في باب النكاح ما يشابه ذلك فالبنت كالفاكهية في المنزل عندما يحين قطافها يجب قطافها وإن فامكانية فسادها متوقع لذا لا ينبغي للآب أن يتراجع بحجج واهية تباع على احتسابه ظالماً ، ولنا في زواج علي من فاطمة سلام الله عليهما قدوة حسنة .

زواج علي (ع) من فاطمة (سلام الله عليها) انمودجاً حياً . . . :

لقد كان عرس علي على خلاف ما هو مرسوم فعلياً ، فقد اقترحت بعض نساء قريش على أمير المؤمنين بالتربيح في الزواج من البنت التي كان قد تم عقد قرابتها منها ، فاحمر خجلأً وحياة وشجعه الرسول (ص) على ذلك حين اقترح عليه بيع درعه والإبقاء على بعيره وسيفه .

باع علي (ع) الدرع وقدم ثمنه للرسول (ص) فأعطيه الرسول (ص) إلى عدة أشخاص منهم سلمان وأبي بكر وجابر ليشتروا للزوجين ما يلزمهم أساساً في حياة جديدة .

(١٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٣ .

وفي ليلة الزفاف جاء الرسول (ص) بابته وسلمها بيد علي (ع) .

العادل هو من تمنى عدل إمام زمانه :

لماذا يتعدّ الإنسان في بعض الأحيان عن الصدق والصفاء ، وهو يريده الزواج من أجل حفظ دينه ، من أجل الله ، لذا يبني عليه أن يضع الهوى والرغبات جانباً ليعدل في حياة حرة كريمة .

لو كان المسلمين كلّهم عادلين أو عدواً لخلص المجتمع الإسلامي إلى الأمان والسلام ولساز العدل جميع الشؤون الإجتماعية ؛ ولما بقي ظالمٌ يجول ويصول على هواه .

فالعادل هو من يحب أن يسود العدل ويحب أن يظهر صاحب الأمر والزمان فيما لا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، فإذا كنت تروم وصول المهدي العادل وتدعى العدالة في كل المجالات فلماذا لا تكون عادلاً . . .

وإذا كنت صادقاً في ما تقول فكُن عادلاً وتمنى على الله أن يُعجل في ظهور إمام العصر والزمان ليُسْطِع عدله في كل مكان .

العدل الكامل في ظهور الإمام المهدي (عج) :

يقول أغنام الله أن المهدي جاء وذهب قبل « ١٥٠ » سنة ولا مجال لظهوره ثانية ، على الرغم من الآية الإسلامية خاصتها وعامها قد اتفقت على ظهوره في آخر الزمان وأن لظهوره علامات حتمية ، وقد أجمع المسلمين على أن ظهوره يُشبه أول طلوع الفجر في الأفق الذي يزداد ضياء حتى يعم كل الأفق بنشوره العادل ، فمن مكة الطلع وحتى أقصى نقاط الكرة الأرضية وحيثها لا يبقى ذرة خلاف لحقيقة العدل التي تمتليء بها أقطاب الأرض .

أنا نرى الآن ومنذ « ١٥٠ » عاماً مضت أن الظلم يتفاقم عاماً بعام ؛ فاين

بسط العدل ؟ بل ما رأيناه بسطَ الظلم حيثُ قامَت اثنان من الحروب العالمية
وقُتلَ الكثير وبُرُحَ الملايين ، في حروبٍ ظالمةٍ جاءَت على الأخضرِ واليابسِ
ففي كُوريا وفيتنام وفي فلسطين ولبنان وغيرها كثيُرٌ وكثيرٌ من إراقةِ الدماءِ ظلماً
وعدواناً !! أما زمانُ المهدى (عج) فلا عدَا ولا اعتداء ويقالُ أنَّ البنتَ الجميلةَ
تسير بحلْيَها من بغداد إلى الشام فلا ينظرُ أحدٌ إليها بعينٍ خائنةٍ ولا يمدُّ أحداً لها
يَدَا خائنةً .

ففي صحراء العدل وفي بحر العدل وفي مدينةٍ ومجتمعٍ العدل تصلُّ
الحال إلى سراية العدل حتى إلى الحيوانات فيموتُ شُرُّ الذئبِ فلا يعتدي على
الحملِ ولا غلبة إلا للملائكةِ على الملكِ ، فالعدل يعمُّ الجميعَ بل يعمُّ العالمَ
بأسره .

«أين جامِع الكلمة على التقوى . . . أين المنصُورُ على مَنْ اعتدى
وآفَرَى أينَ المضطَرُ الذي يُعَاجَبُ إذا دعا أينَ صدرُ الخلاقِ ذو البرِّ والتقوى أينَ
ابنُ النبيِّ المصطفى (ص) وأينُ علىَّ المرتضى (ع) وأينَ خديجةُ الغراء وأينَ
فاطمةُ الكبرى . . . »^(١٧) .

(١٧) دعاء الندبة : في مفاتيح الجنان المعرُب للشيخ عباس القمي - دار احياء التراث
العربي - بيروت ص ٥٣٥ - ٥٣٦ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين ^(١) .

لقد شرّعنا في بداية بحوثنا بأقوال الإمام علي (ع) والتي كانت : « بُنِيَ الإيمان على أربع دعائم : الصبر واليقين والعدل والجهاد ». ويكون الإيمان ناقصاً لو نقصت دعامة من هذه الدعائم الأربعية ، وقد تعرضنا فيما مضى إلى ثلاث دعائم ، أما اليوم فتتعرض إلى الدعامة الرابعة وهي الجهاد ؛ وشرحها يستوجب بيان أقسامها وأنواعها وكذا أحکامها من جهاد أكبر وجهاد أصغر والحال لا يسمح بالإسهاب في الشرح لذا نكتفي بشرح إجمالي للشعب الاربعة التي يضمها الجهاد .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« والجهاد على أربع شعب أولها الأمر بالمعروف وثانيها النهي عن المنكر وثالثها الصدق على كل حال ورابعها البعض في الله .

(١) الأصول من الكافي - الكلباني . دار الأضواء : ج ٢ ص ٥١ باب صفة الإيمان .

اما الامر بالمعروف ، فقد اوجب الشرع الاسلامي الحنيف الجهاد على كل مسلم وبدأ هذا الوجوب من بداية بلوغ الذكر لخمسة عشر سنة وعلى الانبياء من تسعه سنين حيث اداء الواجبات الشرعية بعد تعليمها ، وفهم كل كبار الذنوب والإبعاد عنها ، ويجب التعليم ابتداء بالأهل من خلال توجيههم نحو جادة الصواب التي رسماها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز واجراها على لسان النبي محمد (ص) والأئمة الاطاهرين (عليهم السلام) : «وامر أهلك بالصلة واصطبر عليها»^(٢) والأهل يعني بها هنا : الزوجة والأولاد والخدم وكل شخص تتولى أمره . «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقدها الناس والحجارة»^(٣) فمن شد عن شرعة الله المقدسة منهم (أي من أهلك) فأنتم مسؤول امام الله حيث يتبعي لك حفظهم من الوقوع في مهابي المعصية ما استطعت ، ولا يجدر بك أن تنتصل من هكذا مسؤولية فنقول : مالي وما لهم !!

نعرف على المعاصي لتجتنبها :

اما النهي عن المنكر ، فللعمل به عليك اولاً ان تعرف على الخطايا والمعاصي فتجتنبها ، بعد ذلك يمكن لك ان تعلمها أهلك وتحذرهم من ارتكابها مذكراً ايامهم بالعذاب الشديد الذي يتظار من يعمل بها ؛ وبناء على هذا فان التعليم يكون ذاتياً في بداية الأمر ومن ثم الأهل بعدها تشرع الامهات بتعليم بناتهن مسائل الحيض والنفاس والإستحاضة .

يتصدى احد الاجلاء لتوضيح ظاهرة تعدد زوجات النبي الاعظم (ص) فيقول : لقد كان النبي محمد (ص) يفهم زوجاته المسائل المتعلقة بالنساء فيفهمن بدورهن بقية النساء المسلمات وقد تحدثت إحدى الروايات عن تعرق

(٢) سورة طه ، الآية : ١٣٢ .

(٣) سورة التحريم ، الآية : ٦ .

جبهة النبي الأكرم (ص) حياءً عندما كانت تعرّضه النساء الأجنبيات للسؤال عن المسائل المتعلقة بهن؛ لذا كانت زوجات الرسول (ص) وسيلةً جيدةً لإبلاغ هذه الأحكام.

إن التعرّف على كبار الذنوب من مستلزمات اجتنابه، لذا فالشخصُ المسؤولُ لكبيرة لا ينبغي له أن يعتذر ويقول بعد معرفته أو علمه بكتابي المعاصي فقد لا يُقبل عذرُه، ويُقال له حلاً تعلمت، فلا يأس أن يتعرّف المسلمُ الحقيقي إلى فهرست المحرمات ومن ثم يشرع بفهم أهله بذلك. لأن «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤُولٍ عن رعيته»، كما ورد في الآثر.

أضحي العجب لباس العجائز :

قد نرى في بعض الأحيان امرأةً عجوزاً التزّمت بحجابٍ بشكلٍ مرتبٍ ونرى في مكانٍ آخر بنتاً تُظهرُ محسنها بشكلٍ يثير على الدهشة على الرغم أن القرآن الكريم أشار إلى القواعد من النساء بوضع ثيابهن شريطة عدم التبرج بزيّنة (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضفّنن ثيابهن غير متبرجات بزيّنة) (٤).

يجدر بك أيها المسلم ويجب عليك شرعاً الوقوف حائلاً دون تبرج ابنته وحفيدتك، فامر الله هو النهي عن المنكر، وعليك أن تمنع ابنته عن عمل المعصية.

كان من المفترض عليك منذ البداية افهم ابنته بأن القرآن نهى عن إظهار بدنها أمام الرجل الأجنبي حتى لا يصل بها الأمر إلى هذا الحد من عدم التمييز بين الأجنبي والمحارم وكذا افهم الوليد الذكر بأن لباس الشهوة حرام والنظر إلى الأجنبية بتلذذ لا يرضاه الله ولا يقبله: «قل للمؤمنين يغضّوا من

(٤) سورة النور، الآية: ٦٠

أبصارهم . . وقل للمؤمنات يغضبن من أبصارهن^(٥) فالنظر بشهوة إلى جسد الأجنبية حرام فكيف باللمس ؟

مبايعة النساء للنبي (ص) وعلي (ع) :

نقلت الروايات المتفق عليها بأن مبايعة النساء للرسول الأكرم (ص) كانت بأغamas النساء أيديهن في إناء فيه ماء وكذا الرسول الأكرم اغمس يديه في نفس الإناء وفي نفس الوقت لتم البيعة بينهما وهذا ما يعبر عن المصالحة بين الرجال وكذلك ما شوهد من بيعة النساء لعلي (ع) في غدير خم حيث بايعته على الولاية والإمامية بعد رسول الله (ص) فقد غمس النساء أيديهن في إناء فيه ماء وكذا الإمام غمس يده في نفس الحال وبذلك تمت البيعة .

الغرض من حديثنا هذا هو أن الأحكام الإسلامية المقدسة باتت مهجورة اليوم ولا يعنى بها ما النظر بشهوة والذي لا يشك أحد في حرمته وكذا نظر الريبة الذي تمارسه بعض النساء أو البنات حيث لم يفرق القرآن بين الجنسين في هذه الحالة فقد أصبح أمراً عادياً عند الذين لا يتزرون باجراء شرعة الله المقدسة .

وخلاصة القول : مُر أهلك بتنفيذ الواجبات والإبعاد عن كل ما هو حرام أو مشتبه به .

لو قدر لابنك أن يأخذ قلم رفيقه الذي هو معه في المدينة ويأتي به إلى الدار حينها يتوجب عليك نهيه ورد القلم إلى صاحبه ثم افهمه بحرمة إتلاف مال الغير أو استخدامه بدون إذن من صاحبه ؛ والويل لللامهات والأباء من يوم يغرون فيه من أبنائهم لعدم اعترافهم عليهم في سليم أموال الغير « يوم يغرون المرأة من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبيه وبنه »^(٦) .

(٥) سورة النور ، الآية : ٣٠ - ٣١ .

(٦) سورة عبس ، الآية : ٣٤ - ٣٦ .

بالتوجيه والترغيب يُمكن النهي عن المنكر :

في المرحلة الأولى يجب أن يأمر رب الأسرة بالمعروف وينهى عن المنكر وفي المرحلة الثانية يبدأ تعليم الأهل للحلال والحرام ليتمكنوا هم أيضاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ أما المراحل التي تلي المراحلتين الأولى والثانية فهي أمر بالمعروف لكل من تعامل معه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شرائط تشمل على ابداء النصح بالرفق والمحبة بعيداً عن الحدة والشدة، لأن في الأولى تأتي التأثير الإيجابية وفي الثانية تأتي التأثير السلبية بل قد لا تحصل إلا التأثير العكسي، وإذا أضطر الشخص في حالة أمره بالمعروف أن يستخدم النقود تشجيعاً للشخص المنهي عن منكر ما، فلا يأس بذلك بل قد يكون في هذه الحالة واجباً، فعلى سبيل المثال لو كان ابناً تاركاً للصلة فلا ترمي به خارج الدار؟ لأنه قد يعتاد على السلوك السيء والقسر والشتم وأنت لا تريده إلا أن يكون لك أولاد صالحون ولا تريده إلا أن تكون قريباً العين في أهلك ومالك ووليك فالتشجيع والتلطف في الحديث واستخدام النقود قد يؤدي إلى جلب الولد إلى جادة الصواب وهذا ما تريده فعلاً.

والجدير بالذكر أن هناك فرقاً بين الإرشاد والأمر والنهي، فالإرشاد يعني التعليم والأمر والنهي يعني الإجبار والإكراه.

فلو قدر لك التعامل مع جاهل فيجب حينئذ إرشاده بمعنى تعليمه، لذا يقول البعض أن النساء المبعدين عن المسجد لا يعرفن أن الحجاب من ضروريات الإسلام ولذا ينبغي افهمهن وتعليمهن لكي يتزمن بالحجاب، عجباً لهن ألم يعلمن أن القرآن هكذا يقول: **﴿وَلَا يَدِين زَيْنَتْهُنَّ إِلَّا لِعَوْنَتْهُنَّ﴾**^(٧).

(٧) سورة النور، الآية: ٣١.

فالمرأة التي ثأرني عقد عرس بوضع لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون حرام فالتزرين لا يكون للأزوج والتطيب لا يكون كذلك إلا له « إن المرأة إذا تطيبت وخرجت من منزلها كانت في لعنة الله إلى أن ترجع إلى منزلها » كما تروي الأخبار فهكذا نساء يتوجب نهيهن عما هن فيه من منكر وإن لم يتنهين فالحدة الشدة علاجهن .

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ثلاث مراحل فالمرحلة الأولى باللسان والثانية باليد فإذا لم تستطع بالقلب أى استثناء القلب من هكذا عمل ، وهي ما يُصلطع عليها بالمرحلة الثالثة وهي أضعف الإيمان .

لو دعيت إلى مجلس ورأيت شخصاً في المجلس يتهمك حرمة فلان الغائب أو يتعرض له بشكل يطعن فيه أو يكشف عن عيوب المستور ولم تنهي عن ذلك فأنت شريكه أين أنت والمحذث سواء . فالدفاع عن الغائب واجب ، ونهي المستغيب واجب ومن لم يردد غيبة فهو شريك في أكل لحم أخيه المسلم وهذا يدخل ضمن اطار النهي عن المنكر .

وفي رواية تقول أن عابداً وقف للصلوة في مكان كان فيه اثنان من الأطفال يمسكوان بديك يستغيب ولا من مغيث ولكن العالم الفاقد للمرءة أطال صلاته في الوقت الذي ينبغي له أن يقتصر منها ليدرك الديك وبخلصه من أيدي الأطفال ، ولكنه استمر في صلاته حتى مات الديك من كثرة ما أودي ، فخفف الله تبارك وتعالى بالعالى الأرض .

الويل والثبور لمن لا يُعين مظلوماً على ظالم وهو قادر على ذلك .

ذكر كتاب معاني الأخبار أن رجلاً في سالف الأزمان كان قاضياً وعالماً وعابداً فمات ، وحين موته حضرته ملائكة العذاب الإنمي وبيدها السياط تروم ضربه ، فقال : لماذا تُريدون ذلك وأنا فلان الذي عملت كذا وأحسن إلى فلان وفلان فأجابوه : مررت بمظلوم ولم تنصره ، ولكنك عابداً وزاهداً وعالماً

فجزاؤك ضربة سوط واحدة ؛ فُضِّرب فاشتعل القبر ناراً .

ولهذا يقول زين العابدين (ع) في معرض دعائه : « إلهي اعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتى ولم أنصره » .

فروءة مظلومٍ ونصرة على الظالم مسألة مهمة جداً أعطاها الإسلام أهمية عظيمٍ لأنَّ الله تبارك وتعالى عادلٌ ولا يحبُّ الظلمَ ولا الظالمين . فلو رأيت امرأةً تعاني من ظلمٍ زوجها يتوجّب عليك إسداء النصيحة لزوجها وافهمه بأنَّ الإسلام سهلٌ سمعَ عَلَيْهِ ينتهيٌ مما هو عليه من ظلمٍ لزوجته ، ولو شاهدت رجلاً يدخُّن السجائر في شهر رمضان وفي وضح النهار لكان من الواجب عليك أن تنهأَهُ عما يفعلُ وتُفهِّمهُ أنَّ التجاهِر بالافطرار حُدُّدٌ له الإسلام ^{٥٥} ، جُلُّ دَنَّاسٍ لتأديبِ المتّجاهِر به ؛ فما حبذاً أنْ ينتهي الإنسانُ عما حرمَ الله فالكاسبُ الذي يضعُ ما يبيِّنُ في وسطِ الشارعِ ويسدُّ على الناس طريقَهم حريريًّا به أنَّ لا يفعل ذلك ولا يتُّظرُ مأمورُ البلديَّة يأتِيه ويأخذُ ما عنده بعنوانٍ أنه يسدُّ طريقَ الناس عليهم ، فاحكمَ دينَه يجُبُّ أنْ يجريها بدونَ أنْ يُشارَ إليه بذلك ويدونَ أنْ يُكرِّهَ على عدمِ فعلِ ذلك .

فكل اساءة او معصية تراها من شخص يتوجب عليك نهيه عنها ، وإن احتملت جهله فاسلك طرائق الإرشاد والوعظ ليتهي مما هو عليه ولا تغفل عن أن النهي والإجبار شروط عليك الالتزام بها .

نهي عن منكر وارتكاب علة منكرات :

في خبر عن عمر بن الخطاب أنه كان يتحرى حواري المدينة ، وعند وصوله إلى باب إحدى الدور سمع غناة وأصوات لهور وما إلى ذلك فما كان منه إلا أن يأتى بسلم وبطلم إلى سطح الدار الذي خرّجت منه أصوات الغناء ليقول : « يا عدو الله أما تستحي الله ؟ »

فخرج له صاحب الدار قاتلاً : أردت أن تنهي عن المنكر فجرك ذلك إلى

ارتكاب ثلاث منكرات ؛ الأول : هو أنك لم تعمل بما قاله الله في كتابه حين قال : «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تُدْخِلُوهَا»^(٨) وأنت تعلم أنَّ رسول الله (ص) لم يضع قدمه الشريفة في بيت ابنته فاطمة (سلام الله عليها) إلا بعد اكتساب الإذن منها ذلكَ غيرُ سلامٍ علىٰها قبل طلبِ الإذن بالدخول ، فكان يقول (ص) : السلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبِيِّ فَلَمْ قُلْ لَهُ : تَفْضُل ، دَخْلْ وَلَمْ يَسْمَعْ شَيْئاً ذَهَبَ إِلَى حَالِهِ .

وفي رواية مضمونها أنَّه كان يُرِيدُ الدخول (ص) بصحبة جابر فقال : «لَسْتُ وَحْدِي فَمَعِي جَابِرٌ فَاجِزْ وَجَابِرًا» .

وثانياً : قال الله في محكم كتابه : «وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهِ»^(٩) وأنت اتيت من السطحِ مثلثَ كمثلِ اللصوصِ .

وثالثاً : أنك لم تُسْلِمْ وَتَقُولُ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ عَلَى الرَّغْمِ أَنَّ الله تباركَ وَتَعَالَى ذَكْرُهُ في كتابه الشريف : «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بَيْتَنَا فَلَمْسُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحْيَةً مِنْ عَنْدِ اللَّهِ»^(١٠) هذا في حالة عدم وجود أحد في الدار ، أي إذا لم يكن شخصٌ في الدار فلا بأس بالسلام على عباد الله الصالحين من الملائكة الكرام الكاتبين .

وبعدها قال صاحبُ الدار لعمر : أنا ارتكبْتُ معصية واحدة وأنت تُريدُ ان تنهاني عن هذهِ المعصية وإذا بك ترتكبْ ثلاثَ .

فالحالُ هذهِ تشبهُ حالَ ذلك الشخص الذي رأى فلاناً من الناس واقفاً يتبول وإذا به يقولُ له بشدةً : أنت مثل الكلب في وقفتِك هذه ؛ يزيد نهيه عن منكرٍ فيقع هو الآخر في معصية أو منكر ؛ فالنهيُ لا يكونُ بالمكرر أو بالمنكر

(٨) سورة النور ، الآية : ٢٨ .

(٩) سورة البقرة ، الآية : ١٨٩ .

(١٠) سورة النور ، الآية : ٦١ .

وقد تعرضنا لذلك حين قلنا أن للنبي عن المنكر شرطًا ينبغي مراعاتها .

فالنبي عن المنكر يأتي من العلاقة القلبية بالحكم الحق والعدل والإنصاف ولا يأتي من هوى النفس ؛ فمن تحرق شوقاً للمعمل الصواب لا يمكن أن يستخدم ما يُسيء إلى الآخرين أو ما يتزلق به في مهابي المنكرات .

لقد كان رسول الإنسانية في بداية دعوته يُرمي بالحجارة حتى تدمى رجلاه ولكنه لا يجبر ولا يقول شيئاً إلا الدعاء بالخير لقومه وقد نقل حديث ما مضمونه « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » أنه كان رحمة للعاملين ، أنه كان يتعذر على الله أن ترقى أمتة على ارتقاب المعاشي ، فاتجذب أخي المسلم الكريم من النبي محمد (ص) قدوة حسنة لك وانتي بما أنت فيه من معاشر ولا تغفل عن الواجبات وخاصة في ليالي شهر رمضان المبارك لتخرج منه كما ولدتك أمك .

أعوذ بجلال وجهك الكريم أن ينقضني عن شهور رمضان أو يطلع الفجر من ليالي هذه ولك قبلي تبعة أو ذنب تُذنبني عليه يوم الفاك .

والحمد لله رب العالمين .

«الفهرس»

| الصفحة | الموضوع |
|--------|------------------------------------|
| ٥ | البيقين بالله تعالى بعد الإيمان |
| ٦ | من أفق بيضعه |
| ٧ | أعتق الخدم لكيلا تلومني جهنم |
| ٨ | اضطرب أمره لعدم إدراكه صلاة الجمعة |
| ٩ | لا يجتمع الإيمان مع الخطيئة |
| ١٠ | لذة المؤمن في شهر رمضان |
| ١١ | الأنس بالقرآن وبالنيل المميتة |
| ١٢ | السعى لكتب نور الإيمان |
| ١٣ | الإيمان نور ثابت في القلب |
| ١٥ | المصيبة والبلاء تحتبس عند الله |
| ١٦ | لا فتن إلا على |
| ١٧ | صبر على من معجزاته |
| ١٨ | من يعطي الشفاء ؟؟ |
| ١٩ | العلف دواء لعدة أمراض |

| | |
|----|--|
| ٢١ | القناعة وترف الدنيا |
| ٢٢ | التزور يبعث على القساوة |
| ٢٣ | نظرة حرام من على مذنة مسجد ذهبت بإيمانهم |
| ٢٤ | أكل الحرام يبعث على القساوة |
| ٢٥ | المعصية وعدم طهارة القلب |
| ٢٦ | علاج قسوة القلب |
| ٢٧ | حكاية الاسكندر وسلطان الصين |
| ٢٩ | دواوين الذنوب ودواوين الاستغفار |
| ٣٠ | الأمني وقساوة القلب |
| ٣١ | حالات الإسكافي والحجاج الملعون |
| ٣٢ | الأمني المادي لا نهاية لها |
| ٣٣ | لا أرغب في دار يكون عمري معها ٧٠٠ عام |
| ٣٤ | النبي (ص) يرى الموت قريباً |
| ٣٥ | لا أطمئن الى عمري ، لذا لا أعدك |
| ٣٧ | كثرة الطعام والنوم تبعث على القساوة |
| ٣٨ | المعدة خزان وقود الجسم |
| ٣٩ | لا تأكل بدون رغبة |
| ٤١ | النوم المكره يبعث على البلاء |
| ٤٢ | الجلوس مع النساء يفسّي القلب |
| ٤٥ | جمع المال مقدمة لذهب الإيمان |
| ٤٧ | هلك ثري لم ينفق |
| ٤٩ | قارون أهلك ثروته |
| ٥١ | نار جهنم نتيجة للمعاصي |
| ٥٣ | عدم اليأس من رحمة الله |

| | |
|----------|--|
| ٥٤ | التوصيل يأتي بعد المعرفة والإيمان |
| ٥٥ | عَبَادُ الْأَصْنَامِ وَالْإِنْفَاقُ فِي طَرِيقِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ (ع) |
| ٥٦ | خَادِمُ مَسْجِدِ عَلِيٍّ (ع) وَحُبُّ الدُّنْيَا |
| ٥٧ | مِثْمَثُ التَّمَارِ وَذِكْرُ مَنَاقِبِ عَلِيٍّ (ع) |
| ٥٨ | الْخُوفُ وَعَالَمُ الْبَرْزَخِ |
| ٥٩ | الْهُدَىْيَةُ الْعَامَةُ لِكُلِّ مَكْلُفٍ |
| ٦٠ | الْهُدَىْيَةُ الْخَاصَّةُ تَعْلَقُ بِمَبْشِيْةِ اللَّهِ |
| ٦٣ | سَكُونُ الْقَلْبِ عَطَارُ مِنَ اللَّهِ |
| ٦٧ | إِيمَانُ أَبِي ذِرٍ وَاللَّهُوْجَاتُ الْآخِيْرَةُ مِنْ عُمْرِهِ |
| ٦٩ | إِسْعَانُ لَأَنْ يَكُونُ أَوْلَادُكَ مُؤْمِنِينَ |
| ٧١ | لِمَاذَا لَمْ تَعْرِفْنِي الْخَالِقُ؟ |
| ٧٢ | هُدَايَةٌ خَاصَّةٌ بِفَضْلِ الْإِمَامِ (ع) |

القسم الثالث

| | |
|----------|---|
| ٧٥ | الصَّبْر |
| ٧٨ | اسْتِثْمَارُ الْمُبَاحَاتِ يَتَعَدَّدُ بِكَ عَنِ الْمُحْرَمَاتِ |
| ٧٩ | مَرِيمٌ وَيُوسُفٌ حِجَّاجُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ |
| ٨٠ | سَاعَةُ الْمَوْتِ |
| ٨١ | كَمَا تَعِيشُونَ تَمُوتُونَ |
| ٨٢ | لِمَاذَا الشَّهَوَاتِ |
| ٨٣ | الْجَزْعُ وَعَظَمَةُ الْآخِرَةِ |
| ٨٥ | لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَضْطَرِّبَ قَلْبُهُ |
| ٨٦ | الشَّيْخُ الْأَنْصَارِيُّ وَالثَّرِيدُ |
| ٨٩ | الْإِدْرَاكُ الْجَزِئِيُّ وَاللَّذَّةُ الْكُلِّيَّةُ |
| ٩١ | إِذَا جَزَتِ الصَّرَاطُ |

| | |
|-----------|--|
| ٩٣ | المؤمن حَرَّ عزيز |
| ٩٥ | مُلْكُ الدُّنْيَا .. |
| ٩٦ | ذهب المال .. |
| ٩٩ | البيقين، الركن الثاني للإيمان .. |
| ١٠٠ | كفاية الظن الاطمئناني .. |
| ١٠٢ | الفطنة من مستلزمات الإيمان .. |
| ١٠٣ | جمال الحاجين والجبيهة .. |
| ١٠٤ | حركة العين، نعمة إضافية .. |
| ١٠٥ | التعلق بالفاني خطأ فادح .. |
| ١٠٦ | حتى سليمان (ع) كتب عليه الموت .. |
| ١٠٨ | الزهراء (ع) تفرح لموتها .. |
| ١١٠ | خروج الإنسان من أسر الشبهات .. |
| ١١١ | هذا هو النور، والأصل نار .. |
| ١١٤ | أشقياء أصفهان والعلامة المجلسي (قده) .. |
| ١١٥ | البيقين بالولاية والإمامية .. |
| ١١٦ | علي (ع) ولِيٌّ مِنْ أَوْلَيَاءِ الله .. |
| ١١٧ | لماذا لا يغسل الشيعة أقدامهم عند الوضوء .. |
| ١١٨ | الأدعيَّة والإيمان .. |
| ١٢٠ | التبعة والمحبة .. |
| ١٢١ | الشفاعة يوم القيمة .. |
| ١٢٢ | ذكر أهل بيت الرسول والكرامة .. |
| ١٢٣ | علامات إشراح الصدر .. |
| ١٢٣ | نزاع متمادي من أجل الغوانيس .. |
| ١٢٦ | التوكل على الله .. |

| | |
|-----------|--------------------------------------|
| ١٢٨ | طلب الرئاسة شر ومشكل |
| ١٣١ | قطنة المؤمن وحسن العاقبة |
| ١٣٥ | محبة الطير لصفاره |
| ١٣٦ | إنك تدعوهم حتى كأنك تحتاج إليهم |
| ١٣٧ | العبرة والإعتبار |
| ١٣٨ | إيوان المداين عبرة تاريخية |
| ١٣٩ | بلغ اليقين لا يخلو من الصعاب |
| ١٤١ | ذكر الموت حياة للقلوب |
| ١٤٢ | الكعبة أول بيت للعبادة |
| ١٤٣ | النظر الى الكعبة وذكريات أصحاب الفيل |
| ١٤٤ | طهور الحرم تزدي الاحترام |
| ١٤٧ | الاستقامة والعبودية |
| ١٤٨ | حكاية الأشواخ يهودا بطروس |
| ١٤٩ | إرادة الله |
| ١٥٠ | بنو أمية وخبيتهم |
| ١٥٣ | العدل وأساسه الفهم |
| ١٧٥ | التحاد والسوط |
| ١٥٧ | أشد الناس حسرا |
| ١٥٨ | حق البناء على الآباء |
| ١٥٩ | صد الطفل عن ممارسة الكذب |
| ١٦١ | عاقبة لعن الأولاد السيئة |
| ١٦٢ | حق الجار |
| ١٦٣ | إطعام بحر العلوم لجاره |
| ١٦٥ | عاقبة السوء تجلت في إتهام علي (ع) |

| | |
|-----------|--|
| 166 | إجعل نفسك ميزاناً |
| 167 | نريد الجنة للمؤمنين ولا نزاحم في الأموال |
| 169 | نداء موسى بن جعفر (ع) |
| 170 | ثلاثة تحت ظل عرش الله |
| 170 | إبحث عن عيوبك |
| 172 | العدل مع الذات والنفس |
| 173 | من هو الذي لم يظلم نفسه |
| 174 | يزيد أيضاً ظلم نفسه |
| 175 | حسن العدل فطري |
| 176 | معنى العدل |
| 178 | التكبر خلافاً للعبودية |
| 179 | قوام الخلقة على العدل |
| 180 | ميزان العدل في نجوم السماء |
| 181 | يجب أن يسود العدل |
| 182 | الأهل والأولاد والمال |
| 183 | دولة سقطت بسبب |
| 184 | حديث موسى بن جعفر (ع) |
| 185 | الرسول (ص) والعبودية لله |
| 186 | العدل مع الزوجة والأولاد |
| 187 | المساواة في المحبة بين الأولاد |
| 188 | زواج علي (ع) من فاطمة (ع) |
| 189 | العدل الكامل في ظهور الحجة (ع) |
| 191 | الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر |
| 193 | أضحي الحجاب لباساً للعجائز |

| | |
|-----------|----------------------------------|
| ١٩٤ | مبایعه النساء للنبي (ص) وعلي (ع) |
| ١٩٧ | نهی عن منکر وارتكاب عده منکرات |